مقالة التشبيه

وموقف أهل السنة منها

تأليف

دكتور جابر بن إدريس بن علي أمير

الجزء الثاني

أضواء السلف

جَمِيعُ الحُقوقِ محفُوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة أضواء السلف - تصاميمها على الحزين

الرياض - شارع سعد بن أبي وقاص - بجوار بندة - ص.ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١

تلفون وفاكس: ٤٥٠٢٣٢١ - جوال ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

الفصل الثاني

في بيان مقالة المشبهة إنَّ الله جسم وذكر بعض أدلتهم وشبهاتهم وموقف أهل السنة من ذلك

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في بيان مقالة المشبهة إنَّ الله جسم وموقف أهل السنة من ذلك

المبحث الثاني : في ذكر بعض أدلتهم النقلية وموقف أهل السنة منها

المبحث الثالث : في ذكر بعض أدلتهم العقلية وموقف أهل السنة منها

المبحث الأول

في بيان مقالة المشبهة إنَّ الله جسم
وموقف أهل السنة من ذلك

لفظ الجسم من الألفاظ المبتدعة التي لم تأتِ في كتاب الله تعالى ، ولا في سنة رسوله ﷺ ، ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وسائر أئمة المسلمين ، في حق الله تعالى لا نفيا ولا إثباتا ، وإنما أحدثه أهل الكلام المذموم من المعطلة والمشبهة(١).

وأول من قال في الإسلام إنَّ الله جسم هو : هشام بن الحكم الرافضي(٢)زعيم طائفة الهشامية المشبهة !

وبعد حدوث هذه المقالة في الإسلام انقسم أهل البدع فيها بين مثبتٍ ونافٍ :

١ ـ فمنهم من أطلقها على الله تعالى كقدماء الشيعة والكرامية(٣)الذين خاضوا في الكلام المذموم !

وهؤلاء الذين قالوا إنَّ الله جسم كما ذكر شيخ الإسلام على قولين :

أحدهما : قول علمائهم الذين قالوا : إنَّ الله جسم لا كالأجسام .

كما يُقال : ذات لا كالذوات وموصوفٌ لا كالموصوفات ، وقائمٌ بنفسه لا

---

(١) انظر : منهاج السنة ٢/٥٢٧ـ٥٢٨ونقض التأسيس « المطبوع » ١/١٠٠وتفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ١٧/٣١٣و٥/٤٣٤ .

(٢) انظر : كتاب التوحيد لابن بابويه القمي ص/٩٩ومعرفة رجال الكشي ص/١٨٣و١٨٤ومنهاج السنة ٢/٢١٧وكتاب مقدمة التفسير ضمن مجموع الفتاوى ١٣/١٥٤والمنتقى من منهاج الإعتدال ص/٨٣ .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ١/٢٣٣و٢٨١ـ٢٨٣والفصل في الملل والنحل ٢/٢٢والملل والنحل ١/١٠٩وتلبيس إبليس ص/٩٩ـ١٠٠ونقض التأسيس « المطبوع » ١/٥٠ـ٥١ومنهاج السنة النبوية ٢/٢١٧ـ٢١٨وشرح حديث النزول ص/ ٧٥وضمن مجموع الفتاوى٥/٤٢٨وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى٦/٣٥والبدء والتاريخ للمقدسي ٥/١٤١وموقف شيخ الإسلام ابن تيميةمن الكرامية في الإلهيات ص/١١٩ـ١٢٠ .

كالقائمات ، وشيء لا كالأشياء .

فهؤلاء يقولون : هو في حقيقته ليس مماثلا لغيره بوجه من الوجوه ، لكن هذا الذي قلناه من أنه جسمٌ إثباتٌ بأنَّ له قدرا يتميز به كما إذا قلنا : موصوف ، هو إثباتُ حقيقةٍ يتميز بها وهو من لوازم كل موجود .

وقد بينوا مقصودهم من إطلاقهم لفظ الجسم على الله تعالى ، فالمشهور عن الكرامية وغيرهم ممن يقول هو : جسم . أنه الموجود ، أو القائم بنفسه لا بمعنى المركب[١]!

والثاني : هم الذين يقولون : « إنَّ الله جسمٌ كالأجسام » فيفسرون مقالتهم هذه بما يتضمن التشبيه ، ويجعلونه من جنس غيره من الأجسام .

وهؤلاء هم الغالية الذين يُحكى عنهم أنهم قالوا : هو لحم وعظم ودم ونحو ذلك من المقالات الفاسدة التي لايقول بها من له أدنى مسكة من عقل وإيمان[٢]، وهم المشبهة الذين ذمهم السلف[٣].

٢ ـ ومن أهل البدع من نفى أنْ يكون الله جسما فقال : « إنَّ الله ليس بجسم » وأول من أظهر في الإسلام إنَّ الله ليس بجسم هو زعيم المعطلة جهم بن صفوان وضمن ذلك التعطيل[٤]، وسار على نهجه جميع فرق المعطلة كالجهمية

---

(١) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ١/٥٠و٩٩ـ١٠٠ومنهاج السنة ٢/٢١ـ٢١٢وشرح حديث النزول ص/٧٥ وضمن مجموع الفتاوى ٥/٤٢٨و٤٣٥ . وراجع : كتاب التمهيد لقواعد التوحيد لأبي الثناء محمود اللاميشي الماتريدي ص/٥٧ .

(٢) تقدم التعريف بغلاة الشيعة وبيان أن بعضهم يقول بمثل هذه المقالات كالجوارية واليونسية والهشامية الحكمية والجواليقية انظر : ١/٢٥٤ و٢٥٧ و٢٦١ و٢٥٣ .

(٣) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ١/٥١وراجع كتاب التوحيد لأبي الثناء محمود اللاميشي الماتريدي ص/٥٦ـ٥٧ وموقف شيخ الإسلام من الكرامية في الإلهيات ص/١١٩ـ١٢٠ .

(٤) انظر : الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموع الفتاوى ١٣/ ١٥٤وراجع : دعوة شيخ =

والمعتزلة ومن وافقهم كالأشاعرة والماتريدية[١]!

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ هؤلاء المعطلة يظهرون للناس التنزيه ، وحقيقة كلامهم التعطيل ، فيقولون : نحن لانجسم ، بل نقول : إنَّ الله ليس بجسم ومرادهم بذلك : نفي حقيقة أسماء الله وصفاته[٢]!

فالذين أطلقوا لفظ الجسم على الله منهم من أدخل فيه من النقص والتمثيل مايتنزه عنه الباري عز وجل ، والذين نفوه أدخلوا فيه من التعطيل ما هو مخالف للكتاب والسنة[٣].

موقف أهل السنة من إطلاق لفظ الجسم على الله تعالى أو نفيه

أما موقف أهل السنة من إطلاق لفظ الجسم على الله عز وجل أو نفيه فقد اعتبروا إطلاق ذلك على الله ، أو نفيه عنه تعالى بدعة في الدين لا أصل له في الشرع ، إذْ لم يرد في الكتاب والسنة أنَّ الله جسم ، أو ليس بجسم ، ولم يقل به أحدٌ من سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان ، بل منعوا إطلاق القول بالإثبات والنفي وأنكروا على من أطلقه على الله تعالى من المشبهة ، ومن نفاه من المعطلة ، من أثبت

= الإسلام ابن تيمية وأثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة لصلاح الدين مقبول أحمد ص/ ٢٠٧ .

(١) انظر مقالاتهم في نفي الجسم التي ضمنوها نفي الصفات في : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص/٢١٧-٢٢٩والمواقف للإيجي ص/٢٣٧وكتاب التمهيد لقواعد التوحيد لأبي الثناء محمود اللاميشي الماتريدي ص/٥٥-٥٦والإقتصاد للغزالي ص/٢٨وأساس التقديس للرازي ص/١٧-٢٤وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص/٩٦وشرح العقيدة الطحاوية لعبد الغني الغنيمي الحنفي ص/٥٤-٥٥وكتاب ابن تيمية ليس سلفيا لمنصور عويس ص/٢١٧-٢١٩ .

(٢) انظر : الجواب الفاصل بتمييز الحق من الباطل لابن تيمية المطبوع ضمن مجلةالبحوث الإسلامية العددص/٣٠٩- ٣١٠ ومنهاج السنة النبوية ٢/٥٢٨ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ٢/١٩٨و٥٢٨-٥٢٩و٥٤٨ .

بَدَّعوه ، ومن نفاه كذلك بَدَّعوه ونزهوا الله تعالى عن تشبيه الممثلة ، وتعطيل المعطلة !

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله موقف أهل السنة من إطلاق لفظ الجسم على الله تعالى إثباتا ونفيا بقوله : « ... أئمة السنة والحديث لم يختلفوا في شيءٍ من أصول دينهم ولهذا لم يقل أحدٌ منهم إنَّ الله جسمٌ ـ كما قال المشبهة ـ ولاقال : إنَّ الله ليس بجسم ـ كما قال المعطلة ـ بل أنكروا النفي لما ابتدعته الجهمية من المعتزلة وغيرهم ، وأنكروا ما نفته الجهمية من الصفات ، مع إنكارهم على من شَبَّه صفاته بصفات خلقه ، مع أنَّ إنكارهم كان على الجهمية المعطلة أعظم منه على المشبهة لأنَّ مرض التعطيل أعظم من مرض التشبيه ، كما قيل : المعطل يعبد عدما ، والمشبه يعبد صمدا ، ومن يعبد إلها موجودا موصوفا بما يعتقده هو من صفات الكمال وإنْ كان مخطئًا في ذلك : خير ممن لا يعبد شيئًا ، أويعبد من لايُوصف إلا بالسلوب والإضافات »[(١)]!

ويتضح موقف أهل السنة من إطلاق المشبهة على الله تعالى لفظ الجسم ، ونفي المعطلة له في موقفين :

الموقف الأول : الامتناع عن التكلم به مطلقا ، والاكتفاء بالإنكار ، وعدم الخوض في المناقشات وذم كلتا الطريقتين الإثبات والنفي ، وتنزيه الله عن ذلك ، واعتبار ذلك من الكلام المذموم الذي يجب تجنبه ، وقد سلك هذه الطريقة الأئمة الأقدمون كأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم .

ومن الأمثلة الدالة على ذلك مارُوي عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله أنه سُئل عما أحدثه الناس من الكلام في الأعراض والأجسام فقال : « مقالات الفلاسفة ، عليك

---

(١) درء تعارض العقل ٣٠٦/١٠ .

بالأثر وطريقة السلف ، وإيّاك وكل محدثة فإنها بدعة »[١].

فبين رحمه الله أنَّ الخوض في الأعراض والأجسام الذي أحدثه أهل الكلام المذموم والتي يستدلون بهما على وجود الله تعالى[٢]، ويقولون : إنَّ الله جسم ، أو ليس بجسم ، بين أنَّ هذه الطريقة مصدرها الفلاسفة الملحدون ، فيجب تركها وتجنبها ، وسلوك طريقة السلف المبنية على الكتاب والسنة .

ونهى الإمام مالك رحمه الله عن بدع المتكلمين الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته بعقولهم ، ويخوضون فيمالم يرد إثباته ولا نفيه في حق الله عز وجل كلفظ الجسم ، ولا يسكتون عما سكت عنه السلف نهى عن ذلك بقوله : « إياكم والبدع . قيل : يا أبا عبد الله : وما البدع ، قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته ... ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان »[٣].

وكان الإمام أحمد رحمه الله من أشد الناس محافظة على التعبير بالألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسنة ، فلا يقبل من منازعيه العدول إلى العبارات المستحدثة التي لم يرد بها الشرع نفيا وإثباتا ، ويظهر ذلك جليًا في مناظرته للمعتزلة الجهمية في مسألة محنة القرآن المشهورة في عهد الخليفة العباسي المأمون[٤]، وأخيه المعتصم[٥]

(١) ذكره الإمام السيوطي في صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام ص/٥٩-٦٠ .

(٢) المعطلة والمشبهة متفقون على الاستدلال بطريقة الأعراض وحدوث الأجسام على وجود الله كما سيأتي بيانه وموقف أهل السنة من ذلك انظر : ص/٤٢٥ .

(٣) ذكره الإمام البغوي في شرح السنة ١٨٨/١والسيوطي في صون المنطق ص/٥٧ والأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع ص/٢٩ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ١٩٣/١ .

(٥) أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد محمد المهدي بن المنصور الخليفة العباسي ، بُويع بالخلافة بعد أخيه المأمون ، وإمتحن أهل السنة بخلق القرآن ، وكتب بذلك إلى الأمصار ودام على =

من بعده[١]!

وفي توضيح موقفه من إطلاق لفظ الجسم على الله تعالى ونفيه عنه يقول شيخ الإسلام رحمه الله : « ... وكان الذين امتحنوا الإمام أحمد وغيره من هؤلاء الجاهلين ، فابتدعوا كلاما متشابها نفوا به الحق ، فأجابهم أحمد لما ناظروه في المحنة وذكروا الجسم ونحوذلك ... بأنّي أقول : كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ وأما لفظ الجسم فلفظ مبتدع مُحْدَث ، ليس على أحدٍ أنْ يتكلم به ألبتة ، والمعنى الذي يُراد به مجمل ، ولم تبينوا مرادكم حتى نوافقكم على المعنى الصحيح ... وما أدري ماتقولون ، لكن أقول : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

يقول : ما أدرى ماتعنون بلفظ الجسم ، فأنا لا أوافقكم على إثبات لفظٍ ونفيه إذ لم يرد الكتاب والسنة بإثباته ولا نفيه ... »[٢].

وهذا الموقف من إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد رحمه الله هو موقف من اتبع الكتاب والسنة ، وجانب البدع وأهلها ، فلم يُوافق هؤلاء المبتدعة على إثبات لفظ الجسم ونفيه ، لأنه قد أثبته قوم وأرادوا به التوصل إلى ما يتنزه الباري عز وجل عنه من التشبيه والتمثيل كما فعل المشبهة ، وينفيه قوم ليتوصل به إلى تعطيل الله عز وجل عن صفات كماله كما فعل المعطلة ، فتفطن الإمام أحمد لذلك ، فاجتنب

= ذلك ، حتى أزاله الخليفة المتوكل بعد أربعة عشر عاما . توفي سنة ٢٢٧هـ انظر : سير أعلام النبلاء ١٠/٢٩٠-٣٠٦ .

(١) انظر : درء التعارض ١/٢٣٠وشرح حديث النزول ص/ ٣٦وضمن مجموع الفتاوى ٥/٤٢٩ .

(٢) تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ١٧/٣١٢-٣١٣وراجع شرح حديث النزول ص/ ٣٦- ٣٧ وضمن مجموع الفتاوى ٥/٤٢٩-٤٣٠ودرء التعارض ١/٢٣٠-٢٣١ومنهاج السنة ٢/ ٦٠٩-٦١٠ونقض التأسيس « المخطوط » ٢/٢١٦و٢٢٩ .

الطريقتين ، وأختار طريقة القرآن الكريم المبنية على الإثبات والتنزيه ، الناقضة لطريقة أهل التعطيل والتمثيل ، وتلا سورة الإخلاص التي تعتبر من أعظم السور القرآنية الدالة على إثبات صفات الكمال لله تعالى ، وتنزيه الله عز وجل عن النقائص والعيوب والمثيل والشبيه والكفئ .

وقد أعلن الإمام أحمد رحمه الله رفضه للكلام في غير ماورد في الكتاب والسنة مما أحدثه أهل الأهواء والبدع من الألفاظ المجملة كلفظ الجسم ونحوه ، والكلام في ذات الله تعالى وصفاته بمالم يرد في الشرع رفض ذلك بقوله : « ... لا أحب الكلام في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله ، أو في حديث عن رسول الله عز وجل أو عن الصحابة أو التابعين لهم بإحسان ، وأما غير ذلك فإنَّ الكلام فيه غير محمود »(١).

وَسُئل أبوالعباس ابن سريج رحمه الله عن التوحيد ، فذكر توحيد المسلمين ثم قال : « ... وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والأعراض ، وإنما بعث الله النبي ﷺ بإنكار ذلك »(٢).

ومراده بذلك كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله إنكار مايُعنى بهما من المعاني الباطلة ، لا إنكار لفظيهما ، فإنهما لم يكونا قد أُحدثا في زمنه ﷺ ، وإنما أول من أحدثهما الجهمية والمعتزلة(٣)!

وعندما نفى بشر المريسي صفة الاستواء مُدَّعيًا أنَّ الاستواء إنما يكون لجسم على جسم بين الإمام الدارمي موقفه من إطلاق ذلك على الله بقوله : « ... وأما قولك : كجسم على جسم فإنا لا نقول : إنه كجسم على جسم . لكنا نقول : رب عظيم

(١) ذكره شيخ الإسلام في تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ٣١٣/١٧ .

(٢) ذكره شيخ الإسلام في تفسير سورة الإخلاص انظر : المرجع السابق ٣٠٥/١٧ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ٣٠٥/١٧ .

كبير ملك كريم نور السموات والأرض وإله السموات والأرض على عرش مخلوق عظيم فوق السماء السابعة دون ما سواها من الأماكن ، من لم يعرفه بذلك كان كافرا به وبعرشه »[١].

فبين رحمه الله أنه لا يُقال لله إنه جسم ، لأن ذلك بدعة ، بل يُسمى بأسمائه الحسنى ، ويُوصف بصفاته العلى ، فَيُقال : إنه رب عظيم ، وملك كريم كبير ، نور السموات والأرض ، ولا يُقال لاستوائه على عرشه : إنه تعالى جسم ، بل يُقال : إنه على عرش مخلوق عظيم .

وذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عندما سُئل عمن يقول : إنَّ الله ليس بجوهر ولاجسم ولاعرض أنَّ مذهب الإمام أحمد وغيره من السلف أنهم لا يتكلمون في هذا النوع إلا بما تكلم به الله تعالى ، ورسوله ﷺ ، فما أثبته الله لنفسه ، وأثبته له رسوله أثبتوه ، وما نفاه الله عن نفسه ، ونفاه عنه رسوله نفوه ، وأما ما لا يُوجد عن الله ورسوله إثباته ولانفيه مثل الجوهر والجسم والعرض ونحو ذلك لا ينفوه ولا يثبتوه ، فمن نفاه فهو عند أحمد والسلف مبتدع ، ومن أثبته مثل هشام بن الحكم وغيره فهو عندهم مبتدع .

والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع اقتداءً بالنبي ﷺ وأصحابه ، فالذين يقولون : ليس بجسم هم الجهمية والمعتزلة[٢]، والذين يثبتونه هم هشام بن الحكم وأصحابه[٣]، والسلف بريئون من الجميع ، من أثبت بَدَّعوه ، ومن نفى بَدَّعوه[٤]!

---

(١) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٧٩ . .

(٢) ومن سلك منهجهم كالأشاعرة والماتريدية كما تقدم الإشارة إلى ذلك انظر : ٢/١٠ .

(٣) وكذا الكرامية كما تقدم انظر : ٢/٩ - ١٠ .

(٤) انظر : رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عبدالله بن سحيم ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٥/١٣١-١٣٢وذكره الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه : تنبيه =

فأئمة أهل السنة والجماعة كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله لم يعدلوا عن الألفاظ الشرعية ، وقد كان رفضهم لإطلاق الجسم على الله أونفيه عنه عز وجل لعدم ورود ذلك في الكتاب والسنة ، وهذه طريقة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وأتباعهم يعتصمون بالكتاب والسنة الذَيْن أمر الله المؤمنين بالرد إليهما عند التنازع والاختلاف ، فمن نفى الجسم وضمنه التعطيل أنكروا عليه ونزهوا الله تعالى عن مقالته بإثبات الصفات كما وردت ومن أثبت الجسم وضمنه ماقد نزه الله عنه نفسه من اتصافه بالنقائص ومماثلته للمخلوقات أنكروا مقالته ، ونزهوا الله تعالى بما ورد في الكتاب والسنة مع إثبات صفات الكمال لله تعالى .

فأنكر أهل السنة على الطائفتين ، وأجابوهم بطريقة الأنبياء وأتباعهم ، وهي : الاعتصام بحبل الله الذي قال الله فيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣] وقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

فهذه النصوص وغيرها تبين أن الله أرسل الرسل ، وأنزل الكتب لبيان الحق من الباطل وبيان ما اختلف فيه الناس ، وأن الواجب على الناس إتباع ما أنزل إليهم من ربهم ، ورد ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة ، وأنْ يعتصموا بحبل الله

= ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة ص/١٧-٢٠وتعليقاته على : لوامع الأنوارالبهية للسفاريني ١/١٨٨-١٨٩ .

جميعا ولايتفرقوا[١].

لاسيما فيما يتعلق بذات الله تعالى وأسمائه وصفاته ، فإنَّ هذا أمر غيبي يجب الاعتصام فيه بالكتاب والسنة ، ومن فرق دينه واتبع هواه فقد برئ الله تعالى ورسوله ﷺ منه !

الموقف الثاني : وقد سلك بعض الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم وغيرهما في بيان موقفهم من مقالة المشبهة « إنَّ الله جسم » والمعطلة « إنَّ الله ليس بجسم » سلكوا موقف الاستفصال عن مقصود الطائفتين ، ومناقشتهما ، فإنْ أرادوا معنىً صحيحا موافقا للشرع إثباتا ونفيا قُبل منهم ، وَأُرشدوا إلى اللفظ الشرعي ، وإنْ أرادوا معنىً باطلا مُخالفا لما أثبته الشرع إثباتا ونفيا وجب رده ووصف الله تعالى بصفات الكمال ، وتنزيهه عن صفات النقص والعيوب ، والشبيه والمثيل بما ورد في الكتاب والسنة[٢].

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله الموقف السليم الذي ينبغي أنْ يكون مع من

---

(١) انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ١٧/٣٠٠-٣٠٣ .

(٢) انظر لمعرفة موقف من سلك من أهل السنة موقف الاستفصال لمن أطلق لفظ الجسم على الله أونفاه من أهل البدع المراجع التالية : نقض التأسيس « المطبوع » ١/٥٠-٥١و٢/ ٤٩٨-٤٩٩وشرح حديث النزول ص/٦٩-٧١وضمن مجموع الفتاوى ٥/٤١٩ - ٤٢٢وتفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ١٧/١١٣-٣٢٠ودرء التعارض ١/٢٤٨و٤/ ١٤٦-١٤٨و١٠/٣٠٧-٣١٠ومنهاج السنة ٢/١٣٤-١٣٩ وكتاب مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣/٣٦٤والرد على المنطقيين ص/ ٢٢٢-٢٢٥والرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٤٣٩والصواعق المرسلة ٣/ ٩٣٩-٩٤٤وتنبيه ذوي الألباب السليمة عن الألفاظ المبتدعة الوخيمة للشيخ سليمان بن سحمان ص/٧-٨وتعليقاته على لوامع الأنوار البهية للسفاريني ص/١٢٨-١٨٥وقطف الثمر في عقيدة أهل الأثر لمحمد صديق حسن خان ص/٤٦-٤٧وشرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/٣٩٩ .

أطلق الألفاظ المجملة على الله تعالى وأسمائه وصفاته إثباتا ونفيا ومما ذكره أن ما تنازع فيه المتأخرون نفيا أو إثباتا فليس على أحد أن يوافق أحدا على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعلم مراده فإن أراد حقا قبل ، وإن أراد باطلا رد ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقا ولم يرد مطلقا ، فإن كان حقا موافقا لما جاء في الكتاب والسنة قبل ، وإن كان باطلا مخالفا لما جاء به الكتاب والسنة من نفي أو إثبات رد ومنع القول به .[١].

والألفاظ نوعان : نوع جاء به الكتاب والسنة فيجب على كل مؤمن أنْ يُقر بموجب ذلك فيثبت ما أثبته الله ورسوله ، ويُنفى ما نفاه الله ورسوله ، وَيعلم أنَّ اللفظ الذي أثبته الله أو نفاه حق ، فإنَّ الله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، والألفاظ الشرعية لها حرمة ، ومن تمام العلم أنْ يُبحث عن مراد رسوله ﷺ بها ليثبت ما أثبته ، وينفي ما نفاه من المعاني ، فإنه يجب علينا أنْ نصدقه في كل ما أخبر ، ونطيعه في كل ما أوجب وأمر ، ثم إذا عرفنا تفصيل ذلك كان ذلك من زيادة العلم والإيمان ، وقد قال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] .

وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها ولاإثباتها كلفظ الجسم ونحوه ، فهذه ليس لأحد أنْ يُوافق من نفاها أوأثبتها حتى يستفسر عن مراده ، فإنْ أراد بها معنىً يُوافق خبر الرسول ﷺ أقَرَّ به ، وإنْ أُريد معنىً يُخالف خبر الرسول إثباتا ونفيا أنكره ، وإذا كان التعبير عن تلك المعاني وكان في ألفاظه اشتباه ، أو إجمال عبر بغيرها ، أوبين المراد بها ، بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي ، فإنَّ كثيرا من نزاع الناس سببه ألفاظٌ مجملة مبتدعة ومعانٍ مشتبهة[٢]!

(١) انظر : الرسالة التدمرية ص/ ٢٢وضمن مجموع الفتاوى ٣/٤١-٤٢ .

(٢) انظر : كتاب القرآن كلام الله حقيقة ضمن مجموع الفتاوى ١٢/١١٣-١١٤ .

ولفظ الجسم من الألفاظ المجملة المبتدعة ، وقد حصل فيه نزاع بين نافٍ له معطلٍ به الله تعالى عن صفات الكمال كما فعل المعطلة[١]، وبين مثبتٍ له مضمن فيه ما يجب تنزيه الله عز وجل عنه من التشبيه والتمثيل ، وقد تفطن الأئمة رحمهم الله لمسلك الطائفتين ، فسلكوا منهج الاستفصال والاستفسار لتنزيه الله تعالى عن تعطيل المعطلة ، وتشبيه الممثلة ، وإثبات صفات الكمال له تعالى على الوجه اللائق بجلاله وعظمته .

ففي إثباته إثباتٌ للباطل الذي يجب تنزيه الله عنه ، وفي نفيه نفيٌ للحق الذي يجب إثباته ، والذي هو وصف الله بصفاته العلى ، الثابتة له عز وجل بالسمع والعقل .

ولذا اقتضى من الأئمة رحمهم الله أنْ يسلكوا منهج الاستفصال عن معناه ، فإنْ وُجِد كما ذكر شيخ الإسلام مما أثبته الرب تعالى لنفسه أُثبت ، وإنْ وُجد مما نفاه الرب عن نفسه نُفي ، وإنْ أَثبت من أطلقه على الله حقا وباطلا ، أونفى من نفاه حقا وباطلا ، أُثبت المعنى الحق ونُفي المعنى الباطل ، وأُرشد إلى الألفاظ الشرعية التي بها يكون إثبات الحق ، الذي هو وصف الله بصفات الكمال ، وتنزيهه عن صفات النقائص والعيوب ، ومماثلة المخلوقين[٢]!

والسبب الذي جعل من سلك من السلف طريق الاستفصال مع من أطلق لفظ الجسم على الله إثباتا أونفيا مايلي :

١ ـ إنه لفظ مجمل مبتدعٌ لاأصل له في الشرع ، واللفظ المجمل يحتاج إلى بيان ما اشتمل عليه من باطل لاجتنابه ، لأنَّ ذلك قد يخفى على كثير من الناس الذين

---

(١) تقدم الإحالة إلى مراجعهم انظر : ١٠/٢ .

(٢) انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ٣٠٤/١٧والرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٥٤٧/٦ومنهاج السنة ١٩٨/٢ .

ليس لهم معرفة بأصول أهل الكلام المذموم .

وهو أيضا من الأمور المبتدعة ، التي قد ينطلي أمرها على كثير من الناس ، لكونها مشتملة على حق وباطل ، إذْ لو كانت حقا لما سميت بدعة ، ولو كانت باطلا محضا ، أوظاهرة البطلان لما حصل فيها الاختلاف ولتجنبها الناس !

٢ ـ لكونه في العقل كما ذكر شيخ الإسلام يتناول حقا وباطلا ، فيخفى أمره على كثير من الناس .

٣ ـ فيه اشتراك بين معناه في اللغة ، ومعناه المصطلح عليه ، وفي المعنى منازعات عقلية ، فلذا يُطلقه كل قوم بحسب اصطلاحهم ، وحسب اعتقادهم[١].

ولذا اقتضى المقام إلى استفصال ومناقشة من أطلقه على الله إثباتا ونفيا ، لإثبات صفات الكمال لله تعالى ، وتنزيه الله عز وجل عن الشبيه والمثيل ، وعن جميع العيوب والنقائص المناقضة لإثبات صفات الكمال .

وقد ناقش الأئمة الذين سلكوا منهج الاستفصال من أطلقه على الله تعالى إثباتا ونفيا ، فبينوا معناه اللغوي ونزهوا الله عن ذلك ، كما بينوا معناه الاصطلاحي عند المتكلمين لتنزيه الله تعالى عن تعطيل المعطلة وتشبيه الممثلة ، فبينوا معنى الجسم في اللغة وأنه يُطلق ويُراد به أحد معنيين :

١ ـ يُراد به نفس البدن وهو : الجسم القائم بنفسه ونحو ذلك مما يدل على معنى الكثافة والغلظ ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] وقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ [المنافقون : ٤] قال الأصمعي[٢]« الجسم والجسمان : الجسد » .

(١) انظر : منهاج السنة ١٩٨/٢والرد على المنطقيين ص/٢٢٥ .

(٢) أبو سعيد عبد الملك بن قريب البصري الإمام العلامة ، كان حجة في الأدب ومن أعلم الناس في ذلك ، توفي سنة ٢١٥هـ انظر : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٦٣/٥وسيرأعلام النبلاء ١٧٥/١٠ .

٢ ـ ويراد بالجسم : غلظ الجسم وكثافته ، كما يُقال : لهذا الثوب جسم ، أي : غِلَظٌ وكثافة ، وهذا أجسم من هذا ، أي : أغلظ منه وأكثف[١].

والله عز وجل منزه عن أنْ يتصف بشيء من هذه المعاني المذكورة في اللغة لأنها من خصائص أجسام المخلوقين ، وأهل السنة كما ذكر شيخ الإسلام لا يصفون الله بأنه جسم كأجسام المخلوقين ، وصفاتهم الخاصة بهم لأنَّ ذلك تمثيل ، والله عز وجل لا مثيل له ولا نظير ، وإنما يصفونه بصفاته عز وجل ويقولون : إنه الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ذوالوجه الكريم والسمع السميع ، والبصرالبصير ، نور السموات والأرض ، كما وصفه الرسول ﷺ في دعائه حيث قال : « اللهم أنت نور السموات والأرض ومن فيهن »[٢].[٣]!

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أنَّ معنى الجسم في اللغة منفي عن الله عز وجل فقال : « فلفظ الجسم لم ينطق به الوحي إثباتا فتكون له حرمة الإثبات ، ولا نفيا فيكون له إلغاء النفي ، فمن أطلقه نفيا وإثباتا سُئل عما أراد به ، فإنْ قال : أردت الجسم معناه في لغة العرب وهو : البدن الكثيف الذي لا يُسمى في اللغة جسم سواه ، ولا يُقال للهواء جسم في اللغة ، ولا للنار ولا للماء فهذه اللغة وكتبها بين

---

(١) انظر : الصحاح للجوهري ١٨٨٧/٥وتهذيب اللغة للأزهري ١٩٩/١٠ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٥٧/١والقاموس المحيط للفيروز أبادي ص/١٤٠٦ولسان العرب لابن منظور ١٢/ ٩٩مادة « جسم » .

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب الدعوات ١٢٠/١١ح ٦٣١٧ من طريق ابن عباس رضي الله عنه .

(٣) انظر لبيان ذلك : درء التعارض١١٩/١والجواب الصحيح ١٥٣/٣ ومذهب السلف القويم في تحقيق كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣٦٤/٣ومنهاج السنة ١٩٨/٢وتفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ٣٢٣/١٧والصواعق المرسلة ٩٣٩/٣ .

أظهرنا فهذا المعنى منفيٌ عن الله عقلا وسمعا ... »[١].

وذكر العلامة محمد صديق حسن خان[٢]رحمه الله أنَّ لفظ الجسم مجمل ومعناه في اللغة : البدن ، ومن قال : إنَّ الله مثل بدن الإنسان فهو مفترٍ على الله تعالى ، ومن قال : الله يماثل شيئا من المخلوقات فهو مفترٍ على الله[٣]. لأنه وصفَ الله بما هو خاص من صفات المخلوقين ، الذي يتنزه عنه عز وجل .

وقد بين الشيخ محمد بن صالح العثيمين أنَّ من أطلق على الله لفظ الجسم إنْ أراد به أنه جسم مركب من عظم ولحم[٤]وجلد ، كجسم الإنسان ، ونحو ذلك فهذا باطل منتفٍ عن الله تعالى ، لأنه عز وجل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٥].

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله معنى الجسم في اصطلاح المتكلمين ومنهم المشبهة وذلك لتنزيه الله عز وجل عما تضمنه من التعطيل والتمثيل . فذكر رحمه الله أنَّ الجسم في اصطلاح المتكلمين أعم من معناه في اللغة ، فيسمون الهواء ولهيب النار وغير ذلك جسما ويريدون بالجسم المركب أوالمؤلف على اختلافٍ كثير بينهم في ذلك ، ويطلقون اسم الجسم على القائم بنفسه والموجود ، وعلى كل مايُشار إليه إشارة حسية فهو جسم عندهم[٦].

---

(١) الصواعق المرسلة ٩٣٩/٣ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٦٢/١ ـ ٦٣ .

(٣) انظر كتابه : قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ص/٤٦ .

(٤) كما قال غلاة المشبهة انظر : ٢٥٤/١ و٢٥٦ ـ ٢٥٧ و٢٦٢ .

(٥) انظر كتابه : شرح العقيدة الواسطية ٣٩٤/١ .

(٦) انظر : درء التعارض ١١٩/١ومنهاج السنة ١٩٩/٢و٥٣٠و٥٤٨والجواب الصحيح ٣/ ١٥٢-١٥٤ونقض التأسيس « المطبوع » ٤٩/١و٥٢و٦١٩-٦٢٠و٦٢٥وتفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ٣١٥/١٧-٣١٦والرد على المنطقيين ص/٢٢٤-٢٢٥ومذهب =

وقد ناقش شيخ الإسلام من أطلق الجسم إثباتا ونفيا وأراد به هذه المعاني وغيرها من المعاني التي ضمنها أهل البدع التعطيل والتمثيل . فبين رحمه الله أنَّ الذين قالوا : الله ليس بجسم . إنْ كان مقصودهم بذلك أنه ليس مركبا من الأجزاء المتفرقة ، أو الجوهر الفرد(١)، أومن الهيولي(٢)والصورة(٣)، فهذا حقٌ لأنه تعالى منزه عن مشابهة الحوادث بأيِّ وجه من الوجوه ، ومن نفى الجسمية عن الله تعالى بهذا

= السلف القويم في تحقيق كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣٦٤/٣ .

(١) اختلفت عبارات المتكلمين في تحديد معنى الجوهر الفرد ، وأشهر ماقيل في ذلك : إنه هوالجزء الذي لا يتصور تجزئه عقلا ، ولاتقدير تجزئه وهما ، وقيل هوالذي لاشكل له ، أوهو الذي لايتجزأ ، بحيث قد بلغ في الصغر إلى حد أنه لايمكن تقسيمه مع وجوده ، ولهم في شكله هل هو مربع أومثلث وغير ذلك كلام طويل . انظر : الغنية في أصول الدين للمتولي الشافعي ص/٥٠ والشامل للجويني ص/٦٢-٦٧وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص/٥٠ .

(٢) الهيولي : لفظ يوناني ومعناه الأصل والمادة ، وفي الاصطلاح : جسم في الجوهر قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصور الجسمية والنوعية . انظر : التعريفات للجرجاني ص/٢٥٧ .

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ الهيولي في لغة الفلاسفة بمعنى المحل ، يُقال : الفضة هيولي الخاتم ، والدرهم ، والخشب هيولي الكرسي ، أي : هذا المحل الذي تصنع فيه هذه الصورة ، وهذه الصناعة عرض من الأعراض ، ويدعون أنَّ للجسم هيولي محل الصورة الجسمية غير نفس الجسم القائم بنفسه .

ويدعي الفلاسفة أنَّ الأجسام مركبة من الهيولي والصورة ، بينما يدعي المتكلمون أنها مركبة من الجواهر الفردة وبعض الطوائف من المتكلمين وغيرهم تنكر هذا وذاك ، فيقولون : لم يكن الجسم مركبا لامن الهيولي ، ولامن الصورة ، ولامن الجواهر المفردة . وهذا هوالصحيح كما ذكر شيخ الإسلام . انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ١٧/ ٣١٥-٣١٧و٣٢٨-٣٢٩و٣٢٥ومنهاج السنة ١٣٦/٢-١٣٧و١٣٩ .

(٣) الصورة : مايُقابل المادة ، فصورة الشيء مابه يحصل الشيئ بالفعل ، وذلك مثل : صورة السرير ، وهو شكله الذي صُنع عليه . انظر : التعريفات للجرجاني ص/٣٥ومنهاج السنة ٢٠٢/٢-٢٠٣ .

المعنى فهو نفي صحيح يجب اعتقاده على كل مسلم ، إذْ من المعلوم شرعا وعقلا أنَّ الله سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته وأفعاله .

ومن قال إنَّ الله جسم بمعنى : أنه مركب من الأجزاء المتفرقة ، أومن الجواهر المفردة أومن الهيولي والصورة فقوله باطل ، لكونه كفرا صريحا لأنه شبه الخالق بالمخلوق .

ومن قال : إنه ـ تعالى ـ ليس بجسم وأراد به نفي التركيب المذكور فهو مصيب من حيث المعنى ، ومخطئ من جهة التعبير وتأدية المعنى الصحيح ، لأنَّ المعنى الصحيح المنفي عن الله تعالى يجب أنْ يؤدى بالألفاظ الشرعية التي وردت في الكتاب والسنة بدلا من هذه العبارات المستحدثة المحتملة للحق والباطل !

والتعبير الشرعي الصحيح الذي يُؤدي المعنى الصحيح دون احتمال لأيِّ معنى باطل نحو قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ فهذه الآيات وأمثالها هي التي تدل على تنزيه الرب سبحانه عن جميع سمات الحدوث ، ونفي المشابهة عن الله عز وجل لأن الله تعالى نزه نفسه عن المثيل والشبيه والسمي والكفو[1].

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله موقفه من مقالة من يقول من المشبهة « إنَّ الله جسم » ونحوذ لك ، وناقشهم منزها الله تعالى عن مقالتهم ، فذكر رحمه الله أنَّ من المشبهة من يجعل الرب من جنس أجسام المخلوقين ، وهؤلاء من أعظم المبتدعة ضلالا وكفرا ، ويجب تنزيه الله تعالى عن مقالتهم !

---

(١) انظر : منهاج السنة ٢/١٣٤و١٨٥و٢١١وشرح حديث النزول ص/ ٦٩وضمن مجموع الفتاوى ٥/٤١٩و٤٢٧ـ٤٢٨وتفسير سورة الإخلاص ص/٧١ـ٧٣وضمن مجموع الفتاوى ١٧/٣١٧ .

ومنهم من يقول : إنَّ الله جسم لا كالأجسام ، ويفسر مراده بذلك بأنه الموجود أوالقائم بنفسه وهؤلاء لا يكفرون ، لكنهم مبتدعة أطلقوا على الله لفظالم يرد في الكتاب والسنة . لكن من يجعل الرب جسما من جنس المخلوقات فهو من أعظم المبتدعة ضلالا دَعْ من يقول منهم : إنه لحم ودم ونحو ذلك من الضلالات المنقولة عنهم[١]، فمن أراد بلفظ الجسم ما يجب تنزيه الرب عنه من مماثلة المخلوقات رددنا ذلك عليه ، وبينا ضلاله وإفكه ونزهنا الله تعالى عن مقالته المتضمنة للتشبه[٢]!

ومن يقول : إنَّ الله جسم ، وأنه مركب مؤلف بمعنى : أنه يقبل التفريق والانقسام والتجزئة فهو من أكفر الناس وأجهلهم ، وقوله شرمن قول الذين يقولون : إنَّ لله ولدا ! وكذا من يقول : إنه جسم . بمعنى : أنه مركب من الجواهر المنفردة ، أوالمادة والصورة فهذا باطل وإذا كان هذا باطل في المخلوقات فكيف في الخالق سبحانه وتعالى !

وهذا مما يمكن أنْ يكون قد قاله بعض المجسمة الهشامية والكرامية وغيرهم ممن يُحكى عنهم التجسيم ، إذْ من هؤلاء من يقول : إنَّ الرب جسم ، وأظن هذا قول بعض الكرامية ، فإنهم مختلفون في إثبات الجوهر الفرد ، مع اتفاقهم إنَّ الله تعالى جسم !

لكن يُحكى عنهم نزاع في المراد بالجسم ، هل المراد به أنه موجود قائم بنفسه أوالمراد به أنه مركب ؟

فالمشهور عن ابن الهيصم وغيره من نُظارهم أنه يُفسر مراده بأنه : موجود قائم بنفسه لا بمعنى المركب .

وقد اتفق الناس ومنهم نفاة الجسم على أنَّ من قال هذا المعنى لا يكفرون لأنهم

---

(١) تقدم ذكر مقالاتهم في ذلك انظر : ١/٢٥٤ و٢٦٢ و٣٥٥ .

(٢) انظر : الرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٥٤٧ودرء تعارض العقل ٤/١٤٦ .

لم يثبتوا معنىً فاسدا في حق الله تعالى ، لكنْ قالوا : إنهم أخطؤوا في تسمية كل قائم بنفسه موجودا جسما ، ومن قال : إنه جسم وأراد به هذا المعنى ، فقد أصاب المعنى وأخطأ في اللفظ ، حيث أطلق على الله لفظالم يرد في الكتاب والسنة[١]!

وَيُقال له : هذا المعنى صحيح ، ولكن إطلاق لفظ الجسم بدعة في الشرع مخالف للغة ، وتسميتك لكل موجودٍ أوقائم بنفسه جسما مخالف للغة العرب ولا تكلم به أحد من السلف والأئمة ، ولاقالوا : إنَّ الله جسم ، فأنت مخطئ في اللغة والشرع ، وإنْ كان المعنى الذي أردته صحيحا[٢]، فيجب أنْ تأتي بلفظ شرعي لما ذكرته من المعنى الصحيح فتسمي الله بأسمائه الحسنى ، وتصفه بصفاته العلى ، فتقول إنه تعالى : الأحد الصمد ، نور السموات والأرض ، ونحو ذلك من الألفاظ الشرعية الواردة في القرآن والسنة[٣].

وَيُقال لمن أطلق على الله لفظ الجسم : ماتعني بقولك : « الله جسم » أتعني بذلك أنه من جنس شيء من المخلوقات .

فإنْ عنيت ذلك فالله تعالى قد بين في كتابه أنه لا مثل له ولا كفو له ولاند له منزه عن ذلك وقد قال جل وعلا : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [النحل : ١٧] .

فالقرآن يدل على أنَّ الله لا يماثله شيء : لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فإن أردت بلفظ الجسم ما يتضمن مماثلة الله لشيء من المخلوقات فالله منزه عن ذلك ، وجوابك موجودٌ في القرآن والسنة ، وإذا كان الله تعالى ليس من جنس الماء والهواء ولاالروح المنفوخة فينا ، ولا من جنس الملائكة ولا الأفلاك فَلأن يكون من

---

(١) انظر : شرح حديث النزول ص/ ٧٥-٧٦وضمن مجموع الفتاوى ٥/٤٢٨-٤٢٩ومنهاج السنة ٢/٢١١-٢١٢و٥٤٨ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ٢/١١١-٢١٢ونقض التأسيس « المخطوط » ١/٥١٠-٥١١ .

(٣) انظر : المرجع السابق « المخطوط » ٣/٣٦-٣٤ .

جنس بدن الإنسان ولحمه وعصبه وعظامه ويده ورجله ووجهه وغير ذلك من أعضائه وأبعاضه أولى وأحرى ، فهذا الضرب ونحوه مما قد يُسمى تشبيها وتجسيما كله منتفٍ في كتاب الله تعالى ، وليس في كتاب الله آية واحدة تدل لانصا ولاظاهرا على إثبات شيء من ذلك لله تعالى فإنَّ الله عز وجل إنما أثبت له صفات مضافة إليه عز وجل فامتنع أنْ تكون صفات الله تعالى من جنس صفات المخلوقين كما امتنع أن تكون ذاته من جنس ذوات المخلوقين[١]!

فلا يكون غير الله تعالى مماثلا له في ذاته أو صفاته أو أفعاله ، لأنَّ ذلك ممتنع عقلا كما هو ممتنع شرعا ، وذلك لأن المثلين يجوز على أحدهما مايجوز على الآخر ويجب له ما يجب له ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ، والرب تعالى حي قيوم غني صمد واجب بنفسه مستحق لصفات الكمال بنفسه عز وجل ، ممتنع اتصافه بنقائضها ، فإنَّ كماله من لوازم ذاته الواجبة الوجود بنفسها التي يمتنع عدمها في حقه تعالى ، أوعدم شيء من لوازمها .

والمخلوق يجب أنْ يكون مُحدثا فقيرا ، متصفا بصفات النقص ، فلو تماثلا : للزم أنْ يكون كل منهما واجب الوجود ، واجب العدم ، قديما مُحدثا ، غنيا بنفسه فقيرا بنفسه متصفا بصفات الكمال غير متصفا بها ، وهذا جمع بين النقيضين الممتنع شرعا وعقلا[٢]!

فمن قصد بمقالته « إنَّ الله جسم » مماثل للأجسام فهو مبطل مذموم ، لأنه قد عُلم بالشرع والعقل عدم مماثلة الله للمخلوقات قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

---

(١) انظر : درء التعارض ١٠/٣٠٧-٣١١ .

(٢) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ١/٦٠و٦٢ومنهاج السنة ٢/١١٧-١١٨و١٨٣-١٨٤والرسالة التدمرية ص/٤٤-٤٥وضمن مجموع الفتاوى ٣/٨٧ .

وَّهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾[١]!

وحكم من قال بذلك عند أهل السنة فإنه كافر ، حيث شبه الله بخلقه ، ومن شبه الله بخلقه فقد كفر[٢]، أما من قال : إنه جسم لا كالأجسام فهو مخطئ مبتدع ضال[٣]!

ورغم توضيح شيخ الإسلام رحمه الله موقفه ممن يقول : إنَّ الله جسم لا كالأجسام ، واعتباره هذه المقالة بدعة وضلال في الدين فقد افترى عليه بعض المتكلمين الذين خضعوا لموروثات مقلديهم من أهل الكلام المذموم ومن هؤلاء منصور محمد عويس الذي زعم أنَّ القائل لوقال : إنَّ الله جسم لا كالأجسام المخلوقة يكون جائز عند ابن تيمية ، ولااعتراض عليه ، وإنما الاعتراض من ابن تيمية يكون على من قال : جسما من جنس أجسام المخلوقات[٤]!

هكذا يطلق الكلام على عواهنه يدفعه في ذلك سوء القصد وإلا لو رجع إلى ماذكره شيخ الإسلام في ذلك لما تجرأ إلى القول بذلك ، كيف وقد صرح شيخ الإسلام رحمه الله في غير ما موضع من مصنفاته كما تقدم أنَّ إطلاق لفظ الجسم على الله تعالى بدعة ، ومن أطلقه وفسر مراده بأنه الموجود أو القائم بنفسه فهومصيب في المعنى ، لكنه مخطئ في اللفظ حيث أطلق على الله لفظا مبتدعا لم

---

(١) انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ٣١٧/١٧ومنهاج السنة ١٨٥/٢ودرء التعارض ١٤٣/٤-١٤٤ .

(٢) انظر : الفتوى الحموية الكبرى ص/٦٤وضمن مجموع الفتاوى ٥/ ١١٠وجلاء العينين للألوسي ص/٧١٣ .

(٣) انظر : شرح حديث النزول ص/٧٥-٧٧ وضمن مجموع الفتاوى ٤٢٨/٥ -٤٢٩ ودرء التعارض ٤/ ١٤٦وجلاء العينين ص/٣١٧ .

(٤) انظر كتابه : ابن تيمية ليس سلفيا ص/٢٣٠ .

يرد في الشرع ، ولم يتكلم به أحد من السلف والأئمة[١].

ويدعي منصور عويس أيضا أنَّ ابن تيمية متناقض في كلامه ، ويميل إلى التجسيم حين يقول بالنسبة للتجسيم : لم يرد عن السلف لا نفيا ولا إثباتا ، ثم يقول بجانب هذا أيضا : إنهم أنكروا على الجهمية نفي الجسم ، فهو إذًا نقل ذم الجسم ولم ينقل ذم المجسمة ، ولا يُفسر هذا التناقض إلا أنه ميل مع مثبتي الجسمية ، وإنكار على نفاة الجسم[٢]!

وهذا التناقض والميل إلى التجسيم الذي يدعيه منصور عويس على شيخ الإسلام رحمه الله غير صحيح مصدره سوء الفهم وسوء القصد .

أما سوء فهمه لكلام شيخ الإسلام فإنه مبنيٌ على المنهج الكلامي الذي ارتضاه عويس وقلد فيه المتكلمين الذين يعتبرون إثبات الصفات تجسيما ، ومن أثبت الصفات فهو عندهم مجسم[٣]، فبهذا المعنى الذي ابتدعه هؤلاء المتكلمون لم يعرف في كلام أحد من السلف كما ذكر شيخ الإسلام فلاوُجود له ، ولاذم به أحد من السلف والأئمة[٤]!

إذْ لا يُقال لمن أثبت الصفات مجسما ، بل هو مؤمن موحد ، والموحد لايُعتبر مجسما ولايقول بهذا إلا من ساء فهمه ، وتأثر بالكلام المذموم كمنصور عويس وأضرابه المتكلمين . بل لايستطيع أنْ ينقل أحد عن أهل السنة ذمّ للمجسمة بهذا المعنى ، وإنما يكون ذلك في كلام المتكلمين أهل البدع والأهواء الذين يعتبرون

---

(١) تقدم بيان ذلك انظر : ٢/١٠ - ١١ .

(٢) انظر : ابن تيمية ليس سلفيا ص/٢٢٠ .

(٣) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ١/٦٢٥والفتوى الحموية الكبرى ص/٦٥-٦٦وضمن مجموع الفتاوى ٥/١١١-١١٢ .

(٤) انظر : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ١/١٨٩ .

إثبات الصفات تجسيما ، ويصمون من أثبت الصفات بالتجسيم والتشبيه[١]!

وأما كون إطلاق لفظ الجسم على الله إثباتا ونفيا لم يرد عن أهل السنة[٢]فَلأنهم متبعون الكتاب والسنة فيما يثبتونه وينفونه ، ولم يُوجد فيهما ذكرللتجسيم إثباتا ونفيا ، بل ذلك من كلام أهل الأهواء والبدع من المعطلة النفاة الذين يقولون إنَّ الله ليس بجسم ، ويضمنونه التعطيل كمنصور عويس وأضرابه المعطلة كما تقدم[٣]!

والمشبهة المجسمة الذين أطلقوا على الله أنه جسم وضمنوه التمثيل ، وكلتا الطائفتين عند أهل السنة كما تقدم من أهل البدع والأهواء ، من أثبت بَدَّعوه ومن نفى بَدَّعوه[٤]! وليس في كلام شيخ الإسلام تناقض كما يدَّعى منصور عويس حين ذكر أنه لايعرف في كلام السلف إنَّ الله جسم أوليس بجسم ، مع مايذكره أنهم ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهمية نفي الجسم .

فهذا ليس تناقض إلا عند من ساء فهمه ، وخبث مقصده ، وذلك لأنهم أنكروا على الجهمية نفي الجسمية لأمور :

أولا : حيث لم يرد نفيه في الكتاب والسنة ، ومن خالف الكتاب والسنة فالإنكار عليه واجب ، لأنه ابتدع في الدين ماليس منه !

ثانيا : إنَّ الجهمية بنفيهم التجسيم كما ذكر شيخ الإسلام نفوا الصفات وسموا كل من أثبتها مجسما بطريق اللزوم ، إذْ يقولون : إنَّ الصفات لا تقوم إلا بجسم والله ليس بجسم فتفطن أهل السنة لهذه الشبهة التي عارضوا بها وحي الله ، ونفوا بها صفاته تعالى فأنكروا منهجهم هذا الذي اتخذوا نفي

(١) سيأتي بيان ذلك على وجه التفصيل وبراءة أهل السنة من ذلك انظر : ١٣٩/٢ .

(٢) كما تقدم انظر : ١١/٢ - ١٢ و١٦ومابعدها .

(٣) انظر : ١٠/٢ - ١١ .

(٤) انظر : ٩/٢ - ١٠ و ١١ - ١٢ .

الجسم به سببا لنفي الصفات[١]!

ثالثا : إنَّ شيخ الإسلام رحمه الله عندما ذكرأنَّ السلف أنكروا على الجهمية نفي الجسم لم يقتصر على هذا كما ذكر منصور عويس الذي بتر مما ذكره شيخ الإسلام مايحلو له للتشنيع والاتهام على عادة أهل البدع الذين فقدوا الأمانة العلمية ، بل ذكرشيخ الإسلام رحمه الله أنهم عندما أنكروا على الجهمية نفي الجسم لم يُوافقوهم على نفي ذلك ، أوإثباته ، كما ذكر الإمام أحمد رحمه الله في مناظرته لما ناظر برغوث[٢]وألزمه بأنَّ الله جسم ، فامتنع الإمام أحمد من موافقته إلى النفي والإثبات ، وقال : هو أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد[٣].

قال شيخ الإسلام : « فبين له أنِّي لاأقول : هو جسم ولاليس بجسم ، لأنَّ كلا الأمرين بدعة محدثة في الإسلام »[٤].

أما قول منصور عويس إنَّ ابن تيمية لم ينقل ذم المجسمة وماهذا إلاميل منه مع مثبتي الجسم !

فقوله : « لم ينقل ذم المجسمة » كلام مجمل اشتمل على حق وباطل ، فإنْ كان يقصد به من يثبت الصفات الذين يسميهم الجهمية مجسمة فهذا حق ، لم ينقل عن السلف ذمهم لأنَّ إثبات الصفات لا يذم به أحد إلا من فسدت فطرته وعقله بالكلام المذموم .

---

(١) انظر : درء التعارض ٢٣٠/١وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ١٨٩/١ونقض التأسيس « المطبوع » ٦٢٥/١ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عيسى برغوث الجهمي ، رأس البدعة ، وأحد أركان مَنْ كان يُناظر الإمام أحمد وقت المحنة ، له كتاب « الاستطاعة » و « المقالات » مات سنة ٢٤٠هـ وقيل سنة ٢٤١خ انظر : سير أعلام النبلاء ٤٥٤/١٠ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل ١٣٠/١وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ١٨٩/١ .

(٤) درء التعارض ٢٣٠/١ .

وإن كان يقصد بذلك المجسمة الممثلة الذين يقولون : إنَّ الله جسم كالأجسام ويجعلون الرب من جنس المخلوقات ، ويقولون : إنه لحم ودم فهؤلاء كما ذكر شيخ الإسلام من أعظم المبتدعة ضلالا وكفرا ، وقد رد عليهم شيخ الإسلام رحمه الله ونزه الله عن مقالاتهم وبين أنهم من أعظم المبتدعة ضلالا وكفرا ، وأنه يجب تنزيه الله عن مقالاتهم الكفرية ، والرد عليهم وبيان ضلالهم وإفكهم كما تقدم[١]!

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أيضا أنَّ داود الجواربي ، وهشام بن الحكم الرافضي ومقاتل بن سليمان[٢] رُوي عنهم أنهم يقولون : استواء الله على عرشه مثل استواء الأجسام على الأجسام ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فإنْ صح عنهم النقل فإنه يجب القطع بأنَّ الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وإن مباينته تعالى للمخلوقين وتنزيهه عن مشاركتهم أكبر وأعظم مما يعرفه العارفون من خليقته ويصفه الواصفون[٣]!

فأين التجسيم الذي يميل إليه شيخ الإسلام رحمه الله كما يَدَّعي منصور عويس إنْ كان على ما اصطلح عليه المتكلمون من أنَّ كل من أثبت الصفات فهو مجسم فلا يُسمى هذا تجسيما كما تقدم ، ولوقيل بهذا لكان من يثبت بعض الصفات كالأشاعرة ومنهم منصور عويس مجسمة !!

وإنْ كان من يجعل الله جسما كالأجسام ويمثل الله بخلقه فقد صرح شيخ الإسلام بموقفه من ذلك ، ونزه الله عز وجل عن ذلك ، فمن يتهمه بميله إلى المجسمة فقد بهته وافترى عليه إفكا مبينا !

---

(١) انظر : ٢/ ١٨ ـ ٢٥ .

(٢) تقدم التعريف به ، وبيان براءته مما نُسب إليه من القول بالتجسيم والتشبيه انظر : ١ / ٣٢٣ و ٣٢٧ .

(٣) انظر : الرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٤٧٢ .

فَعُلم مما تقدم موقف أهل السنة من مقالة المشبهة « إنَّ الله جسم » وأنهم متفقون على اعتبار هذه المقالة بدعة في الإسلام إثباتا ونفيا ، وأنَّ الأئمة القُدامى من أهل السنة كفوا وامتنعوا عن مناقشة من قال بذلك من أهل الأهواء والبدع ، واعتبروا ذلك من الكلام المذموم الذي يجب تجنبه وتنزيه الله عنه ، وأنَّ من الأئمة من سلك منهج المناقشة والاستفصال عمن أطلقه على الله إثباتا ونفيا ، لتنزيه الله عن تعطيل المعطلة ، وتنزيه المشبهة ، ولمعرفة من أراد بإطلاقه معنىصحيحا كما فعل الكرامية الذين فسروا مرادهم بأن المقصود به أنَّ الله موجود أوقائم بنفسه ، فيقر المعنى لموافقته الشرع ، ويعتبر إطلاقه بدعة لعدم وروده في الشرع ، ومن أراد به التمثيل خُطئ في اللفظ والمعنى ، وَنُزه الله عن تمثيله ، فلم يُوافقوا من نفاه ولا من أثبته ، من أثبت بدعوه ومن نفى بدعوه مع تنزيههم الله عز وجل عن تعطيل المعطلة ، وتشبيه الممثلة !!

o o o o

المبحث الثاني

في ذكر بعض ادلة المشبهة النقلية وموقف أهل السنة منها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ذكر بعض أدلتهم من القرآن الكريم وموقف أهل السنة منها

المطلب الثاني : ذكر بعض الأحاديث الموضوعة التي استدل بها المشبهة وموقف أهل السنة منها

استدل المشبهة في تقرير مقالتهم في التشبيه بما ظنوه أدلة لهم من القرآن الكريم التي اعتبروا ظاهرها دالا على التشبيه ، وادَّعوا أنَّ الله لم يُخاطبهم إلابما يعقلون ولا يفهمون من نصوص الصفات إلاما هو التشبيه(١) .

كما استدلوا بما ابتدعوه من الأحاديث الموضوعة التي ساقوها لتقرير مقالتهم في التشبيه ، وكلا النوعين من أدلتهم مبني على قياس الخالق على المخلوق الذي أدَّى بهم إلى القول بالتمثيل المذموم .

وسأذكر فى هذا المبحث أمثلة ونماذج مما استدلوا به لتقرير مقالتهم في التشبيه وقولهم إنَّ الله جسم مع مناقشتهم ، وبيان موقف أهل السنة من أدلتهم على سبيل الإجمال في مطلبين :

المطلب الأول

ذكر بعض ادلتهم من القرآن الكريم وموقف اهل السنة منها

استدل المشبهة لتقرير مقالتهم في التشبيه وقولهم إنَّ الله جسم ببعض الآيات القرآنية ، التي أخضعوها لمنهجهم المنحرف في التشبيه المبني ـ كما تقدم ـ على اعتبار ظاهر نصوص الصفات دالة على التشبيه ، حيث لم يفهموا منها إلاما ألفوه من صفات المخلوقين فجعلوها دالة على التشبيه والتمثيل .

ومن الآيات القرآنية التي استدلوا بها :

١ ـ قول الله تعالى من سورة الإخلاص ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾(٢)[الآية : ٢] .

فاستدلوا بهذه الآية للدلالة على أنَّ الله جسم كالأجسام .

---

(١) تقدم نقد هذه المقالة وبيان موقف أهل السنة منها انظر : ١/٣٥٣ ـ ٣٥٤ و ٣٦٨ ـ ٣٧٠ .

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين ١/١٨٢-١٨٣وأساس التقديس للرازي ص/٩٤وتفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ١٧/٢٩٦-٢٩٧ .

فقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ المجسمة يقولون : إنَّ الله جسم لحم ودم وعظم ونحو ذلك ، فيجعلون الباري عز وجل من جنس شيء من الأجسام المخلوقة ، ويستدلون بسورة الإخلاص ، وقول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ حيث يقولون : « هوصمد » والصمد لاجوف له ، وهذا إنما يكون في الأجسام المصمتة ، فإنها لاجوف لهاكما في الجبال والصخور وما يصنع من عواميد الحجارة .

وكما قيل : إنَّ الملائكة صمد ، ولهذا قيل : إنَّه لا يخرج منه شيء ، ولايدخل منه شيء ، فلا يأكل ولا يشرب ونحو ذلك ، ونفي هذا لا يعقل إلا من جسم .

وقالوا : أصل الصمد الاجتماع . ومنه تصميد المال وهذا إنما يُعقل في الجسم المجتمع[١].

فهذه المعاني التي ذكروها في تفسير لفظ « الصمد » صحيحة[٢]لكنها لاتدل على مازعموا من أنَّ الله جسم كالأجسام ، بل تدل عند أهل السنة على وصف الله تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص والشبيه والمثيل ، فاستدلال المشبهة بها باطل من وجوه :

الوجه الأول : إنَّ معنى اسم الله « الصمد » ليس من معانيه ماذكره المشبهة من أنَّ الله جسم مماثل للأجسام ، بل هو دال على وصف الله تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عز وجل عن التشبيه والتجسيم ، وعن جميع صفات النقص والعيوب الخاصة بالمخلوق ، وذلك لأنَّ من معانيه عند أهل السنة أنه لاجوف له[٣]، وهذا

---

(١) انظر : نقض التأسيس « المخطوط » ٢/١١٧-١١٨وتفسيرسورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ١٧/٤٨-٤٩ .

(٢) انظر : معنى « الصمد » في المرجع السابق ١٧/٢٤٤-٢٢٦ونقض التأسيس « المطبوع » ١/ ٤٨-٤٩ .

(٣) وهذا مروي عن كثير من الصحابة والتابعين كابن عباس وابن مسعود ومجاهد والحسن =

المعنى يدل على تنزيه الله تعالى عن مقالة التشبيه ، لأنه كما ذكر سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان أنه لا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه شيء فلا مثل له ولا شبيه ولا نظير .

ومن أقوالهم في ذلك مارُوي عن الشعبي[١] رحمه الله أنه قال : « الصمد : الذي لا يأكل الطعام ، ولا يشرب الشراب »[٢].

وعن عكرمة[٣] رحمه الله أنه قال : « الصمد : الذي لا يخرج منه شيء ، ولم يلد ولم يولد »[٤].

وعن أبي العالية[٥] أنه قال : « الصمد : الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يلد إلا يموت ، ولاشيء يُولد إلا سيموت ، ولا شيء يموت إلا يُورث ، وأن الله لا يموت ولا يورث »[٦].

= البصري وعكرمة والضحاك وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم . انظرأقوالهم في تفسير الطبري ٧٤٣/١٢وتفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٢١٤/١٧-٢١٥ونقض التأسيس « المطبوع » ٤٨/١-٤٩ .

(١) أبوعمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري ، من أئمة التابعين ، قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة مشهور فقيه فاضل » توفي سنة ١٠٣هـ انظر : تقريب التهذيب ١/ ٤٦١والأعلام ٢٥١/٣ .

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة ٣٠٢/١رقم/٦٨٤وابن جريرالطبري في تفسيره ٧٤٢/١٢والبيهقي في الأسماء والصفات ١٥٩/١وقال محققه الشيخ عبد الله الحاشدي « إسناده صحيح » وذكره ابن تيمية في تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ٢٢١/١٧ نقلا عن تفسير ابن أبي حاتم .

(٣) عكرمة مولى ابن عباس « وقد تقدمت ترجمته انظر : ٧٧/١ .

(٤) رواه الإمام الطبري في تفسيره ٢٤٣/١٢ .

(٥) تقدمت ترجمته انظر : ٧٧/١ .

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ٧٤٣/١٢وذكره شيخ الإسلام في تفسير سورة الإخلاص =

وعن الربيع بن أنس[١] رحمه الله أنه قال : « ـ الصمد ـ هو الذي لم يلد ولم يولد »[٢]. قال الإمام ابن كثير رحمه الله معلقا على ما ذكره الربيع بن أنس : « كأنه جعل ما بعده تفسيرا له وهو قوله ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ وهو تفسير جيد »[٣].

فهذه التفاسير كلها دالة على تنزيه الله تعالى عن أنْ يكون جسما كأجسام المخلوقين كما زعم المشبهة ، إذْ لوكان كذلك لكان مماثلا لبعض أجسام المخلوقات التي لها جوف تأكل الطعام وتشرب الشراب ، ولها جوف يخرج منه الولد وغيره ، والله تعالى منزه عن ذلك كله لأنه عز وجل غنيٌ لا يأكل الطعام ولايشرب الشراب ، ليست له حاجة إلى ذلك ، وإنما هذا من سمات المخلوقين وخائصهم ، والله منزه عن ذلك لا شبيه له ولا مثيل ولا نظير ولا سمي ولا كفو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ الله تعالى « صمد » فلا يدخل فيه شيء فلا يأكل ولا يشرب سبحانه وتعالى كما قال : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام : ١٤] وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨] ومن مخلوقاته الملائكة وهم

= ضمن مجموع الفتاوى ٢٢١/١٧ عن أبي العالية عن أبي بن كعب » . نقلا عن تفسير ابن أبي حاتم .

(١) الربيع بن أنس البكري ، أوالحنفي البصري نزيل خراسان ، قال عنه الحافظ ابن حجر : « صدوق له أوهام ، رُمي بالتشيع » توفي سنة ١٤٠هـ أوقبلها . انظر : تقريب التهذيب ٢٩٣/١ .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦١٠/٤ .

(٣) المرجع نفسه ٦١٠/٤ .

صمد لا يأكلون ولا يشربون ، فالخالق لهم جل جلاله أحق بكل غِنىً وكمال جعله الله لبعض مخلوقاته والله تعالى « الصمد » لا جوف له فلا يخرج منه عين من الأعيان فلا يلد ، وهو عز وجل ممتنع عليه أنْ يلد وأنْ يُولد ، وذلك لأنَّ الولادة والتولد ، وكل مايكون من هذه الألفاظ لايكون إلا من أصلين ، وماكان من المتولد عين قائمة بنفسها فلا بُدَّ من مادة تخرج منها ، وما كان عرضا قائما بغيره فلا بُدَّ له من محل يقوم به .

فالأول : نفاه الله تعالى بقوله : ﴿ أَحَدٌ ﴾ فإنَّ الأحد هو الذي لا كفو له ولا نظير فيمتنع أنْ تكون له صاحبة ، والتولد إنما يكون من شيئين ، والله منزه عن ذلك قال تعالى : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٠١] فنفى سبحانه الولد بامتناع لازمه عليه ، فإنَّ انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم ، وبأنه خالق كل شيء وكل ماسواه مخلوق له ليس فيه شيء مولود له !

والثاني : نفاه بكونه سبحانه ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ وهو المتولد من أصلين يكون بجزئين ينفصلان من أبيه وأمه ، وكل ذلك ممتنع في حق الله فإنه أحد فليس له كفوٌ يكون له صاحبة ونظير ، وهو صمد لايخرج منه شيء[1]!

واسم الله « الأحد » و « الصمد » لم يذكرهما الله عز وجل إلا في سورة الإخلاص ، وهما ينفيان عن الله تعالى ماهو متنزه عنه من التشبيه والتمثيل والتركيب والانقسام ، والتجسيم .

فإنَّ اسمه « الأحد » ينفي عنه تعالى المثيل والنظير ، فالله تعالى لا مثيل له في شيء من الأشياء ، فهو عز وجل أحد في كل ما هو له .

---

(١) انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ١٧/٢٣٩-٢٤١ .

واسمه « الصمد » ينفي عنه التفرق والانقسام والتمزق ومايتبع ذلك من تركيب ونحوه ، لأنه ما من مخلوق إلا وهو قابل للتجزئ والتفرق والانقسام ، وأنْ ينفصل بعضه من بعض ، والله سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك ، بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة له ، لايمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه ، كما لا يمكن تثنية أحديته بوجه من الوجوه ، فهو أحد لا يماثله شيء من الأشياء في وجهمن الوجوه ، وهو صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد(١).

وذكر الإمام ابن رجب رحمه الله أنَّ اسم الله « الصمد » يتضمن إثبات جميع صفات الكمال ودوامها لله تعالى ، التي لا يماثله فيها أحد من خلقه ، فهو تعالى صمد متصف بصفات الكمال التي استحق لأجلها أنْ يكون صمدا ، وأنه تعالىلم يزل كذلك ولايزال ، فإنَّ صمديته تعالى من لوازم ذاته التي لا تنفك عنه بحال من الأحوال ، لا يماثله في ذلك أحد من خلقه(٢).

فلو كان اسم الله « الصمد » يدل على أنَّ الله جسم من الأجسام كمازعم المشبهة لجاز عليه مايجوز على المخلوق من التفرق والانقسام والتمزق ، والأكل والشرب ، والولادة وغيرها من سمات المخلوقين ، والله منزه عن أنْ يُوصف بشيء من خصائص المخلوقين ، لأنه تعالىلا مثيل له ولا شبيه ولا نظير . تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وهو عز وجل منزه عن أنْ يكون من أجناس المخلوقين ، لأنَّ أفراد كل جنس من هذه الأجناس كما ذكر الإمام ابن رجب رحمه الله متكافئة متماثلة ، فالذهب يُكافئ الذهب ، والإنسان يُكافئ الإنسان ويُزاوجه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمِن

---

(١) انظر : المرجع نفسه ٢٣٨/١٧ونقض التأسيس « المطبوع » ٥٨/٢ .

(٢) انظركتابه : تفسير سورة الإخلاص ص/٩٥-٩٦ .

كُلِّ شَيءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٩] فما من مخلوق إلا وله كفو هو زوجه ، ونظيره وعدله ومثيله ، فلو كان الحق من جنس شيء من هذه الأجناس ، لكان له كفو وعدل ، والله تعالى منزه عن ذلك شرعا وعقلا(١).

فاسم الله « الصمد » كما هو دليل على تنزيه الله تعالى عن الشبيه والمثيل فهو دليل أيضا على اتصافه عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى التي لا مثيل له فيها لأنه إنما انتفى عنه المثيل والشبيه لما له من الأسماء والصفات التي لا مثيل له فيها فهو تعالى كما ذكرالإمام ابن القيم رحمه الله قدأخبر أنه لم يكن له كفوا أحد بعد أنْ وصف نفسه عز وجل بأنه الصمد ، والصمد السيد الذي كمل في سؤدده ولهذا كانت العرب تُسَمِي أشرافها بهذا الاسم لكثرة الصفات المحمودة في المسمى به قال شاعرهم :

ألآبكرالناعي بخيري بني أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد(٢)

فإنَّ الصمد من تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرهبة ، وذلك لكثرة خصال الخير فيه وكثرة الأوصاف الحميدة له ، ولهذا قال جمهور السلف منهم عبد الله بن عباس رضي الله عنه : « الصمد هو : السيد الذي قد كمل في سؤدده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والعليم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، والرحيم الذي قد كملت رحمته ، وهوالذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهوالله سبحانه هذه صفته التي لا تنبغى إلا له ، ليس له كفوٌ وليس

---

(١) انظر : المرجع نفسه ص/١٠٠ .

(٢) البيت لسبرة بن عمروالأسدي ذكره أبوعبيدة في مجاز القرآن بلفظ « لقد بكر الناعي . . . » ٢/ ٣١٦وابن جرير في تفسيره ٧٤٤/١٢وابن منظور في لسان العرب ٢٥٨/٣مادة « صمد » .

كمثله شيء سبحانه الواحد القهار »[١].

ومن قال من السلف : إنه لاجوف له[٢]فقوله لا يناقض ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه فإنَّ هذا اللفظ من الاجتماع ، فهو الذي اجتمعت فيه صفات الكمال ولاجوف له ، فإنما لم يكن أحدٌ كفوا له لماكان صمدا كاملا في صمديته ، فلو لم تكن له صفات الكمال ونعوت الجلال لم يكن صمدا ، وكان العدم كفوا له[٣]!

فالله عز وجل هو الصمد الذي اجتمعت فيه صفات الكمال التي لانقص فيها بوجه من الوجوه ، منزه عن الشبيه والمثيل ، وعن جميع صفات النقص والعيوب تعالى وتقدس عن أنْ يكون جسما مماثلا لأجسام المخلوقين ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَّهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

الوجه الثاني : إنَّ الملائكة إذا كانت موصوفة كماذكرشيخ الإسلام بأنها « صمد » وكذلك الأجسام المصمتة موصوفة بذلك ، وليست لحما ودما ، فكيف يُقال : إذا وُصف تعالى بأنه « صمد » يقتضي أن يكون جسما كالأجسام[٤]لحم ودم وعظم كما يزعم المشبهة ؟! .

والمخلوق وإنْ كان صمدا من بعض الوجوه ، فإنَّ حقيقة الصمدية منتفية عنه

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٢/٧٤٣-٧٤٤والإمام البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ١٥٦كلاهما من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس « . وذكره شيخ الإسلام في منهاج السنة ٢/١٨٦-١٨٧ورسالة أقوم ماقيل في المشيئة والحكمة والقضاء والقدر والتعليل ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٥/٣٤٠ وابن رجب في تفسير سورة الإخلاص ص/٩١والإمام ابن كثير في تفسيره ٤/٦٠٩-٦١٠ .

(٢) تقدم ذكره قريبا انظر : ٢/٣٩ .

(٣) انظر : الصواعق المرسلة ٣/١٠٢٥-١٠٢٧ .

(٤) انظر : نقض التأسيس « المخطوط » ٢/٤١٤ .

فإنه يقبل التفرق والتجزئة ، وهو أيضا محتاج إلى غيره ، فإنَّ ما سوى الله محتاج من كل وجه ، فليس أحد يصمد إليه كل شيء ولا يصمد هو إلى شيء إلا الله تبارك وتعالى ، وليس في المخلوقات إلا وهو يقبل أنْ يتجزأ ويتفرق ، وينفصل بعضه عن بعض ، والله سبحانه منزه عن ذلك لأنه صمد ، والصمد لا يجوز عليه شيء من ذلك(١).

بل هو عز وجل لا مثيل له ولا نظير ، لأنه متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص ، فإذا وصف عز وجل بأنه « صمد » يثبت له تعالى على الوجه الذي يليق به ولا يثبت له ما يخص المخلوق في سائر أسمائه وصفاته ، لأنه سبحانه وتعالى في جميع أسمائه لايتصف بما يتصف به المخلوق بل هو منزه عن ذلك لا مثيل له ولا شبيه(٢).

الوجه الثالث : إنَّ سبب نزول سورة الإخلاص التي ورد فيها اسم الله « الصمد » الذي جعله المشبهة دليلا على مقالتهم في التشبيه يبطل استدلالهم بذلك ، فإنَّ السورة نزلت جوابا في سؤال من سأل عن الرب عز وجل ونسبه وصفته(٣)!

وفيها اسمه تعالى « الصمد » بين الله فيها أنه ليس من جنس شيء من المخلوقين(٤)بل هوتعالى أحد صمد لم يلدولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

---

(١) انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ٢٣٨/١٧ .

(٢) انظر : نقض التأسيس « المخطوط » ٢١٤/٢ .

(٣) سبب نزول سورة الإخلاص أنَّ المشركين قالوا للنبي ﷺ : « صف لنا ربك ، فأنزل الله تعالى هذه السورة » رواه الترمذي في كتاب التفسير . انظر : سنن الترمذي ٤٢١/٥ح٣٣٦٤ . والبيهقي في الأسماء والصفات ٩٢/١ح٥٠و٣٩/٢ح٦٠٧والدارمي في الرد على الجهمية ص/ ١٠كلهم من طريق أبي بن كعب « وصححه الشيخ الألباني انظر : صحيح الترمذي ٣/ ١٣٦ح٢٦٨٠ .

(٤) انظر : نقض التأسيس « المخطوط » ٢١٨/٢ .

الوجه الرابع : إنَّ سورة الإخلاص التي استدل منها المشبهة بقول الله تعالى : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ مع أنه دليل عليهم كما تقدم ، فإنها قد تضمنت إثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه عن المثيل والشبيه ، فقد أخبر الله تعالى فيها بأنه : ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وأنه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ وأنه : ﴿ لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

فقوله ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يدل كما ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله على أنه الواحد الأحد الذي لا نظير له ولاوزير ولانديد ولا شبيه ولا عديل ، ولايُطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل ، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله[١]. وتقدم مايدل عليه معنى قول الله تعالى : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ من إثبات صفات الكمال لله تعالى ، وتنزيهه في ذلك عن الشبيه والمثيل ، وأنه تعالى ليس من جنس شيء من المخلوقات ، بل هو تعالى الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ليس له مثيل ولا شبيه ولا نظير . وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ معناه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[٢] فلا نظير له ولا مثيل .

فقوله : ﴿ أَحَدٌ ﴾ مع قوله : ﴿ لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله ينفي المماثلة والمشاركة ، وقوله : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ يتضمن جميع صفات الكمال ، فالنقائص جنسها منفي عن الله تعالى ، وكل ما أُختص به المخلوق فهو من النقائص التي يجب تنزيه الرب عنها عز وجل[٣].

فاشتملت السورة على التنزيه والتحميد على النفي والإثبات[٤]، ولهذا صارت

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير٤/٦٠٩ .

(٢) رُوي ذلك عن ابن عباس « كما ذكر الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره ٧٤٥/١٢ . وأبي بن كعب ورواه الحاكم في المستدرك ٥٨٩/٢وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

(٣) انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ٢٢٥/١٧ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ٤٥٣/١٧ .

الأصل المعتمد عليه عند أهل السنة في مسائل الذات والصفات إثباتا وتنزيها لتضمنها وصف الرب تعالى الذي جاء بنفي قول أهل التعطيل والتمثيل[١].

الوجه الخامس : إنه تعالى أخبر بأنه ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ ولم يقل : إنه « صمد » إذْ كل ماسواه يجوز عليه التفرق والتبعيض ، وهو تعالى الصمد الذي لا يجوز عليه أنْ يتبعض ويتفرق بوجه من الوجوه[٢]، فلو كان « الصمد » دليلا على أنْ يكون الله تعالى جسما كالأجسام كما يقول المشبهة لجاز عليه مايجوز على الأجسام من التفرق والانقسام والتبعيض ، وأنْ يخرج منه شيء ، أو يدخل فيه شيء لأنَّ حكم المثلين واحد يجوز على أحدهما مايجوز على الآخر ، ويجب له ما يجب على الآخر ، والله تعالى لا مثيل له ولا نظير ، فلا يجوزأنْ يكون من جنس شيء من المخلوقات ، بل هو عز وجل أحد صمد متصف بصفات الكمال ، منزه عن صفات النقص ، لا مثيل له ولا شبيه ولا سمي ولا كفو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَّهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

٢ ـ ومن الأدلة النقلية التي يستدل بها المشبهة لتقرير مقالتهم في التشبيه وقولهم إنَّ الله جسم الآيات الواردة في استواء الله على العرش ومنها قول الله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ حيث قالوا : والاستواء إنما هو القيام والانتصاب ، وهما من صفات الأجسام فيجب أنْ يكون الله جسما[٣]!

---

(١) انظر : التحفة العراقية في أعمال القلوب لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٤٠/٤ .

(٢) انظر : نقض التأسيس « المخطوط » ٢١٨/٢ .

(٣) ذكرالقاضي عبد الجبار وأبو الثناء محمود اللامشي وسعد الدين التفتازاني مقالة المشبهة إنَّ الله جسم واستدلالهم على ذلك ببعض الآيات القرآنية ومنها الآية المذكورة . انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبارص/٢٢٦وكتاب التمهيد لقواعد الدين لأ بي الثناء اللاميشي ص/ ٥٧و٦٣ وشرح المقاصد للتفتازاني ٤٧/٤-٤٩وراجع الفصل لابن حزم ٢٧٧/٢و٢٢٨ .

واستدلالهم هذا مبني على اعتقادهم في الله أنه جسم[١]، حيث فهموا نصوص الاستواء على أساس كون الله تعالى جسما مشابها للمخلوقين ، معتمدين في فهم ذلك على ما يشاهدونه من الأجسام المخلوقة التي تحتاج في استوائها إلى القيام والجلوس والانتصاب ونحو ذلك من سمات المحدثين ثم طردوا ذلك القياس الفاسد على الخالق عز وجل ، فجعلوا استواءه على عرشه دليلا على أنه جسم ، حيث اعتبروا ظواهر نصوص صفة الاستواء تدل على التمثيل !وهذا استدلال باطل فاسد عند أهل السنة مبني على قياس الخالق على المخلوق ، والله عز وجل لا يقاس بخلقه لأنه تعالى لا مثيل له ولا شبيه ولا نظير !

ذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله إنَّ الله تعالى ليس كمثله شيء من خلقه ، ولا يُقاس بشيء من بريته ، ولا يُقاس بالناس ، لا إله إلا هو قبل كل شيء ، فلا يجري بينه وبين خلقه تمثيل ولا تشبيه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا[٢].

ولايلزم من استواء الله على عرشه أنْ يكون ذلك الاستواء كاستواء جسم على جسم كمايزعم هؤلاء المشبهة ولكن كما ذكر الإمام الدارمي رحمه الله استواءَ مَلِكٍ كريم خالق غير مخلوق ، على عرش عظيم مخلوق ، ولم يكلفنا الله أنْ نقول ككذا على كذا أو كمخلوق على مخلوق بل نقول كما قال الله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ فمن انتهى إلى ذلك اكتفى ، ومن عدل عن ذلك اعتدى[٣].

واستواء الله عز وجل الوارد في نصوص الاستواء ليس من معانيه القيام والانتصاب حتى يكون دليلا على أنَّ الله جسم كما يقول هؤلاء المشبهة بل معناه

---

(١) تقدمت مقالاتهم في ذلك وموقف أهل السنة منها في المبحث السابق .

(٢) انظر : التمهيد ٧/١٣٥-١٣٦ .

(٣) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٧٧=٧٨ .

كما بين أهل السنة والجماعة الصعود ، والعلو ، والارتفاع ، والاستقرار كما تقدم[١]، وهذه المعاني تفهم من استواء الله عز وجل على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته من غير خوض في لوازم ذلك وكيفينه ، أوفي شيء من سمات المحدثين ، ونعوت الموصوفين .

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ الاستواء له معانٍ في حق المخلوق يجب تنزيه الله عنها فنحن نعلم معناه وأنه العلو والاعتدال لكن لانعلم الكيفية التي اختص بها الرب التي يكون بها مستويا فيجب إثبات استواء الله على ما يليق بجلاله وعظمته ، وتنزيهه عن استواء المخلوقين ، وأهل السنة لا يعلمون الكيفية التي اختص بها الرب تعالى في استوائه ، بل ذلك من الأمور المجهولة التي لا يجوز الخوض فيها ، لأنها مفضية إلى التمثيل ، والله تعالى لا مثيل له لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله[٢].

فهؤلاء المشبهة إذا استدلوا بنصوص الصفات جعلوا ظاهرها من جنس صفات المخلوقين[٣]، ورجعوا من حيث المعنى إلى التشبيه المنفي عن الله تعالى ، لذا أثبتوا ما قد نزه الله نفسه عنه من اتصافه بالنقائص ومماثلته للمخلوقات[٤].

والذي يجب نفيه عن الله تعالى هو : اتصافه بشيء من خصائص المخلوقين ، ومن

---

(١) انظر : ٣٣٤/١ .

(٢) انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ٣٧٨/١٧-٣٧٩والرسالة المدنية ضمن مجموع الفتاوى ٣٥٥/٦-٣٥٦وكتاب الأسماء والصفات ضمن المرجع نفسه٦/ ٤٧١-٤٧٢وكتاب الطلاق ضمن مجموع الفتاوى ١٥٧/٣٣ .

(٣) كما تقدم بيانه في ذكر مذهبهم العام في الصفات وموقف أهل السنة منه انظر : ٣٥٣/١ - ٣٥٤ .

(٤) انظر : بغية المرتاد لابن تيمية ص/٢٠٢و٣٣٢وكتاب الأسماء والصفات له ضمن مجموع الفتاوى له ٣٦/٦ .

جعل صفات الرب تعالى مثل صفات العبد فهو ممثل مبطل مذموم[١].

والله تعالى منزه عن أنْ يكون من جنس شيء من المخلوقات : لا أجساد الآدميين ولا أرواحهم ولاغير ذلك من المخلوقات ، إذْ لوكان كذلك لأدى إلى التناقض كما تقدم[٢]ولجاز عليه أن يتصف بالصفات الخاصة بهم ، وهومنزه عن ذلك : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

فنصوص الصفات عند أهل السنة ومنها نصوص الاستواء تجري على ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته ، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها[٣]، ولايفهم منها كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله مايفهم من صفات المخلوقين ونعوت المحدثين ، بل الله سبحانه وتعالى إذا أضاف إلى نفسه ما أضافه من الصفات إضافة تختص به ، وتمنع أنْ يدخل فيها شيء من خصائص المخلوقين وقد قال مع ذلك إنه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وأنه ﴿ لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ وأنكر أنْ يكون له سمي ، كان من فهم من نصوص الصفات مايختص به المخلوق ، فقد أُتي من سوء فهمه ونقص عقله لامن قصور في بيان الله ورسوله ، ولافرق في ذلك بين صفة وصفة !

فمن فهم من قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الفرقان : ٥٩] ما يختص بالمخلوق كما يفهم من قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾ [المؤمنون : ٢٨] فمن نفسه أُتي ، فإنَّ ظاهر اللفظ في الآية الأولى يدل على استواء يُضاف إلى الله عز وجل ، كما يدل في الآية الثانية على استواء يُضاف إلى العبد !

---

(١) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ٥٨٨/١ومنهاج السنة١١١/٢ .

(٢) انظر : ٣٨٥/١ .

(٣) سيأتي موقف أهل السنة من نصوص الصفات على وجه التفصيل انظر : ٤٦٧/٢ .

وإذا كان المستوي ليس مماثلا للمستوي لم يكن الاستواء مماثلا للاستواء .

وليس في ظاهر كلام الله عز وجل ما يدل على اتصاف الله تعالى بما يختص به المخلوق ، من كونه إذا كان مستويا على العرش أنْ يكون جسما ، وأنْ يتصف بما تتصف به الأجسام المخلوقة من حاجة إلى انتصاب عند استوائها ، أوإلى حامل لها ونحو ذلك ، بل توهم ذلك من سوء الفهم لامن دلالة اللفظ !

لكن إذا تخيل المتخيل في نفسه أنَّ الله مثله ، تخيل أنْ يكون استواؤه كاستوائه وإذا عرف أنَّ الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله علم أنَّ استواءه عز وجل ليس كاستوائه(١).

فمن فهم من نصوص الصفات شيئا من المعاني الفاسدة التي هي من خصائص المحدثين ، كأنْ يتوهم أنَّ استواء الله مثل استواء الأجسام ، أويفهم أنه جسم فقد كذب(٢). فكل من المشبه والمعطل كما ذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله قد حُرما الوصول إلى معرفة الله على الوجه المطلوب ، وابتليا بالتكلف والتحريف لنصوص الوحي ، فكما أنهما مناقضان للوحي فقد ناقضا لما دلت عليه العقول والفطر التي لم يطرأ عليها التغيير ، فلا معقول ولامنقول مع المشبهة والمعطلة وهدى الله أهل السنة والجماعة لاتباع الحق المنقول عن الله وعن رسوله ﷺ وذلك يظهر بتدبر ما عليه طوائف أهل البدع في المسائل والدلائل وتحقيقها ونسأل الله الهداية والتوفيق لأقوم الطريق(٣).

٣ ـ ومن الأدلة التي يستدل بها المشبهة لتقريرمقالتهم في التشبيه وقولهم : إنَّ الله

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ٣/١٥١-١٥٢ .

(٢) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٤٧١-٤٧٢وكتاب الطلاق ضمن المرجع نفسه ٣٣/١٧٥وكتاب الطوائف الملحدة ضمن مجموع الفتاوى الكبرى ٦/٤٧٣و٤٧٥ .

(٣) انظر كتابه : الحق الواضح المبين ص/٢٠ .

جسم قول الله عز وجل : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] حيث قالوا[١]: فأثبت لنفسه الوجه ، وذوالوجه لايكون إلا جسما .

فاعتبروا الآية دليلا لهم على إثبات مقالتهم إنَّ الله جسم ، حيث لم يفهموا منها إلا ما ألفوه من صفات المخلوق المتصف بكونه جسما ، وهذا قياس منهم لوجه الله الباقي بوجه المخلوق الفاني ، إذْلم بفهموا من صفة الوجه الواردة في الآية إلا وجه المخلوق المشاهد الذي يتركب من أعضاء ومنها الوجه التي تؤدي بمجموعها على تصورهم إلى أنْ يكون جسما مركبا ، وبهذا القياس الفاسد اعتبروا الله عز وجل جسما مشابها للأجسام إذْ لم ترتق عقولهم إلى مستوى تنزيه الباري عن مماثلة المخلوقات ، حيث أهملوا نصوص التنزيه ، وأخذوا بنصوص الإثبات التي غلوا فيها وجعلوها دليلا لمقالاتهم في التشبيه والتجسيم ! وهذا الاستدلال باطل عند أهل السنة مبني على قياس الخالق على المخلوق ، والله تعالى لا يُقاس بخلقه لأنه لا مثيل له ولا نظير ، وقد تقدمت أقوال أهل السنة الدالة على ذمهم قياس الخالق على المخلوق ونهيهم عنه وبيان أنه مفض إلى التمثيل المذموم ، وتنزيه الله عن ذلك مما أغنى عن إعادته هنا[٢].

أما الآية التي استدل بها هؤلاء المبتدعة على مقالتهم في التشبيه وقولهم إنَّ الله جسم فليس فيها مايدل على ذلك ، بل هي دالة على تنزيه الله عن مقالة أهل التمثيل والتعطيل ، وبيان ذلك كماذكر الإمام ابن خزيمة رحمه الله إنَّ الله عز وجل أثبت لنفسه وجها نفى عنه الهلاك بقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨]

---

(١) ذكر القاضي عبد الجبار والتفتازاني مقالة المشبهة « إنَّ الله جسم » واستدلالهم على ذلك بآيات من القرآن ، ومنها الآية المذكورة ووجه استدلالهم بها . انظر : شرح الأصول الخمسة ص/ ٢٢٧وشرح المقاصد ٤/٤٦-٤٩وراجع أصول الدين للبغدادي ص/١٠٩ .

(٢) انظر : ١/٤٠٦ - ٤٠٩ .

ووصفه بالجلال والإكرام فقال : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه ، يقرون بذلك بألسنتهم ويصدقون بذلك بقلوبهم ، من غير أنْ يشبهوا وجه خالقهم بوجه أحدٍ من المخلوقين عَزَّ الله عز وجل أنْ يشبه المخلوقين ، وَجَلَّ عن مقالة المعطلين(١).

ثم ذكر الفرق بين وجه الخالق والمخلوقين لدحض شبهة التشبيه التي يتوهمها المعطلة والمشبهة ومما ذكره في ذلك أنَّ وجه الله عز وجل موصوفٌ بالجلال والإكرام وحكم له بالبقاء ، ونفي عنه الهلاك ، موصوف بالنور والضياء والبهاء مالوكُشِف حجابه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره(٢)، محجوب عن أبصار أهل الدنيا ، لايراه بشر مادام في الدنيا الفانية ، أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ منفيٌّ عنه الهلاك والفناء .

ووجوه بني آدم وجوه قد كتب الله عليها الفناء والهلاك ، منفي عنها الجلال والإكرام ، غير موصوفة بالنور والضياء والبهاء التي وصف الله بها وجهه ، تدرك وجوه بني آدم بأبصار أهل الدنيا ، لاتحرق شعرة فما فوقها ، لنفي السبحات عنها التي بينها نبينا المصطفى ﷺ لوجه خالقنا عز وجل .

ووجوه بني آدم محدثة مخلوقة لم تكن فكونها الله تعالى بعد أنْ لم تكن مخلوقة وأوجدها بعد ما كانت عدما فانية غير باقية ، تصير رميما ميتا ، ثم تصير رميما ثم يُنشئها الله بعد ما صارت رميما ، فتلقى من النشور والحشر والوقوف بين يدي

---

(١) انظر : كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٦/١ .

(٢) إشارة إلى الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري « وفيه : « « إنَّ الله لاينام ولاينبغي له أن ينام ... حجابه النور ، لوكشفت لأحرقت سبحات وجهه ماانتهى إليه بصره » » روا مسلم في كتاب الإيمان ١٦٣/١ح٢٩٥ .

خالقها في القيامة ، ومن المحاسبة بما قدم أصحابها وكسبوه في الدنيا ، مالا يعلم صفته غير الخالق عز وجل !

ثم تصير إما إلى جنة منعمة فيها ، وإما إلى النار معذبة فيها ، فهل يخطر ياذوي الحجا ببال عاقل أنَّ وجه الله تعالى شبيه بذلك الوجه[١]؟!

وهل يخطر ببال عاقل أنْ يجعل وجه الله تعالى الذي أثبته لنفسه على مايليق به دليلا على أنه تعالى جسم كالأجسام تعالى الله عن أنْ تكون صفاته دالة على ذلك علوا كبيرا

بل صفات الله تعالى دالة على وصفه عز وجل بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص والعيوب ، لأنَّ الله تعالى لايصف نفسه إلابماهو بالغ في الكمال غايته ، كما نزه نفسه عن صفات النقص والعيوب المناقضة لصفات الكمال ، فإذا أضاف عز وجل إلى نفسه ماأضافه من صفاته إضافة تختص به يمتنع أنْ يدخل فيها شيء من خصائص المخلوقين ، ومع هذا فقد نزه نفسه عن التمثيل فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وعن الكفو فقال : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ وأنكر أنْ يكون له سمي فقال : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ فمن فهم بعد هذا من نصوص الصفات ما يختص به المخلوق ، فقد أُتي من سوء فهمه ونقص عقله ، لامن قصور في بيان الله ورسوله ، ولافرق في ذلك بين صفة وصفة ، وليس في كلام الله ما يختص به المخلوق ، بل لايتوهم ذلك إلافاسد العقل والفطرة[٢]!

وأهل السنة والجماعة ينزهون الله تعالى عن أنْ يكون جسما كأجسام المخلوقات كما تقدم[٣]، ويصفون الله تعالى بصفاته التي وصف بها نفسه في كتابه وعلى

---

(١) انظر : كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/٢٥-٢٦و٥٣-٥٥ .

(٢) كما فعل المشبهة الذين استدلوا بنصوص الصفات التي جعلوا ظاهرها دالة على مقالتهم في التشبيه والتجسيم .

(٣) انظر : ٢/١٢ و ٢١ - ٢٨ .

لسان رسوله ﷺ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل كما تقدم[١].

وإذا سئلوا عن الله تعالى أجابوا بأنه : الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد[٢]. وأنه تعالى ذوالوجه الكريم ، والسمع السميع ، والبصر البصير ، نور السموات والأرض[٣]، موصوف بصفات الكمال منزه عن صفات النقائص والعيوب ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

ذكر الإمام الذهبي رحمه الله أمرين مذمومين في نصوص الصفات يجب الحذر منهما وتنزيه الله عنهما .

أحدهما : تأويلها وصرفها عن ظاهرها فما أولها السلف ، ولاحرفوا ألفاظها عن مواضعها بل آمنوا بها وأمروها كما جاءت[٤].

والثاني : المبالغة في إثباتها وتصورها من جنس صفات البشر وتشكلها في الذهن فهذا جهل وضلال ، وإنما الصفة تابعة للموصوف ، فإذا كان الموصوف عز وجل لم نره ولا أخبرنا أحد أنه رآه[٥]، مع قوله لنا في تنزيله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فكيف يبقى في أذهاننا مجالٌ في كيفية الباري تعالى عن ذلك ، فكذلك صفاته المقدسة نقر بها ونعتقدأنها حق ولانمثلها ولا نشكلها[٦]. تعالى الله عما يقول

---

(١) عند ذكر منهجهم العام في الصفات انظر : ١/ ١٢١ .

(٢) تقدم ذكر ذلك انظر : ٢/ ١٤ ـ ١٥ .

(٣) انظر : الجواب الصحيح ٣/١٥١-١٥٢ .

(٤) سيأتي بيان موقف أهل السنة من نصوص الصفات وممن ادّعى فيها التشبيه انظر : ٢/ ٤٦٧ و ٤٩٤ .

(٥) الصحيح أنَّ الرسول ﷺ لم ير ربه ليلة الإسراء والمعراج كما سيأتي الإشارة إلى ذلك انظر : ٢/٧٢ ـ ٧٦ .

(٦) انظر : سير أعلام النبلاء ١٠/٦١٠ .

الظالمون علوا كبيرا .

٤ ـ واستدل الحلولية المشبهة[١] لتقرير مقالتهم الكفرية إنَّ الله معهم في الأرض حال بهم بنصوص المعية كقول الله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [المجادلة : ٧] وقول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] وقول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ٣] وقول الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] وغير ذلك من الآيات الدالة على المعية[٢].

وهؤلاء الحلولية الذين يستدلون بهذه الآيات للدلالة على أنَّ الله معهم في الأرض وأنه حال بهم كما يزعمون صنفان :

الصنف الأول : يزعمون أنَّ معية الله لخلقه مقتضاها أنْ يكون معهم في الأرض

---

(١) الحلولية المشبهة أصناف ومنهم غلاة الشيعة الذين غلوا في أئمتهم فشبهوهم بالخالق ، وكلهم كما ذكر الشهرستاني متفقون على أصنافهم على القول بالحلول انظر : الملل والنحل ١/ ١٧٣و١٧٥وقد تقدم ذكر مقالاتهم التي ألهوا فيها الأئمة من آل البيت وغيرهم عند التعريف بطوائف المشبهة في الباب الأول ، وكذلك غلاة الصوفية حلولية مشبهة كما تقدم في الباب الأول أيضا انظر : ص/١٥٢و١٥٨و١٩٠ومابعدها .

وذكر شيخ الإسلام أنَّ الجهمية المعطلة أشباه اليهود ، والحلولية الممثلة أشباه النصارى يمثلون المخلوق بالخالق فيصفونه بخصائص الربوبية التي لاتصلح إلالله عزوجل . انظر : مسألة الحرف التي أنزلها الله على آدم « لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٣٤٩ . وقد بين رحمه الله طوائف الحلولية وأنواع الحلول الذين يقولون به وكفرهم بذلك انظر : حقيقة مذهب الاتحادين ضمن المرجع السابق ٤/ ٢٨-٢٩ .

(٢) انظر أدلتهم في : الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص/٤٩ـ٥٠والشريعة للآجري ص/ ٢٥٥وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص/٢٧٣والمختار في أصول السنة لابن البنا الحنبلي ص/ ٧٦-٧٧وحقيقة مذهب الاتحادين لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ٤/ ٢٩ .

مع نفي علوه واستوائه على عرشه ، وهؤلاء هم الحلولية من قدماء الجهمية وغيرهم الذين يقولون : إنَّ الله تعالى بذاته في كل مكان .

الصنف الثاني : وهم الذين يزعمون أنَّ معية الله لخلقه مقتضاها أنْ يكون معهم في الأرض مع ثبوت علوه فوق عرشه ، وقد زعموا أنهم أخذوا بظاهر النصوص في المعية والعلو ، وهذا قول طوائف من الصوفية وغيرهم(١).

وقد أنكر سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان مقالة الحلولية المشبهة ، وبينوا كفرمن يقول بها ، كما بينوا بطلان استدلالهم بنصوص المعية ، وأنها دليل عليهم لالهم ، ونزهوا الله تعالى أنْ يكون مع خلقه حال فيهم ، بل هو عز وجل مستوٍ على عرشه بائن من خلقه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَّهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

ومما ذكروه في ذلك ماروي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله عندما سُئل كيف نعرف ربنا عز وجل ، فأجاب قائلا : « على السماء السابعة على عرشه ، ولانقول كما تقول الجهمية : إنه هاهنا في الأرض »(٢). فقيل هذا للإمام أحمد رحمه الله فقال : « هكذا هو عندنا »(٣). وكان ابن المبارك رحمه الله يقول : « الجهمية كفار »(٤)ويقول : « إنَّا نستجيز أنْ نحكي كلام اليهود والنصارى ولانستجيز أنْ

---

(١) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥/٢٢٨-٢٢٩والقواعد المثلى للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص/٦٥ .

(٢) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة ١/١١١رقم/٢٢والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٣٣٦رقم/٩٠٦والذهبي في العلوص/١٤٩وصححه ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص/٣٠وضمن مجموع الفتاوى ٥/٥١-٥٢وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٤٤ .

(٣) رواه الإمام الذهبي في العلو انظر : ص/١٥١وذكر شيخ الإسلام في الحموية أنَّ هذا قول الإمام أحمد وغيره ص/٣٠ وضمن مجموع الفتاوى ٥/٥٢ .

(٤) رواه عبدالله بن الإمام أحمد في كتاب السنة ١/١٠٩رقم/١٥ .

نحكي كلام الجهمية »[١]. وذلك لأنَّ في كلام الجهمية ما هو أعظم كفرا من كلام اليهود والنصارى !

وقد بين سلف الأمة وأئمتها أنَّ الله عز وجل بائن من خلقه مستوٍ على عرشه ، محيط بكل شيء بعلمه لا يخفى عليه من أمر مخلوقاته شيء ذكر الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم[٢]عن والده[٣]وأبي زرعة[٤]الرازيين مذهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه أئمة أهل العلم في ذلك ، ومن ذلك قولهم : « ... وأنَّ الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف أحاط بكل شيء علما ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[٥].

وقال الإمام مالك رحمه الله : « الله عز وجل في السماء وعلمه في كل مكان

---

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة ١١١/١رقم/٢٣والدارمي في الرد على الجهمية بلفظ « لئن أحكي كلام اليهود والنصارى أحب إليَّ من أنْ أحكي كلام الجهمية » انظر : ص/٩ . وروى قريبا منه الخلال في كتاب السنة ٩٨/٥رقم/١٧١٦ . وصححه الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش ص/٤٥ .

(٢) عبد الرحمن بن أبي حاتم بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي أخذ العلم عن أبيه وأبي زرعة ، وكان بحرا في العلم ومعرفة الرجال ، ثقة حافظ زاهد ، من مصنفاته : « الجرح والتعديل » و « كتاب التفسير » و « الرد على الجهمية » توفي سنة ٣٢٧هـ انظر : تذكرة الحفاظ ٨٧٢/٣وطبقات الحنابلة ٥٥/٢ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ٦٢/١ .

(٤) أبوزرعة عبيد الله بن عبدالكريم القرشي مولاهم الرازي الإمام الحافظ الثقة ، جالس الإمام أحمد بن حنبل توفي سنة ٢٦٤هـ انظر : تاريخ بغداد ٣٢٦/١٠وتذكرة الحفاظ ٥٥٧/١ .

(٥) رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة ١٧٦/١رقم/٣٢١وذكره شيخ الإسلام في درء تعارض العقل ٢٥٧/٦والإمام ابن القيم في الصواعق المرسلة ٢٩٠/٤واجتماع الجيوش الإسلامية ص/٩١والإمام الذهبي في العلو ص/٢٠٤ .

لا يخلو منه مكان »[١]. وذكر الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني رحمه الله تعالى أنَّ الله عز وجل استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولاتأويل ، وأنه عز وجل بائن من خلقه والخلق بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط لأنه الفرد البائن البائن من الخلق الواحد الغني الواحد الغني عن الخلق جل وعلا[٢].

والقول بأنَّ الله تعالى على عرشه بائن من خلقه ، وأنه تعالى معهم بعلمه لا بذاته محل إجماع بين أهل السنة والجماعة ، وقد ذكر هذا الإجماع إسحاق بن راهويه[٣]وابن عبد البر[٤]، وأبو عمرو الطلمنكي[٥].[٦].

وذكر شيخ الإسلام أنَّ الذين نقلوا إجماع أهل السنة على أنَّ الله فوق العرش بائن من خلقه لا يحصيهم إلا الله تعالى ، وما من أحد منهم إلا وله شهرة في الإسلام بالعلم والدين ، وإنْ كان بعضهم أفضل من بعض ، وفي شيء دون شيء ومازال علماء السلف يثبتون المباينة ويردون قول الجهمية بنفيها[٧].

وقد ناقش سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان الجهمية الحلولية المشبهة الذين استدلوا بنصوص المعية ، وبينوا بطلان استدلالهم بذلك ، ومخالفتهم لصحيح

---

(١) رواه الإمام الآجري في الشريعة ص/٨٢٩وذكره الإمام الذهبي في العلو ص/١٣٨ .

(٢) ذكره الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/١٠٨والإمام لذهبي في العلو ص/ ٢٤٣-٢٤٤ .

(٣) ذكره شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المطبوع » ٢/١٧١-١٦٢والإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٨٨ نقلاعن كتاب السنة للخلال ، وقد بحثت عنه في المطبوع فلم أجده . !

(٤) انظركتابه : التمهيد ٧/١٢٩وذكره شيخ الإسلام في الفتوى الحموية الكبرى ص/٥١ .

(٥) تقدمت ترجمته انظر : ١/٤٨٥ .

(٦) ذكره شيخ الإسلام في كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥/٥١٩ .

(٧) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ٢/٥٣١ .

المنقول وصريح المعقول ، وأنَّ الأدلة التي استدلوا بها دليل عليهم لالهم ، ومن هؤلاء الأئمة الذين ناقشوا الحلولية المشبهة الإمام أحمد رحمه الله ومما ذكره في ذلك أنهم قالوا : إنَّ الله معنا وفينا ، فقلنا : الله جل ثناؤه يقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [المجادلة : ٧] ثم قال : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ يعني : الله بعلمه . ﴿ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ ﴾ يعني : الله بعلمه . ﴿ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ يعني : بعلمه فيهم . ﴿ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٧] يفتتح الخبر بعلمه ويختتم الخبر بعلمه(١).

فبين رحمه الله أنَّ المعية في الآية إنما هي العلم ، وأنَّ استدلال الجهمية الحلولية بها للدلالة على أنَّ الله معهم وفيهم باطل ، ولو ذكروا أول الآية وآخرها وتأملوا في ذلك لعلموا بطلان استدلالهم حيث أُفتتحت الآية بالعلم وختمت كذلك بالعلم ولكن هؤلاء المبتدعة حذفوا ذلك للدلالة على مقالتهم الباطلة ، وهكذا يفعل أهل الأهواء إنْ استدلوا بصحيح المنقول يذكرون منه ما يزعمون أنه دليل لهم !!

وذكر الإمام أحمد رحمه الله دليلا عقليا تُدحض به مقالة الجهمية الحلولية فقال : « إذا أردت أنْ تعلم أنَّ الجهمي كاذب على الله حين زعم أنَّ الله في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان ، فقل ـ له ـ أليس الله كان ولا شيء ، فيقول : نعم . فقل له : حين خلق الشيء خلقه في نفسه أوخارجا من نفسه ، فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال لابد له من واحد منها . إنْ زعم أنَّ الله خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أنَّ الجن والإنس والشياطين في نفسه وإن قال : خلقهم خارجا من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا كفرا أيضًا حين زعم أنه دخل في مكان وحش قذر رديء .

---

(١) انظر : الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص/٥٠ .

وإنْ قال : خلقهم خارجا من نفسه ثم لم يدخل فيهم ، رجع عن قوله أجمع وهو قول أهل السنة »[١].

ومما ذكره الإمام أحمد رحمه الله في إبطال دعوى الحلولية إنَّ الله في كل مكان وإثبات علو الله سبحانه على خلقه ، وإثبات عموم علمه لخلقه مع مباينته لهم على أساس أنه سبحانه وتعالى له المثل الأعلى قوله : « ووجدنا كل شيء أسفل منه مذموما يقول الله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا ٱللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾[٢] [فصلت : ٢٩] .

وقد علق شيخ الإسلام رحمه الله على حجة الإمام أحمد على الحلولية الجهمية مبينا لها بقوله : « وهذه الحجة من باب « قياس الأولى » وهو أنَّ السفل مذموم في المخلوق حيث جعل أعداءه في أسفل السافلين ، وذلك مستقر في فطرالعباد ، حتى إنَّ أتباع المضلين طلبوا أنْ يجعلوهم تحت أقدامهم ليكونوا من الأسفلين ، وإذا كان هذا مما ينزه عنه المخلوق ويوصف به المذموم المعيب من المخلوق ، فالرب تعالى أحق أنْ ينزه ويقدس عن أنْ يكون في السفل أويكون موصوفا بالسفل هوأوشيء منه أو يدخل ذلك في صفاته بوجه من الوجوه ، بل هو العلي الأعلى بكل وجه »[٣].

ومن الحجج العقلية التي إحتج بها الإمام أحمد رحمه الله لإبطال مقالة الحلولية الجهمية ، وإثبات مباينة الله لخلقه ، وإحاطته بعلمه قوله : « ... وخصلة أخرى : لو أنَّ رجلا بنى دارًا بجميع مرافقها ثم أغلق بابها وخرج منها كان ابن آدم لايخفى

---

(١) المرجع نفسه ص/٥٠-٥١ .

(٢) المرجع نفسه ص/٤٩ .

(٣) نقض التأسيس « المطبوع » ٥٤٣/٢ .

عليه كم بيت في داره ، وكم سعة كل بيت ، من غير أنْ يكون صاحب الدار في جوف الدار ، فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه ، وعلم كيف هو وما هو من غير أن يكون في شيء مما خلق »[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله موضحا ما قرره الإمام أحمد من مباينة الله لخلقه وعلوه عليهم وبطلان مقالة الحلولية : « وهذا أيضا قياس من قياس الأولى قرر به إمكان العلم بدون المخالطة ، فذكر أنَّ العبد إذا فعل مصنوعاكدار بناها فإنه يعلم مقدارها وعدد بيوتها مع كونه ليس هو فيها لكونه هو بناها ، فالله الذي خلق كل شيء أَليس هو أحق بأنْ يعلم مخلوقاته ومقاديرها وصفاتها ، وإنْ لم يكن هو محايثا لها ، وهذا من أبين الأدلة العقلية »[٢].

وبين الإمام الدارمي رحمه الله أنَّ آيات المعية التي يستدل بها الجهمية دليل لأهل السنة عليهم لالهم وأنَّ قول الله عز وجل : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧] إنما يعني بها الله عز وجل أنه حاضر كل نجوى ، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه ، لأنَّ علمه بهم محيط ، وبصره فيهم نافذ ، لايحجبه شيء عن علمه وبصره ولايتوارون منه بشئ ، وهو بكماله عز وجل فوق العرش بائن من خلقه ، يعلم السر وأخفى أقرب إلى أحدهم من فوق العرش من حبل الوريد ، قادر على أنْ يكون له ذلك ، لأنه لايبعد عنه شيء ، ولاتخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض ، فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم ، لأنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتم[٣]، وكذلك فسرته العلماء .

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية ص/٥٠ .

(٢) نقض التأسيس « المطبوع » ٥٤٧/٢ .

(٣) أي : الجهمية الحلولية .

فقال بعضهم[١] دعونا من تفسير العلماء ، إنما احتججنا بكتاب الله ، فأتوا بكتاب الله ! قلنا : نعم هذا الذي احتججتم هو به حق ، كما قال الله ، وبها نقول على المعنى الذي ذكرنا ، غيرأنكم جهلتم معناها ، فضللتم عن سواء السبيل وتعلقتم بوسط الآية ، وأغفلتم فاتحتها وخاتمتها ، لأنَّ الله عز وجل افتتح الآية بالعلم بهم ، وختمها به فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ - إلى قوله - ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٧] ففي هذه الآية دليل على أنه تعالى أراد العلم بهم وبأعمالهم ، لا أنه نفسه في كل مكان كما زعمتم ، فهذه حجة بالغة لو عقلتم ، وأخرى أنَّا لما سمعنا قول الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] وقوله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠] وقوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] وما أشبهها من القرآن آمنَّا به ، وعلمنا يقينا بلا شك أنَّ الله فوق عرشه فوق سمواته كما وصف نفسه ، بائن من خلقه .

وكذلك قوله لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه : ٤٦] من فوق العرش . فهل من حجة أشفى وأبلغ مما احتججنا به عليكم من كتاب الله عز وجل ؟[٢].

فبين رحمه الله أنَّ نصوص المعية التي استدل بها الجهمية الحلولية دليل عليهم لالهم ، وأنَّ منها ماهو مفتتح بالعلم ومختتم به ، مما يدل على أنَّ المراد بها معية الله بعلمه ومنها ماذُكر معها مايُفسرها كقول الله تعالى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾

---

(١) يعني : بعض الجهمية الحلولية الذين يحتجون بنصوص المعية للدلالة على أنَّ الله كما يزعمون معهم وفيهم . !

(٢) انظر : الرد على الجهمية للإمام الدارمي ص/١٩-٢٠ .

أي : بالسمع والرؤية ، أسمع أقوالكما وأراكما فأنصركما وأحفظكما ، مع أنَّ كل عاقل تالٍ لكتاب الله لو قرأ نصوص الاستواء والعلو والفوقية لتبين له أنَّ الله بائن من خلقه مستوٍ على عرشه كما ذكرسبحانه ليس كمثله شيء !

وقد عقد الإمام الآجري[١]رحمه الله بابا عنون له بقوله : « باب التحذير من مذاهب الحلولية » ومما ذكره في ذلك محذرا من مذهب الحلولية الكفري ، ومبطلا لطريقة استدلالهم على ذلك بنصوص المعية قوله : « أما بعد : فإني أحذر إخواني المؤمنين مذاهب الحلولية الذين لعب بهم الشيطان ، فخرجوا بسوء مذهبهم عن طريق أهل العلم ، إلى مذاهب قبيحة لا تكون إلا في كل مفتون هالك ، زعموا أنَّ الله عز وجل حال في كل شيء ، حتى أخرجهم سوء مذهبهم إلى أنْ تكلموا في الله عز وجل ، بما تنكره العلماء العقلاء ، لا يُوافق قولهم كتاب ولاسنة ، ولاقول الصحابة رضي الله عنهم ، ولا قول أئمة المسلمين ، وإني لأستوحش أنْ أذكر قبيح أفعالهم[٢]تنزيها مني لجلال الله الكريم وعظمته ، كما قال عبد الله بن المبارك رحمه الله : « إنَّا لنستطيع أنْ نحكي كلام اليهود والنصارى ، ولانستطيع أنْ نحكي كلام الجهمية ... »[٣].

ثم ذكر رحمه الله شبها تهم على مقالتهم الكفرية ، واستدلالهم بنصوص المعية على ذلك ، وكيف أنهم فسروها على ماتهواه أنفسهم فضلوا وأضلوا ، لأنَّ من سمعهم ممن جهل العلم ظن أنَّ القول كما قالوا ، وليس هو كما تأولوها عند أهل

---

(١) أبوبكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري نسبة إلى آجر من قرى بغداد ، الإمام الفقيه المحدث الحافظ الثقة من مصنفات : « الشريعة » و « آداب العلماء » توفي سنة ٣٦٠هـ انظر : وفيات الأعيان ٢٩٢/٤ومعجم المؤلفين ٢٣٤/٩ .

(٢) لعلها أقوالهم .

(٣) تقدم عزوه بلفظ « إنا نستجيز أنْ نحكي . . . » انظر : ٥٧/٢ .

العلم ، بل الذي عليه أهل العلم : أنَّ الله عز وجل على عرشه فوق سمواته ، وعلمه محيط بهم ، وأنَّ الآيات التي استدل بها هؤلاء المبتدعة ، إنما هي : علمه عز وجل والله عز وجل على عرشه ، وعلمه محيط بهم وبكل شيء من خلقه ، كذا فسرها أهل العلم .

سُئل سفيان الثوري رحمه الله عن قول الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ قال : « بعلمه »[١].

وَرُوي عن الضحاك[٢] رحمه الله أنه قال في قول الله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ قال : « هوعلى العرش ، وعلمه معهم »[٣].

وفي كتاب الله عز وجل آيات كثيرة تدل على أنَّ الله عز وجل في السماء على عرشه بائن من خلقه ، وعلمه محيط بجميع خلقه كقول الله تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠] وقول الله عز وجل : ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[٤] [الطلاق : ١٢] .

وكذلك استدلال الجهمية الحلولية بقول الله تعالى : ﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض ﴾ على مقالتهم إنَّ الله على زعمهم معهم وفيهم ، وأنه في كل مكان باطل ، ومعنى الآية كما ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله أنه تعالى المدعو في السموات وفي الأرض ، أي : يعبده ويوحده ويقر له بالألوهية من في السموات

---

(١) انظر : الشريعة للآجري ص/٢٨٧-٢٨٨ .

(٢) أبو عاصم الضحاك بن محمد بن مخلد بن مسلم الشيباني البصري قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة ثبت » وكان يلقب بالنبيل لنبله وعقله . توفي سنة ٢١٢هـ انظر : تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٦وتقريب التهذيب ١/٣٧٣ .

(٣) رواه الآجري في الشريعة ص/٢٨٩ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ص/٢٨٨-٢٨٩ .

ومن في الأرض ويسمونه الله ويدعونه رغبا ورهبا إلا من كفر من الجن والإنس ، وهي كقول الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف : ٨٤] أي : إله من في السماء وإله من في الأرض(١).

قال الإمام أحمد رحمه الله في الآية السابقة : « هو إله مَن في السموات وإله من في الأرض ، وهو على العرش وقد أحاط علمه بما دون العرش ولا يخلو من علم الله مكان »(٢).

وذكر الإمام ابن قتيبة رحمه الله أنَّ مثل ذلك أنْ يُقال : هو بخراسان أمير وبمصر أمير ، فالإمارة تجتمع له فيهما وهو حال بأحدهما أو بغيرهما وهذا واضح لا يخفى(٣).

فالله عز وجل إله من في السموات ومن في الأرض وهو على عرشه بائن من خلقه لا يخفى عليه من أمر خلقه شيء ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله قول الجنيد(٤)عندما سُئل عن التوحيد ما هو فأجاب هو : « إفراد الحدوث عن القدم »(٥).

قال شيخ الإسلام : « فبين أنه لابُدَّ للموحد من التمييز بين القديم الخالق والمُحدث المخلوق ، فلا يخلط أحدهما بالآخر ... وكثير من الحلولية والإباحية ينكر

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير٢/١٢٧-١٢٨ .

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية ص/٤٩ .

(٣) انظر : تأويل مختلف الحديث ص/٢٤١ .

(٤) أبوالقاسم الجنيد بن محمد النهاوندي ، يعرف بشيخ الطائفة الصوفية ، كان فقيها على مذهب أبي ثور ، وكان يفتي في حلقته ، صحب خاله السري ، والحارث المحاسبي ومحمد القصاب ، توفي سنة ٢٩٧هـ انظر : الرسالة القشرية ص/٤٣٠وسير أعلام النبلاء ١٤/٦٦ .

(٥) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥/١٢٦ .

على الجنيد وأمثاله من شيوخ أهل المعرفة المتبعين للكتاب والسنة ما قالوه من نفي الحلول ، وما قالوه في إثبات الأمر والنهي ، ويرى أنهم لم يكملوا معرفة الحقيقة كما كملها هو وأمثاله من الحلولية والإباحية ... ـ أما ـ سلف الأمة وأئمتها أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة فإنهم أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة من غير تحريف للكلم عن مواضعه أثبتوا أنَّ الله فوق سمواته على عرشه ، بائن من خلقه ، وهم بائنون منه ، وهو أيضا مع العباد عموما بعلمه ، ومع أنبيائه بالنصر والتأييد والكفاية وهو أيضا قريب مجيب ففي آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم ... »[1].

وذكر رحمه الله أنَّ النصوص تهدي القلوب وتشفيها عن أنْ يُفهم من قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ أنه في المخلوق كما يزعم الجهمية الاتحادية والحلولية ، وليس ظاهر قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ أنه تعالى في المخلوق ، ولاأنه مختلط بهم ، ونحو ذلك من المعاني الفاسدة ، لأنَّ لفظ « مع » قد أُستعمل في القرآن في مواضع كثيرة ، وفي سائر الكلام ولاُيوجب في عامة موارده أنْ يكون الأول في الثاني ، ولا مختلطا به .

فقد أُستعمل في حق المخلوق مع المخلوق كقول الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] وقول الله عز وجل عن المنافقين : ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ [الحديد : ١٤] وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي ذكر الله فيها أنَّ المخلوق يكون مع المخلوق ، ولم يُوجب ذلك أنْ يكون الأول في الثاني ، ولاذاته مختلطة ممتزجة بذاته أصلا ، فكيف إذا وصف الرب نفسه بأنه مع عباده عموما وخصوصا أنْ يُقال : إنَّ ذاته معهم أوممتزجة بهم ، والله عز وجل إذا قال : إنه مع خلقه فمن لوازم ذلك علمه بهم وتدبيره وقدرته عليهم ، فإذا كان مع بعضهم خصوصا كان في سياق النصوص مايبين أنه ناصر لهم ومعين لهم .

---

(١) كتاب الأسماء والصفات ضمن المرجع نفسه ١٢٦/٥ .

ولهذا جاءت المعية في كتاب الله عامة وخاصة : فالعامة كقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] فأخبر تعالى أنه مستوٍ على عرشه ، وهو مع ذلك مع عباده بعلمه .

ومعية خاصة كقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] وقوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] . فالمعية في هذه الآية وغيرها معية النصر والتأييد والحفظ ، ومن تدبر القرآن علم بالاضطرار أنَّ كونه معهم ليست ذاته فيهم ، ولا أنه مختلط بهم ، ومن ادَّعى أنَّ هذا ظاهر القرآن فقد افترى على اللغة عموما وعلى القرآن خصوصا(١).

وكل من قال إنَّ الله بذاته في كل مكان ، واستدل على ذلك بنصوص المعية ، وفهم منها هذا الفهم الفاسد ، فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها مع مخالفته ما فطر الله عليه عباده ، كما خالف العقل الصريح(٢).

فتفسير معية الله تعالى لخلقه بما يقتضي الحلول والاختلاط كما بين الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله باطل من وجوه :

الأول : إنه مخالف لإجماع السلف فما فسرها أحد منهم بذلك بل كانوا مجمعين على إنكاره .

الثاني : إنه مخالف لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف ، وما كان منافيا لما ثبت بالدليل كان باطلا بما ثبت به ذلك المنافي ،

---

(١) انظر : نقض التأسيس « المخطوط » ٣/٥٣-٥٧ .

(٢) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥/١٣٠ .

وعلى هذا فيكون تفسير معية الله لخلقه بالحلول والاختلاط باطل بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف .

الثالث : إنه مستلزم للوازم باطلة لاتليق بالله سبحانه وتعالى ولايمكن لمن عرف الله تعالى ، وقدره حق قدره وعرف مدلول المعية في اللغة التي نزل بها القرآن أنْ يقول : إنَّ حقيقة معية الله لخلقه أنْ يكون مختلطا بهم أو حالا في أمكنتهم ولا يقول بذلك إلا جاهل .

فإذا تبين بطلان ذلك تعين أنْ يكون الحق أنَّ الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أنْ يكون محيطا بهم علما وقدرة وسمعا وبصرا ، ونصرا وتأييدا وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته تعالى مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه علوا يليق بجلاله وعظمته[1].

فَعُلم مما تقدم بطلان استدلال الحلولية المشبهة بآيات المعية لتقرير مقالتهم إنَّ الله معهم وفيهم ، وأنهم أصحاب هوى يأخذون من النصوص ما يظنونه موافقا لاعتقادهم الفاسد ، كما عُلم موقف أهل السنة منهم ، حيث أنكروا مقالاتهم وبينوا فساد استدلالهم وبطلانه ، وَكُفْرِهم بما قالوا على الله عز وجل بالكذب والظن ، ووضحوا أنَّ المعية التي وردت في الآيات إنما المراد بها معية العلم والنصر والتأييد ، وأنَّ الله عز وجل على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته ، بائن من خلقه لايخفى عليه عز وجل من أمر خلقه شيء لا شبيه له ولا مثيل ولا نظير ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

○○○○

(١) انظر كتابه : القواعد المثلى ص/٥٩ .

المطلب الثاني

ذكر بعض الأحاديث الموضوعة التي استدل بها المشبهة وموقف أهل السنة منها

وقد استدل المشبهة لتقرير مقالتهم في التشبيه كقولهم : إنَّ الله يُرى في الدنيا بالأبصار في الأرض ، وأنه يُعانق المشاة ، ويُصافح الركبان ، ويركب جملا أورقا ويلبس جبة صوف يمشي بها بين الناس(١)، استدلوا لتقرير هذه المقالات الفاسدة وغيرهاوالتي يجب تنزيه الباري عز وجل عنها بأحاديث مكذوبة وضعوها ونسبوها إلى الرسول ﷺ ، ومن تلك الأحاديث حديث نزول الله تعالى عشية عرفة إلى الموقف على جمل أورق يُصافح الركبان ويُعانق المشاة(٢). ومنها قولهم إنَّ رسول الله ﷺ رأى ربه حين أفاض من مزدلفة يمشي أمام الحجيج وعليه جبة صوف(٣). ومنها قولهم إنَّ الرسول ﷺ رأى ربه في الطائف ، أوفي بعض سكك المدينة(٤)!

---

(١) انظر : مقالات الإسلاميين ٢٨٧/١والملل والنحل ١٠٥/١ونقض المنطق ص/١١٩وضمن مجموع الفتاوى١٤٥/٤والوصية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢٨٦/١-٢٨٧ .

(٢) حديث موضوع ذكر شيخ الإسلام أنه من أعظم الكذب على الله تعالى ورسوله « ، وقائله من أعظم القائلين على الله غير الحق ، وقد أجمع علماء المسلمين وأهل المعرفة بالحديث على أنه مكذوب على الرسول « انظر : الوصية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١٨٦/١وراجع : الموضوعات لابن الجوزي ١٨٠/١ وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبارالشنيعة الموضوعة للكتاني ١٣٨/١-١٣٩ .

(٣) حديث موضوع ذكر شيخ الإسلام أنه بهتان وا فتراء على الله ، لايقوله من عرف الله تعالى ورسوله « . انظر : الوصية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢٨٦/١ .

(٤) حديث موضوع ذكر شيخ الإسلام أنَّ كل حديث فيه أنَّ محمدا « رأى ربه بعينه كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم . انظر : المرجع السابق ٢٨٧/١ .

وكذلك كما زعموا حديثا فيه : إنَّ الله يمشي على الأرض . فإذا كان موضع خضرة قالوا : هذا موضع قدميه ، ويقرؤون قوله تعالى : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[1][الروم : ٥٠] إلى غيرذلك من الأحاديث الموضوعة التي يرويها كما ذكر شيخ الإسلام كثير من غالية المشبهة[2]!

وقد أنكرأهل السنة هذه الأحاديث وبينوا كذب أصحابها وافتراءهم على الله ورسوله ، ومناقضتها للنصوص الواردة في إثبات علوالله تعالى ، واستوائه على عرشه ، ونزهوا الله تعالى عما تضمنته من سمات المخلوقين لأنَّ من يُصافح ويعانق ويركب على جمل أورق ويلبس جبة صوف ويمشي بين الناس في الشوارع والسكك إنما هوإنسان مخلوق محدث ، والله منزه عن الاتصاف بما يختص به المخلوقين من الصفات ، لأنه تعالى لا مثيل له ولا نظير ولا كفو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

ومما يُوضح موقف أهل السنة من هذه الأحايث مايلي :

١ ـ إنَّ هذه الأحاديث مكذوبة على الرسول ﷺ باتفاق أهل العلم[3]، وأنها كما بين شيخ الإسلام رحمه الله أحاديث زائدة على الأحاديث التي في دواوين

---

(١) حديث موضوع ذكر شيخ الإسلام أنَّ هذا كذب باتفاق العلماء ، ولم يقل الله فانظر إلى آثارخطىالله . وإنما قال : آثاررحمة الله . ورحمته هنا النبات . انظر : المرجع السابق ٢٨٦/١ .

(٢) انظر : نقض المنطق ص/١١٤وضمن مجموع الفتاوى ١٤٥/٤والوصية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢٨٦/١-٢٨٧ومنهاج السنة ٣١٦/٢و٥٢٨-٥٢٩و٦١٣والجواب الصحيح ٣/ ١٧١ .

(٣) انظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص/٣٨و نقض المنطق ص/١١٩وضمن مجموع الفتاوى١٤٥/٤والوصية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢٨٦/١-٢٨٧و درء تعاض العقل ١٤٩/١والصواعق المرسلة ٨٣٠/٣- ٨٣١ .

الإسلام ، لا يجوز لأحد أنْ يُدخلها في الأدلة الشرعية ، لأنها معلومة باليقين القاطع أنها كذب وبهتان ، بل كفر شنيع(١).

وذكر رحمه الله أنه قد رأى من هذه الأحاديث الموضوعة أمورا من أعظم المنكرات والكفران ، وأحضرله غير واحد من الناس من الأجزاء والكتب ما فيه من ذلك مما هومن الافتراء على الله وعلى رسوله ﷺ ، وقدوُضع لهذه الأحاديث أسانيد مع أنها من أعظم المنكرات والكفر(٢).

وكل حديث فيه أنَّ محمدا ﷺ رأى ربه بعينه في الأرض فهو كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم ، وهو شيء لم يقله أحد من علماء المسلمين ولا رآه أحد منهم(٣).

وأهل السنة متفقون على أنَّ الله لايُرى في الدنيا ، ولم يره أحد بعينه مطلقا ، ويردون بالكتاب والسنة على من يقول : إنَّ الله يُرى في الدنيا ، مثل استدلالهم بقول الله تعالى لموسى عليه السلام حينما طلب رؤيته تعالى فقال له : ﴿ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] فموسى عليه السلام مُنع منها في دارالدنيا ، لأنَّ قوته لا تتحمل رؤيته تعالى في هذه الدار ، لضعف قوى البشر عن رؤيته فيها فإذا مُنع منها موسى عليه السلام وهو كليم الله فمن دونه أولى بالمنع(٤).

---

(١) انظر : الوصية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢٨٦/١ .

(٢) انظر : نقض المنطق ص/١١٩وضمن مجموع الفتاوى ١٤٥/٤ .

(٣) انظر : الوصية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢٨٦/١-٢٨٧ .

(٤) انظر : منهاج السنة٦١٣/٢وشرح العقيدة الطحاوية ص/٢٠٧ .

ويستدلون بقول النبي ﷺ : « ... تعلمون أنه لن يرى أحد ربه عز وجل حتى يموت »[١].

وبطرق عقلية كبيانهم عجز الأبصار في الدنيا عن رؤية الله عز وجل[٢]، وكبيانهم : إذا كان الجبل الذي تجلى فيه الباري حين طلب رؤية الله عز وجل صار دكا ولم يستقر ولم يثبت للتجلي مع قوته وصلابته في هذه الدار ، فكيف بالبشر الذي خُلق من ضعف[٣].

ذكر القاضي عياض[٤]رحمه الله أنَّ رؤية الله تعالى في ذاتها غيرممتنعة لكن في الدنيا ممتنعة لتركيب أهل الدنيا وقواهم ، فإذا كانوا في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قُوىً ثابتة تقووا بها على الرؤية[٥].

فأهل السنة متفقون على أنَّ أحدا لن يرى ربه في الدنيا ، وإنما الخلاف في هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة المعراج ؟

فكانت عائشة رضي الله عنها وطائفة من الصحابة معها تنكر ذلك ، فَرُوِي عنها أنها قالت لمسروق رحمه الله حين سألها هل رأى محمد ربه ؟

فقالت : لقد قَفَّ[٦]شعري مما قلت ثم قالت : « من حدثك أنَّ محمدا رأى ربه

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم بلفظ « تعلمون » في كتاب الفتن وأشراط الساعة ٤/ ٢٢٤٥ح١٦٩عن عمر بن ثابت عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ .

(٢) انظر : منهاج السنة ٦١٣/٢ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص/٢٠٧ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ٦٤/١ .

(٥) انظر كتابه : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١٩٦/١ .

(٦) قَفَّ في اللغة أي : اجتمع وتقبض . والمراد بذلك كما ذكر الحافظ ابن حجر أي : قام من الفزع ، لما حصل عندها من هيبة الله تعالى ، واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك . انظر : =

فقد كذب »[١].

وذهب بعض الصحابة ومنهم عبد الله ابن عباس رضي الله عنه إلى أنَّ محمدا ﷺ رأى ربه . فَرُوِي عنه أنه قال : « أتعجبون أنْ تكون الخلة لإبراهيم عليه السلام والكلام لموسى عليه السلام ، والرؤية لمحمد ﷺ »[٢].

وعن عطاء[٣] رحمه الله أنَّ ابن عباس رضي الله عنه قال : « رآه بقلبه »[٤] وعن أبي العالية[٥] رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنه في قول الله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ [النجم : ١١] وقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٣] قال : رآه بفؤاده مرتين[٦].

لكن الذي رآه النبي ﷺ مرة أخرى هو جبريل عليه السلام كما ذكرت عائشة رضي الله عنها حين سألها مسروق بقوله : فأين قوله تعالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ٨ - ١٠] فقالت : « إنما ذاك

= فتح الباري ٤٧٣/٨ ومعجم مقاييس اللغة ١٥/٥ مادة « قَفَّ » .

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير ٤٧٢/٨ ح ٤٨٥٥ ومسلم في كتاب الإيمان ١٦٠/١ ح ٢٨٩ .

(٢) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ١٩٢/١ رقم/٤٤٢ وقال محققه الشيخ الألباني : « صحيح الإسناد على شرط البخاري » . ورواه النسائي انظر : تفسير النسائي ٣٤٨/٢ رقم/٥٥٩ ورواه الحاكم في المستدرك ٣٠٩/٢ وقال : « صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه » .

(٣) عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم المكي ، سيد التابعين علما وعملا وإتقانا في زمانه بمكة أخذ عنه الإمام أبو حنيفة وقال : « ما رأيت مثله » وقال عنه الإمام الذهبي : « وكان حجة كبير الشأن » توفي سنة ١١٤هـ انظر : ميزان الاعتدال ٧٠/٣ وتقريب التهذيب ١/ ٦٧٤-٦٧٥ والأعلام ٢٣٥/٤ .

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان ٢٥٨/١ ح ٢٨٤ .

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) رواه مسلم في كتاب الإيمان ٢٥٨/١ ح ٢٨٥ .

جبريل عليه السلام ، كان يأتيه في صورة الرجال ، وإنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته ، فَسَدَّ أفق السماء »[١].

وعلى هذا فلا خلاف بين الصحابة في ذلك لأنَّ ابن عباس رضي الله عنه إنما أطلق الرؤية فقال : « والرؤية لمحمد » فيجب كما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله حمل[٢]ماروي عن ابن عباس مطلقًا على ماروي عنه مقيدًا وهو قوله « رآه بفؤاده » وأصرح من هذا ماروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « لم يره رسول الله ﷺ بعينه ، إنما رآه بقلبه »[٣].

وعلى هذا فيمكن الجمع ين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأنْ يُحمل نفيها على رؤية البصر ، وإثباته على رؤية القلب . وقد صرح الرسول ﷺ بأنه لم يرَ ربه ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : « سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ، فقال : « نور أنَّى أراه »[٤]. وفي رواية : « رأيت نورا »[٥].

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله : « معنى قوله ـ ﷺ ـ لأبي ذر : « رأيت نورا » أنه رأى الحجاب[٦]، ومعنى قوله ﷺ : « نور أنى أراه » النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته فأنى أراه أي : فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان١/١٦٠ح٢٩٠ .

(٢) انظر كتابه : فتح الباري ٤٧٨/٨ .

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر انظر : المرجع نفسه ٤٧٨/٨ .

(٤) في كتاب الإيمان ١٦١/١ح٢٩١ .

(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان ١٦١/١ح٢٩٢ .

(٦) ورد في ذلك حديث أبي موسى الأشعري وفيه : « « حجابه « النور » وفي رواية« « النار » لوكشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » » رواه مسلم في كتاب الإيمان ١٦١/١-١٦٢ح٢٩٣ .

من رؤيته ، فهذا صريح في نفي الرؤية ـ في الدنيا ـ والله أعلم »[١].

وإذا كان الرسول ﷺ لم يرربه في الدنيا فغيره من باب أولى ، وكل حديث كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ النبي ﷺ رأى ربه بعينه في الأرض ، أو أنه نزل له في الأرض ، أوأنَّ رياض الجنة من خطوات الحق كذب باتفاق علماء المسلمين من أهل الحديث وغيرهم ، وقائل ذلك كافر عند أئمة المسلمين[٢].

وكل من ادَّعى أنه رأى ربه بعينه قبل الموت فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة ، لأنهم قد اتفقوا جميعهم على أنَّ أحدا من المؤمنين لايرى ربه بعيني رأسه حتى يموت ، ومن يقول : إنه رأى ربه بعينه ، ويزعم أنه جالسه وحادثه وغير ذلك من المقالات الفاسدة التي يقول بها غلاة المجسمة وغيرهم يكفرهم أئمة المسلمين وجمهورهم ، ويستتابون فإنْ تابوا ، وإلا ضربت أعناقهم[٣].

٢ ـ إنَّ الأحاديث الموضوعة التي استدل بها المشبهة للدلالة على أنَّ الله ينزل إلى الأرض كما يزعمون معارضة بصحيح المنقول ، وصريح المعقول ، والفطر المستقيمة .

أ ـ أما معارضتها لصحيح المنقول فإنَّ الله تعالى وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بأنه عالٍ على خلقه مستو على عرشه ، ومن النصوص الدالة على ذلك ما ذكره الله تعالى في سبعة مواضع من القرآن الكريم بأنه تعالى مستو على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته ، ومنها قول الله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥][٤].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص/٢١٤ .

(٢) انظر : الوصية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢٨٩/١والجواب الصحيح ١٧١/٣ .

(٣) انظر : الوصية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ٢٩٣/١والجواب الصحيح ١٧١/٣ .

(٤) انظر بقية آيات الاستواء في سورة [الأعراف : ٥] و [يونس : ٣] و [الرعد : ٢] و [الفرقان : ٥٩] و [السجدة : ٤] و [الحديد : ٤] .

وقد أخبر الله عز وجل بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها إليه كقول الله تعالى لعبده ورسوله عيسى عليه السلام : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] وكقوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤] وكقوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠] .

ومن السنة قول الرسول ﷺ في خطبته يوم عرفة : « ألا هل بلغت ، فقالوا : نعم . فجعل ﷺ يرفع إصبعه وينكتها إليهم ، ويقول : اللهم أشهد »(١).

فهذا الحديث من أعظم الأحاديث الدالة على علو الله على خلقه ، واستوائه على عرشه ، حيث أشار الرسول ﷺ بأصبعه الكريمة إلى السماء رافعا لها إلى من فوقها وفوق كل شيء قائلا : « اللهم أشهد » فشهد بذلك كل من حضر ذلك الموقف العظيم من أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين .

فمقالة المشبهة : « إنَّ الله ينزل يوم عرفة على جمل أورق يعانق المشاة ويصافح الركبان » من أعظم الإفتراء والبهتان والتقول على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ .

وقول الرسول ﷺ للجارية : « أين الله ، قالت : في السماء . قال : من أنا . قالت : أنت رسول الله . قال : اعتقها فإنها مؤمنة »(٢).

أ ـ أما مخالفتها لصريح المعقول فإنه قد ثبت بالعقل الصريح الموافق للنقل الصحيح أنَّ الأمرين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص فإنَّ الله يُوصف بالكمال منهما دون النقص ، فلما تقابل الموت والحياة وُصف بالحياة دون الموت ، ولما تقابل العلم والجهل وُصف بالعلم دون الجهل ، ولما تقابل المباينة للعالم والمداخلة له وُصف بالمباينة دون المداخلة ، وإذا كان مُباينا للعالم كان من لوازم

---

(١) جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم في كتاب الحج ٢/٢٨٦ح١٤٧ . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٢) جزء من حديث رواه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١/٣٨١ح٣٣ .

مباينته عز وجل أنْ يكون فوق العالم[١].

ذكر الإمام أبو حنيفة رحمه الله في معرض إجابته عن سؤالٍ وُجه إليه في حكم من أنكر استواء الله على عرشه ، أو أقر بذلك لكنه ادَّعى عدم معرفته لمكان العرش أفي السماء هو أم في الأرض ؟

فأجاب رحمه الله : بأنه كافر لأن الله يقول : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ وعرشه فوق سبع سمواته . فسئل رحمه الله فإن قال : إنه على العرش ولكن يقول : لا أدرى العرش في السماء أم في الأرض ، قال : كافر لأنه أنكر أنه في السماء ومن أنكر ذلك فقد كفر . وذكر أن الله في أعلى عليين وهو يُدعى من أعلى لامن أسفل .[٢]!

فإجابة الإمام أبي حنيفة رحمه الله تضمنت حكم من ينفي علو الله تعالى بأنه كافر ، فكذلك من يقول إنَّ الله ينزل إلى الأرض ويمشي بين الناس فهو كافر لوصفه الله تعالى بالسفول الذي هو ضد العلو ، وتشبيهه بخلقه ، ومن شبه الله تعالى بخلقه فقد كفر .

وتضمن قوله « وهو يُدعى من أعلى لا من أسفل » كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله حجة فطرية عقلية ، فإنَّ القلوب مفطورة على الإقرار بأنَّ الله عز وجل في العلو ، وعلى أنه يُدْعى من أعلى لا من أسفل[٣].

فالفطر السليمة تقر بأنَّ الله سبحانه وتعالى في العلو وتنكر أنْ يكون في السفل ، وأنْ ينزل إلى الأرض لأنَّ ذلك من صفات المخلوقين والله منزه عن ذلك ، وقد ذكر الإمام الدارمي رحمه الله إجماع الأولين والآخرين العالمين منهم والجاهلين ، على أنَّ

---

(١) انظر : درء تعارض العقل ٦/٧والصواعق المرسلة ١٣٠٧/٤ .

(٢) ذكره ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية ص/٣٢٣وخير الدين الألوسي في جلاء العينين ص/٣٥٦ .

(٣) انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٤٧ .

كل واحد ممن مضى وممن غبر إذا استغاث بالله تعالى ، أودعاه أو سأله يمد يده وبصره إلى السماء يدعوه منها ، ولم يكونوا يدعونه من أسفل منهم من تحت الأرض ، ولا من أمامهم ، ولامن خلفهم ، ولاعن أيمانهم ، ولا عن شمائلهم ، إلا من فوق السماء لمعرفتهم بالله أنه فوقهم(١).

فمقالة المشبهة إنَّ الله ينزل إلى الأرض ويمشي أمام الحجيج ، مقالة منكرة مخالفة لفطر الناس وعقولهم تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

والكتاب والسنة والعقل كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله دلت على أنَّ الله لاتماثله المخلوقات في شيء من الأشياء ودلت على أنَّ الله غني عن كل شيء ودلت على أنَّ الله مباين للمخلوقات عال عليها ، وأنه فوق سمواته على عرشه بائن من مخلوقاته(٢).

فوصف الله عز وجل بأنه ينزل إلى الأرض كما ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله وصفٌ له بالسفول ، منافٍ لعلوه تعالى الثابت له بالكتاب والسنة والعقل والفِطروإجماع السلف ، ولايصف الله عز وجل بالسفول إلا من لايقدر الله حق قدره ، ولايعرف صفات كماله الثابتة له عز وجل(٣).

وكما أنَّ مقالتهم مناقضة لعلو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه فكذلك مناقضة لما ثبت عن النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة من أنَّ الله تعالى« ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فاستجب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فاغفر له »(٤).

---

(١) انظر : الرد على الجهمية للدارمي ص/٢١ .

(٢) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥/٢٦٢-٢٦٣ .

(٣) انظر : القواعد المثلى ص/٥٩ .

(٤) تقدم عزوه انظر : ١/٤٧٥ .

وَرُوِي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « مامن يوم أكثر من أنْ يعتق الله فيه عبدا من النارمن يوم عرفة ، وإنه ليدنوا ثم يباهي بهم الملائكة ، فيقول : ما أراد هؤلاء »(١).

فلم يرد عن النبي ﷺ أنه ينزل مع الحجيج يوم عرفة كما زعم المشبهة ، بل هذا من الكذب على رسول الله ﷺ ، ولم يرد عن النبي ﷺ كما ذكر شيخ الإسلام حديث قط أنَّ الله ينزل إلى الأرض ، بل الأحاديث الصحيحة أن الله يدنو عشية عرفة ، وينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له(٢).

٣ ـ إنَّ الأحاديث التي استدلوا بها متضمنة لوصف الله تعالى بصفات المخلوقين ، فإنَّ الذي يركب على جمل ، ويصافح ويعانق ، ويمشي على الأرض فتظهر أقدامه فيها ، ويلبس جبة صوف ، ويطوف بالبيت ونحو ذلك من المقالات المنكرة لايتصف بها الخالق لأنها من صفات الآدميين ، والله سبحانه وتعالى كما ذكر شيخ الإسلام منزه عن أنْ يُوصف بشيء من الصفات المختصة بالمخلوقين ، لأنَّ كل ما اختص بالمخلوق فهو صفة نقص ، والله تعالى منزه عن كل نقص ، ومستحق لغاية الكمال ، فهو عز وجل منزه عن النقص مطلقا ، ومنزه في الكمال أنْ يكون له مثل كما قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ فبين عز وجل أنه أحد صمد واسمه الأحد يتضمن نفي المثل واسمه الصمد يتضمن جميع صفات الكمال(٣).(٤).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الحج ٢/٩٨٢ح١٣٤٨ .

(٢) انظر : الوصية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١/٢٨٨ .

(٣) انظر : منهاج السنة ٢/٥٢٨ـ٥٢٩ .

(٤) سيأتي بيان ذلك على وجه التفصيل انظر : ٢/٤٠٩ ـ ٤١٤ .

ويجب القطع بأنَّ الله تعالى ليس كمثله شيء لا في نفسه ولا في صفاته ولا في أفعاله ، وأنَّ مباينته للمخلوقين ، وتنزيهه عن مشاركتهم ومماثلتهم أكبر وأعظم ما يعرفه العارفون ، ويصفه الواصفون ، وكل صفة تستلزم حدوثه عز وجل أو نقص غير الحدوث فيجب نفيها عنه(١).

ولو كان لهؤلاء المبتدعة أدنى مسكة من عقل وإيمان لما وصفوا الله تعالى بما وصفوه به من المقالات المنكرة الفاسدة ، التي يتنزه عنها عز وجل ، إذْ كيف يتصور أنْ يطوف الخالق تعالى بالبيت كما زعموا ، وإذا كان الطواف عبادة لايكون إلا لله فلمن يطوف ؟!! تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

فَعُلم مما تقدم بطلان استدلال المشبهة ، وأنَّ ما استدلوا به من الأحاديث موضوعة مكذوبة على الرسول ﷺ ، وأنَّ القائلين بها عند أهل السنة من أعظم القائلين بالكفر والبهتان ، والتقول على الله عز وجل ، وعلى رسوله ﷺ ، وأنها معارضة لعلو لله عز وجل على خلقه واستوائه على عرشه ، وأنَّ أهل السنة متفقون على أنَّ أحدا لن يرى ربه في الدنيا ، وأنه يجب تنزيه الله تعالى عما يختص به المخلوق من الصفات ، لأنها صفات نقص والله منزه عن ذلك ، متصف بصفات الكمال ليس له شبيه ولا مثيل ولا نظير ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

○ ○ ○ ○

(١) انظر : الرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٤٧٢/٦ .

المبحث الثالث

في ذكر بعض شبهات المشبهة العقلية وموقف أهل السنة منها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : استدلالهم بدليل الأعراض وحدوث الأجسام وموقف أهل السنة من ذلك

المطلب الثاني : استدلال المشبهة ببعض الأقيسة الفاسدة وموقف أهل السنة منها

استدل المشبهة لتقرير مقالتهم في التشبيه في صفات الله ، وقولهم إنَّ الله جسم بشبهات عقلية فلسفية عارضوا بها وحي الرحمن ، وقد اتبعوا في كثير منها المعطلة وعلى رأسهم المعتزلة رغم تضاد مذهبهم في الصفات ، فقد وافقوهم في الاستدلال بدليل الأعراض وحدوث الأجسام على وجود الله عندهم .

والذي ادَّى بهم إلى القول بأنَّ الله جسم ، وبقولهم إنَّ ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ، وبامتناع حوادث لا أول لها الذي أدَّى بهم إلى القول بحدوث صفات الله عز وجل المتعلقة بمشيئته وقدرته كصفة الكلام بعد أنْ لم تكن كما تقدم(١).

كما استدلوا بقياس الشاهد على الغيب ، وقياس التمثيل والشمول تلك الأقيسة الفاسدة التي أدت بهم إلى مقالة التشبيه في صفات الله عز وجل .

وسأذكر في هذا المبحث هذه الأقيسة التي أشرت إليها ، مع مناقشتهم وموقف أهل السنة منها في مطلبين :

المطلب الأول

استدلالهم بدليل الأعراض وحدوث الأجسام وموقف أهل السنة من ذلك

وافق المشبهة كالهشامية والكرامية المعطلة في الاستدلال على وجود الله تعالى بدليل الأعراض وحدوث الأجسام ، ولاغرو في ذلك ؛ فإنهم يجمعهم الكلام المذموم .

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله وجه الموافقة بين الطائفتين وما أدَّى إليه هذا الدليل المذموم بالمعطلة إلى التعطيل ، وبالمشبهة إلى التمثيل !

---

(١) انظر : ١ / ٤٦٠ .

ومما ذكره في ذلك أنَّ المعطلة الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الكلابية بنوا منهجهم في الصفات على دليل الأعراض وحدوث الأجسام الذي يعتبر ينبوع البدع حيث قالوا : إنَّ الصفات أعراض لاتقوم إلا بجسم ، وما يتصف بالصفات لايكون إلا جسما ، ولأن الجسم حادث ، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث والله ليس بجسم .

والمشبهة وافقوهم على هذا الأصل وقالوا كما قالوا ، لكن خالفوهم في إعتبارهم كل جسم حادث وفي قولهم : « والله ليس بجسم » . فقالوا : الأجسام المخلوقة حادثة ، لكن الله الذي أطلقوا عليه أنه جسم[1] ليس بحادث ، فيجوز ثبوت جسم قديم أزلي لا أول لوجوده !

ووافقوهم في قولهم « إنَّ مالا يخلو من الحوادث فهو حادث » وقولهم « بامتناع حوادث لا أول لها » فسموا صفات الله حوادث ، ومنعوا أنْ يتصف الله بها أزلا ، بناءً على قولهم بامتناع حوادث لا أول لها ، وحتى لا تتعارض مع مقالتهم « إنَّ الله جسم » قالوا : بل هو ـ تعالى ـ جسم قديم خالٍ من الحوادث ، فالجسم القديم الأزلي عندهم يخلو من الحوادث ، وأما الأجسام المخلوقة فإنها لاتخلو من الحوادث[2].

وبناءً على تمسكهم بدليل الأعراض وحدوث الأجسام جعلوا القسمة للموجودات

---

(١) تقدم موقف أهل السنة من مقالتهم هذه على وجه التفصيل انظر : ١١/٢ .

(٢) انظر : منهاج السنة ١٠٧/١-١٠٨و٢٢١-٢٢٢و٢٦٥/٢والفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموع الفتاوى ١٥٣/١٣-١٥٤والتفسير الكبير٦/٤٣٢و٤٣٤و٤٣٦-٤٣٧ومذهب السلف القويم في تحقيق كلام الله الكريم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣٤٤٣/٣-٣٤٤وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى٦/٥٢٤-٥٢٥وكتاب التفسير ضمن مجموع الفتاوى ٣٧٦//١٦وقاعدة نافعة في صفة الكلام ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٧٠/٢-٧١ .

ثنائية ، إما جسم وإما عرض ، وأطلقوا على الله أنه جسم ، فقالوا : إنه لايقوم في المعقول إلا جسم أو عرض ، والقديم يستحيل أنْ يكون عرضا ، فيجب أنْ يكون جسما(١).

وهذه الأدلة التي استدل بها المشبهة ماهي إلاشبهات كلامية معارضة لوحي الله ، مشتملة على ألفاظ مجملة مبتدعة ، وأقيسة فلسفية ، وقد اعتبرها سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان من الكلام المذموم المبتدع فذموها ، وحذروا منها ومن أصحابها ، واعتبروهم أهل أهواء وبدع ، وبينوا ما أفضت إليه هذه الأقيسة من تعطيل وتمثيل ، وأرشدوا إلى الأدلة الشرعية التي يستدل بها المسلم على وجودالله تعالى ووحدانيته وبيان ذلك من وجوه :

الوجه الأول : إنَّ طريقة الاستدلال بدليل الأعراض وحدوث الأجسام على وجودالله الذي سلكه المشبهة ، ومن اتبعوهم من الجهمية والمعتزلة طريق مبتدع في الدين لا أصل له في الكتاب والسنة ، ولو أمعنا النظر في عصر الصحابة والتابعين لم نجد لهم إشارة إلى استعماله ، وإنما أُبتدع في الإسلام كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله بعد المائة الأولى من الهجرة(٢)، ولايستطيع أحد أنْ يروي في ذلك عن الرسول ﷺ ، ولاعن أحد من أصحابه مايستدل به هؤلاء المبتدعة من دليل الأعراض وحدوث الأجسام وغيره ، حرفا واحدا فما فوقه ، لامن طريق متواتر ولا آحاد(٣).

فهي إذًا طريقة مبتدعة في الدين لم يدعُ أحد من الأنبياء عليهم السلام الناس بها

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢٧٧/٢والملل والنحل١٠٩/١وتبصرة الأدلة ص/ ١١٢و١٢١-١٢٢ومنهاج السنة١٠٧/١-١٠٨ونقض التأسيس « المطبوع » ٥٠/١-٥١ورسالة في العقل والروح لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٤٥/٤ .

(٢) انظر : درء التعارض٣٩/١و كتاب التفسير ضمن مجموع الفتاوى٢٦٧/١٦و٢٧٠ .

(٣) انظر : تقض التأسيس « المطبوع » ٢٥٥/١ .

بل كانت دعوتهم إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله[١].

ولم يدعُ الرسول ﷺ أحدًا من الخلق إلى مجرد إثبات الصانع إبتداءً ، ولا جعل ذلك واجبا ، بل كانت دعوته إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمدا رسول الله ﷺ[٢].

ولم يكن أحد من الصحابة ولامن التابعين لهم بإحسانٍ يستدلون بها على حدوث العالم ووجود الله ، فلم يرد في إثبات هذه الطريقة دليل واحد ، لامن كتاب ولامن سنة ولاخبر صحابي ، ولا قول تابعي ، ولا أحد من أئمة الدين ، ولهذا صارت مبتدعة في الدين[٣].

قال ابن عقيل[٤] رحمه الله : « أنا أقطع أنَّ الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض ، فإنْ رضيت أنْ تكون مثلهم فكن ، وإنْ رأيت أنَّ طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت »[٥]!

وصدق رحمه الله فإنَّ طريق الاستدلال بالجواهر والأعراض طريق مبتدع في

---

(١) انظر : درء التعارض ١/١٠٠و١٠٥وكتاب توحيد الربوبية ضمن مجموع الفتاوى٢/٢٣ .

(٢) انظر : درء التعارض ٨/٦ .

(٣) انظر : منهاج السنة١/٣١٥-٣١٦و٨/٥ .

(٤) أبوالوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلي ، ذكر شيخ الإسلام أنه كان من أذكياء العالم ، وكان ممن يعظم مذهب السلف ، إلاأنه تأثر بالمعتزلة ، ومذهبه في الصفات كان مضطربا ، تارة ينفي الصفات الخبرية ، وينكرعليه من يسميها صفات ، ويقول : إنما هي إضافات موافقة للمعتزلة ، كما فعل في كتابه « ذم التشبيه وإثبات التنزيه » وتارة يثبت الصفات الخبرية ويرد على النفاة والمعتزلة بأنواع من الأدلة ، وتارة يفوض المعنى . توفي سنة٥١٣هـ انظر : درء التعارض ٧/ ٣٤-٣٥و٨/٦٠-٦١ونقض المنطق ص/ ١٣٩وضمن مجموع الفتاوى ٤/١٦٩ومنهاج السنة ١/ ٤٢٤وانظرترجمته في : ميزان الإعتدال ٣/١٤٦وسير أعلام النبلاء ١٩/٤٤٣ .

(٥) ذكره الإمام ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص/٩٨ .

الدين ، لم يعرفه الصحابة رضوان الله عليهم ، وبئس الحال من خالف الصحابة الذين هم أكثر الناس علما وعملا ، ومن رأى أنَّ طريقة المتكمين المتهوكين الحيارى أولى من طريقة الصحابة ومنهم خيارهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم فبئس ما رأى !

وذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله أنَّ من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وسعيد وعبد الرحمن[1]، وسائر المهاجرين والأنصار ، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجا ، علم أنَّ الله عز وجل لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين وأعلام النبوة ، ودلائل الرسالة ، لامن قِبَل حركة ولاسكون ، ولامن باب الكل والبعض ، ولامن باب كان ويكون ، ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجبا ، وفي الجسم ونفيه ، والتشبيه ونفيه لازما ما أضاعوه ، ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم ، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم ، ولو كان ذلك من عملهم مشهورا لاستفاض عنهم ، ولشهروا به كما شهروا بالقرآن والسنة[2].

فبين رحمه الله أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم وعلى رأسهم العشرة المبشرين بالجنة لم يسلكوا الطرق الكلامية ، وإنما عرفوا الله عز وجل بتصديق النبيين بآيات النبوة ودلا ئل الرسالة ، فَعُلم أنها مبتدعة في الدين ، وإذا كانت كذلك فمن أين جاءت ؟

سُئل الإمام أبو حنيفة رحمه الله : ما تقول فيما أحدثه الناس من الكلام في الأعراض والأجسام ، فقال : « مقالات الفلاسفة عليك بالأثر وطريقة السلف ،

---

(١) هؤلاء الذين ذكرهم الإمام ابن عبدالبر هم من العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم أجمعين .

(٢) انظر كتابه التمهيد ١٥٢/٧وذكره شيخ الإسلام في كتابه : الرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٥٦٢/٦ .

وإياك وكل محدثة فإنها بدعة »[١]. فبين رحمه الله أنَّ طريقة الأعراض والأجسام والكلام في ذلك بدعة محدثة في الدين ، وبين مصدرها وأنها جاءت إلى المسلمين من الفلاسفة المشركين ، ونهى عنها ، وأرشد إلى طريق السلف المبني على الكتاب والأثر .

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ الأصل الذي أصله هشام بن الحكم ، وهشام الجواليقي وغيرهما من المجسمة الرافضة ، وغير الرافضة كالكرامية في صفات الله ، والذي هو طريق الأعراض وحدوث الأجسام ، والقول بأنَّ ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ذكرأنهم إتبعوا فيه الجهم بن صفوان ، وأبوالهذيل العلاف[٢]، الذين قالوا بذلك ، والتزموا لوازم فاسدة أدت بهم إلى القول بالتعطيل .

فأصله الجهمية وعنهم أخذه المعتزلة وعلى رأسهم أبوالهذيل العلاف ، وطوروه بقواعدهم الفلسفية التي أخذوها من فلاسفة اليونان ، فإنهم أول من عُرف عنهم في الإسلام أنهم أثبتوا حدوث العالم بحدوث الأجسام ، وأثبتوا حدوث الأجسام بحدوث مايستلزمه من الأعراض ، وقالوا : إنَّ الأجسام لاتنفك عن الأعراض المحدثة ، ومالا ينفك عن الحوادث فهو حادث لامتناع حوادث لا أول لها[٣].

ومن المعتزلة أخذتها الفرق المبتدعة الأخرى في الصفات كالكلابية الأشعرية والمشبهة ، فبنوا عليها مقالاتهم الفاسدة في صفات الله تعالى بين معطل مشبه لله بالمعدومات ، وممثل مشبه لله تعالى بالحيوانات ، وخاضوا في ذات الله عز وجل بعقولهم الفاسدة ، فأطلق المشبهة على الله تعالى أنه جسم ، وقال المعطلة : إنه ليس

---

(١) ذكره شيخ الإسلام في الرد على الطوائف الملحدة انظر : المرجع السابق ٦/٥٦١والإمام السيوطي في صون المنطق ص/٥٩-٦٠ . وذكر أنَّ الذي سأل الإمام أبا حنيفة هو نوح الجامع .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ١/٢٥٨ .

(٣) انظر : منهاج السنة١/٣٠٩-٣١١ودرء التعارض٧/١٤٣-١٤٤ .

بجسم[١]، وضمنوا مقالتهم هذه تعطيل الله عز وجل عن صفات الكمال !

ونجى الله أهل السنة بسبب اتباعهم الكتاب والسنة ، وبعدهم عن طرق أهل الكلام المذموم ، فلم يُوافقوا الطائفتين ، بل نزهوا الله عز وجل عن تعطيل المعطلة ، وتمثيل المشبهة ، وأثبتوا لله تعالى صفاته التي وصف بها نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته[٢].

الوجه الثاني : إنَّ طريقة الاستدلال بالأعراض وحدوث الأجسام وما بنى عليها المبتدعة من مقالات فاسدة كالقول بامتناع حوادث لا أول لها المفضي إلى التعطيل والتمثيل[٣]، من الكلام المذموم عند أهل السنة والجماعة ، ولم يكرهوا الكلام كماذكر شيخ الإسلام رحمه الله لمجرد مافيه من المصطلحات كلفظ العرض والجسم والجوهرونحوها ، بل لأنَّ المعاني التي يعبر عنها هؤلاء المتكلمون بهذه العبارات فيها من الكلام المذموم في الأدلة والأحكام ما يُوجب النهي عنه ، لاشتمال هذه الألفاظ على معانٍ مجملة في النفي والإثبات كما قال الإمام أحمد رحمه الله في وصفه لأهل الباطل وقولهم على الله بغير علم « ... فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله ، وفي الله ، وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جُهَّال الناس بما يُشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين »[٤].[٥]!

---

(١) تقدم ذكر مقالة المشبهة والمعطلة في ذلك وموقف أهل السنة منها انظر : ٢/ ٩ - ١١ ومابعدها .

(٢) تقدم بيان منهج أهل السنة في صفات الله على سبيل الإجمال انظر : ١٢١/١ .

(٣) سيأتي بيان ذلك انظر : ١٠٦/٢ وما بعدها .

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية ص/٦ .

(٥) انظر : درء التعارض ٤٤/١وكتاب مجمل الاعتقاد ضمن مجموع الفتاوى٣٠٧/٣ .

والسلف والأئمة الذين ذموا وبدعوا الكلام في الجسم والأعراض ونحوها من الألفاظ الكلامية تضمن كلامهم ذم من يدخل المعاني الفاسدة في أصول الدين في دلائله ومسائله ، نفيا وإثباتا[١]، لذا حذر أهل السنة من الخوض في الكلام المذموم ، ولعنوا أهله ، وذموهم ، ونهوا عن مجالستهم ، وبينوا عقوبتهم ، ومن أقوالهم في ذلك ما ذكره أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني[٢]عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله أنه قال : « لعن الله عمرو بن عبيد[٣]فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيمالا يعنيهم من الكلام » . قال محمد بن الحسن رحمه الله : « وكان أبو حنيفة يحثنا على الفقه وينهانا عن الكلام »[٤].

وَرُوي عن الإمام مالك رحمه الله أيضا أنه لعن عمرًا بن عبيد لاتباعه الكلام المذموم الذي أفضى بأهل البدع المتكلمين إلى الكلام في ذات الله وصفاته بالتعطيل والتمثيل ، فقال رحمه الله : « لعن الله عمرًا[٥]، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام ولو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون ، كما تكلموا في الأحكام

---

(١) انظر : درء التعارض١/٤٥ .

(٢) أبو عبدالله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء ، الإمام الفقيه صاحب الإمام أبي حنيفة من مصنفاته « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » في الفقه . توفي سنة ١٨٩هـ انظر : : تاريخ بغداد ٢/١٧٢ووفيات الأعيان ٤/١٨٤ .

(٣) أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب المعتزلي البصري القدري ، جالس الإمام الحسن البصري وحفظ عنه ، ثم أزاله واصل بن عطاء ، وإعتزل أصحاب الحسن . توفي سنة ١٤٤هـ انظر : تاريخ بغداد ١٢/١٦٦وسيرأعلام النبلاء ٦/١٠٤ .

(٤) ذكره شيخ الإسلام في الرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٥٦١و السيوطي في صون المنطق ص/٦٠و ٥٦١ .

(٥) يعني : عمراً بن عبيد !

والشرائع ، ولكنه باطل يدل على باطل »[١]!

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله مقصود الإمام مالك بقوله : « وهذا صريح في رد الكلام والتوحيد الذي كانت تقوله المعتزلة والجهمية ، وليس له أصل عن الصحابة والتابعين ، بخلاف مارُوي من الآثار الصحيحة في الصفات والتوحيد عن الصحابة والتابعين ، فإنَّ ذلك لم ينكروه ، إنما أنكروا الكلام والتوحيد المبتدع في أسماء الله وصفاته وكلامه »[٢].

ويشمل أيضا مقالات المشبهة في ذات الله تعالى وصفاته ، فإنها من الكلام المذموم ، فإنَّ كل من شارك المعتزلة في الكلام المذموم فهومن المتكلمين ، سواء كان معطلا أو ممثلا . وقد حذر الإمام مالك رحمه الله عن بدع المتكلمين في أسماء الله وصفاته بقوله : « إياكم والبدع ! قيل يا أبا عبد الله ، وما البدع ، قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله ، وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولايسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان »[٣].

وكان الإمام الشافعي رحمه الله يقول : « حكمي في أهل الكلام أنْ يضربوا بالجريد والنعال ، ويُطاف بهم في القبائل والعشائر ، وَيُقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام »[٤].

وكان الإمام أحمد رحمه الله يقول : « ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح ، وقل من

---

(١) ذكره شيخ الإسلام في الرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى٦/٥٦٠و السيوطي في صون المنطق ص/٥٧ .

(٢) انظر : الرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٥٦٠ .

(٣) ذكره شيخ الإسلام انظر : المرجع نفسه ٦/٥٦٠والسيوطي في صون المنطق ص/٥٧ .

(٤) ذكره الإمام ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص/٦٥وشيخ الإسلام في منهاج السنة ٢/ ٦١٠وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥/٢٦١ودرء التعارض ١/٢٣٢ .

نظر في الكلام إلا وفي قلبه غل على أهل الإسلام »[١].

وَسُئل أبو العباس ابن سريج عن التوحيد فقال : « توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمدا رسول الله ، وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك »[٢].

فبين رحمه الله أنَّ توحيد المتكلمين أهل الباطل خلاف توحيد المسلمين ، إذْ أنَّ توحيدهم الخوض في الأعراض والأجسام الذي أفض بهم إلى التعطيل والتمثيل ، وتوحيد المسلمين هومابعث الله به رسوله ﷺ إلى الناس كافة وهو الدعوة إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمدا رسول الله .

وقد نهى أهل السنة عن الجلوس مع أهل الأهواء ومنهم المتكلمون حتى لايُؤثر كلامهم المذموم في ذات الله وصفاته بالباطل على من يُجالسهم ولأنَّ مجالسة أهل البدع تجلب محبتهم ، وترك ما أمر الله من بغضهم ومعاداتهم ، ونهوا أيضا عن السلام عليهم ردعا لهم وتأديبا لعلهم يرجعون عن الكلام المذموم ، وبراءةً منهم ومن بدعهم الكلامية المشتمل على الكلام المذموم الذي خاضوا به في ذات الله وصفاته بعقولهم وأقيستهم الفلسفية التي عارضوا بها وحي الله عز وجل .

ومن أقوالهم في ذلك ماروي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال : « لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ، ولا تسمعوا منهم »[٣].

---

(١) ذكره الإمام ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص/٦٧وشيخ الإسلام في كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٢٦١/٥و كتاب التفسير ضمن مجموع الفتاوى٤٧٣/١٦ودرء التعارض ٢٣٢/١ .

(٢) ذكره شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المطبوع » ٤٨٧/١والرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٥٦٢/٦والسيوطي في صون المنطق ص/٧٥ .

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٣٣/١ .

وَرُوي عن أبي قلابة[١] رحمه الله أنه نهى عن مجالسة أهل البدع والأهواء ومخالطتهم قائلا : « لا تجالسوهم ولا تخالطوهم فإني لآمن أنْ يغمسوكم في الضلالة أويلبسوا عليكم في الدين بعض مالُبس عليهم »[٢].

وقد عَدَّ الإمام أحمد رحمه الله ترك الجلوس مع أهل الأهواء من أصول أهل السنة فقال : « أصول السنة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، والاقتداء بهم ، وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة ، وترك الخصومات ، والجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين »[٣].

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي : « وسمعت أبي ، وأبا زرعة[٤]، يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع يغلظان في ذلك أشد التغليظ ، وينكران وضع الرأي في غير آثار ، وينهيان عن مجالسة أهل الكلام ، والنظر في كتب المتكلمين ، ويقولان : لا يفلح صاحب كلام أبدا »[٥].

وذكر الإمام الصابوني رحمه الله أنَّ من عقيدة السلف وأصحاب الحديث بغض أهل البدع ، وعدم مصاحبتهم ، و عدم سماع كلامهم ، وترك مجالستهم وترك جدالهم في الدين ، ويصونون آذانهم عن أباطيلهم ، التي إذا مرت بالآذان

---

(١) أبو قلابة عبد الله بن زيد بن عمرو الجَرْمي البصري ، ثقة فاضل كثير الإرسال ، عالم بالقضاء والأحكام . مات بالشام سنة ١٠٤هـ وقيل بعدها . انظر : تقريب التهذيب ١/٣٩٤والأعلام ٤/٨٨

(٢) رواه الآجري في الشريعة ص/٦٢واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد١/١٣٤والبغوي في شرح السنة ١/٩٤١ .

(٣) رواه اللالكائي انظر : المرجع نفسه ١/١٥٦ .

(٤) تقدمت ترجمتهم انظر : ١/٦٢ و ٢ /٥٨ .

(٥) رواه اللالكائي انظر : المرجع السابق ١/١٧٩ .

وقرت في القلوب أضرتها ، وجرت إليها الوساوس والخطرات الفاسدة[١].

وكما نهى الأئمة عن الجلوس مع أهل الكلام المذموم فقد تركوا السلام عليهم ونهوا عن ذلك ، ومن أقوالهم ماروي عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال : « بئس القوم أهل الأهواء لانسلم عليهم »[٢].

وسأل رجل الإمام أحمد رحمه الله قائلا : « جارٌ لنا رافضي يُسلم عليَّ أردُّ عليه قال : لا »[٣]والرافضة من أعظم الناس إغراقا في التعطيل والتمثيل !

وقال إبراهيم بن الحارث العبادي[٤]والإمام أحمد يسمع : « إذا كان صاحب بدعة فلا يسلم عليه ولايصلى خلفه ولا عليه ، فقال أبو عبد الله : عافاك الله يا أبا إسحاق وجزاك خيرا[٥].

وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أنَّ جمهور العلماء ذهبوا إلى أنه لا يُسلم على الفاسق ولا المبتدع[٦].[٧]!

والآثار المروية عن سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان في النهي عن مجالسة

---

(١) انظر كتابه : عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٣١/١ .

(٢) رواه البغوي في شرح السنة ١٩٦/١والسيوطي في الأمر بالإتباع والنهي عن الإبتداع ص/٣٨ .

(٣) ذكره الخلال في كتاب السنة ٤٩٣/١-٤٩٤ .

(٤) إبراهيم بن الحارث بن مصعب بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، قال عنه الحافظ ابن حجر : « صدوق » انظر : تقريب التهذيب ٥٤/١ .

(٥) رواه الخلال في كتاب السنة ٥٦١/١-٥٦٢ .

(٦) انظر كتابه : فتح الباري ٤٣/١١ .

(٧) ومن أراد بيان موقف أهل السنة من أهل البدع ، فليراجع كتاب : موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع . للدكتور : إبراهيم بن عامر الرحيلي فقد أجاد وأفاد ونقل الآثار المروية عن أهل السنة في ذلك مع دراستها دراسة جيدة لايستغني عنها طالب علم ، فجزاه الله خيرا .

أهل البدع ، والتحذير منهم ، وترك السلام عليهم ، والنهي عن ذلك كثيرة جدا ، وإنما المقصود أنَّ أهل الكلام المعطلة والمشبهة من أشد أهل البدع والأهواء إغراقا في البدع المكفرة ، فإنَّ بدعهم تشتمل على الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بعقولهم الفاسدة ، وأقيستهم الكاسدة التي أفضت بهم إلى التعطيل والتمثيل !!

الوجه الثالث : إنَّ هؤلاء المبتدعة الذين استدلوا بدليل الأعراض وحدوث الأجسام على حدوث العالم الدال على وجود الله عندهم التزموا من أجله كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل ، فطوائف أهل الكلام المعطلة من المعتزلة وغيرهم التزموا من أجله نفي صفات الرب مطلقا ، أو بعضها[١] لأنَّ الدال عندهم على حدوث هذه الأشياء هو قيام الصفات بها ، والدليل يجب طرده ، فالتزموا حدوث كل موصوفٍ بصفة قائمة به ، وهذا في غاية الفساد والضلال[٢].

كما التزم المشبهة من أجله أنَّ صفات الله الفعلية كصفة الكلام حادثة بعد أنْ لم تكن ونفوا أنْ تكون قديمة النوع ، وأطلقوا على الله أنه جسم ، لأنَّ الدال عندهم على حدوث الأجسام قيام ما يلازمها من الأعراض ، إلا أنهم لما رأوا طرد هذا لازم لهم ، لم يلتزموه في مقالتهم إنَّ الله جسم .

فلم يقولوا : إنَّ كل جسم حادث ، بل استثنوا من ذلك الله عز وجل الذي أطلقوا عليه أنه جسم ، فقالوا : إنَّ الله جسم لكنه أزلي[٣]، لكنهم التزموه في جعلهم صفات الله الفعلية كصفة الكلام حادثة النوع ، لأنهم لو قالوا بقدمها لبطل

---

(١) كما فعل الأشاعرة والماتريدية !

(٢) انظر : درء التعارض ١/٣٩-٤١ .

(٣) تقدم بيان ذلك انظر : ٢/٨٥ - ٨٦ .

عندهم دليل حدوث العالم ، الدال على وجود الله عندهم والذي هو دليل الأعراض وحدوث الأجسام ، وقولهم إنَّ مالا يخلوا من الحوادث فهو حادث ، فقالوا كما ذكر شيخ الإسلام لا يجوز أنْ تتعاقب عليه الحوادث ، فإنَّ ما كان كذلك فهو محدث[١]، فأطلقوا على صفات الله الفعلية حوادث ، وزعموا أنَّ اتصاف الله بها أزلا يُؤدي إلى تعاقب الحوادث[٢].

ولذا وصفوا الله ببعض الصفات بعد أنْ لم يكن كذلك ، وسبب ذلك كله الاستدلال بدليل الأعراض وحدوث الأجسام الذي وافقوا فيه المعتزلة ، وقد تقدم بيان أنَّ وصف الله بالصفات بعد أنْ لم يكن موصوفا بها وصف له بالنقص ، وتشبيه له بالمخلوق المتصف بالصفات بعد أنْ لم يكن كذلك[٣].

فهذا الدليل المبتدع هو أصل كل بدعة وضلال ، وبسببه عَطَّل من عَطَّل ، وَشَبَّه من مَثَّل ، فأطلق المشبهة على الله تعالى أنه جسم ، حيث اعتبروا الموجودات إما جسم وإما عرض ، والخالق يستحيل أنْ يكون عرضا لأنها زائلة حادثة فوجب أنْ يكون جسما[٤]. وهذا قياس منهم للخالق على المخلوق كما سيأتي نقده على وجه التفصيل[٥].

ونفى المعطلة أنْ يكون الله جسما ، لأنَّ كل جسم حادث بقيام الأعراض عليه

---

(١) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى٦/٥٢٤-٥٢٥و١٣الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموع الفتاولى ١٣/١٥٣-١٥٤ .

(٢) سيأتي موقف أهل السنة من القول بامتناع حوادث لاأول لها انظر : ٢/١٠٢ ومابعدها .

(٣) انظر : ١/٣٧٢ .

(٤) انظر : الفصل ٢/٢٧٧وتبصرة الأدلة ص/١٢ومنهاج السنة ١/١٠٧-١٠٨ورسالة في الروح والعقل لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٤/٤٥ .

(٥) انظر : ٢/١٢٣ - ١٢٨ و ١٣٢ - ١٣٥ .

والله ليس بجسم[١]!

ووفق الله أهل السنة كما تقدم[٢]فلم يُطلقوا على الله أنه جسم أوليس بجسم ، بل اعتبروا ذلك بدعة ، من أثبت بدعوه ، ومن نفى بدعوه ، وسموا الله بأسمائه وصفاته العلى على الوجه اللائق به عز وجل علىأساس قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَّهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

الوجه الرابع : أما مقالتهم : إنَّ ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث فهو من الكلام المجمل المبتدع المحتمل للحق والباطل ، وقد ضَلَّ به المعطلة والمشبهة على حَدٍ سواء ، فَعَطَّل به من عَطَّل ، وشَبَّه به من مَثَّل !

فالمعتزلة نفوا صفات الله عز وجل كلها لأنهم زعموا أنها أعراض حادثة لاتقوم إلا بجسم ، والأجسام حادثة ، فلو قامت به ـ تعالى ـ الصفات لكان جسما ، ولو قامت به الصفات وهي حادثة لم يخلُ منها ، ومالم يخل من الحوادث فهو حادث[٣].

والكلابية الأشعرية قالوا : بامتناع وصف الله بالصفات الاختيارية[٤]والفعلية

---

(١) تقدمت مقالتهم هذه وموقف أهل السنة منها انظر : ٢/١٠ .

(٢) انظر : ٢/١١ ومابعدها .

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص/١١٣-١١٤والمغني في أبواب التوحيد والعدل له ٥/٢٠٤ومنهاج الكرامة لابن المطهر الحلي الرافضي المعتزلي ص/٨١ .

(٤) هي : الصفات التي تقوم بالباري « وتتعلق بمشيئته وقدرته . وهي أنواع منها :
١ـ الأفعال المتعدية واللازمة ، فالأولى هي التي تقتضي مفعولا مخلوقا كالخلق والرزق والإحياء والإماتة فهذه أفعال يتصف الله بها ، ولايتصف « إلا بما قام به ، فالخلق يقتضي مخلوقا ، والرزق يقتضي مرزوقا وهكذا . واللازمة هي : التي لاتقضي ذلك . مثل الإتيان والمجيئ والاستواء والنزول .
٢ـ الأقوال والكلمات ، سواء كانت أخبارا أوأوامر شرعية أوصفة ، ومن الكلام القرآن =

المتعلقة بمشيئته وقدرته كصفة الكلام والنزول ونحوها فنفوا ذلك بزعمهم أنها حوادث لاتقوم إلا بِمُحْدَث ، فلو قامت بالله تعالى لم يخل منها ، وما لم يخلو منها فهو حادث(١).

والمشبهة جعلوا صفات الله الفعلية حادثة بعد أنْ لم تكن ، لأنهم اتفقوا مع المعتزلة المعطلة بأنَّ مالا يخلو من الحوادث فهو حادث ، لكنهم قالوا : إنَّ الله جسم أزلي ليس بحادث ، خاليا من الحوادث في الأزل ، فسموا صفات الله الفعلية

= والتوراة والإنجيل والمقصود بالأمر الشرعي كلام الله الذي يطلب به من المكلف فعله . !

٣- الأحوال . وليس المراد بها أحوال أبي هاشم الذي زعم أنها لامعلومة ولامجهولة ، ولا موجودة ولامعدومة فهذه لاتعقل . ! وإنما المراد بها : ماكان كالفرح والغضب والإرادات والرضى والغضب ونحو ذلك مما يقوم بالله تعالى على وجه الكمال والعزة والغنى .

٤- العلوم والادراكات . كالسمع والبصر والعلم بالموجود بعد العلم بأنه سيوجد ، كقول الله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إنَّ الله سميع بصير ﴾ [المجادلة : ١] ففي الفعل « يسمع » دلالة على أنَّ سمع ذلك الكلام المعين حاصل وقت المحاورة وليس أزلا ، وإنْ كان « يعلمه أزلا ، وهذا هو المراد من قولنا إنه إختياري انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٢١٧/٦وكتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى٨/ ٤٩٦وكتاب التفسير ضمن مجموع الفتاوى١٦/ ٣٩٠ ورسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل والمسائل ٣/٢ودرء تعارض العقل والنقل ٢/ ٣-٥و٤/٣٣ و٩/ ٣٩٧و١٠/١٨٧وراجع : مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة . للدكتور : خالد عبداللطيف محمد نور ص/١٢١-١٢٤رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية عام « ١٤١٨هـ » غير منشورة .

(١) انظر : التمهيد للباقلاني ص/٤٢وأصول الدين للبغدادي ص/٥٩-٦٠والإرشاد للجويني ص/ ٤٠-٤١والتبصير في الدين للأسفراييني ص/١٥٣ . وراجع : كتاب القرآن كلام الله حقيقة ضمن مجموع الفتاوى١٢/٣٧٦ومنهاج السنة ١/٣١٢ودرء التعارض ٦/٣٢١والرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٥٦٣ .

حوادث ، وعطلوا الله عنها في الأزل ، بجعلهم الله عز وجل لم يتصف بها أزلا بل اتصف بها كما زعموا بعد أنْ لم يكن موصوفا بها !

فأدى بهم القول : بأنَّ مالا يخلو من الحوادث فهو حادث إلى جعل الله تعالى معطلا عن صفاته الفعلية في الأزل حتى لايكون حادثا كما زعموا(١).

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله مدى إتفاق المشبهة مع المعطلة في القول : بأنَّ ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ، وما أدت إليه هذه الشبهة العقلية المبتدعة إلى القول من الجميع المشبهة والمعطلة بأنَّ الرب كان في الأزل يمتنع منه الفعل والكلام بمشيئته وقدرته ، فلم يكن قادرا على الكلام والفعل بمشيئته وقدرته .

فالجهمية والمعتزلة والمشبهة قالوا : إنه ـ تعالى ـ صار قادرا على الفعل والكلام بعد أنْ لم يكن كذلك ، فصار الفعل ممكنا له بعد أنْ كان ممتنعا عليه(٢).

وكل ما بينهم من الخلاف : أنَّ الجهمية والمعتزلة يجعلون الكلام حادثا مخلوقا بعد أنْ لم يكن كذلك(٣). والمشبهة يجعلونه غير مخلوق ، لكنه حادث بعد أنْ لم يكن(٤)!

وأما الكلابية الأشعرية فيتفقون مع المعتزلة والمشبهة في القول بأنَّ الفعل صار ممكنا

---

(١) انظر : مسألة الحرف التي أنزلها الله على آدم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٤٤٢-٤٤٣وقاعدة نافعة في صفة الكلام لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٢/ ٧٠وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٥٢٥ومنهاج السنة ١/٣١١ ودرء تعارض العقل ٥/٢٤٦والجواب الصحيح ٣/١٧٦-١٧٧ .

(٢) انظر : منهاج السنة ١/١٥٦ .

(٣) انظر : المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار ص/٣٠٩و٣٢٣والمغني في أبواب التوحيد والعدل له ٧/٨٤والكشاف للزمخشري ٢/٨٨ .

(٤) تقدم موقف المشبهة من صفة الكلام وموقف أهل السنة منه انظر : ١/٤٦٢ .

له ـ تعالى ـ بعد أنْ كان ممتنعا عليه ، لكنهم يقولون : وأما الكلام فلا يدخل تحت مشيئته وقدرته بل هو شيء واحد ملازم لذاته[١].

وأصل المقالات الفاسدة كلها بسبب أصل الجهمية والمعتزلة : « إنَّ ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث » وقد اتبعهم المشبهة ، والكلابية ، فأفضى بهم ذلك إلى القول بالتعطيل والتشبيه[٢].

وقد ناقش شيخ الإسلام رحمه الله هذه الطوائف ، وفند باطلهم ، وقرر الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة ، وبين موقف أهل السنة من شبهتهم « ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث » فمما ذكره في ذلك على سبيل الإجمال .

إنَّ السلف والأئمة يقولون : إنَّ الرب متصف بالفعل أزلا وأبدا ، فهو عز وجل لم يزل متكلما إذا شاء ، وكلامه لانهاية لها ولاابتداء ، كما أنه عز وجل في ذاته لم يزل ولايزال ، لا ابتداء لوجوده ولا انتهاء له ، بل هو الأول قبل كل شيء ، وهو الآخر بعد كل شيء ، فلم يزل تعالى فاعلا متكلما بمشيئته ، فلا يكون قد صار فاعلا متكلما بعد أنْ لم يكن[٣]، ولايكون كلامه مخلوقا منفصلا عنه[٤] ولايكون متكلما بغير قدرته ومشيئته[٥]، بل هو تعالى فاعل متكلم بمشيئته وقدرته لم يزل كذلك ولايزال[٦].

---

(١) هذا ما أطلقوا عليه الكلام النفسي . وسيأتي مذهبهم في صفة الكلام عندبيان وقوعهم في التشبيه في الباب الرابع انظر : ص/ ٩٥٣ .

(٢) انظر : منهاج السنة ١/١٥٦-١٥٧ وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٥٢٥ .

(٣) كما زعم المشبهة والمعتزلة كما سبق قريبا .

(٤) كما يزعم المعتزلة وقد تقدم قريبا .

(٥) كما يزعم الأشاعرة وقد تقدم قريبا .

(٦) انظر : درء التعارض ١/١٢١-١٢٢ .

ولم تُفَرِّق هذه الطوائف المبتدعة ومنهم المشبهة بين مالا يخلو عن نوع الحوادث ، وما لا يخلو عن عين الحوادث ، وذلك لأنَّ الحادث إذا حدث بعد أنْ لم يكن محدثا فلابد أنْ يكون ممكنا ، والإمكان ليس له وقت محدد ، فما من وقت يقدر إلا والإمكان ثابت قبله ، فليس لإمكان الفعل وجوازه وصحته مبدأ ينتهي إليه فيجب أنه تعالى لم يزل الفعل ممكنا له جائزا صحيحا ، فيلزم أنه لم يزل الرب قادرا عليه(١).

أما شبهتهم : « ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث » فمن الكلام المجمل المبتدع فيقال لهم : إنْ كان المقصود بهذه المقالة ما لا يخلو من الحوادث المعينة ، أو ما لا يسبق الحادث المعين فهو حق بلا ريب ولانزاع(٢).

وذلك لأنَّ الحوادث المعينة لها بداية ونهاية ، ولاشك أنَّ ما لا يخلو من هذا النوع من الحوادث حادث ، دون خلاف بين أهل العلم في ذلك ، بخلاف ما لا يخلو من جنس الحوادث المتعاقبة واحدة بعد أخرى إلى غير نهاية فهذا لايكون ما لا يخلو منه حادثا عند كثيرمن العقلاء(٣). فإذا أُريد بالحوادث الأمور التي تكون شيئا بعد شيء لا إلى أول ، وقد قيل إنه مالا يخلو من الحوادث فهو حادث ، لم يكن ظاهرا ولا بينا ، بل هذا المقام قد حارت فيه كثير من الأفهام ، وكثر فيه النزاع والخصام ، ولهذا صار المستدلون بقولهم : مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث ،

---

(١) انظر : منهاج السنة ١/١٥٨-١٥٩ودرء التعارض ١/١٢١-١٢٢ومسألة الحرف التي أنزلها الله على آدم عليه السلام ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣/٤٣ .

(٢) انظر : مسألة الحرف التي أنزلها الله على آدم « ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٣/٤٤٣ .

(٣) انظر : درء التعارض ١/٣٦٥و٢/٢٦٧وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ٢/٩١-٩٢ومسألة الحرف التي أنزلها الله على آدم « ضمن مجوعمة الرسائل والمسائل ٣/٤٤٣ومنهاج السنة١/ ١٥٨ .

يعلمون أنَّ هذا الدليل لايتم لهم إلا إذا أثبتوا امتناع حوادث لا أول لها .

وجماهير أهل الحديث يقولون لمن يقول : « مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث » إنْ كان الملتزم للحوادث ممكنا بنفسه مخلوقا وجب أنْ يكون حادثا ، وإنْ كان واجبا بنفسه خالقا لم يجز أنْ يكون حادثا(١).

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله في صدد مناقشته لمن يقول : « إنَّ مالا يخلو من الحوادث فهو حادث » ويضمن مقالته هذه التعطيل والتشبيه أنَّ أهل السنة المثبتين للأفعال الاختيارية كما وردت أزلا وأبدا قالوا لمن أنكر ذلك ، أنتم تقولون : إنَّ الرب كان معطلا في الأزل لايتكلم ولايفعل شيئا ، ثم أحدث الكلام والفعل بلا سبب حادث أصلا ، فلزم ترجيح أحد طرفي الممكن على الآخربلا مرجح ، وبهذا استطالت عليكم الفلاسفة وخالفتم أئمة أهل الملل وأئمة الفلاسفة في ذلك ، وظننتم أنكم أقمتم الدليل على حدوث العالم بهذا ، حيث ظننتم أنَّ ما لا يخلو من نوع الحوادث يكون حادث لامتناع حوادث لانهاية لها .

وهذا الأصل ليس معكم به كتاب ولاسنة ولاأثر عن الصحابة والتابعين ، بل الكتاب والسنة والآثار عن الصحابة والقرابة وأتباعهم بخلاف ذلك ، والنص والعقل دَلَّ على أنَّ كل ما سوى الله تعالى مخلوق حادث كائن بعد أنْ لم يكن ، ولكن لايلزم من حدوث كل فردٍ فردٍ مع كون الحوادث متعاقبة حدوث النوع ، فلايلزم من ذلك أنه لم يزل الفاعل المتكلم معطلا عن الفعل والكلام ، ثم حدث ذلك بلا سبب ، كمالم يلزم مثل ذلك في المستقبل ، فإنَّ كل فردٍ فردٍ من المستقبلات المنقضية فانٍ ، وليس النوع فانيًا ، كما قال تعالى : ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد : ٣٥] وقال : ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾ سورة [ص : ٥٤] .

---

(١) انظر : مسألة الحرف التي أنزلها الله على آدم « ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٤٤٣/٣ .

فالدائم الذي لا ينفد أي : لا ينقض النوع ، وإلا فكل فردٍ من أفراده نافذ منقضٍ ليس بدائم !وذلك لأنَّ الحكم الذي تُوصف به الأفراد إذا كان لمعنى موجودٍ في الجملة وُصفت به الجملة مثل وصف كل فرد بوجود أو بإمكان أو بعدم ، فإنه يستلزم وصف الجملة بالوجود والإمكان والعدم !

وأما إذا كان ما وصف به الأفراد لايكون صفة للجملة ، لم يلزم أنْ يكون حكم الجملة حكم الأفراد ، وكذلك إذا وُصف كل واحدٍ واحدٍ من المتعاقبات بفناءٍ أوحدوثٍ لم يلزم أنْ يكون النوع فانيا ، أوحادثا بعد أنْ لم يكن ، لأنَّ حدوثه معناه أنه وُجد بعد أن لم يكن كما أنَّ فناءه معناه عُدم بعد وجوده ، وكونه عُدم بعد وجوده أووُجد بعد عدمه يرجع إلى وجوده وعدمه ، لاإلى نفس الطبيعة الثابتة للمجموع ، كما في الأفراد الموجودة أوالمعدومة أوالممكنة ، فليس إذا كان هذا المعين لايدوم يلزم أنْ يكون نوعه لايدوم ، لأنَّ الدوام تعاقب الأفراد ، وهذا أمر يختص به المجموع لايُوصف به الواحد ، وإذا حصل للمجموع بالإجماع حكم يُخالف به الأفراد لم يجب مساواة المجموع للأفراد في أحكامه ، وبالجملة فما يُوصف به الأفراد قد تُوصف به الجملة ، وقدلاتُوصف به ، فلايلزم من حدوث الفرد حدوث النوع ، إلاإذا ثبت أنَّ هذه الجملة موصوفة بصفة هذه الأفراد[١].

والمقصود أنَّ هؤلاء الطوائف الذين بنوا أصول مذهبهم في الصفات على دليلهم « إنَّ ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث » أرادوا بذلك نقض مقالة الفلاسفة بقدم العالم ، لكن بماذا ، بأدلة كلامية فلسفية معارضة لوحي الله ، فلا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا[٢]، بل التزموا لوازم فاسدة ، فجعل المعتزلة والمشبهة صفات الله

---

(١) انظر : منهاج السنة ١/٤٢٥-٣٢٨ .

(٢) هذه العبارة من كلام شيخ الإسلام رحمه الله انظر : الفتوى الحموية ص/ ٢٠وضمن مجموع الفتاوى ٥/٣٣ .

الفعلية حادثة وُصف الله تعالى بها بعد أنْ لم يكن موصوفا بها ، وجعلها الكلابية الأشعرية قديمة لاتتجدد ، ولم يفرقوا كلهم بين نوع الصفات الفعلية وآحادها ، والصحيح أنَّ حكم النوع غيرحكم الأفراد ، فنوع الصفات أزلي وأفرادها حادث !

الوجه الرابع : إنَّ استدلالهم السابق على مذهبهم في الصفات الفعلية بقولهم : إنَّ ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ، لايتم لهم إلا إذا أثبتوا امتناع حوادث لا أول لها ، وقد فعلوا ذلك ، إذْ القول بجواز ذلك يُعارض عندهم دليل الأعراض وحدوث الأجسام الذي استدلوا به على حدوث العالم الدال عندهم على وجود الله ، وقد إتبع الكرامية والأشعرية[١]كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله المعتزلة في القول بامتناع حوادث لا أول لها مطلقا[٢]، وبناءً على منعهم ذلك جعلوا الرب تعالى يمتنع عليه الفعل والكلام بمشيئته وقدرته ، فلم يزل غير قادرعلى الكلام والفعل ، فصارعند الكرامية متصفٌ بالصفات الفعلية بعد أنْ لم يكن متصفا بها ، لأنه لو كان متصفا بها في الأزل لأدى ذلك إلى أنْ تتعاقب عليه الحوادث ، وما تعاقب عليه الحوادث فهو محدث[٣]، لأنه يفضي إلى القول بحوادث لا أول لها مطلقا ، وهذا لا يجوز لأنه مبطل لدليل الأعراض وحدوث الأجسام الدال عندهم على وجود الله .

وعمدة القائلين بامتناع مالا نهاية له من الحوادث كما بين شيخ الإسلام هو دليل التطبيق والموازنة المقتضي تفاوت الجملتين ، حيث قالوا : إنَّ التفاوت

---

(١) انظر : الإرشاد للجويني ص/٤٦والمواقف للإيجي ص/٢٧٥-٢٧٦وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص/٨٢ .

(٢) انظر : مسألة الحرف التي أنزلها الله على آدم « ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٤٤٣/٣ .

(٣) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥٢٥/٦ومسألة الحرف التي أنزلها الله على آدم « ضمن مجموعة الرسائل والمسائل٤٤٣/٣ .

فيما لا يتناهى محال .

مثال ذلك : أنْ يُقدروا الحوادث من زمن الهجرة إلى مالا يتناهى في المستقبل أوفي الماضي ، والحوادث من زمن الطوفان إلى مالا يتناهى أيضائم يوازنون بين الجملتين ، فيقولون : إنْ تساوتا لزم أنْ يكون الزائد كالناقص وهذا ممتنع ، فإنَّ أحدهما زائد على الأخرى فيما بين الطوفان والهجرة ، وإنْ تفاضلتا لزم أنْ يكون فيما لايتناهى تفاضل وهو ممتنع[١] .[٢]!

وقد أجاب شيخ الإسلام رحمه الله عن دليل التطبيق وذكر قول أهل الحديث وغيرهم في الرد على من استدل به لتقرير مقالته بامتناع حوادث لا أول لها أجاب على ذلك بأمور ومنها :

١ ـ إنَّ الذين نازعوا المستدلين بدليل التطبيق من أهل الحديث وغيرهم قالوا : لانسلم أنَّ حصول مثل هذا التفاضل في ذلك ممتنع ، بل نحن نعلم أنه من الطوفان إلى ما لانهاية له في المستقبل أعظم من الهجرة إلى مالا نهاية له في المستقبل ، وكذا من الهجرة إلى مالا بداية له في الماضي أعظم من الطوفان إلى مالا بداية له في الماضي ، وإنْ كان كل منهما لابداية له ، فإنَّ مالا نهاية له من هذا الطرف لوهذا الطرف ليس محصورا محدودا موجودا ، حتى يُقال : إنهما متماثلتان في المقدار ، فكيف يكون أحدهما أكثر ؟!

بل كونه لا يتناهى معناه أنه يُوجد شيئا بعد شيء دائما ، فليس هو مجتمعا محصورا ، والاشتراك في عدم التناهي لا يقتضي التساوي في المقدار ، لأنَّ التفاوت بين السلسلتين من حيث الكم والعدد شيء مسلم به ، نظير ذلك : أننا لو

---

(١) انظردليل التطبيق في : الإرشاد للجويني ص/٤٦-٤٧والمواقف للإيجي ص/٩٠-٩١وشرح المقاصد للتفتازاني ٢/١٢٠-١٢٢ .

(٢) انظر : منهاج السنة ١/٤٣٢ .

ضاعفنا الآحاد والعشرات والمئات فالكل يشترك في عدم التناهي ، وفي نفس الوقت ممكن أن نقول : إنَّ اشتراك الواحد والعشرة والمائة والألف في التضعيف الذي لا يتناهى لا يقتضي تساوي مقدارها ، فكذا هنا !

٢ ـ إننا نُسلم التفاضل الذي يحصل بين السلسلتين ولامانع منه ، لأنه لم يكن من جانب الأزل الذي لايتناهى ، ولكنه حصل من جانب المستقبل مما يلي جانبنا ، وهذا لامحذورفيه وبناءً على هذا لايصح القول بأنه وقع التفاوت فيما لايتناهى ، لأنَّ هذا يشعر بأنَّ التفاوت حصل في الجانب الذي لا آخر له ، وبذلك يتضح غلط من يقول يلزم التفاضل أوالتساوي فيما لا يتناهى !

٣ ـ إنَّ الموازنة والتطبيق المزعوم لم يكن أمراحقيقيا ، بل إنه مجرد فرضٍ وتقديرٍ ، لأنَّ ما مضى من الحوادث فقد عُدم ، ومالم يحدث لم يكن ، فالتطبيق في مثل هذا أمريُقدر في الذهن ، ولاحقيقة له في الخارج ، كتضعيف الأعداد ، فإنَّ تضعيف الواحد أقل من تضعيف العشرة ، وتضعيف العشرة أقل من تضعيف المائة ، وكل ذلك لانهاية له ، لكن ليس هوأمرا موجودا في خارج الذهن[١].

فدليل التطبيق الذي اعتمد عليه كل من قال بامتناع حوادث لا أول لها ، من المعطلة والمشبهة شبهتهم في ذلك جميعهم المقالة الفلسفية « إنَّ ما لا يخلو من الحوادق فهو حادث »[٢]وهذا منتقض لأنه مبني على شبه وخيالات في الذهن لا وجود لها في الخارج ، وإذا كان الأصل المعتمد عليه باطلا ، فماتفرع عنه أو اعتمد عليه من الشبهات أولى بالبطلان !

الوجه الخامس : إنَّ شبهة امتناع حوادث لا أول لها مبنية على امتناع التسلسل

---

(١) انظر : المرجع نفسه ١/٤٣٢-٤٣٤ ، ودرء التعارض ١/٣٠٤-٣٠٥و٣٨٩-٣٩٠و٢/ ٣٦٥-٣٦٩و٩/٨٧-٨٨و١٩٦-٢٠١ .

(٢) كما تقدم انظر : ٢/٩٩ ـ ١٠٢ .

في الماضي ، الذي منعه أهل الكلام المذموم ومنهم المشبهة الذين يقولون لتقرير مذهبهم في صفات الله الفعلية ومنها صفة الكلام : إنه لا يجوز أنْ تتعاقب عليه الحوادث ، فتتسلسل إلى مالانهاية له في الماضي ، لأنَّ ما تعاقبت عليه الحوادث هو مُحْدَث ، وإذا كان كذلك فيفتقر إلى إحداث ، وذلك الإحداث إلى إحداث فيلزم التسلسل(١).

وهذا التسلسل الذي منعه المشبهة يُسمى التسلسل في الآثار ، ومنه التسلسل في الماضي ، مثل أنْ يكون الحادث الثاني موقوفا على حادثٍ قبله ، وذلك الحادث موقوف على حادث قبله وهلم جرا(٢)، وقد منعه أكثر متكلمي المعطلة من المعتزلة(٣)، والأشعرية(٤).

وهناك تسلسل آخر ، وهو التسلسل في المستقبل ، وذلك بأنْ يُوجد حادث وبعده حادث وهكذا في المستقبل إلى مالايتناهى ، وقد منع ذلك جهم بن صفوان ، فزعم أنَّ الجنة والنار يفنيان ، وأبو الهذيل العلاف الذي زعم أنَّ حركات أهل الجنة والنار تنقطع ويبقون في سكون دائم ، لأنهم لما اعتقدوا أنَّ التسلسل في الحوادث ممتنع في الماضي والمستقبل قالوا هذا القول الذي ضللهم به أئمة الإسلام(٥).

---

(١) انظر : التفسير الكبيرلابن تيمية ٣٧٤/٦وضمن مجموع الفتاوى٣٨٣/١٦و كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى٥٢٤/٦-٥٢٥ .

(٢) انظر : منهاج السنة ١٤٦/١-١٤٧و١٧٦و٤٧٦ودرء التعارض١/ ٣٠٥و٣٢١و٣٥٩-٣٦١والتفسير الكبير٣٧٤/٦وضمن مجموع الفتاوى٣٨٣/١٦وشفاء العليل ص/٢٦٤-٢٦٥ .

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة ص/١١٤-١١٥ .

(٤) انظر : الإرشاد ص/٤٠و٤٢والمواقف ص/٩٠-٩١وشرح المقاصد ١٢٥/٢-١٣١ .

(٥) انظر : منهاج السنة ١٤٦/١-١٤٧ .

وموقف أهل السنة من ذلك : أنَّ لفظ التسلسل لفظ مجمل لم يرد نفيه ولاإثباته في كتاب ولاسنة متبعة ليجب مراعاة لفظه ، لكن يستفصل عن معناه ، فإنْ كان حقًا أُثبت وإلارُدَّ . وهو أنواع ، منها ماهو ممتنع وذلك : كالتسلسل في العلل والفاعلين ، بأنْ يكون للفاعل فاعل وللفاعل فاعل إلى مالانهاية له ، وهذا متفق على امتناعه بين العقلاء(١).

وهذا التسلسل هو الذي أمررسول الله ﷺ بالاستعاذة منه في قوله : « يأتي الشيطان أحدكم ، فيقول من خلق كذا وكذا ، حتى يقول له : من خلق ربك ، فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينتهِ »(٢).

قال أبوهريرة راوي الحديث : « فبينا أنا في المسجد إذْ جاءني ناسٌ من الأعراب . فقالوا : ياأباهريرة هذا الله . فمن خلق الله ، قال : فأخذ حصىً بكفه فرماهم . ثم قال : قوموا . قوموا . صدق خليلي »(٣).

وفي رواية قال أبوهريرة : « فوضعت أصبعي في أذني وصرخت : صدق الله ورسوله الله الواحد الأحد الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد(٤).

فنهرهم رحمه الله وقرأ سورة الإخلاص التي هي أعظم سورة في تنزيه الله عن الشبيه والمثيل ، وعن كل نقص وعيب يُضاد كماله عز وجل كما تقدم(٥)، لأنَّ سؤالهم تضمن قياس الخالق على المخلوق ، والله تعالى لا يُقاس بخلقه لأنه لا شبيه

---

(١) انظر : منهاج السنة ٤٣٧/١ودرء التعارض٣٢١/١وشفاء العليل ص/٢٦٤-٢٦٥وشرح العقيدة الطحاوية ص/١٣٥ .

(٢) تقدم عزوه انظر : ٤٠١/١ .

(٣) رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ١٢٠/١-١٢١ح٢١٥ .

(٤) رواه الدارمي في كتاب الرد على الجهمية ص/٩-١٠ .

(٥) انظر : ١١٠/٢ .

له ولا نظير ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ الوسواس الشيطاني لايقف عند حد المخلوق المحدث ، بل يتعداه إلى الخالق الأزلي تعالى ، فالفاعل منا وإنْ حدثت فيه حركة ، فالخالق لها غيرها ، وخالق العالم لا مُحْدِث لفعله إلا هو عز وجل .

وذات المخلوق أحدثها الله تعالى ، وهو تعالى أزلي ، رب كل شيء ومليكه ، هوالخالق وماسواه مخلوق ، ولهذا كان السؤال عن : من خلق الله ، منتهى مسائل الشيطان ووسوسته التي يُضل بها الإنسان ، مع فسادها بالبرهان(١).

وأما التسلسل في الماضي الذي منعه المشبهة وضمنوه التشبيه ومنعه المعتزلة والأشعرية وضمنوه التعطيل ، وكذا التسلسل في المستقبل الذي منعه الجهم بن صفوان وأبو الهذيل العلاف والتزموا به لوازم فاسدة معلومة الفساد ببديهة العقل ، فإنَّ هذا كما ذكر شيخ الإسلام وتلميذه الإمام ابن القيم جائز عندجمهورالمسلمين ، وقد جوزه أئمة أهل السنة والحديث مع كثير من أئمة أهل الكلام والفلاسفة ، وهو الذي يدل عليه الشرع والعقل من دوام أفعال الرب تعالى في المستقبل إلى الأبد ، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر لا نفاد له ، فما من شيء إلا وبعده شيء لا نهاية له(٢).

والتسلسل في الماضي الذي منعه المشبهة والمعطلةواجب يدل عليه الشرع والعقل وهو دوام فاعلية الرب سبحانه في أفعاله شيئا قبل شيء إلى ما لا نهاية ، فإنَّ أفعال الرب عز وجل ثابتة من طريق الأزل ، كما أنها ثابتة من طريق الأبد ، فلم يزل الله فعالا أزلاوأبدا ، لأنَّ الفعل صفة كمال ، ومن يفعل أكمل ممن لايفعل ، ولا

---

(١) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ١/٣٠٤ .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية ١/١٤٧وشفاء العليل ص/٢٦٤-٢٦٥ .

يقتضي صريح العقل إلاهذا . ومن زعم أنَّ الفعل كان ممتنعا عليه سبحانه في مُدَدٍ غيرمقدرة لانهاية لها ، ولايقدرأنْ يفعل ، ثم انقلب من الاستحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي من غير حدوث سبب ولاتغيرفي الفاعل فقدنادى على عقله بين الأنام(١).

فالتسلسل في أفعال الله سبحانه وتعالى من طريق الأزل واجب ، فإنَّ كل فعل مسبوق بفعل آخر ، فإنه عز وجل فعال لمايريد ، فلم يزل متكلما إذا شاء ، ولم تحدث له صفة لم تكن له من قبل في وقت من الأوقات ، وأهل السنة يقولون بهذا ، ويقولون : لم يزل الله متكلما إذا شاء ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩] .

وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته عز وجل ، فإنَّ كل حي فَعَّالٌ ، والفرق بين الحي والميت بالفعل ، ولهذا قال غير واحد من السلف : الحي الفعال ، ولم يكن الخالق عز وجل قط في وقت من الأوقات المحققة أو المقدرة معطلا عن كماله من الكلام والإرادة والفعل . وكذلك التسلسل في مفعولات الله تعالى ممكن ، فإنه عز وجل إذا لم يكن حيا قادرا مريدا متكلما ، وذلك من لوازم حياته ، فالفعل ممكن له بوجوب هذه الصفات له عز وجل ، وأنْ يفعل أكمل من أنْ لايفعل ، ولايلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه ، فإنه سبحانه وتعالى متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدما لا أول له ، فكل مخلوقٍ له بداية ، والخالق سبحانه وتعالى لا أول له ، فهو وحده الخالق ، وكل ماسواه مخلوق كائن بعد أنْ لم يكن(٢).

وما من مفعول إلا وهو حادث بعد أنْ لم يكن ، وليس مع الله شيء من

---

(١) انظر : المرجع نفسه ص/٢٦٤ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص/٢٦٥وشرح العقيدة الطحاوية ص/١٣٥ .

المفعولات ولا الأفعال ، بل كل منهما حادث بعد أنْ لم يكن ، والحادث بعد أنْ لم يكن مقارنا للقديم الذي لم يزل[١].

ولايُفهم من قول أهل السنة : لم يزل الله خالقا ، أولم يزل فاعلا ، أنَّ هذه المفعولات أوالمخلوقات معه في الأزل ، بل المرادكما بين شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ الخلق لذلك سيخلقه ، ولم يزل الفاعل لذلك سيفعله ، فما من مخلوق من المخلوقات ، ولافعل من الأفعال إلا والرب تعالى موصوف بأنه لم يزل سيفعله ليس موصوفا بأنه لم يزل فاعلا له خالقا له بمعنى : أنه موجود في الأزل ، وإنْ قدرأنه كان قبل هذا الفعل فاعلا لفعل آخر ، وقبل هذا المخلوق خالقا لمخلوق آخر فهولم يزل بالنسبة إلى كل فعل ومخلوق سيفعله وسيخلقه لا يُقال : لم يزل فاعلا له خالقا بمعنى مقارنته له[٢].

وسلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان يقولون : لم يزل يفعل كذا ، ولم يزل متكلما إذا شاء ، يريدون بذلك قِدَم النوع وتجدد الآحاد ، لابمعنى وجود المفعولات معه عز وجل أزلا فإنَّ هذا ليس من أقوال المسلمين[٣].

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « إنَّ كل ماسوى الله مُحْدَث ، مخلوق كائن بعد أنْ لم يكن ، وإنه ليس في العالم شيء قديم مُساوقٌ لله ، كما تقوله الفلاسفة القائلون بقدم الأفلاك وأنها مساوقة لله في وجوده ، فإنَّ هذا ليس من أقوال المسلمين »[٤].

---

(١) انظر : درء التعارض ٢٦٧/٢ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ٢٦٧/٢-٢٦٨ .

(٣) انظر : منهاج السنة ١٤٧/١-١٤٨ودرء التعارض ٢٨٦/٢ .

(٤) منهاج السنة ١٤٧/٢-١٤٨ .

ورغم نقض شيخ الإسلام رحمه الله لمقالة الفلاسفة القائلين بقدم العالم واعتبارها ليست من أقوال المسلمين ، واعتباره أنَّ كل ماسوى الله مُحْدَث مخلوق رغم هذا كله فقد اتهمه من ساء فهمه وقصده ، وانحرف منهجه بسلوكه منهج أهل الكلام المذموم فزعم أنه يقول بقدم العالم كما فعل أبو بكر الحصني[١]في كتابه : « دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد »[٢]الذي خصصه للطعن في شيخ الإسلام رحمه الله ورميه بالتشبيه والتجسيم ، كذبا وتشنيعا لينفر الناس من منهجه في الصفات المبني على الكتاب والسنة ، الذي اعتبره الحصني وأضرابه المتكلمون تشبيها وتجسيما[٣].

وسار على منهجه جهمي العصرمحمد زاهد الكوثري الذي خصص كتبه وتعليقاته على بعض كتب أهل السنة وغيرهم للطعن على أئمة أهل السنة ورميهم بالأباطيل[٤]، فذكر أنَّ ابن تيمية يقول : بقدم العالم[٥].

---

(١) أبوبكر محمد بن عبدالمؤمن بن معلى بن موسى الحصني الدمشقي الشافعي ، كان من المعادين لشيخ الإسلام ابن تيمية النابزين له بالتشبيه ، وكان منحرفا إلى الكلام والتصوف ، من مصنفاته : « شرح أسماء الله الحسنى » و « دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد » مات سنة ٨٢٩هـ انظر ترجمته في : شذرات الذهب ١٨٨/٧-١٨٩ .

(٢) مخطوط انظر : ورقة/٥٣ .

(٣) سيأتي ذكر مقالاتهم في ذلك وبراءة أهل السنة منها انظر : ١٤١/٢ .

(٤) سيأتي ذكر بعض مقالاته في ذلك ونقدها وبيان براءة أهل السنة منها انظر : ١٦٦/٢ - ١٦٧ و ١٨٤ - ١٨٥ و ١٩٣ و ٢٥١ و ٢٦٩ و ٢٨٢ و ٣١٨ .

(٥) انظركتابه : تكملة الرد على نونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل للسبكي ص/ ٧٢و٧٤وتعليقاته على الأسماء والصفات للبيهقي ص/٣٧٥ومقدمته على البراهين الساطعة لسلامة القضاعي ص/٨ .

وسار على منهجه مقلده المدعو منصور عويس[١]، الذي ألف كتابا سماه « ابن تيمية ليس سلفيا » ملأه بالزور والبهتان ، فقد ألفه لنبز شيخ الإسلام بالتشبيه والتجسيم ، وذكرفيه أنه يقول بقدم العالم[٢].

وشيخ الإسلام رحمه الله بريء من القول بقدم العالم وغيرها من المقالات الفاسدة وقد ألف رحمه الله كتابه « الصفدية » للرد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم ، كما نقض مقالتهم في مواضع من كتبه[٣]، فكيف يقول بذلك وهو يعتبر أنَّ القول بقدم العالم كما تقدم ليس من أقاويل المسلمين ، بل هو من أقاويل الفلاسفة الملحدين ، ويقرر أنَّ كل ماسوى الله حادث مخلوق ، كائن بعد أنْ لم يكن ، فمن يقول بهذا كيف يُتَقَوَّل عليه بأنه يقول بقدم العالم ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

فَعُلم مما تقدم أنَّ إثبات التسلسل في الماضي لامحذور فيه ، بل هو صحيح لازم ثابت لإثبات أفعال الله في الأزل ، كما أنَّ إثباته في المستقبل لامحذور فيه ، لإثبات أفعال الله جل وعلا في المستقبل ، وأنَّ من منع ذلك في الماضي من المتكلمين المعطلة والمشبهة فقد وقع في التعطيل والتمثيل ، لمنعه إثبات صفات الله

---

(١) لازال منصور محمد عويس هداه الله مرتضيا لمنهج المتكلمين ، والسير على طريق الكوثري في نبز أهل السنة بالتهم الباطلة لاسيما شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه الإمام ابن القيم رحمهما الله .

(٢) انظركتابه : ابن تيمية ليس سلفيا ص/١٤٩و١٥٥ .

(٣) وقد أشار زميلي الدكتور : عبدالقادر محمد عطا صوفي حفظه الله إلى المواضع التي رَدَّ فيها شيخ الإسلام رحمه الله في بعض كتبه على القائلين بقدم العالم في رسالته القيمة : الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢/٣٥٤-٣٥٥ .

وإذا جمعت أقوال شيخ الإسلام رحمه الله في رده على القائلين بقدم العالم ، تكون رسالة علمية يدحض بها في وجه أهل البدع النابزين شيخ الإسلام بالقول بقدم العالم . كذبا وافتراء !

الفعلية أزلا ، وزعمه أنها حادثة بعد أنْ لم تكن .

كما أنَّ من منعه في المستقبل التزم لوازم فاسدة كالقول بفناء الجنة والنار كمافعل جهم بن صفوان ، والقول بانقطاع حركات أهل الجنة والنار كما فعل أبوالهذيل العلاف .

وعُلم أنَّ التسلسل في الماضي لامحذور فيه ، ولايُفضي إلى القول بقدم العالم كما زعم أهل البدع فإنَّ الله تعالى متقدم أزلي لا أول لوجوده ، وكل مخلوق حادث بعد أنْ لم يكن ! كما عُلم فساد استدلال المتكلمين المشبهة والمعطلة بدليل الأعراض وحدوث الأجسام ، وأنَّ هذا الدليل ينبوع البدع ، به عطل من عطل وشبه من مثل !

وعُلم أن هذا الدليل قد جرَّ القائلين به من المعطلة والمشبهة إلى شبهاتٍ فاسدة كشبهة أنَّ ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ، وشبهة : امتناع حوادث لا أول لها ، تلك الشبه الفاسدة التي جعلت كلًا من المشبهة والمعطلة المعتزلة على حد سواء يقولون : في صفات الله إنها حادثة بعد أنْ لم تكن !

وقد تقدم أ نَّ هذه المقالة تتضمن التعطيل ، ووصف الله بالنقص ، وتشبيه صفاته بصفات المخلوق الناقص الذي وُجدت فيه الصفات بعد أنْ لم تكن[1]، تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

○○○○

(١) انظر : ١/٣٥٤ و٣٧١ .

المطلب الثاني

استدلال المشبهة ببعض الأقيسة الفاسدة وموقف أهل السنة منها

استدل المشبهة لتقرير مقالتهم في التشبيه وقولهم إنَّ الله جسم بأقيسة فاسدة كقياس الغيب[١]على الشاهد ، وقياس التمثيل ، وقياس الشمول ، فقد عارضوا بهذه الأقيسة الكلامية المذمومة وحي الله تعالى ، فقاسوا بها الخالق على المخلوق وسلطوا عقولهم الفاسدة على ماهو خارج عن طورها وحدودها ، فتخبطت خبط عشواء ، وخاضت في ذات الله تعالى وصفاته بما لايقول به من له أدنى مسكة من عقل وإيمان ، حيث قاسوا ذات الله وصفاته على ذواتهم وصفاتهم ، مستخدمين في ذلك تلك الأقيسة الفاسدة التي لايجوز استعمالها في حق الله تعالى ، وإنما كان منهم ذلك نتيجة خوضهم في الكلام المذموم الذي استنبطوا منه أقيستهم الفاسدة فشبهوا بها الله عز وجل ووصفوه بصفات المخلوقين .

وقدذكر الإمام ابن رجب رحمه الله كيف أنَّ المشبهة كالكرامية راموا إثبات الصفات بأدلة العقول التي لم يرد بها الأثر ، وقصدوا بذلك الرد على مقالة أهل التعطيل ، حتى إنَّ منهم من أطلق لفظ الجسم على الله إما لفظا ، وإما لفظا ومعنى[٢]ومنهم من أثبت لله تعالى صفات مبتدعة لم يأتِ بها الكتاب والسنة[٣].

وفي هذا المطلب سأذكر بعض الأقيسة العقلية التي استدل بها المشبهة لتقرير

---

(١) وإنما قلت قياس الغيب على الشاهد بدلا من قياس الغائب على الشاهد ، لأنَّ الله تعالى كما ذكر الإمام ابن قدامة نفى ذلك عن نفسه بقوله : ﴿ وماكنا غائبين ﴾ [الأعراف : ٧] انظركتابه : تحريم النظرفي كتب أهل الكلام ص/٦٥ . وقال ﴿ ولله غيب السموات والأرض ﴾ [هود : ١٢٣]

(٢) تقدمت مقالة المشبهة إنَّ الله جسم وموقف أهل السنة منها انظر : ٩/٢ .

(٣) انظر : فضل علم السلف على الخلف لابن رجب ص/٢٩ .

مقالتهم في التشبيه ، وقولهم إنَّ الله جسم ، مع بيان موقف أهل السنة منها على سبيل الإجمال في أربعة مقاصد :

المقصد الأول

استدلالهم بقياس الغيب على الشاهد وموقف اهل السنة من ذلك

ينبني هذا القياس على إثبات علة مشتركة بين الشاهد والغائب[١]، وقد استدل به المشبهة لتقرير مقالتهم في التشبيه في صفات الله تعالى ، ومقالتهم إنَّ الله جسم ، حيث قاسوا ذات الله عز وجل وصفاته بما يُشاهدونه من ذوات المخلوقين وصفاتهم ، خائضين في كيفيات صفات الله عز وجل خوضَ من يُشاهد ذات الله تعالى ، مع أنَّ ذلك من الأمور الغيبية التي لا يجوز الخوض فيها بالعقل لكونها لم ترد في صحيح المنقول ، ومن الأمثلة على استدلالهم بقياس الغيب على الشاهد مايلي :

١ ـ قولهم : إنه لايقوم في المعقول إلا جسم أوعرض ، والقديم يستحيل أنْ يكون عرضًا فوجب أنْ يكون جسما[٢].

فقد قاسوا الله تعالى على ما يشاهدونه من المخلوقات من كونها إما جسم أو عرض ، وزعموا أنه لا يقوم في المعقول إلا هذا ، وبناءً على ذلك أطلقوا على الله أنه جسم لأن ماليس عرضا فهو إذا جسم ، وهذا قياس للخالق عز وجل على الموجودات المشاهدة وهو باطل من أساسه لأنَّ الله تعالى لا يُقاس بخلقه ، لأنه لا نظير له ولا مثيل فكيف يُقاس على خلقه ، بل هوتعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَّهُوَ

---

(١) انظر : نهاية الإقدام للشهرستاني ص/١٨٢ .

(٢) انظر : الغنية للشيخ عبد القادر الجيلاني ٩٣/١والفصل لابن حزم ٢٧٧/٢وتبصرة الأدلة للنسفي ص/١١٢و١٢١-١٢٢والتوحيد لابن بابويه القمي ص/٩٩ومنهاج السنة لابن تيمية ١/ ١٠٧-١٠٨ونقض التأسيس « المطبوع » له ٥٠/١ورسالة في الروح والعقل له ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٤٥/٤ .

﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ولا سمي له ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ولا كفو له ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

وَيُقال في نقض قياسهم هذا : إنَّ القسمة العقلية للموجودات التي ذكروها باطلة من أساسها ، والصواب في ذلك أنْ يُقال : إنَّ الموجودات إما خالق ، وإما مخلوق . والخالق لا يُقاس على خلقه لأنه لا نظير له ولا مثيل . والمخلوقات منها ماهو جسم[١] ، ومنها ماهو عرض وهي مخلوقة حادثة زائلة ، والمخلوق الحادث الفاني لا يُقاس عليه الخالق الأزلي الباقي الدائم الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء .

وقد رد الإمام ابن حزم بطريقة المتكلمين على قياس المشبهة السابق ، المبنية على القول بأنَّ الله ليس بجسم ، المفضية إلى التعطيل ، حيث ذكر أنَّ القسمة العقلية التي ذكرها المشبهة من أنه لايقوم في المعقول إلا جسما أو عرضا ، قسمة ناقصة ، والصواب : أنه لا يوجد في العالم إلا جسم أو عرض ، وكلاهما يقتضي بطبيعة وجوده وجودَ محدث له ، فبالضرورة نعلم أنه لو كان محدثهما جسما أو عرضا لكان يقتضي فاعلا فعله ولابد ، فوجب بالضرورة أنَّ فاعل الجسم والعرض ليس جسما ولاعرضا ، وهذا برهانٌ يضطر إليه كل ذي حسٍ بضرورة العقل ولابد[٢] !

والصواب : أنَّ الذي ذكره ليس دليلا يُدفع به قياس المشبهة وشبهتهم في قولهم : إنَّ الله جسم فضلا عن أنْ يكون برهانا عقليا يُضْطَر إليه كل عاقل بضرورة العقل كما ذكر !! لأن النتيجة التي أدى إليها مبتدعة ، وهي : أنَّ الله ليس بجسم ولاعرض ، على طريقة المتكلمين النفاة ، وأهل السنة كما تقدم لايُطلقون على الله

---

(١) تعريف الجسم عند التكلمين أعم من تعريفه عند أهل اللغة ، وقد أطلقوا على بعض المخلوقات أنها جسم كالهواء وليس كذلك كما تقدم انظر : ٢٣/٢ .

(٢) انظر : الفصل لابن حزم ٢٧٧/٢-٢٧٨ .

تعالى ذلك إثباتا ونفيا[١]، من أثبته بَدَّعوه ومن نفاه كذلك بَدَّعوه ، وكل دليل نتيجته باطلة فهو باطل !!

وللمشبهة أنْ يعترضوا قائلين : من أين لكم الدليل على نفي أنْ يكون الله جسما ، فكيف تعيبون علينا إثباته ، أفلا يُعاب عليكم نفيه ، بل إثباته أولى من نفيه ، لأنَّ ما ليس بجسم لايُعقل وجوده ، وهذا الاعتراض لازم لمن نفى الجسم عن الله تعالى وزعم أنه ينزهه بذلك ، بخلاف من تجنب إثباته ونفيه ، واعتبر ذلك بدعة في الدين ، لم ترد في الكتاب والسنة ، وبنى رده على المنهج المستقيم المستنبط من وحي الله ، ونزه الله تعالى أنْ يُقاس بخلقه ابتداءً ، فإنه يسلم من الوقوع في البدع ، ووصف الله تعالى بمالم يصف به نفسه إثباتا ونفيا ، وبهذا يُوفق للسلوك في منهج أهل السنةوالجماعة المبني كما تقدم على الإثبات والتنزيه ووصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ على وفق قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

٢ ـ ومن الأمثلة على استدلال المشبهة بقياس الغيب على الشاهد للدلالة على وصفهم الله تعالى بالصفات بعد أنْ لم يكن كذلك قولهم : إنَّ الخالق لايُسمى خالقا ، والرازق لايُسمى رازقا حتى يخلق ويرزق ويحصل منه ذلك ، لأنَّ العقل والمشاهدة ينكران أنْ يُسمى أحدٌ بأنه فاعل أويتحلى بالفعل إذا خلا عن الفعل في الحال ، وإذا صح هذا في الشاهد صح أنَّ الله لايتصف بأنه خالق رازق مالم يخلق ويرزق[٢]!

فقد عطلوا الله في الأزل عن صفاته عز وجل ، وجعلوه لايتصف بها إلا بعد

---

(١) انظر : ١٢/٢ .

(٢) انظر : الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي ٣٠٠/١ .

وجود المفعول فلايتصف بأنه فاعل ما لم يفعل ، فلم يكن خالقا ولارازقا حتى يكون منه ذلك ، وهذا تشبيه منهم للخالق بالمخلوق الذي اتصف بالصفات بعد أنْ لم يكن كذلك ، وقد وقعوا في ذلك بسبب قياسهم صفات الخالق على مايُشاهدونه من صفات المخلوق الحادثة المتصف بها بعد كونها ، وهذا القياس باطل فاسد ، ومن كان عنده أدنى مسكة من عقل وإيمان لايقيس الخالق المتصف بصفات الكمال أزلا وأبدا على المخلوق الناقص الحادث الذي اتصف بالصفات بعد أنْ لم يكن كذلك ، المتصف بصفات النقص الزائلة عنه . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

ذكر الإمام أبو القاسم التيمي رحمه الله : أنَّ الله عز وجل يُوصف بأنه رب قبل أنْ يخلق المربوب ، وبأنه إله قبل أنْ يخلق المألوه ، وبأنه تعالى المعيد الباعث الوارث ، وإنْ لم يُعِد ، ولم يبعث ، ولم يَرِث ، ومن نفى هذه الصفات عنه تعالى قبل وجود معانيها فقد خالف المسلمين . ولأنَّ الخلق صفة مدح وهو من صفات الذات كالعالم والقادر ـ أي : العلم والقدرة ـ والله سبحانه في الأزل مستحق لأوصاف المدح ، فلو لم يكن خالقا كان ناقصا[١]!

٣ ـ ومن الأمثلة على استدلال المشبهة بقياس الغيب على الشاهد لتقرير مقالتهم في التشبيه وقولهم إنَّ الله جسم قولهم : إذا تدبرنا أحوال الفاعلين شاهدا لم نجد فاعلا ليس بجسم ، بل يستحيل ذلك في الشاهد ، فيجب القضاء بذلك في كل فاعل ، لأنَّ إثبات متصف بهذه الصفات على خلاف المشاهدة لايقبله عقل فوجب بأنه ـ تعالى ـ جسم ، ولأنَّ الفاعل لايصح إلا من جسم ، والباري فاعل فوجب كونه جسما[٢].

---

(١) انظر : المرجع نفسه ٣٠١/١ .

(٢) انظر : الشامل للجويني ص/٤١٩والفصل لابن حزم ٢٧٠/٢وأسا س التقديس للرازي ص/٤٣ وتبصرة الأدلة للنسفي ص/١١٢و١٣٤و١٢١-١٢٢ .

فقد أطلقوا على الله أنه جسم بناءً على قياس فعله على فعل المخلوق العاجز المشاهد ، فحكموا أنَّ كل فاعل يجب أنْ يكون جسما ، والباري فاعل فهو كما زعموا جسما ! وهذا القياس باطل ، لأنه قياس للخالق وأفعاله بالمخلوق وأفعاله الناتجة عن عجز وضعف المتصف بصفات النقص ، ولايقيس من له عقل وإيمان الخالق المتصف بصفات الكمال المنزه عن صفات النقص ، على المخلوق المتصف بصفات النقص الملازمة لذاته !

أما مقالتهم : إنَّ الفعل لايصح إلا من جسم ، فهذا غير مطرد ، إذْ من المخلوقات من يُرى آثارها ولها أفعال تفعلها بقدرة الله تعالى ، ولاتُوصف بأنها جسم ، لأنَّ الجسم في اللغة كما تقدم[1] لايُطلق إلا على الشيء الغليظ الذي له جرم ، ولا يُسمى الهواء ولا الريح جسما فلا يصح أنْ يُقال لكل من له فعل أنه جسم حتى في المخلوقات ، فإذا كان الأمر كذلك ، فالله وله المثل الأعلى لا يُقال له إنه جسم ، ولا ليس بجسم ، بناءً على قياسه بالمخلوقات ، إذْ كيف يُقاس على خلقه وهو لا نظير له منهم ولا شبيه ولا مثيل ، بل هو عز وجل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ولا سمي له ولا كفو ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

والأمثلة على استدلال المشبهة بقياس الغيب على الشاهد كثيرةجدا ، إذْ أنَّ أكثر مقالاتهم مبنية عليه ، وإنما ذكرت منها ما يتضح به المقام ، وَيُعلم أنهم إنما وصفوا الله عز وجل بما يتنزه عنه من القول بالتمثيل والتشبيه بسبب معارضتهم وحي الله تعالى بعقولهم ، وأقيستهم الفاسدة التي أفضت بهم إلى تشبيه الله بخلقه . تعالى الله عن قولهم علواكبيرا .

---

(١) انظر : ٢/٢١-٢٢ .

المقصد الثاني

موقف أهل السنة من الاستدلال بقياس الغيب على الشاهد

أنكر أهل السنة على من يستدل بقياس الغيب على الشاهد لتقرير مقالته في التمثيل أو التعطيل ، ونزهوا الله تعالى عن أنْ يُقاس بشيء من بريته أويجري بينه وبينهم تمثيل وتشبيه ومن أقوالهم في ذلك قول الإمام الدارمي رحمه الله في صدد مناقشته لبشر المريسي الذي ادَّعى أنَّ إثبات صفة السمع والبصر تشبيه ، مستعملا في ذلك قياس الغيب على الشاهد فرد عليه الإمام الدارمي بقوله : « ... أولم تسمع أيها المريسي قول الله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وكما أنه ليس كمثله شيء ، فليس كسمعه سمع ، ولاكبصره بصر ، ولالهما عند الخلق قياس ، ولامثال ولا شبيه ، فكيف تقيسهما أنت بشبه ماتعرفه في نفسك ، وقد عبته على غيرك »[(١)].

فبين الإمام الدارمي رحمه الله أنَّ الذي أفضى بالمريسي إلى نفي صفة السمع والبصر قياسه الخالق على المخلوق ، المبني على قياس الغيب على الشاهد ، إذْ قاس صفات الله تعالى ومنها صفة السمع والبصر ، بشبه مايعرفه من الصفات في نفسه وبني جنسه ، ثم حكم بهذا القياس على سمع الله وبصره ، فوقع في التشبيه الذي وصم به أهل السنة ، بسبب إثباتهم الصفات[(٢)]ثم فَرَّ منه إلى العطيل الذي هو تشبيه الله بالمعدومات[(٣)].

وذكر الإمام أبو القاسم التيمي رحمه الله أنَّ من يقول إنَّ الله لايتصف بأنه خالق رازق مالم يخلق ويرزق يقيس الخالق بالمخلوق ويشبهه به ، والله عز وجل لا شبيه له

---

(١) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٤٥ .

(٢) سيأتي بيان براءة أهل السنة من وصمة التشبيه في الباب الثا لث انظر : ص/٥٠٦ .

(٣) سيأتي ذكر أمثلة من وقوع المتكلمين في مقالة التشبيه في الباب الرابع انظر : ص/٩٤٠ .

ولا مثيل ، يُوصف بأنه رب قبل أنْ يُوصف المربوب ، وخالق قبل أنْ يُوجد المخلوق ، ورازق قبل أنْ يُوجد المرزوق ، مستحق لأوصاف المدح في الأزل ، ولو لم يكن خالقا لكان ناقصا[١]. والله منزه عن الاتصاف بصفات النقص ، متصف بصفات الكمال ، التي لا شبيه ولا مثيل له فيها ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

ورد الإمام ابن عبد البر رحمه الله على المعطلة الذين اعتبروا وصف الله تعالى بصفة الاستواء كوصف المخلوق بذلك ، واحتجوا على ذلك بما يُشاهدونه من صفة استواء المخلوق على الخالق ، زاعمين بأنَّ الله لوكان في مكان لأشبه المخلوقات ، لأنَّ ما أحاطت به الأمكنة فاحتوته فهو مخلوق ، فرد عليهم الإمام ابن عبد البر أنَّ ذلك لايلزم ، ولامعنى له ، لأنه عز وجل ليس كمثله شيء من خلقه ، ولا يُقاس بشيء من بريته ، لايُدرك بقياس ولا يُقاس بالناس لا إله إلاهوكان قبل كل شيء ثم خلق الأمكنة والسموات والأرض ومابينهما ، وهوالباقي بعد كل شيء ، وخالق كل شيء لا شريك له ، وقد قال المسلمون وكل ذي عقل أنه لايعقل كائن لا في مكان ، وما ليس في مكان فهو عدم ، وقد صح في المعقول وثبت بالواضح من الدليل أنه كان في الأزل في مكان ، وليس بمعدوم ، فكيف يُقاس على شيء من خلقه ، أو يجرى بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا[٢].

وقد أنكر شيخ الإسلام رحمه الله على المعطلة الذين يقيسون صفات الخالق بما يشاهدونه من صفات المخلوق ، ثم يدعون أنَّ إثبات الصفات يقتضي التشبيه ، فأنكر عليهم شيخ الإسلام وبين أنه لا يجوز أنْ تكون صفات الله عز وجل وأفعاله من جنس مانُشاهده من صفات المخلوقين وأفعالهم ، فالرب تعالى إذا وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بأنه ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى

---

(١) انظر : الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي ١/٣٠٠-٣٠١ .

(٢) انظر كتابه : التمهيد ٧/١٣٥-١٣٦ .

ثلث الليل الأخير ، وأنه استوى إلى السماء وهي دخان لم يلزم من ذلك أنْ تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة حتى يُقال ذلك : إنَّ ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر !

فإنَّ نزول الروح وصعودها لايستلزم ذلك وكذلك الملائكة لهم صعود ونزول من هذا الجنس فكيف برب العالمين فلا يجوز نفى ما أثبته الله ورسوله من الأسماء والصفات ولا يجوز تمثيل ذلك بصفات المخلوقات لاسيما مالا نشاهده من المخلوقات فإن ماثبت لما نُشاهده من المخلوقات من الأسماء والصفات ليس مماثلا لما نُشاهده منها فكيف برب العالمين الذي هو أبعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق وكل مخلوق فهو أشبه بالمخلوق الذي لا يماثله من الخالق بالمخلوق سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا[١].

فبين رحمه الله أنَّ هؤلاء المعطلة انحرفوا حين قاسوا أفعال الله بما يُشاهدونه من أفعال المخلوقين ، فوقعوا في التشبيه ، الذي فروا منه إلى التعطيل مع العلم بأنَّ بعض المخلوقات المشاهدة لاتُماثل صفاتها صفات بعض المخلوقات المشاهدة فكيف تماثل صفات الخالق صفات المخلوق !

وإذا كان القدر المشترك بين صفات الخالق والمخلوق كماذكرشيخ الإسلام رحمه الله لا يُعرف إلا بمعرفة المحسوس المشاهد لكن إنما يكون ذلك في القدر المشترك في المعنى العام المطلق الكلي داخل الذهن ، ليس في خارج الذهن منه شيء ،[٢]بل عند الإضافة والتقييد يختص كل بما يُناسبه ، فلله عز وجل صفاتٌ لائقة بجلاله وعظمته لايماثل فيها أحدا من خلقه وللمخلوقين صفاتٌ خاصة بهم تُناسب

---

(١) انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٥٠ .

(٢) انظر : الرسالة التدمرية ص/٧-٨وضمن مجموع الفتاوى ٣/٨-١٠وشرح حديث النزول ص/ ٢٠-٢٢وضمن مجموع الفتاوى ٥/٣٤٦-٣٥٠ .

ضعفهم وعجزهم[١]، لا يجوز وصف الخالق بها لأنها صفات نقص ، والله عز وجل منزه عن الاتصاف بصفات النقص ، بل له عز وجل صفات الكمال التي لا شبيه له فيها ولا مثيل .

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله اضطراب المتكلمين والفلاسفة في استعمال قياس الغيب على الشاهد ، ومالهم في ذلك من التناقض فقال رحمه الله : « المتكلمون والفلاسفة على اختلاف مقالاتهم ، هم في قياس الغائب على الشاهد مضطربين ، كل منهم يستعمله فيما يثبته ، ويرد على منازعه ما استعمله في ذلك ، وإنْ كان قد استعمل هو في موضع آخر ما هو دونه ، وسبب ذلك أنهم لم يمشوا على صراط مستقيم ، بل صارقبوله ورده هو بحسب القول لابحسب مايستحقه القياس العقلي ، كما تجدهم أيضا في النصوص النبوية كل منهم يقبل منها ماوافق قوله ، ويرد منها ما خالف قوله وإنْ كان المردود من الأخبار المقبولة باتفاق أهل العلم والحديث ، والذي قبله من الأحاديث المكذوبة باتفاق أهل العلم والحديث فحالهم في الأقيسة العقلية كحالهم في النصوص السمعية لهم في ذلك من التناقض والاضطراب ما لا يحصيه إلا رب الأرباب »[٢].

فالمتكلمون سواء كانوا معطلة أومشبهة يستعملون الأقيسة العقلية انتصارا لمقالاتهم في التعطيل والتمثيل ، وهم في ذلك مضطربون متناقضون ، وهكذا حالهم في النصوص النبوية يقبلون منها مايظنونه موافقا لمعقولاتهم الفاسدة ، التي قالوا بها في الله عز وجل بالتخرص والظن ، والتقول على الله بغير علم[٣].

---

(١) تقدم بيان ذلك على وجه التفصيل انظر : ١/٣٥٨ - ٣٦٧ .

(٢) نقض التأسيس « المطبوع » ١/٣٢٦ .

(٣) تقدم استدلال المشبهة ببعض نصوص الصفات لتقرير مقالتهم في التشبيه انظر : ٢/٣٧ و٤٧ و٥٢ و٥٦ .

بخلافِ أهل السنة والجماعة فإنهم بسبب اتباعهم لوحي الله عز وجل وُفقوا لسلوك طريق العدل والاستقامة ، فتجنبوا الأقيسة الفاسدة المفضية إلى التعطيل أو التمثيل واستعملوا الأقيسة الصحيحة الموافقة لصحيح المنقول ، المستنبطة من القرآن الكريم ، مثل قياس الأولى الذي هوالمثل الأعلى ، في إثبات صفات الكمال لله عز وجل ، وتنزيهه عن صفات العيوب والنقائص[١]، على وفق قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وإذا كان المتكلمون والفلاسفة مضطربين في استعمال قياس الغيب على الشاهد ، فهل معنى ذلك أنَّ منه ماهو حق .

يرى شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ قياس الغيب على الشاهد منه ماهوحق ، ومنه ماهو باطل وفي ذلك يقول : « قياس الغيب على الشاهد باتفاق الأمم ينقسم إلى حق وباطل ، فإنْ لم يتبين أنَّ هذا من الباطل لم يصلح رده بمجرد ذلك »[٢].

فمن استعمله في تقرير مقالته في التشبيه أو التعطيل كما تقدم ، فقد استعمل منه ماهوباطل معارض لصحيح المعقول !

وقد حكى شيخ الإسلام رحمه الله مسلك بعض النظار في استعمالهم قياس الغيب على الشاهد ، واستدلالهم به على إثبات الصفات ومنها صفة الحياة ، فذكر أنه دليل مشهور للنظار حيث يقولون : قد علم أنَّ من كان متصفا بالعلم والقدرة لابد وأنْ يكون حيا ، فإنَّ ما ليس بحي يمتنع أنْ يكون عالما ، إذْ الميت لا يكون عالما ، والعلم بهذا ضروري ، وقد يقولون : هذه الشروط العقلية لاتختلف شاهدا ولا غائبا ، فتقديرعالم لاحياة به ممتنع بصريح العقل[٣].

---

(١) تقدم استدلال أهل السنة بقياس الأولى في الإثبات والتنزيه انظر : ١٣٧/١ - ١٤٢ .

(٢) نقض التأسيس « المطبوع » ٣٢٦/١-٣٢٧ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الأصفهانية ص/٢٦ .

لكن إثبات الحياة لله تعالى قياسا على حياة المخلوق باطل لأن حياة المخلوق مسبوقة بعدم ، ويلحقها فناء بخلاف حياة الله تعالى فإنها أزلية أبدية غير مسبوقة بعدم ولا يلحقها فناء !

إلا أن يُقال إن من لاصفة له في الشاهد عدم فيجب أن تكون له صفات فإذا كان الأمر كذلك في حق المخلوق فالله أولى أن تثبت له صفات الكمال لأن من لاصفة له عدم . وهذا في الحقيقة راجع إلى الاستدلال بقياس الأولى الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول .

ولم أجد أحدا من أهل السنة والجماعة يستدل في حق الله تعالى إثباتا ونفيا بقياس الغيب على الشاهد بل الذي عليه سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان كما ذكر شيخ الإسلام هو استعمال قياس الأولى[1] المستنبط من القرآن الكريم لإثبات صفات الكمال لله تعالى ، وتنزيهه عز وجل عن مقالة أهل التعطيل والتمثيل كما تقدم .

* * * *

(١) انظر : درء التعارض ١/٢٩-٣٠و٧/١٥٤ ونقض التأسيس « المطبوع » ١/٣٢٦-٣٢٧و٢/٥٣٥ .

المقصد الثالث

استدلال المشبهة بقياس التمثيل والشمول

ومن الأقيسة التي استدل بها المشبهة لتقرير مقالتهم في التشبيه وقولهم إنَّ الله جسم قياس التمثيل ، والشمول .

أولا : قياس التمثيل

وضابطه : انتقال الذهن من حكم معين إلى حكم معين ، لاشتراكهما في ذلك المعنى المشترك الكلي[١]، وهو يستخدم لإلحاق الفرع بالأصل بجامع الوصف المشترك بينهما[٢].

ومن أمثلة استدلال المشبهة بقياس التمثيل ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله من أنَّ الممثل يقول : إذا كان مستويا على العرش ، فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير والفلك إذْ لا يعلم الاستواء إلا هكذا[٣]!

فقد قاس هذا الممثل استواء الخالق علىاستواء المخلوق ، واستخدم في ذلك قياس التمثيل حيث حكم بالمماثلة بين استواء الخالق والمخلوق ، لاشتراكهما في الاتصاف بصفة الاستواء ، فوقع بسبب ذلك في التمثيل المذموم !

وهذا القياس من الأقيسة الفاسدة التي لا يجوز استعمالها في حق الله عز وجل لأنَّ القياس الفاسد كما ذكر الشيخ فالح بن مهدي آل مهدي[٤]رحمه الله هو

---

(١) انظر : المواقف في علم الكلام للإيجي ص/٣٦والرد على المنطقيين لابن تيمية ص/١٢٠ .

(٢) انظر : التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية للشيخ فالح بن مهدي ١٠٦/١ .

(٣) انظر : الفتوى الحموية ص/١٧وضمن مجموع الفتاوى ٢٧/٥-٢٨ .

(٤) فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي ، العلامة الفقيه الحنبلي ، فقد بصره في العاشرة من عمره ، فلم يمنعه من التعليم ، كغيره من أهل العزائم والهمم ، بل حفظ القرآن الكريم ، وسافر =

الذي يكون فيه تشبيه للشيء في بعض الأمور بمالايشبهه فيه ، ومماهو معلوم أنه ما من شيئين إلاوبينهما اشتباه من وجه وهو القدر المشترك ، وافتراق من وجه وهوالفارق الذي يزيل الاشتباه .

والخطأ في القياس دعوى مماثلة المعاني للمعاني لما بينهما من القدر المشترك كما أنَّ الخطأ فيه من المعاني المتشابهة ، حيث أنَّ كلا من المقيس والمقيس عليه له نصيب من المعنى الكلي المشترك(١).

ولو عرف هذا الممثل الفارق المميز الذي به يتميز استواء الخالق عن المخلوق بالإضافة والتخصيص ، الذي لايخفى على من يعرف الخالق المتصف بصفات الكمال ، والمخلوق المتصف بصفات النقص الملازمة له ، لوعرف هذا لما استخدم هذا القياس الفاسد المذموم ولما وقع في التمثيل المذموم ، لكنه جهل ذلك بسبب فساد عقله وفطرته فأثبت لله استواءً هو من خصائص المخلوقين(٢). تعالى الله عن قوله علوا كبيرا .

ثانيا : قياس الشمول

وضابطه هو : انتقال الذهن من المعين إلى المعنى العام المشترك الكلي المتناول له ولغيره(٣)، وهو يستخدم لإثبات الحكم لكل فرد من الأفراد ، وذلك بتركيب

= إلى الرياض فتخرج بكلية الشريعة في المعهد العلمي ، وعين مدرسا فيه ، إلى أنْ توفي سنة ١٣٩٢هـ انظر : الأعلام ٥/١٣٣وترجم له تلميذه الشيخ علي بن حسن شهراني في مقدمة التحفة المهدية ١/ ٨ ـ ١٠ .

(١) انظر كتابه : التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ١/٢١٧ـ٢١٨ .

(٢) تقدم بيان موقف المشبهة من صفة الاستواء وموقف أهل السنة من ذلك انظر : ١/٤١٦ .

(٣) انظر : الرد على المنطقيين ص/١١٩ .

مقدمتين فأكثر مستعملا فيه لفظة « كل » الدالة على الشمول[١]!

وقد استدل به المشبهة لتقرير مقالتهم إنَّ الله جسم ، ومن الأمثلة على ذلك قولهم : إنه ـ تعالى ـ حي سميع بصير فاعل ، وكل حي سميع بصير في الشاهد جسم ويستحيل اتصاف ماليس بجسم بهذه الأوصاف فثبت أنَّ الله جسم[٢].

فهذا القياس الذي استدلوا به لتقرير مقالتهم إنَّ الله جسم مشتمل على قياس الغيب على الشاهد ، وقد تقدم أنَّ مقالاتهم في التشبيه مبنية عليه[٣].

أما وجه استدلالهم بقياس الشمول فيما ذكروه من أنَّ الله جسم على زعمهم فقد توهموا بعقولهم الفاسدة أنَّ اتصاف الخالق بأنه حي سميع بصير ، واتصاف الإنسان بذلك يقتضي لأنْ يكون الله جسما ، إذْ كل من إتصف بأنه حي سميع بصير فهوجسم ، فوصفوا الخالق عز وجل بما وصفوا به الإنسان من كونه جسما مستعملين في ذلك لفظة « كل » الدالة على الشمول .

فقياسهم الذي استدلوا به لتقرير مقالتهم إنَّ الله جسم مركب من مقدمتين ، وقد استعملوا في ذلك لفظة « كل » الدالة على العموم ، التي جعلوا بها إطلاق الجسم عاما لكل من اتصف بالصفات سواءً كان ذلك خالقا أم مخلوقا !

وهذا باطل لأنَّ الله عز وجل لا يُقاس بخلقه ، ولايجري بينه وبينهم تمثيل ، لأنه عز وجل متصف بصفات الكمال أزلا وأبدا ، والمخلوق حادث فانٍ ، متصف بصفات النقص الملازمة له في حياته الزائلة عنه بمماته وماكان كذلك كيف يُقاس عليه الخالق عز وجل . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

---

(١) انظر : التحفة المهدية ١٠٦/١ .

(٢) انظر : تبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي ص/١٢١-١٢٢ .

(٣) انظر : ١١٨/٢ ـ ١٢٢ .

المقصد الربع : موقف أهل السنة من الاستدلال بقياس التمثيل والشمول .

قياس التمثيل والشمول من الأقيسة التي لا يجوز استعمالها في حق الله عز وجل عند أهل السنة والجماعة لأنها تفضي إلى وصف الله تعالى بما يتنزه عنه من التمثيل والتشبيه وأهل السنة كما ذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ولا يتعدون ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تنظير ، فإنه تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١).

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ العلم الإلهي عند أهل السنة لا يجوز أنْ يستدل فيه بقياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع ، ولابقياس شمولي تستوي فيه أفراده ، لأنَّ الله تعالى ليس كمثله شيء ، فلا يجوز أنْ يمثل بغيره ، ولا يجوز أنْ يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوي أفرادها(٢).

وليس لله تعالى صفة يماثل فيها غيره ، فلهذا لم يجز أنْ يستعمل في حقه تعالى قياس تمثيل ، ولا قياس شمول تستوي أفراده ، فإنَّ ذلك شرك ، لأنَّ فيه تسوية الخالق بالمخلوق(٣).

وهو عز وجل ليس مُساويا لغيره أصلا ، وليس له مثيل ، بل استعمال قياس التمثيل والشمول من ضرب الأمثال لله تعالى ، الذي نهى عنه تعالى في القرآن الكريم بقوله : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٧٤] .

وهو من الشرك والعدل بالله ، وجعل الند له عز وجل ، وجعل غيره كفوا له وسميا وهؤلاء المبتدعة الذين استعملوه في حق الله تعالى وصفاته داخلون في

---

(١) انظر : التمهيد لابن عبد البر٧/١٤٥ .

(٢) انظر : درء التعارض ١/٢٩ .

(٣) انظر : الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموعة الفتاوى ١٣/١٦٣-١٦٤ .

حقيقة التمثيل والتشبيه والعدل بالله تعالى ، وجعل غيره كفوا له وسميا[١].

ولهذا لم يسلكه سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان لما فيه من التمثيل والتشبيه فقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن قياس التمثيل في حق الله تعالى لم يستعمله الأئمة ومنهم الإمام أحمد لما فيه من التمثيل والتشبيه بل استعملوا قياس الأولى الذي هو المثل الأعلى الوارد في القرآن الكريم فإن الله تعالى لا يماثله غيره في شيء من الأشياء حتى يتساويا في حكم القياس بل هو سبحانه أحق بكل حمد وأبعد عن كل ذم فما كان من صفات الكمال المحضة التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه فهو أحق به من كل ما سواه وما كان من صفات النقص فهو أحق بتنزيهه عن كل ما سواه »[٢].

والله عز وجل يستعمل في حقه المثل الأعلى ، الذي هوقياس الأولى المستنبط من القرآن الكريم ، وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أمثلة كثيرة من استدلال الإمام أحمد رحمه الله بقياس الأولى في الإثبات والتنزيه[٣]، وقد تقدم ذكر بعضها مما أغنى عن إعادتها هنا[٤].

فقياس الأولى الذي هو المثل الأعلى كما ذكر الإمام ابن القيم هو المتضمن لإثبات الكمالات كلها لله وحده ولهذا كان المثل الأعلى بصيغة أفعل التفضيل أي : أعلى من غيره ، وأما مثل السوء فهو لعادم صفات الكمال ، ولهذا جعله الله تعالى مثل الجاحدين لتوحيده وكلامه وحكمته لأنهم فقدوا الصفات التي من اتصف بها كان كاملا ، ولما كان الرب تعالى هو الأعلى وسائر صفاته عليا كان له المثل

---

(١) انظر : نقض التأسيس « المخطوط » ٣٢٧/١ .

(٢) انظر : درء التعارض ٢٩/١-٣٠ونقض التأسيس المخطوط ٣٢٧/١-٣٢٨والمطبوع ٢/ ٥٤٣و٥٤٧والفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموع الفتاوى ١٦٣/١٣ .

(٣) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ٥٣٥/٢و٥٣٧و٥٤٢-٥٤٣و٥٤٦-٥٤٧ .

(٤) انظر : ١٤١/١ .

الأعلى ، وكان أحق به من كل ما سواه ، بل يستحيل أنْ يشترك في المثل الأعلى اثنان ، لأنهما إنْ تكافآلم يكن أحدهما أعلى من الآخر ، وإنْ لم يتكافآ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده ، ويستحيل أنْ يكون له مثيل وشبيه فتأمله فإنه في غاية الظهور(١).

وقياس الشمول مع مايفضي إليه من التمثيل المذموم ، تتوجه إليه احتمالات كثيرة والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال ! ومن تلك الاحتمالات :

١ ـ إنه قياس ظني لايُوصل إلى اليقين ، وذلك لكونه مبنيا على الاستقراء وهو إما أن يكون تاما ، وهذا يستحيل التوصل إليه ، وإما أنْ يكون ناقصا فترد عليه الاحتمالات العقلية الفاسدة ، وما كان كذلك فنتائجه لابُدَّ أنْ تكون ظنية ، والأمور الإلهية إثباتا ونفيا لاتثبت إلابااليقين ، وهذا لايكون إلا عن طريق الوحي .

٢ ـ إنه قياس قائم على الدور(٢)الباطل ، لأنَّ العلم بالنتيجة متوقف على المقدمة الكبرى ، والعلم بالكبرى متوقف على العلم بالنتيجة !

٣ ـ إنه لايؤدي إلى معلوم جديد ، لأنَّ النتيجة متضمنة في المقدمات ، والعلم بالمقدمات علم بالنتيجة في نفس الوقت(٣).

---

(١) انظر : الصواعق المرسلة ٣/١٠٣٠-١٠٣٢ .

(٢) الدور هو : توقف الشيئ على مايتوقف عليه . وهونوعان : قَبْلي ، ومعي ، فالدور القبلي هو الذي : يُذكر في العلل وفي الفاعل والمؤثر ونحو ذلك ، مثل أنْ يُقال : لايجوز أنْ يكون كل من الشيئين فاعلا للآخر ، لأنه يُؤدي إلى الدور ، وهو أنْ يكون هذا قبل ذاك ، وذاك قبل ذاك وذاك فاعل لذلك ، فيكون الشيئ فاعلا لفاعله ، ويكون قبل قبله ، وهذا ممتنع .

وأما الدور المعي فهو : كدور الشرط مع المشروط ، وأحد المتضايفين مع الآخر ، مثل أنْ يُقال : صفات الرب لاتكون إلامع ذاته ، ولاتكون ذاته إلامع صفاته ، فهذا صحيح . انظر : الرد على المنطقيين ص/٢٥٧ومنهاج السنة ١/٤٣٨والتعريفات للجرجاني ص/١٠٥ .

(٣) انظر : الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية للدكتور : يحيى فرغل ص/٢٣٩ .

٤ ـ إنَّ من يستدل به مخطئ في تصوره تحقق المعاني الكلية المشتركة الموجودة في الأذهان بما في الأعيان وهذا باطل لأنَّ الكليات إنما تتحقق في الأذهان ، لا في الأعيان ، وليس في خارج الذهن إلاموجود معين ، فلم يعلم بالبرهان شيء من المعينات ، بل لايُعلم به موجود أصلا ، وإنما تُعلم به أمور مقدرة في الذهن[١].

فَعُلم مما تقدم أنَّ ما استدل به المشبهة من الأقيسة العقلية ، لتقرير مقالتهم في التشبيه ماهي إلا شبهات عقلية ، وخيالات وهمية مبنية على أقيسة فاسدة لا يجوز استعمالها في حق الله تعالى ، لأنها مفضية إلى وصف الله عز وجل بما يتنزه عنه من التمثيل والتشبيه ، والله تعالى لا يُقاس بخلقه ، ولايجري بينه وبينهم تمثيل لأنه عز وجل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

○○○○

(١) انظر : الرد على المنطقيين ص/١٢٤ .

الباب الثالث

براءة اهل السنة من وصمة التشبيه وبيان موقفهم من نصوص الصفات وممن يدَّعى فيها التشبيه

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتشبيه والحشو والتجسيم ونقدها وبيان براءتهم من ذلك على سبيل الإجمال

الفصل الثاني : أمثلة ونماذج ممن وُصموا من أهل السنة بالتشبيه والتجسيم وبراءتهم من ذلك ، وبيان أسباب ذلك ونقده .

الفصل الثالث : وسطية أهل السنة في صفات الله الدالة على براءتهم من التشبيه وذكر بعض أدلتهم السمعية ومقالاتهم في إبطال التشبيه .

الفصل الرابع : موقف أهل السنة من نصوص الصفات وممن يدعي فيها التشبيه

الفصل الأول

مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتشبيه والتجسيم والحشو ونقدها وبيان براءة أهل السنة منها

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتشبيه ونقدها

المبحث الثاني : مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتجسيم ونقدها

المبحث الثالث : مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالحشوية ونقدها

المبحث الرابع : براءة أهل السنة من وصمة التشبيه والتجسيم والحشو

مدخل

دأب أهل التعطيل على مدى العصور على محاولة صد الناس عن منهج أهل السنة في صفات الله عز وجل المستنبط من وحي الله تعالى ، مدعين أنه باطل مؤدٍ إلى تشبيه الله بخلقه ، وأنَّ ماهم عليه من التحريف والتعطيل هو التنزيه الحق الذي يجب إتباعه ، فابتدعوا لصرف الناس عن منهج أهل السنة ألقابا شنيعة نبزوا بها سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان ، فزعموا أنهم مشبهة مجسمة حشوية ، وقد حاولوا بهذه الألقاب الكاذبة تزوير الحقائق بغية تدنيس صفحات أهل السنة الناصعة البياض عند المسلمين ، كي يصرفوا العوام والجهال عن منهج أهل السنة في صفات الله المعتمد على الإثبات والتنزيه ، إلى المنهج الكلامي المذموم المفضي إلى التحريف والتعطيل ، ولكن أنَّى للباطل أنْ يكسف شمس الحقيقة الساطعة بنور الله ووحيه ؟!

وقد بين أئمة أهل السنة والحديث ومنهم الإمام أحمد رحمه الله صنيع هؤلاء المبتدعة في نبز أهل السنة بالألقاب الشنيعة وكيف أنهم أرادوا بذلك الطعن عليهم والإزراء بهم عند الجهال بقصد صَدِّ الناس عنهم فقال رحمه الله في ذلك : « وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة ، يُسمون بها أهل السنة يريدون بذلك الطعن عليهم ، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال ... »[(١)]!

فكل فرقة من فرق المعطلة تصم[(٢)]أهل السنة بأنهم مشبهة ، أومجسمة ، أو حشوية وربما جمعت بين هذه الألقاب ، أوذكرت بعضها ، حتى أصبح من أبرز

---

(١) كتاب السنة للإمام أحمد ضمن شذرات البلاتين ٥٢/١وذكره القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات ٤٦/١ .

(٢) الوصمة التعيير والتعييب يُقال في اللغة : وصمه أي : عابه وعيره ، ومافي فلان وصمة . أي : عيب ، والوصمة في الكلام ، التعيير وذكر العيب . انظر : معجم مقاييس اللغة ١١٦/١ولسان العرب ٢٦٩/١٢-٣٦٠مادة « وصم » .

علامات المبتدعة المعطلة كما ذكر الإمام أبو حاتم رحمه الله الوقيعة في أهل الأثر[١]. ونبزهم بالألقاب الشنيعة المنفرة كالقول بأنهم مشبهة مجسمة حشوية نابتة[٢]، وهم بريئون من هذه الألقاب السيئة ، وليسوا إلا أهل السنة والجماعة والسيرة المرضية[٣]كما سيأتي بيان ذلك على وجه التفصيل .

والذي يهمنا من هذه الألقاب الشنيعة مايتصل بوصمة التشبيه الباطلة كالقول بأنهم مشبهة مجسمة حشوية ، وسأذكر في هذا الفصل بعض مقالات المعطلة في ذلك مع نقدها ، وبيان براءة أهل السنة منها ، وسيكون ذلك في أربعة مباحث :

المبحث الأول : مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتشبيه ونقدها .

المبحث الثاني : مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتجسيم ونقدها .

المبحث الثالث : مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالحشوية ونقدها .

المبحث الرابع : براءة أهل السنة من وصمة التشبيه والتجسيم والحشو .

---

(١) رواه الإمام الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٣٢والإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٧٩/١وذكره الشيخ عبد القادر الجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق ص/٨٠ .

(٢) النابتة كما ذكر ابن منظور : الشيئ الذي ينبت صغيرا ، يُقال : ما أحسن نابتة بني فلان ، ويُقال : نبت لهم نابتة إذا نشألهم نشأ صغير ، وإنَّ بني فلان لنابتة شر ، والنابتة من الأحداث الأغمار . انظر : لسان العرب ٩٦/٢مادة « نبت »

ومن أطلقه على أهل السنة من أهل البدع أراد به أنهم : الأحداث الأغمار الذين لا معرفة لهم ولا دراية بالكلام المذموم ، وأنهم نبتوا في الإسلام بأقوال بدعية على زعمهم ، لقولهم بما دلت عليه الأحاديث والآثار ، التي يزعم أهل الكلام المذموم أنَّ القول بها مفضٍ إلى التجسيم والتشبيه . انظر : شرح نونية ابن القيم للهراس ٣٦٧/١ووسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور : محمد باكريم باعبد الله ص/١٥١ .

(٣) انظر : عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٣٢/١-١٣٣ .

المبحث الأول

مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتشبيه ونقدها

يعتبر نبز أهل السنة من قبل أهل التعطيل بأنهم مشبهة من أقدم الألقاب الشنيعة المتفق عليها بين فرق المبتدعة من الجهمية والمعتزلة ومن سار على منهجهم الكلامي كالخوارج ، والرافضة ، والأشعرية ، والماتريدية ، فقد اتفقت هذه الطوائف على أنَّ من أثبت لله تعالى صفة من الصفات التي نفوها فهو مشبه ، ذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله أنَّ الجهمية والمعتزلة والخوارج زعموا أنَّ من أقر بصفات الله عز وجل فهو مشبه(١).

والرافضة المتأخرون أخذوا بمذهب المعتزلة في الصفات فزعموا أنَّ كل من أثبت الصفات مشبها(٢)، وكذا الأشعرية والماتريدية يُسمون كل من أثبت الصفات التي نفوها مشبها(٣)، فكل طائفة من هذه الطوائف المبتدعة ترمي أهل السنة بالتشبيه بسبب إثباتهم للصفات التي زعموا أنَّ إثباتها تشبيه !

ذكر الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله أنه ما من أحد من نفاة شيء من الأسماء والصفات إلا ويسمي المثبت لها مشبها فمن أنكر أسماء الله بالكلية كالقرامطة(٤) والفلاسفة(٥)وقال : إنَّ الله لا يُقال له : عالم ولا قادر يزعم أنَّ من

---

(١) انظر كتابه : التمهيد ١٤٥/٧ .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية ٦٠٠/٢-٦٠١ .

(٣) سيأتي ذكر بعض مقالاتهم في ذلك انظر : ١٦٣/٢ .

(٤) فرقة من فرق الباطنية سموا قرامطة نسبة إلى رجل يُقال له : حمدان قرمط ، من أهل الكوفة ، استجاب لدعوة الباطنية فصار داعية لهم فأضل خلقا كثيرا ، وهم الذين دخلوا مكة المكرمة سنة ٣١٧هـ فاقتلعوا الحجر الأسود ، وقتلوا المسلمين في الحرم ، حتى أُعيد منهم على يد أبي إسحاق إبراهيم النيسابوري رحمه الله . انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي =
= ص/١١٩-١٢٠والبداية والنهاية لابن كثير ١٧٧/١١-١٨٢و٢٣٧حوادث سنة ٣١٧و٣٣٩هـ وبيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص/٢٢ .

(٥) تقدم التعريف بهم انظر : ٩٥/١ .

سماه بذلك فهو مشبه ، لأنَّ الاشتراك في الاسم يُوجب الاشتباه في معناه[١]. ومن أثبت الاسم وقال : هو مجاز[٢]كغالية الجهمية ، يزعم أنَّ من قال : إنَّ الله عالم حقيقة ، قادر حقيقة ، فهو مشبه . ومن أنكر الصفات وقال : إن الله ليس له علم ولا قدرة ولا كلام ولا محبة قال لمن أثبتها : إنه مشبه وإنه مجسم ولهذا فإنَّ كُتب نفاة الصفات الجهمية والمعتزلة والرافضة ونحوهم[٣]، كلها مشحونة بتسمية مثبتة الصفات مشبهة مجسمة[٤]. ومن مقالاتهم في ذلك :

---

(١) تقدم بيان أنَّ الاتفاق في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق لا يقتضي التشبيه انظر : ٣٥٨/١ .

(٢) هو : اللفظ المستعمل في غير ماوضع له لعلاقة بينه وبين الحقيقة التي يُستعمل فيها اللفظ فيما وضع له . وللعلماء أقوال كثيرة من حيث وجوده في اللغة العربية ، ثم من حيث وجوده في القرآن الكريم ، فمنهم من منع وجوده في اللغة أصلا كشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه الإمام ابن القيم ، ومنهم من جوزه في اللغة ومنعه في القرآن الكريم ، ومنهم من جوزه مطلقا . !! وقد اتخذه أهل التعطيل مطية لهم في تحريف نصوص الصفات التي زعموا أنها موهمة للتشبيه !! لذا فقد عقد الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الصواعق المرسلة فصلا عنون له بقوله : « فصل في كسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهمية لتعطيل الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز » بين فيه فساد تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز ، وكسره وبين فساده وماجر إليه من التعطيل والتحريف ، وناقش تحريفات المعطلة لنصوص الصفات التي ادَّعوا فيها التشبيه وحرفوا معانيها بالتأويل الفاسد بعد أنْ قالوا في ألفاظها بالمجاز ، ومنعهم من إثباتها توهم التشبه . !! انظر : مختصر الصواعق المرسلة ٢٨٤/٢-٥٠٠ ، وراجع : لتعريف الحقيقة والمجاز : التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للأسنوي ص/١٨٥ولنشأة المجاز وبيان أقوال الناس في وجوده ومناقشتها وذكر الصواب من ذلك ماذكره الدكتور : محمد أحمد لوح في كتابه : جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية ص/٧٥-١٣٧ .

(٣) كالأشعرية والماتريدية !

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص/١٢١ .

١ ـ أما الجهمية : فإنهم أول من رمى أهل السنة بالتشبيه وكان أولهم قولا بذلك زعيمهم ومؤسس نحلة أهل التعطيل الجهم بن صفوان فقد أورد الإمام أحمد رحمه الله في كتابه : « الرد على الزنادقة والجهمية »[١] أنَّ جهما زعم أنَّ من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله ـ ﷺ ـ كان كافرا وكان من المشبهة ، فأضل بكلامه بشرا كثيرا ، ووضع دين الجهمية .

فقد اعتبر الجهم إثبات الصفات تشبيها ، ورمى من أثبت شيئا من الصفات بالتشبيه ، وحكم عليه بالكفر .

وسار على منهجه هذا كل مبتدع متبع لهواه ، معارض للوحي بعقله ، معطل لله تعالى عن صفات الكمال ، نابزٍ لأهل السنة بالتشبيه حتى صار من علامات الجهمية المعطلة كما ذكر الإمام أبو حاتم رحمه الله تسميتهم أهل السنة مشبهة[٢] وكما قال الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله : « علامة جهم وأصحابه دعواهم على أهل السنة والجماعة ماأولعوا به من الكذب أنهم مشبهة بل هم المعطلة »[٣].

٢ ـ وأما المعتزلة فقد ورثوا منهج الجهمية في صفات الله ، وزادوا على ذلك المصطلحات الفلسفية التي ترجمت[٤] على يدهم في عهد الخليفة المأمون ، فعارضوا بها وحي الرحمن ، وعطلوا الله عن صفات الكمال ، واعتبروا ذلك تنزيها ، وسموا

---

(١) انظر : ص/٢٤-٢٥ .

(٢) رواه الإمام الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٣٢-١٣٣ والإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/١٧٩ وذكره الشيخ عبد القادر الجيلاني في الغنية لطالبي الحق ص/٨٠ والعلامة السكسكي في كتابه البرهان في عقائد أهل الأديان ص/٩٥-٩٦ .

(٣) ذكره ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية ص/١٢١ .

(٤) تقدم بيان ذلك انظر : ١/١٩٣ .

أنفسهم أهل التوحيد[١]، ورموا أهل السنة بالتشبيه ، بسبب إثباتهم لصفات الله عز وجل ومن مقالاتهم في ذلك ما ذكره بشر المريسي المعتزلي ت٢١٨هـ حامل لواء التجهم في عصره والداعي إليه من أنَّ معنى قوله ﷺ : « سترون ربكم لاتضارون في رؤيته »[٢]تعلمون أنَّ لكم ربا لاتشكون فيه كمالا تشكون في القمر أنه قمر لاعلى أن أبصار المؤمنين تدركه جهرة يوم القيامة ، وليس على معنى قول المشبهة وما توهموه أنَّ الرؤية تكون جهرة[٣]. ويقصد بذلك أهل السنة فهم الذين يثبتون رؤية الله يوم القيامة بالأبصار عيانا كما وردت بذلك النصوص[٤].

وردَّ عليه الإمام الدارمي رحمه الله بقوله : « والعجب من جهلك بظاهر لفظ رسول الله ﷺ ، إذْ تتوهم في رؤية الله جهرة أنها كرؤية الشمس والقمر ، ثم تَدَّعي أنه من تَوَهُّم من سميتهم مشبهة ، فرسول الله ﷺ في دعواك أول المشبهة . إذْ شبه رؤيته تعالى برؤية الشمس والقمر ، كما شبهه أولئك المشبهون في دعواك »[٥].

وأهل السنة يقولون : التشبيه الوارد في الحديث إنما هو تشبيه الرؤية بالرؤية ، لا تشبيه المرئي بالمرئي[٦].

---

(١) وهو أحد أصولهم الخمسة ويعنون به نفي الصفات انظر : الانتصار للخياط ص/١٢٦ .

(٢) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم ولفظه : « « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ، قالوا : لا يارسول . قال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ، قالوا : لا . قال : فإنكم ترونه كذلك . . . » » رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٣/٤٢٩-٤٣٠ح٧٤٣٤ومسلم في كتاب الإيمان ١/١٦٣ح١٨٢واللفظ له . .

(٣) انظر : رد الإمام الدامي على بشرالمريسي ص/٥٦ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ص/٥٦-٥٧وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص/٢٠٥-٢١٢ .

(٥) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٥٨ .

(٦) انظر : الفتوى الحموية الكبرى ص/ ٦٣وضمن مجموع الفتاوى ٥/١٠٧وشرح العقيدة الطحاوية ص/٢١١ .

وقد نفى المريسي صفات الله عز وجل ، وقال بخلق القرآن ، ووصم أهل السنة بأنهم مشبهة ، وحكم بكفرهم وألف في تقرير ذلك كتابا سماه « كفر المشبهة »[١].

وزعم محمد بن شجاع الثلجي[٢]المعتزلي ت٢٦١هـ أنَّ أهل السنة يكيفون صفات الله بذوات أنفسهم ، وذكر أن هذا خطأ لما أنَّ الله ليس كمثله شيء فكذلك ليس ككيفيته شيء[٣].

فَرَدَّ عليه الإمام الدارمي بقوله : « فقلنا لهذا المعارض المدلس بالتشنيع : أما قولك : إنَّ كيفية هذه الصفات وتشبيهها بما هو موجود في الخلق خطأ . فإنا لانقول : إنه خطأ ، بل هو عندنا كفر . ونحن لتكييفها وتشبيهها بما هو موجودٌ في الخلق أشد أنفا منكم ، غيرأنَّا كما لا نشبهها ولا نكيفها لا نكفر بها ، ولا نكذب بها ، ولا نبطلها بتأويلات الضلال ، كما أبطلها إمامك المريسي ... »[٤].

وأما ماذكره الثلجي من أنَّ الله « ليس كمثله شيء » للدلالة على نفي الصفات فهو كما ذكر الإمام الدارمي دلسة على الجهال يذكره الجهمية المعطلة ليروجوا به ضلالاتهم التي نفوا بها صفات الله تعالى ، وأنه كلمة حق أُريد بها باطل ، إذْ كيف ينفون المثل ـ كما يزعمون ـ وهم لايثبتون في الأصل شيئا ، وكذلك صفات الله

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠١/١٠ .

(٢) أبوعبد الله محمد بن شجاع الثلجي البغدادي الحنفي المعتزلي ، ذكر ابن عدي أنه كان يضع الأحاديث في التشبيه ، وينسبها إلى أصحاب الحديث يثلبهم بذلك ، وكان يقول : بخلق القرآن ، وينال من الأئمة الكبار كالشافعي وأحمد ، بدعه الإمام أحمد وكفره القواريري . مات سنة ٢١٦هـ انظر : تهذيب الكمال ٥٦٣/٢٥-٥٦٤وسيرأعلام النبلاء٣٧٩/١٢-٢٨٠وتهذيب التهذيب ٢٢٠/٩-٢٢١ .

(٣) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٢١ .

(٤) المرجع نفسه ص/٢٢ .

تعالى عندهم ليست بشيء ولئن كان الجهال في غلط من مذاهبهم ، فإنَّ الفقهاء منهم على يقين[١]!!

وهذا أبو موسى المردار[٢]ت ٣٣٦هـ ينقل عن الخياط[٣]أنه كان يقول : أنَّ من قال : إنَّ الله يُرى بالأبصار على أيِّ وجه كان فمشبه لله بخلقه ، والمشبه كافر[٤].

ومعلوم أنَّ من أصول أهل السنة والجماعة إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة . وقد قام الزمخشري[٥]المعتزلي ت٥٣٨هـ بهجاء أهل السنة ونبزهم بالتشبيه بسبب إثباتهم لصفات الله التي عطلها ، وإثباتهم رؤية الله التي نفاها فقال في ذلك : « ... ثم تعجب من المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم ، والقول ماقال بعض

---

(١) المرجع نفسه ص/٢٠٨ .

(٢) أبو موسى عيسى بن صبيح الملقب بالمردار ، البصري من كبار المعتزلة ، ذكر الإمام الذهبي أنه تفرد بمسائل ممقوتة كزعمه أنَّ الله يقدر على الظلم والكذب ولكن لايفعله ، وكتكفيره من يثبت الرؤية وغيرها . توفي سنة ٢٢٦هـ انظر : الفهرست لابن النديم ص/٢٠٦وسير أعلام النبلاء ٥٤٨/١٠ .

(٣) أبو الحسين عبد الر حيم بن محمد بن عثمان الملقب بالخياط ، كان شيخ المعتزلة ببغداد ، تنسب إليه فرقة منهم تُدعى : « الخياطية » من مصنفاته : « الانتصار » في الرد على ابن الراوندي . مات سنة ٣٠٠هـ انظر : الفرق بين الفرق ص/١٦٧-١٦٨والأعلام ٣٤٧/٣ .

(٤) ذكره الخياط في الانتصار ١٢٩/١ .

(٥) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، عالم في التفسير واللغة والأدب ، من متكلمي المعتزلة قوي في الاعتزال مُغال فيه ، قال عنه الإمام الذهبي رحمه الله : « . . . داعية إلى الاعتزال أجارنا الله ، فكن حذرا من كشافه » توفي سنة ٥٣٨هـ انظر : وفيات الأعيان ٢/ ١٠٧وسيرأعلام النبلاء ١٧٩/١٢وميزان الإعتدال ٧٨/٤ .

العدلية[١] فيهم :

لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حُمُر لعمري موكفة[٢]

قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة[٣]

ويقصد بقوله : « بالبلكفة » قول أهل السنة والجماعة في الصفات : « أمروها كما جاءت بلا كيف »[٤].

وقد رَدَّ عليه جماعة من العلماء نثرا ونظما ، ومنهم أحمد بن المنير المالكي[٥]

---

(١) يقصد بالعدلية المعتزلة فإنَّ من أصولهم الخمسة « العدل » ويقصدون به نفي القا ر بنفي أنْ يكون الله خالقا لأفعال العباد ، لأنه كمازعموا إنْ كان الله خالقا لها ثم عذبهم عليها لم يكن عادلا ، فلا يخلق أفعال العباد ولايشاؤها ولايريدها انظر : الانتصار للخياط ص/١٢٦وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبارص/ ٣٢٣و٣٣٢ ومقالات الإسلاميين ١/ ٢٣٥والفصل لابن حزم ٣/٨١-٨٨ و المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها للدكتور عواد المعتق ص/١٥٩ . والذي عليه أهل السنة في مسألة خلق أفعال العباد أنَّ العباد هم الفاعلون لأعمالهم خيرا وشرا المجزيون عليها ، والله خالقهم وخالق أعمالهم قال تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ [الصافات : ٩٦] فالعباد لهم قدرة ومشيئة لكنها داخلة تحت قدرة الله تعالى ومشيئته وإرادته كما قال تعالى : ﴿ وما تشاءون إلا أنْ يشاء الله رب العالمين ﴾ [التكوير : ٢٩] انظر : كتاب القدر ضمن مجموع الفتاوى ٨/٣٨٩و٣٩٠و٣٩٦وشفاء العليل ص/٩٩وشرح العقيدة الطحاوية ص/ ٤٣٩وشرح العقيدة الواسطية للهراس ص/١١٨والمعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها للدكتور عواد المعتق ص/١٨٣-١٨٤ .

(٢) أي : عليها وكاف وهي : البرذعة التي تكون فوق الحمار . عامله الله بما يستحق . !

(٣) الكشاف ٢/٩٢ .

(٤) تقدم ذكر ذلك انظر : ص/٨٦ .

(٥) أحمد بن محمد بن منصور المشهور بابن المنيرالمالكي قاضي الإسكندرية ، برع في علم الأصول والفقه والعربية والنظر . توفي سنة ٦٣٨هـ انظر : كشف الظنون ٢/٤٧٧وشذرات الذهب ٥/ ٢٨١ .

رحمه الله بقوله : « ... وقد انتقل الزمخشري في هذا الفصل إلى ما تسمعه من هجاء أهل السنة ، ولولا الاستنان بحسان بن ثابت الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وشاعره والمنافح عنه وروح القدس معه ، لقلنا لهؤلاء المتلقين بالعدلية وبالناجين سلاما ولكن كما نافح حسان عن رسول الله ﷺ أعداءه فنحن ننافح عن أصحاب سنة رسول الله ﷺ أعداءهم فنقول :

وجماعة كفروا برؤية ربهم حقا ووعد الله مالن يخلفه
وتلقبوا عدليةً قلنا أجل عدلوا بربهم فحسبهموا سفه
وتلقبوا بالناجين كلا إنهم إنْ لم يكونوا في لظى فعلى شفه[١]

ورد عليه القاضي أبوبكر بن أحمد السكوني[٢] بقوله :

شبهت جهلا صدرَ أمة أحمدٍ وذوي البصائر بالحمير الموكفة
وزعمت أنْ قد شبهوا معبودهم وتخوفوا فتستروا بالبلكفة
ورميتهم عن نبعة سويتها رمي الوليد غدا يمزق مصحفه
وجب الخسار عليك فانظر منصفا في آية الأعراف[٣] فهي المنصفة
أترى الكليم أتى بجهلٍ ما أتى وأتى شيوخك ماأتوا عن معرفة ؟

---

(١) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لأحمد بن المنيرالمطبوع مع الكشاف ٩٢/٢ .

(٢) أبوبكر يحيى بن أحمد بن إسماعيل بن عبد المالك السكوني ، الفقيه الأصولي المتكلم الأديب ، ولي قضاء الجزيرة بالأندلس ثم شريت وجيان . توفي سنة ٦٢٧هـ انظر : معجم المؤلفين ١٨٣/١٣ .

(٣) وهي قوله تعالى : ﴿ لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإنْ استقر مكانه فسوف تراني . . . ﴾ الأعراف [١٤٣] فالآية استدل بها المعتزلة لنفي الرؤية وهي دليل عليهم لالهم ، لأنَّ الله لم يقل إني لا أُرى أو لا تجوز رؤيتي ، وإنما قال « لن تراني » أي : في الدنيا . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص/٢٠٧ .

وبآية الأنعام[١] ويك خذلتهم ف قـفـتـم دون المراقـي المزلـقـة

إلى أن قال :

لـوكـان كـالمعدوم عـنـدك مـا يُرى ذهب التمدح في هذا هُذاء السفسفة
لو صح في الإسلام عقدك لم تقل بالمذهب المهجور من نفي الصفة
شـبـهـت يـامـغـرور أو عـطـلـت إذْ ضاهيت في الإلحاد أهل الفلسفة
إن الـوجـوه إلـيـه نـاظـرة بـذا جاء الكتاب فقلتم هذا السفسفة
نطق الكتاب وأنت تنطق بالهوى فهوى الهوى بكَ في المهاوي المتلفة
فـالـنـفـي مـخـتـصّ بـدارٍ بـعـدهـا لك لا أبالك موعدٌ لن تخلفه[٢].

وذكر العلامة حمد بن عتيق[٣] رحمه الله أنَّ من أبلغ الناس بحثا في المعاني الزمخشري ، وله في تفسيره مواضع حسنة ، ولكنه معروف بالإعتزال ، ونفي الصفات ، والتكلف في التأويلات الفاسدة ، والحكم على الله بالشريعة الباطلة مع ما عليه من مَسَبَّة السلف وذمهم والتنقص بهم ، وفي تفسيره عقاربٌ لايعرفها

---

(١) وهي قوله تعالى : ﴿ لاتدركه الأبصاروهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ [الأنعام : ١٠٣] والمعتزلة استدلوا بهذه الآية على نفي الرؤية . وهي حجة عليهم لالهم ، لأنَّ الإدراك هو : الإحاطة بالشيئ ، وهو قدرزائد على الرؤية ، والله تعالى يُرى يوم القيامة ولايُدرك بحيث يُحاط به لكمال عظمته انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص/٢٠٨ .

(٢) أورد هذه الأبيات أبوحيان في تفسيره البحر المحيط مختصرة ٤/٣٨٤-٣٨٥والألوسي في جلاء العينين نقلا عن أبي حيان انظر : جلاء العينين ص/١٣٠-١٣١ .

(٣) حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة الإمام العلامة الورع الثقة كان ذا شجاعة وعلم وعبادة تولى عدة مناصب في القضاء ، من مصنفاته « إبطال التنديد بإختصار شرح كتاب التوحيد » توفي سنة ١٣٠١هـ انظر : كتاب التراجم ضمن الدرر السنية ١٣/ ٤٣١-٤٣٢والأعلام ٢/٢٧٢ .

إلا الخواص من أهل السنة ، وقد قال فيه بعض العلماء[١]:

ولكنه فيه مجال لناقد وزلات سوء قد أخذن المخانقا
فيثبت موضوع الأحاديث جاهلا ويعزو إلى المعصوم ماليس لائقا
ويشتم أعلام الأئمة ضلة ولا سيما إن أولجوه المضايقا
ويسهب في المعنى القليل إشارة بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا
يُقَوِّل فيها الله ماليس قائلا وكان مجا في الخطابة وامقا

إلى أن قال :

فيا خسره شيخا تخرق صيته مقارب تخريق الصبا مشارقا
لئن لم تدركه من الله رحمة لسوف يرى للكافرين مُرافقا[٢] [٣]

وقال القاضي عبد الجبار ت٤١٥هـ بعد تأويله صفة الاستواء بالاستيلاء ، وَذِكْرِه استعمالات لفظ « استوى » في اللغة قال : « وإذا كانت اللفظة تستعمل على هذه الجهات ، فكيف يصح للمشبهة التعلق بها »[٤]؟

ويقصد بذلك أهل السنة والجماعة فإنهم هم الذين يثبتون استواء الله تعالى على عرشه كما ورد .

فكل من خالف المعتزلة في مذهبهم في نفي الرؤية ، ونفي الصفات فهومشبه عندهم ، سواء أثبت الصفات كلها أو بعضها[٥].

---

(١) وهو أبو حيان صاحب البحر المحيط في التفسير . وما ذكره في تفسيره فيه اختلاف يسير عما ذكره العلامة ابن مانع فلذا نقلته من تفسير أبي حبان !

(٢) قائلها أبوحيان انظر : تفسيره البحر المحيط ٨٥/٧ .

(٣) انظر : الدرر السنية ١٥/١٠ .

(٤) انظر : متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص/٧٤ .

(٥) كما فعل الأشعرية والماتريدية .

حتى رموا الأئمة الأعلام بالتشبيه تنفيرا عن مذهبهم ، فقد ذكر الإمام الرازي أنَّ جماعة من المعتزلة ينسبون التشبيه إلى الإمام أحمد ، وإسحاق بن راهويه[١]، ويحيى بن معين[٢]، وهذا خطأ ، فإنهم منزهون في اعتقادهم عن التشبيه والتعطيل فكانوا لا يتكلمون في المتشابهات[٣]، بل كانوا يقولون : آمنا وصدقنا ، مع جزمهم أنَّ الله تعالى لا شبيه له ، وليس كمثله شيء ، ومعلوم أنَّ هذا الاعتقاد بعيدٌ جدا عن التشبيه[٤].

وذكر شيخ الإسلام أنَّ جُلَّ المعتزلة تدخل عامة الأئمة مثل مالك وأصحابه والثوري[٥]وأصحابه ، والأوزاعي[٦]وأصحابه ، والشافعي وأصحابه ، وأحمد وأصحابه ، وإسحاق بن راهويه ، وأبي عبيد[٧]، وغيرهم في قسم المشبهة[٨].

ولم يقف هؤلاء المبتدعة عند رمي سلف الأمة وأئمتها بالتشبيه بل غلا بعضهم

---

(١) تقدمت ترجمته انظر : ص/٥٣ .

(٢) أبو زكريا يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم ، ثقةحافظ مشهور ، إمام الجرح والتعديل . توفي سنة ٢٣٣هـ انظر : ميزان الإعتدال ٤/٤١٠وتقريب التهذيب ٢/٣١٦والأعلام ٨/١٧٢ .

(٣) يقصد بذلك نصوص الصفات ، وهذا غير صحيح فإنها من المحكمات البينات ، و إنما المتشابه هو الكيفية ، وقد ألف شيخ الإسلام في ذلك رسالة سماها « الإكليل في المتشابه والتأويل » بين فيها بطلان القول بأنَّ نصوص الصفات من المتشابهات انظر : ص/٣٢-٣٣ . ونقض التأسيس « المطبوع » ٣/١-٥ .

(٤) انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص/٩٩ .

(٥) هو سفيان الثوري وتقدمت ترجمته انظر : ١/٤٦ .

(٦) تقدمت ترجمته انظر : ١/٥٤ .

(٧) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الإمام الحافظ المجتهد ، من مصنفاته : « فضائل القرآن » و « الأموال » و « الإيمان » توفي سنة٢٢٤هـ انظر : سيرأعلام النبلاء ١/٣٧١والأعلام٢/١٠١ .

(٨) انظر : الفتوى الحموية الكبرى ص/٦٥وضمن مجموع الفتاوى٥/١١٠ .

حتى رمى الأنبياء بالتشبيه ، فهذا ثمامة بن الأشرس[١]المعتزلي يهذي بقوله : « ثلاثة من الأنبياء مشبهة موسى حيث قال : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ [الأعراف : ١٥٥] وعيسى حيث قال : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة : ١١٦] ومحمد حيث قال : « ينزل ربنا »[٢].[٣]!

٣ ـ أما الخوارج فقد سلكوا منهج المعتزلة في نفي الرؤية والصفات[٤]ورمي مثبتيها بأنهم مشبهة ، فقد ذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله أنَّ الخوارج يقولون : « من أقر بصفات الله عز وجل فهو مشبه »[٥].

ومن مقالاتهم في ذلك ما ذكره الورجلاني[٦]الأباضي[٧]أنَّ مثبتي الصفات

---

(١) أبو معن ثمامة بن الأشرس النميري من كبار المعتزلة ورؤوس الضلالة ، يُعرف أتباعه بالثمامية توفي سنة ٢١٣هـ انظر : الملل والنحل ٧٠/١ وميزان الاعتدال ٣٧١/١ والأعلام ١٠١/٢ .

(٢) إشارة إلى حديث النزول وقد تقدم عزوه انظر : ص/٣٢٢ .

(٣) ذكره شيخ الإسلام في الفتوى الحموية الكبرى ص/٦٤-٦٥ وضمن مجموع الفتاوى ١١٠/٥ .

(٤) انظر لمعرفة ذلك في كتب الإباضية : مختصرتاريخ الإباضية لأبي الربيع سليمان الباروني ص/٦٥ ومشارق الأنوار لنور الدين السالمي ص/١٧٢ والحق الدامغ لأحمد الخليلي ص/١٢-١٤ .

(٥) انظر : التمهيد ١٤٥/٧ .

(٦) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن ميار السدراتي الورجلاني الأباضي ، من أهل ورجلان وادِفي المغرب الأقصى كانت فيه عمارة ينزلها الأباضيون وخربها يحيى بن إسحاق الميورقي ، من كتبه : « العدل والانصاف في أصول الفقه » و « البرهان في عقائد الإباضية » توفي سنة ٥٧٠هـ انظر : الأعلام ٢١٢/٨ .

(٧) الأباضية فِرقة من فرق الخوارج نسبة إلى عبد الله بن أباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد ، انقسموا إلى أربع فرق الحفصية ، واليزيدية ، والحارثية ، وأصحاب طاعة يُراد الله بها ، وفرق الإباضية لهم تواجد في هذا العصر في شمال إفريقياولاسيما الجزائر ، وفي زنجبار في تنزانيا بشرق إفريقية ، ومعظمهم في سلطنة عمان ، انظر : مقالات الإسلاميين ١٣٨/١ والفرق بين الفرق ص/١٠٣-١٠٤ ومختصر تاريخ الإباضية لأبي الربيع الباروني الإباضي ص/٢٤-٢٧ .

مشبهة كعباد الأوثان ، وأنَّ مذهب أهل السنة على زعمه تأويل الصفات ، وأنَّ إثبات الصفات لله هو عين التشبيه[١]! ويدَّعي مفتي سلطنة عُمَان أحمد الخليلي الأباضي أنَّ أهل السنة مشبهة ، وأنَّ حكمهم كما زعم حكم طوائف المشبهة وأنَّ إثبات رؤية الله تشبيه ، وأنَّ المثبتين لذلك مشبهة يقيسون الغائب على الشاهد ويشبهون الله بالمخلوقات بتشبيههم رؤية الخالق بالمخلوق[٢]!

وهذا غير صحيح فإنَّ أهل السنة لا يستعملون قياس الغائب على الشاهد[٣]كما يزعم الخليلي ، وإنما يستدلون بقياس الأولى المستنبط من القرآن الكريم ، لتقرير إثبات الصفات وتنزيه الله عن التمثيل وعن كل نقص وعيب كما تقدم[٤].

والتشبيه الوارد في الحديث : « سترون ربكم يوم القيامة لاتضامون في رؤيته كما لاتضامون في رؤية الشمس والقمر »[٥]. إنما هو ـ كما تقدم ـ تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي[٦]، وليس فيه تشبيه الله بالمخلوقات كما يزعم الخليلي وحاشا رسول الله ﷺ أنْ يشبه رؤية خالقه برؤية المخلوق !!

٤ ـ أما الرافضة والشيعة الزيدية[٧]فقد سلكوا منهج المعتزلة في صفات الله تعالى

---

(١) انظر : الدليل لأهل العقول للورجلاني ص/٣٢ نقلا عن فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للدكتور غالب العواجي ١/٩٧ـ٩٨ . وقد بحثت عنه فلم أجده .

(٢) انظر : الحق الدامغ لأحمد الخليلي الأباضي ص/١٢ .

(٣) تقدم موقف أهل السنة ممن يستدل بقياس الغيب على الشاهد انظر : ٢/١٢٣ .

(٤) انظر : ١/١٤١ .

(٥) تقدم عزوه انظر : ٢/١٤٨ .

(٦) انظر : ٢/١٤٩ .

(٧) فرقة من فرق الشيعة سموا بذلك نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ذكر شيخ الإسلام أنه كان من أفاضل أهل البيت وعلمائهم ، وكانت الشيعة تنتحله ، =

فنفوها واعتبروا إثباتها تشبيها ، ونبزوا أهل السنة بذلك ، فقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ متأخري الرافضة اعتمدوا على كتب المعتزلة في الصفات والقدر(١)وسموا كل من أثبت الصفات مشبها(٢).

ومن الأمثلة على ذلك قول ابن بابويه القمي : « تركت المشبهة من هذا الحديث أوله ، وقالوا : إنَّ الله خلق آدم على صورته » فضلوا في معناه وأضلوا ، وإنما أول الحديث : « أنَّ رجلا قال : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك »(٣).(٤)!

ويقصد بالمشبهة أهل السنة والجماعة فهم الذين يثبتون لله عز وجل صورة لا كالصور كما ورد في الحديث ، وليس في هذا تشبيه كما يزعم هذا الرافضي ، بل

= ومن زمنه افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية ، فإنه لما سُئل عن أبي بكر وعمر ترحم عليهما ، وأثنى عليهما ، فرفضه قوم من الشيعة فقال لهم : رفضتموني . لرفضهم إياه ، وسموا من لم يرفضه من الشيعة زيدية ، نسبة إليه . وكان من مذهب الزيدية جواز إمامة المفضول على الفاضل ولذلك يقرون بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، مع تفضيلهم علي » ، إلا أنه لما ترأس عليهم ناصر الأطرش مالت أكثر الزيدية عن ذلك ، وطعنت في الصحابة طعن الإمامية من الرافضة ، وقد صارت الزيدية على مذهب المعتزلة في بعض أصولهم ، كنفي الصفات الذي سموه توحيدا ، وهم ست فرق منهم الجارودية والسلمانية والبترية والنعيمية . انظر : مقالات الإسلاميين ١/١٣٦-١٥٠والملل والنحل ١/ ، ١٥٤-١٦٢ومنهاج السنة ١/ ، ٣٤-٣٥و٧٢ .

(١) انظر : منهاج السنة ٢/٧٢ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ٢/٦٠٠-٦٠١ .

(٣) الحديث رواه الدارقطني في الصفات ص/٥٥-٥٧رقم/٤٤و٤٥و٤٦وعبدالله بن الإمام أحمد في كتاب السنة ١/٤٧٠رقم/١٠٦٨وابن أبي عاصم في السنة ١/٢٢٩رقم/٥١٩وقال محققه الشيخ الألباني : « إسناده حسن صحيح » ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ١/٨١-٨٣رقم/٦٥و٣٧و٣٨والآجري في الشريعة ص/٢٧٩والبيهقي في الأسماء والصفات ١/٣٦رقم/٦٣٩ كلهم عن طريق أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) انظر : كتاب التوحيد لابن بابويه القمي ص/١٤

يثبتون ذلك على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته بلا تكييف ولا تمثيل[١].

ولم يحذف أهل السنة الذين سماهم مشبهة أول الحديث كمازعم هذا الرافضي ، بل أوردوا الحديث كما قاله النبي ﷺ ، والحذف والتزوير ليس من صنيعهم وحاشاهم من ذلك ، وإنما هو من صنيع أهل الأهواء والبدع وعلى رأسهم الرافضة أهل الكذب والتحريف والتزوير .

ثم هؤلاء الرافضة كابن بابويه القمي وأضرابه لايعترفون أساسا بكتب أهل السنة في الحديث وغيرها بل عمدتهم في ذلك كما ذكرشيخ الإسلام علىمانُقل لهم عن بعض أهل البيت ، وذلك النقل منه ما هو صدق ، ومنه ما هو كذب عمدا أوخطأ ، وليسوا أهل معرفة بصحيح المنقول وضعيفه كأهل المعرفة بالحديث[٢]، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا يشنع هذا الرافضي على أهل السنة الذين سماهم مشبهة بروايتهم لحديث الصورة ، ويزعم أنهم حذفوا أول الحديث ، !

إنما فعل ذلك بقصد التشنيع فقط ، ونبز أهل السنة بالتشبيه ، وقد تقدم أنَّ الرافضة من أعظم الناس تشبيها وتعطيلا وكذبا[٣]!

وذكر ابن بابويه القمي أيضا أنَّ المشبهة تعلقت بقول الله : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ على العرش ﴾ [الأعراف : ٥٤] ولاحجة

---

(١) انظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص/١٩٨-١٩٩ والشريعة للآجري ص/٣١٥-٣١٦ والمختار في أصول السنة لابن البنا الحنبلي ص/١٤٤-١٤٥ ونقض التأسيس « المخطوط » ٢/ ٢٠١-٢٩٠ وقد بين شيخ الإسلام مذهب أهل السنة في ذلك ، وناقش من يزعم أنَّ إثبات الصورة لله تعالى يلزم منه التشبيه . وانظر : تعليقات شيخي الدكتور علي ناصر فقيهي على كتاب الصفات لابن منده ص/٥٧-٦٣وراجع لتفصيل المسألة وبيانها كتاب : عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن للشيخ حمود التويجري ، فقد أفاد في ذلك وأجاد فجزاه الله خيرا .

(٢) انظر : منهاج السنة ٦٩/١ .

(٣) انظر : ٢٣٣/١ .

لهم في ذلك فإنَّ الله عنى بذلك أنه مستولٍ على العرش ومالك له[١].

ويقصد بالمشبهة أهل السنة والجماعة ، فإنهم هم المثبتون لاستواء الله على عرشه بلا تكييف ولا تمثيل[٢]. وهم المستدلون على ذلك بالآية التي ذكرها على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته .

أما ما ذكره من أنَّ الله عز وجل عنى بذلك أنه مستولٍ على العرش ومالك له فكذب على الله ، وقول عليه بلاعلم ، وتحريف وتبديل ، والله عز وجل مستوٍ على عرشه ومالك لجميع خلقه مستولٍ عليها ، وليس على العرش فقط ، والاستيلاء إنما يكون بعد الغلبة والله عز وجل لاغالب له[٣]، بل هوالعزيز الغالب ، ليس له مثيل ولا نظير ولا شبيه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

أما الزيدية فقد سلكوا منهج أهل الاعتزال في نفي الصفات[٤]ونبز مثبتيها بالتشبيه .

ومن أقوالـــهم في ذلك : ما ذكره الإمـام ابن الوزير[٥]رحمه الله أنَّ

---

(١) انظر كتابه : التوحيد ص/١٦ .

(٢) كما تقدم انظر : ٤١٩/١ .

(٣) سيأتي بيان أنَّ تفسيرصفة الاستواء بالاستيلاء تشبيه لله عزوجل بالإنسان انظر : ٢٨٧/٣ .

(٤) انظر : مقالات الإسلاميين١٤٩/١والملل والنحل ١٥٥/١ومنهاج السنة ٧٠/١ .

(٥) أبوعبد الله محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى اليماني ، الإمام الكبير المجتهد المعروف بابن الوزير ، قال عنه الحافظ ابن حجر : « كان مقبلا على الاشتغال بالحديث شديد الميل إلى السنة بخلاف أهل بيته » وذكرالإمام الشوكاني أنه كان ذابا عن السنة ، مناضلا لأهل البدع ، عابدا زاهدا . من مصنفاته : « العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم » و « ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان » و « إيثار الحق على الخلق » توفي سنة ٦٤٠ هـ انظر : أنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر٧/ ٣٧٢ والبدر الطالع للشوكاني ٨١/٢-٩٣ومعجم المؤلفين ١٩٠/٣ .

السـيد[١]من الزيدية قال : « إنَّ التشبيه مستفيض عن أحمد بن حنبل » !

وردَّ عليه الإمام ابن الوزير وبين أنَّ مقالته هذه قصد بها القدح في كتب أهل الحديث بكون الإمام أحمد رحمه الله من رجالهم ، كما قدح فيها بكون الشافعي والبخاري من رجالهم ، فما أفحش هذا الجهل وأخسه وأجرأه ! فيا هذا ليتك عرفت عن من يروي أئمتنا وأئمة المسلمين أجمعين من أهل البيت المطهرين الذين خالفتهم في كلامك هذا ، مع اعتقادك بجهلٍ أنك فيه لهم ناصر وتابع وموافق ومشايع ، حتى تعرف أنهم أثنوا على من ذممته ، ورووا عمن جرحته !

ثم ذكر رحمه الله من روى عن الإمام أحمد رحمه الله من أئمة أهل البيت وغيرهم[٢].

وذكر تبرئة ابن أبي الحديد[٣]المعتزلي للإمام أحمد ، الذي سار على نهجه هذا الزيدي فقد قال ابن أبي الحديد منزها الإمام أحمد عن ذلك : « ... فلم يثبت عنه تشبيه ولا تجسيم أصلا ، وإنما كان يقول : بترك التأويل فقط ، ويطلق ما أطلقه الكتاب والسنة ولا يخوض في تأويله ... وأكثر المحققين من أصحابه على هذا القول ... »[٤]!

---

(١) علي بن أبي القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين بن أحمد بن يحيى العلامة الزيدي ، كان شيخا لابن الوزير ومثنيا عليه ، فلمارأى انتقاده لمذهب أهل الاعتزال في الصفات والعدل الذي أخذبه كثير من الزيدية ، إنقلب عليه وصار ذاما له ومنه محذرا ، وقد ألف رسالة في الرد عليه ، ذكر الإمام الشوكاني أنها تدل على عدم إنصافه ومزيد تعصبه ، فردَّ عليه ابن الوزير بكتابه القيم : « العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم » مات سنة ٨٣٧هـ انظر : البدر الطالع بمحاسن القرن السابع للشوكاني ٤٨٥/١ .

(٢) انظر : العواصم والقواصم لابن الوزير ٣٠٠/٣- ٣٠٧ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ص/١٦٩ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩٦/١ .

قال ابن الوزير : « وفيه[١] الترحم عليه وتنزيه المحققين من أصحابه أيضا عن ذلك وهذه أصدق شهادة وأبعد رواية عن كل ريبة »[٢]. قلت : والفضل ماشهد به المخالف !

وذكر رحمه الله أنَّ الإمام الذهبي ذكر في السير مصنفات الإمام أحمد ومنها كتابه « نفي التشبيه » مجلد[٣]، وأنَّ الإمام أحمد رحمه الله أظهر القول بأنَّ القرآن غير مخلوق مع تكفيرهم له بذلك ولو أظهر التجسيم لذكر وضرب عليه فإنه أعظم من مسألة القرآن !

وأيضا فقد كانوا في مناظرتهم له يلزمونه التشبيه والتجسيم وهولا يلتزمه[٤] فلوكان متظاهرا به لما احتاجوا إلى إلزامه ولصرح به كما صرح بأنَّ القرآن غير مخلوق ، وناظر عليه مع التعذيب الذي هو أشد من القتل وفي هذا أعظم براءة له ولأئمة الحديث من التهمة بالتشبيه فتأمله[٥].

وللإمام أحمد رحمه الله أقوال كثيرة في نفي التشبيه وإثبات الصفات[٦]، وقد حكم على ما يشبه الله تعالى بخلقه بالكفر[٧]، لكن من يسلك مذهب الاعتزال

---

(١) يقصد في شرح نهج البلاغة .

(٢) العواصم والقواصم ٣١٨/٣ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء ٣٣٠/١١ .

(٤) فقد طُلب منه رحمه الله أنْ يقول : إنَّ الله جسم ، أوليس بجسم فامتنع عن ذلك لعدم وروده في الكتاب والسنة ، وتلاسورة الإخلاص الدالة على وصف الله تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عن التمثيل والكفئ وعن كل نقص وعيب . وقد تقدم ذكر ذلك انظر : ص/٣٧١-٣٧٢ .

(٥) انظر : العواصم والقواصم ٣٢٠/٣-٣٢١ .

(٦) تقدم ذكر بعضها انظر : ٨٠/١ و١٢٤ و٣٧١ و٤٢٢ و٤٥١ و٤٦٤ و٤٦٣ و٥٢٥ و٥٣٢ و١٥/٢ و٤٤٤ .

(٧) كما تقدم انظر : ٤٦٣/١ و٤٤٤/٢ .

كهذا الزيدي الذي ردَّ عليه الإمام ابن الوزير ، وأضرابه يدخل عامة الأئمة كما ذكر شيخ الإسلام ومنهم الإمام أحمد في قسم المشبهة[١] ظلما وعدوانا وجهلا !

٥ ـ أما الأشاعرة والماتريدية فقد وصموا أهل السنة بالتشبيه بسبب إثباتهم ما نفوه من الصفات التي جعلوا إثباتها تشبيها ، وقد ألف بعضهم كتبا لذلك ، وتأويل ما اعتبروه تشبيها[٢] ! ومن مقالاتهم في نبز أهل السنة بالتشبيه قول الجويني : « واعلموا

---

(١) تقدم قريبا .

(٢) ومن هذه الكتب : « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » لابن الجوزي ت٥٩٨هـ ردَّ به على بعض الحنابلة الذين وصمهم بالتشبيه وهم القاضي ابن حامد ، والقاضي أبو يعلى ، وابن الزغواني ، وقد إعتبر إثبات الصفات تشبيها وسيأتي الرد عليه ، وتبرئة من وصمهم بالتشبيه . !

ومن ذلك كتاب : « دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد » لأبي بكر الحصني ت٧٣٩هـ ردَّ به على شيخ الإسلام ابن تيمية ووصمه بالتشبيه ، كما نبز الحنابلة بأنهم مشبهة ، وإعتمد في ذلك على كتاب ابن الجوزي السابق ، وسيأتي براءة شيخ الإسلام من وصمة التشبيه .

ومن ذلك كتاب « السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل » لعلي بن عبد الكافي السبكي ٧٥٦هـ ردَّ به على نونية الإمام ابن القيم ووصمه بالتشبيه ، كما نبز كل من سلك منهج السلف في الصفات لاسيما الحنابلة بالتشبيه ، وقد إعتمد على الكتابين السابقين . !

ومن ذلك كتاب : « تكملة الرد على نونية ابن القيم » المسمى بـ « تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم » المطبوع مع الكتاب السابق ، لجهمي العصر محمد زاهد الكوثري الجركسي ، الذي إتخذ منهج الشتم والنبز بالألقاب الشنيعة ، والتنقص من الأئمة الأعلام منهجا له في الرد على أهل السنة ووصمهم بالتشبيه والتجسيم .

ومن ذلك كتاب : « ابن تيمية ليس سلفيا » لمنصور محمد عويس ، رَدَّ به على شيخ الإسلام ابن تيمية ووصمه بالتشبيه والتجسيم ، وغير ذلك من الكتب التي ألفها المعطلة في نبز أهل السنة بالتشبيه والتجسيم ، ومعظم هذه الكتب يعتمد أصحابها لوصم الحنابلة بالتشبيه على كتاب ابن الجوزي السابق ظنا منهم ، أوتجاهلا من بعضهم أن ابن الجوزي إنما ألفه في الرد على الحنابلة ، مع أنه كما تقدم إنما ردَّ به على ثلاثة منهم ممن إعتبرهم مشبهة ، وسيأتي الرد عليه ، وعلى من يستدل بذلك لنبز أهل السنة من الحنابلة بالتشبيه انظر : ص/٥١٨ـ٥٢٥ .

أنَّ مذهب أهل الحق[١] أنَّ الرب سبحانه وتعالى يتقدس عن شغل حَيِّزٍ ، ويتنزه عن الاختصاص بجهة ، وذهب المشبهة إلى أنه ـ تعالى ـ مختص بجهة فوق »[٢].

ويقصد بالمشبهة أهل السنة فإنهم هم الذين يثبتون صفة الفوقية كما وردت في قول الله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠] ومن أثبت ذلك فهو عند الجويني وأضرابه الذين سموه تحيزا واختصاصا بجهة يُعَدُّ من المشبهة !

وقد نبز الشهرستاني أهل السنة بالتشبيه بسبب إثباتهم صفات الله عز وجل على مقتضى ظواهر النصوص اللائقة بالله تعالى حيث قال : « ... ثم إنَّ جماعة من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف ، فقالوا لابد من إجرائها على ظاهرها ، فوقعوا في التشبيه الصرف ، وذلك على خلاف ما اعتقده السلف »[٣].

فاعتبر القول بظاهر نصوص الصفات تشبيها ، وَعَدَّ من يقول بذلك مشبها مخالفا لما اعتقده السلف ، الذي ادَّعى أنه تفويض لمعاني نصوص الصفات وسيأتي نقد ذلك وبيان أنَّ اعتقاد ظاهر نصوص الصفات على الوجه اللائق بجلاله وعظمته هو مذهب السلف وأنَّ تفويض المعاني ليس من منهجهم في نصوص الصفات ، وإنما يفوضون الكيفية المفضية إلى التمثيل[٤].

كما أدرج الشهرستاني أهل السنة ضمن طوائف المشبهة حيث ذكر أنَّ جماعة من مشبهة الصفاتية تمسكوا بقوله ﷺ : « خلق الله آدم على صورته »[٥] فجعلوا الإله

---

(١) يقصد بذلك الأشعرية ، وقد تقدم أنَّ الأشعرية من فرق أهل البدع المتكلمين لاسيما في مسائل الصفات انظر : ١/٤٦ ـ ٥٢ .

(٢) الشامل للجويني ص/٥١١ ،

(٣) الملل والنحل ١/٩٣ .

(٤) انظر : ١/٣٩٠ ـ ٣٩٩ .

(٥) تقدم عزوه انظر : ٢/١٥٨ . .

ذا صورة مثل صورة الإنسان ، ونسجوا بذلك على منوال المشبهة الغالية كالهشامية وغيرهم[١]!

ومعلوم أنَّ أهل السنة يثبتون لله تعالى صورة كما ورد في الحديث ، ولايجعلون صورة الله تعالى كصورة الإنسان ، كمازعم الشهرستاني ، بل ينزهون الله في ذلك عن التشبيه والتمثيل[٢]. وقد عَدَّ الإيجي[٣]أهل السنة من المشبهة ، حيث ذكر قول الكرامية في صفة الاستواء ، وأنهم خصوا الله بجهة فوق ، شبهوا الله فيها وجعلوه في جهة ككون الأجسام مماسا للصفحة العليا[٤]، وأنَّ من المشبهة من خصه بجهة فوق لكنه ينفي أنْ يكون ككون الأجسام في جهة من الجهات[٥].

ويقصد بذلك أهل السنة فإنهم يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه من الفوقية والاستواء على مايليق بجلاله وعظمته بلا تكييف ولا تمثيل ، ولم يقولوا ما ذكره الإيجي عنهم من الجهة وكون الله فيها ليس كالأجسام في جهة ، وإنما هذا من فهم الإيجي لكلامهم ، عَبَّرَ عنه باصطلاحه الكلامي الفاسد ، لأنَّ القول بالجهة وإطلاق الجسم على الله إثباتا ونفيا عندهم بدعة كما تقدم[٦].

---

(١) انظر كتابه : نهاية الإقدام ص/١٠٣-١٠٤ .

(٢) تقدم ذكر ذلك انظر : ١٥٩/٢ .

(٣) أبو الفضل عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار الإيجي نسبة إلى بلدة في فارس الشيرازي أحد تلامذة البياضي الأشعري ، عالم بالأصول والمعاني والعربية . من مصنفاته : « المواقف في علم الكلام » و « المدخل في علم المعاني والبيان والبديع » مات سنة ٧٥٦هـ انظر : طبقات الأشعرية للسبكي ٤٦/١٠و الأعلام ٢٩٥/٣ .

(٤) تقدم مذهب الكرامية في صفة الاستواء وموقف أهل السنة منه انظر : ٤١٦/١ - ٤١٨ .

(٥) انظر : المواقف في علم الكلام للإيجي ص/٢٧٠-٢٧١ .

(٦) انظر : ١٢/٢ .

فالله تعالى عندهم مستو على عرشه بائن من خلقه ، واستواؤه على عرشه ليس كاستواء المخلوق على المخلوق بل استواء يليق به عز وجل كما تقدم[١].

وقد بالغ جهمي العصرالكوثري الماتريدي في عدائه لأهل السنة والجماعة ورميهم بما ليس في مذهبهم جرأةً على الكذب والبهتان ، وتهاونا على ركوب الإثم والعدوان ، فلم يترك نقيصة إلاوقد رماهم بها دون وازع ديني ، لتنفيرالناس منهم ومن مذهبهم ، فقد رماهم بأنهم مشبهة[٢]، وأنَّ عقيدتهم عقيدة الوثنية[٣]، ووصفهم بالجهل والتأليف فيمالا يحسنون حتى أصبحوا كما يزعم مجلبة عار على من يُسايرهم ويقلد رأيهم[٤].

وما هذا إلا بسبب إثباتهم لصفات الله تعالى التي نفاها الكوثري وأضرابه ، وروايتهم لأخبار الصفات التي يعتبرها الكوثري تشبيها وشركا ووثنية عن سوء قصد وسوء فهم وكتب المتكلمين المبنية على الفلسفة والتعطيل كتب توحيد وتنزيه ! لذا حَذَّر الكوثري من كتب السلف المؤلفة في توحيد الصفات ووصفها بالتشبيه

---

(١) انظر : ٢/٤١٨ - ٤٢٧ .

(٢) انظر : مقدمته على الأسماء والصفات للبيهقي ص/ أ ـب ومقالاته ص/٤٦٢-٤٦٣ومقدمته على السيف الصقيل للسبكي ص/٢و٤ومقدمته على تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص/ ١٠وتكملته على الرد على نونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل ص/ ١٣و٢٠و٣٥و٧٢و٩٣و١١٤و١٣١و١٣٤ومقدمته على كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص/ و .

(٣) انظر : مقالاته ص/٢٩٠و٣٠٢و٣٠٦و٣٣٠و٣٣٧و٣٣٨و٤٠٢و٤٠٧و٤٠٩وتعليقاته على الأسماء والصفات للبيهقي ص/٤٧٨وتكملته الرد على نونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل ص/٤١و١٥٤ .

(٤) انظر : مقدمته على الأسماء والصفات للبيهقي ص/ أ ـ ب .

والتجسيم ككتاب السنة لعبد الله[١] بن الإمام أحمد ، وكتاب السنة للخلال[٢]، ولابن أبي عاصم[٣]، والتوحيد لابن خزيمة[٤]، الذي وصفه بأنه كتاب الشرك تقليدا للرازي ، وكتاب التوحيد لابن منده[٥]، والنقض على بشر المريسي للدارمي[٦]، والشريعة للآجري[٧]، والإبانة لأبي نصر السجزي[٨]، وغيرها . ثم قال عن هذه الكتب : « ... تجد فيها ما ينبذه الشرع والعقل في آنٍ واحد »[٩]!

فوصف هذه الكتب التي فيها نصوص الصفات بأنها كتب التشبيه والشرك والتجسيم وأنَّ فيها ماينبذه الشرع والعقل !

وَأيُّ شيء في هذه الكتب سوى آيات الصفات وأحاديثها المروية بالأسانيد إلى

---

(١) أبو عبد الرحمن عبدالله بن الإمام أحمد ، لازم أباه حتى توفي ، وأسمعه كل حديثه ، وأراه كل تصانيفه ، حتى صار أروى الناس عن أبيه . قال عنه الإمام الذهبي : « الإمام الحافظ الحجة » من مصنفاته : « كتاب السنة » و « العلل » توفي سنة ٢٩٠هـ انظر : طبقات الحنابلة ١/١٨٠وتذكرة الحفاظ ٢/٦٦٥ .

(٢) أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال ، شيخ الحنابلة في وقته ، من مصنفاته : « كتاب السنة » توفي سنة ٣١١هـ انظر : طبقات الحنابلة ١/١٢وسيرأعلام النبلاء ١٤/٢٩٧ .

(٣) أبوبكر أحمد بن عمروبن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني ، من أئمة الحديث المكثرين ، من مصنفاته : « المسند الكبير » و « كتاب السنة » توفي سنة ٢٨٧هـ انظر : تذكرة الحفاظ ٢/ ١٩٣والأعلام ١/١٨٩ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ١/١١١ .

(٥) تقدمت ترجمته انظر : ١/١٣٠ .

(٦) تقدمت ترجمته انظر : ١/٤٢ .

(٧) تقدمت ترجمته انظر : ٢/٦٤ .

(٨) تقدمت ترجمته انظر : ٢/٦٢ .

(٩) مقدمة الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي ص/ أ ـ ب ومقالاته ص/٣٩٢و٤٠٢ .

رسول الله ﷺ فهل هذا ينبذه الشرع والعقل كما يزعم الكوثري الجهمي !

إنْ كان شرع أهل الكلام وعقلهم المذموم فهو مضاد لشرع الله تعالى ومعقولاتهم معارضة لوحي الله فلا عبرة بذلك ولايُعتد به !

وإنْ كان شرع الله فكيف ينبذ الشرع لوحي الله ، !وكيف ينبذ العقل الصريح لوحي الله تعالى ، بل هو موافق له !

فالشرع والعقل الذي ينبذ نصوص الصفات عند الكوثري هو شرع أهل الكلام ومعقولاتهم الفاسدة ، ولايُعتد بذلك لأنهما مضادان لشرع الله ووحيه ، ومناقضان للعقل الصريح الموافق للنقل الصحيح !

وإذا كانت كتب السلف منبوذة عند الكوثري ، فإنَّ الكتب المعتمدة عنده كما صرح بذلك كتب أهل الكلام المذموم[١]، المشتملة على الجدل والجدال ، والقيل والقال ، ومعارضةِ وحي الله تعالى ، وتعطيل الله عن صفات الكمال بحجة نفي التشبيه والتجسيم الذي هو في الحقيقة تحريف وتعطيل !

وما حمل الكوثري في رميه لأهل السنة بالتشبيه ، وبكل لقب مذموم ، ولكتبهم بكتب التشبيه والشرك والوثنية إلا تعصبه عن جهل مركب للكلام المذموم ، وتقليده لأهل الكلام الذين فتنوا بالكلام المذموم ، وفلسفة اليونان أهل الشرك والإلحاد .

أما عداؤه لكتب السلف والتحذير منها ووصفها بكتب الشرك والتشبيه والتجسيم والوثنية فهذا صنيع الجهمية المعطلة ، والكوثري مقلد لهم سائر على منهجهم .

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أنَّ كثيرا من الجهمية المعطلة لايحب تبليغ نصوص الصفات ، أوإظهارها وقد يشترطون في أماكن أنْ لا يقرؤوا فيها أحاديث الصفات ، وكان بعضهم مغرما بإعدام كتب السنن المصنفة في الصفات وكتمانها وإخفائها[٢].

---

(١) انظر : المرجع نفسه ص/٤٠٢و٤٠٧ .

(٢) انظر : الصواعق المرسلة ١٠٣٩/٣ .

قال الإمام ابن القيم : « وبلغني عن كثير منهم أنه كان يهم بالقيام والانصراف عند ختم صحيح البخاري ومافيه من التوحيد والرد على الجهمية ، وسمع منه الطعن في محمد بن إسماعيل ، وما ذنب البخاري وقد بَلَّغَ ما قاله رسول الله ﷺ وقال آخر من هؤلاء : « لقد شان البخاري صحيحه بهذا الذي أتى به في آخره » ومعلوم أنَّ هذه مضادة صريحة لما يحبه الله ورسوله من التبليغ عنه حيث يقول : « ليبلغ الشاهد الغائب »[١] وقال : « بلغواعني ولو آية »[٢].[٣]

فالكوثري بكراهيته لكتب السلف المصنفة في الصفات ، وتحذيره منها مقلد لهؤلاء الجهمية المعطلة !

وقد سار على منوال الكوثري سلامة القضاعي[٤] الذي وصم أهل السنة بالتشبيه[٥]، وحذر منهم ومن كتبهم[٦]، وزعم أنهم مبتدعة مامثلوا إلاسلف سوء من أشياخ المشبهة وأئمة المجسمة[٧]، وادَّعى عن سوء فهم أنه لايفهم من إثبات

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب العلم ١/١٩١ح٦٧ومسلم في كتاب الحج ٢/ ٩٨٧ح٤٤٦ . من طريق عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه .

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب الأنبياء ٦/٥٧٢ح٣٤٦١ من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٣) الصواعق المرسلة ٣/١٠٣٩ .

(٤) سلامة هندي العزامي القضاعي ، صوفي متكلم فقيه ، تولى مشيخة الطريقة النقشبندية ، ودرس بالأزهر ، من مؤلفاته : « براهين الكتاب والسنة الناطقة بوقوع الطلقات المجموعة » و « البراهين الساطعة في الرد على بعض البدع الشائعة » مات سنة ١٣٦٧هـ انظر : معجم المؤلفين ١٣/٣٩٠ .

(٥) انظركتابه : فرقان الفرقان بين صفات الخالق وصفات الأكوان ص/١٤-١٥و٨١ وكتابه : البراهين الساطعة في ردِّ بعض البدع الشائعة ص/٢٢٤-٢٢٥و٢٤٩و٢٥١و٢٦٠ .

(٦) انظر : المرجع نفسه ص/٢٧٥وفرقان الفرقان ص/١٤ .

(٧) انظر : المرجع نفسه ص/١٥ .

الصفات التي نفاها إلا التشبيه ، ثم رمى أهل السنة بما فهمه إلى أنهم يثبتون أجزاءً وأعضاءً وقعوا بها في التشبيه ، وتبرؤوا من اسمه[١]!

وشنع على منهجهم في التأليف ، زاعما بفهمه الفاسد أنه لايدل إلا على صورة الإنسان فقد قال في ذلك : « ولقد بعد كل البعد عن شاكلة الصواب مَن جمع من المحدثين هذه الأحاديث في كتب خاصة وسماها بالصفات[٢]، أو السنة[٣]، أو التوحيد[٤]، ورتبه على ترتيب صورة الإنسان من الوجه والعينين والعضد والذراع والكف والأصابع واليدين والساق والقدم فيجعل لكل واحدٍ من ذلك بابا يجمع فيه الأحاديث التي في تلك الألفاظ ... »[٥]!

فأئمة السلف الذين يشنع عليهم ويزعم أنهم مشبهة قد رتبوا أبواب كتبهم بزعمه على صورة الإنسان ، إنما هذا على فهمه الفاسد ، حيث لم يفهم من إثبات الصفات إلا التشبيه ثم رمى بما فهمه أئمة أهل السنة ، وهم بريئون من التمثيل ، وإنما أثبتوا لله تعالى صفاته كما جاءت في الكتاب والسنة بلا تكييف ولا تشبيه ، وإتبعوا في ذلك وحي الله عز وجل ، حتى آثروا أنْ تكون أبواب كتبهم التي صنفوها في الصفات مستنبطة من الكتاب والسنة . كقولهم : باب قول الله تعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ ثم يوردون تحت هذا العنوان الآيات والأحاديث الواردة في صفة الوجه ، وهذا المنهج عند سلامة القضاعي وأضرابه

---

(١) انظر : المرجع نفسه ص/١٤-١٥و٨١ .

(٢) يقصد بذلك : كتاب الصفات للدارقطني ، ولابن منده .

(٣) مراده بذلك : كتاب السنة للأشرم ، ولابن أبي عاصم ، ولعبد الله بن الإمام أحمد ، وللمروزي ، وللخلال .

(٤) يقصد بذلك : كتاب التوحيد لابن خزيمة ، ولابن منده .

(٥) البراهين الساطعة ص/٢٧٥ .

تشبيه وتجسيم ، لأنَّ فيه على زعمهم إثباتا لأجزاء الإنسان وأعضائه ، بخلاف تعطيلهم الكلامي فإنه كما يدعون توحيد وتنزيه ، وهو في الحقيقة تحريف وتعطيل !

أما قوله والعضد والذراع فهذا كذب على أهل السنة فإنَّ منهجهم في إثبات الصفات كما تقدم[١] الوقوف على ما ورد في الكتاب والسنة ، ولم يرد ذلك فيهما ، فلم يوردوه في كتبهم فضلا على أنْ يجعلوا له أبوابا ، كما يزعم القضاعي ، وإنما هذا من فهمه الفاسد أراد به التشنيع على أهل السنة بالكذب والبهتان !

كما سار على منوال الكوثري في التشنيع على أهل السنة ورميهم بالتشبيه وبكل لقب ذميم حسن السقاف الذي اعتبر الكوثري من مجددي التوحيد في هذا العصر ، وسلك منهجه في عدائه لأهل السنة ومصفاتهم التي ألفوها في توحيد الصفات ، وقد قام هذا الجهمي المعطل بتحقيق كتاب « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » للإمام ابن الجوزي ، فوضع فيه مقدمة وهوامش طويلة جعلها مسرحا لترهاته وأباطيله ، ورميه لأهل السنة بالتشبيه[٢].

وقد استوقفتني تلك القائمة التي وضعها في المقدمة والتي ضمنها بعض كتب السلف التي ألفوها في تقرير مذهب أهل السنة في مسائل الاعتقاد ، ومن ذلك مذهبهم في الصفات المبني على الإثبات والتنزيه ، والرد على المعطلة المحرفة ، فساء السقاف انتشار تلك الكتب لكونها مخالفة لمنهجه الكلامي الذي عارض به وحي الرحمن فوصفها بكتب التشبيه والتجسيم وحذر من قراءتها[٣] !

ثم وضع بإزائها قائمة أُخرى بعدها ضمنها كتب المتكلمين المعطلة وحث على

---

(١) انظر : ١٢١/١ و١٢٤ و٣٧٦ .

(٢) انظر : مقدمة السقاف على كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص/٩و١٧و٥٦و٧٤و٧٥و٧٩ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ص/٧٥-٧٦ .

قراءتها[١]! وهذا يدل على سوء الفهم وسوء القصد بقصد التشنيع والتنفير ، فكتب أهل السنة المستنبطة من وحي الله ، المشتملة على إثبات صفات رب العالمين كما وردت عند السقاف وأضرابه الذين ساء فهمهم وقصدهم بالكلام المذموم ، كتب تشبيه وتجسيم يجب الحذر منها !! وكتب الكلام المذموم المستنبطة من فلسفة اليونان ، والمشتملة على تعطيل الرحمن ، المعارضة لوحي الله تعالى كتب توحيد وتنزيه يجب اقتناءها وقراءتها . هكذا يفعل من ساء فهمه بالكلام المذموم ، تنعكس عنده الموازين ، ويلبس عليه الحق فيعده باطلا ، والباطل حقا ، ولاحول ولاقوة إلا بالله ! وكتب نفاة الصفات لاسيما المعاصرين منهم مليئة بتسمية أهل السنة مشبهة[٢] لاسيما

---

(١) انظر : المرجع نفسه ص/٧٨-٧٩ .

(٢) انظر على سبيل المثال : العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي ص/ ٢٠٨ -٢٠٩ودفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص/١٠١ودفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد لأبي بكر الحصني ق/٧و١٢و١٤و٣٦و٥٨و١١وإيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة ص/ ٩٣والسيف الصقيل في الرد على ابن زفيل للسبكي ص/ ٢٣-٢٤و٥٤وشرح العقيدة الطحاوية لعبد الغني الغنيمي الماتريدي ص/٤٣واتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المشابهات لمحمود خطاب السبكي ص/٣٣-٣٤و٥٨والتفكير الفلسفي في الإسلام للدكتور : علي سامي النشار٢/١٨٠وبراءة الأشعريين من مذاهب المخالفين لأبي حامد بن مرزوق ص/٣-٤وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص/١٩٣-١٩٤وابن رشد وفلسفته الدينية للدكتور : محمود قاسم ص/١٢٩وعلاقة صفات الله تعالى بذاته للدكتور : راجح الكردي ص/٥٧والدليل القويم على الصراط المستقيم لعبدالله الحبشي ص/٣٦وردود على أباطيل لمحمد الحامد ٢/١٣-١٤ونشأة الأشعرية وتطورها للدكتور جلال محمد موسى ص/ ٩١والمدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام للدكتور : محمد عبدالستار نصار ١/٦٢و٥٧١و٦٠٧و٦١١-٦١٢و٦٧٥والباقلاني وآراؤه الكلامية للدكتور : رمضان محمد عبد الله ص/٤٦٢-٤٦٣وابن تيمية ليس سلفيا لمنصور محمد عويس ص/ ١٤و٦٤و١٠٣و١٠٤وجلاء القتام وكشف الظلام لصلاح الدين التيجاني ص/٤١ .

الحنابلة فقد وصموهم بأنهم مشبهة[١]، وإنما ذكرت من مقالات المعطلة في ذلك أمثلة يتبين بها انحرافهم عن وحي الله تعالى بسبب الكلام المذموم ، الذي عارضوا به وحي الله تعالى ، وعطلوا الله به عن صفات الكمال الذي إعتبروه تنزيها ، ووصموا من أثبت الصفات كما وردت من غير تأويل بأنه مشبه كذبا وزورا بقصد التشنيع والتنفير ، ولابد كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله للمنحرفين عن سنة الرسول ﷺ أنْ يعتقدوا في أهل السنة نقصا يذمونهم به ، ويسمونهم بأسماء مكذوبة[٢]، بقصد تنفير الناس وصدهم عن إثبات صفات الله الذي عدوه تشبيها وتجسيما ، وإدخالهم إلى كلامهم المذموم الذي عطلوا به صفات الله ، وسموا ذلك توحيدا وتنزيها ، وهو في الحقيقة إلحاد وتعطيل ، ولكن أنّى للباطل أنْ يحجب شمس الحق الساطعة بنور وحي الله عز وجل ؟!!

---

(١) واعتمد أكثرهم في ذلك على كتاب ابن الجوزي « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » حيث ظنوا أنه ألفه ليرد به على الحنابلة المثبتين للصفات الذين وصموهم بالتشبيه ، مع أنه لم يرد به إلاعلى ثلاثة منهم ممن غلو في الإثبات كما ذكرذلك ابن الجوزي نفسه انظر كتابه المذكور ص/ ٩٨-٩٩وسيأتي الرد عليه وعلى من إحتج بكتابه في نبز الحنابلة بالتشبيه انظر : ص/٥١٨ .
ومن الذين نبزوا الحنابلة بالتشبيه القاضي أبوبكر بن العربي في كتابه العواصم من القواصم انظر : ص/ ٢٠٩-٢١١ وأبوبكر الحصني انظركتابه : دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد ق/٤-٧والكوثري في تكملة الرد على نونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل للسبكي ص/١٥وسلامة القضاعي في كتابه : البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة ص/ ٧٣-٧٤ومحمد الحامد في كتابه : ردود على أباطيل٢/١٣-١٤والدكتور : محمد عبد الستار أحمد نصار في كتابه : المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام ١/ ٥٢٩-٥٣٠و٥٧٢ومنصور محمد عويس في كتابه : ابن تيمية ليس سلفيا ص/٦٥-٦٦وأبوزهرة في كتابه : تاريخ المذاهب الإسلامية ص/١٩٣-١٩٤وصلاح الدين حسن التيجاني في مذكرته جلاء الأقتام ص/٤٢ .

(٢) انظر : الفتوى الحموية الكبرى ص/ ٦٥وضمن مجموع الفتاوى ٥/١١١ .

المبحث الثاني

مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتجسيم ونقدها

وكما وصم المعطلة أهل السنة بالتشبيه فقد نبزوهم بأنهم مجسمة ، ومرادهم بذلك من يثبت لله ما تتصف به الأجسام من الصفات[١]، ويذكر سلامة القضاعي أنهم[٢]يقال لهم مجسمة لقولهم في الله بالاتصاف بما هو من لوازم الجسم لزوما بينا[٣].

والمراد بصفات الأجسام ولوازمها عند المعطلة وصف الله تعالى بالصفات الذاتية الخبرية كصفة الوجه واليدين والقَدم ونحوها ، فإنَّ هذه الصفات أطلقوا عليها أجزاءً وأبعاضا وقالوا لايتصف بها إلا الجسم فمن أثبتها لله على زعمهم فهو مجسم[٤]!

وكذا بعض الصفات الفعلية الخبرية كالاستواء والمجيء والنزول ونحوها فإنَّ هذه الصفات ذكروا فيها أنَّ إثباتها لله يلزم منه أنْ يكون جسما ، لما فيه من معنى الحركة والانتقال والاستقرار ونحوها الخاصة بالأجسام ، فمن أثبتها لله على زعمهم فهو مجسم[٥]!

---

(١) انظر : نشأة الأشعرية وتطورها للدكتور : جلال محمد موسى ص/٨٧والباقلاني وآراؤه الكلامية للدكتور : رمضان عبدالله ص/٤٦٢-٤٦٣ .

(٢) يقصد أهل السنة .

(٣) انظركتابه : فرقان الفرقان ص/١٦-١٧والبراهين الساطعة ص/١٧٣-١٧٤ .

(٤) انظر : السيف الصقيل للسبكي ص/٥٣وتكملة الرد على نونية ابن القيم للكوثري المطبوع مع السيف الصقيل ص/٤٠وشرح العقيدة الطحاوية لعبدالله الغنيمي ص/٤٣وفرقان الفرقان لسلامة القضاعي ص/١٤و٨١و٢٦٠و٢٦٧والبراهين الساطعة له ص/١٧٣والتفكير الفلسفي في الإسلام للدكتور : عبد الحليم محمود ١/١١٠و١١٢وعلاقة صفات الله بذاته للدكتور : راجح الكردي ص/٥٧والدليل القويم على الصراطالمستقيم لعبدالله الحبشي ص/٤٠-٤١و٤٧وجلاء القتام وكشف الظلام لصلاح الدين حسن محمد التيجاني ص/٤٢و٤٦ .

(٥) انظر : مقدمة الكوثري على كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء للملطي ص « و » وتعليقاته =

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ نفاة الصفات يُسمون كل من أثبت الصفات مجسما بطريق اللزوم ، لأنهم يقولون : إنَّ الصفات أعراض لاتقوم إلا بجسم وذلك لأنهم اصطلحوا في معنى الجسم على غير المعنى المعروف في اللغة من كونه هو البدن[١]، فسموا كل مايُشار إليه جسما ، فلزم على قولهم أنْ يكون ماجاء به الكتاب والسنة ، وما فطر الله عليه عباده ، وما إتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من الصفات تجسيما ، لذا أطلقوا على كل من يثبت الصفات التي نفوها مجسما[٢].

فالمعتزلة يسمون كل من يثبت الصفات مجسما ، لأنَّ الصفات عندهم أعراض لا تقوم إلا بجسم ومن يقول : إنَّ لله قدرة وعلما أوأنه يُرى فهو مجسم[٣]، لأنَّ الرؤية لاتكون إلا لمعاين في جهة وهذا يستلزم على زعمهم التجسيم[٤].

وكل من سار على منهجهم من الرافضة والأشعرية والماتريدية فيما نفوه من الصفات يعتبرون مَن أثبتها مجسما[٥].

= على الأسماء والصفات للبيهقي ص/٤١٦و٤٤٨-٤٤٩واتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات لمحمود خطاب السبكي ص/١١و٤٠والتفكير الفلسفي في الإسلام للدكتور : عبدالحليم محمود١/١١٢-١١٣وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص/١٩٣وبراءة الأشعريين من عقائد المخالفين لأبي حامد بن مرزوق ص/٧٧-٧٨ومقدمة حسن السقاف على كتاب : دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص/٥٦والدليل القويم للحبشي ص/٤٧ .

(١) تقدم معنى الجسم عند المتكلمين ونقده انظر : ٢/٢٣ .

(٢) انظر : درء التعارض ١٠/٢٥٠ .

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص/٢٣٣ .

(٤) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٤٠ -٤١وشرح العقيدة الطحاوية ص/١٢١ .

(٥) كما تقدم الإشارة إلى منهجهم في ذلك ، وذكر مراجعهم قريبا ، وسيأتي ذكر بعض أقوالهم في ذلك انظر : ٢/١٥٨ و١٦٣ - ١٦٥ .

وذكر الإمام الذهبي طريق المعطلة في إضلال الناس بالتعطيل ، وتنفيرهم عن مذهب أهل السنة في الصفات بالتشنيع والنبز بالتجسيم ، وبراءة أهل السنة من ذلك ، فذكر رحمه الله أنَّ أكثر المخالفين لأهل السنة لا يعتبرون بقول أئمة السنة ولا يعرف علم الأئمة ، فإذا جاء الشخص قاصدا التعلم يقول له بعضهم : لو اشتغلت في أصول الدين فإنه يجب عليك معرفة الله بالدليل[١] فيطيعه ، ويُواظب حلقة واحد منهم ، فيحذره من التشبيه والتجسيم ، ويقول له : إنَّ الحنابلة مجسمة وهم يقولون لله يد ، وأنه في السماء ، فينفره !فما ينظربعد ذلك في قول مثبتي الصفات إلا وفي قلبه حنقا عليهم ، فلا ينصف إنْ ناظر ، ولا يحقق البصر إن نظر ! فهو معذور من كونه نافيا عن الله التجسيم ، وغير معذور لكونه ما أمعن البصر حتى يعلم أنْ ليس من إثبات الصفات شيء من التشبيه والتجسيم فإنَّ ذلك إنما يُقال إذا قال المشبه : يد كيد[٢]، وأما إذا قيل : يد لاتشبه الأيدي فإنَّ ذلك إثبات وتنزيه[٣].

ومن مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتجسيم ما ذكره الإمام الدارمي رحمه الله عن بشر المريسي المعتزلي أنه نفى صفة الاستواء وزعم أنَّ إثباتها تجسيم ، وشنع على أهل السنة بأنَّ إثبات الاستواء إنما يكون كإثبات جسم على جسم[٤].

فردَّ عليه الدارمي رحمه الله مبرءًا أهل السنة من ذلك بقوله : « وأما قولك كجسم على جسم » فإنا لانقول : كجسم على جسم ، لكنا نقول : رب عظيم ،

---

(١) أي : دليل الجواهر والأعراض الذي يعتبر أصل الضلال والتعطيل والتشبيه كما تقدم انظر : ٢ / ٨٥ .

(٢) تقدم موقف أهل السنة ذلك انظر : ٢/٥٢٥ .

(٣) انظر كتابه : الأربعين في صفات رب العالمين ص/١٠٣-١٠٤ .

(٤) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٧٧-٧٩ .

وملك كريم كبير نور السموات والأرض ، وإله السموات والأرض ، على عرش مخلوق عظيم ، فوق السماء السابعة ، دون ماسواه من الأماكن ، من لم يعرفه بذلك كان كافرا به وبعرشه »[١].

وذكر الرافضي محسن الأمين العاملي[٢]أنّ الوهابية[٣]نسبوا إلى الله مالايليق بقدسه وجلاله ، فأثبتوا لله جهة الفوق والاستواء على العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا ، والمجيء وغير ذلك بمعانيها الحقيقية دون تأويل وهو تجسيم صريح على زعمه[٤].

فإثبات الصفات لله تعالى عند هذا الرافضي المعطل يعتبر وصفا لله بما لا يليق به ، ومن أثبت الصفات على زعمه فهو واقع في التجسيم الصريح .

ولا يعرف من أهل البدع أعظم هتكا لأستار التوحيد ، وإباحة لحماه بالتشبيه والتجسيم والتعطيل والشرك مثل الرافضة قديما[٥]، وحديثا[٦]، فقدماؤهم أهل تشبيه وتجسيم ومتأخروهم أهل تعطيل وشرك وتشبيه لاتوجد لهم مقالة متوسطة

---

(١) المرجع نفسه ص/٧٩ .

(٢) محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين الحسيني العاملي ثم الدمشقي ، من علماء الإمامية في بلاد الشام ، كان من المكثيرين في التأليف في مذهب الإمامية الرافضة تحقيقا وتأليفا ، من مصنفاته : « أعيان الشيعة » و « كشف الارتياب عن أتباع محمد بن عبد الوهاب » تحامل فيه على علماء نجد . مات سنة ١٣٧٣هـ انظر : الأعلام ٢٨٧/٥ .

(٣) نسبة إلى الإمام العلامة المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ، ويطلقه أهل البدع بقصد التشنيع والتنفير ، فإذا رأوا شخصا يدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك والبدع ، قالوا له وهابي ، لينفروا الناس منه . !

(٤) انظر كتابه : كشف الارتياب عن أتباع محمد بن عبدالوهاب ص/١٢٩-١٣٠و١٣٥ .

(٥) كما تقدم انظر : ٢٣٣/١ .

(٦) كما سيأتي انظر : ١١/٣ .

بينهما حتى يومنا هذا !

وزعم السبكي[١] أنَّ رعاعا من الحنابلة لحقوا بالتجسيم ، وبرأ الله المالكية فلم يُرَ مالكي إلا أشعري العقيدة[٢].

فقد اعتبر من خالف منهج الأشاعرة مجسما ، ووصم بذلك الحنابلة الذين أثبتوا الصفات وتجنبوا طريقة الأشاعرة المبنية على التحريف والتعطيل ، واعتبر المالكية كلهم أشاعرة ، وهذا غير صحيح فإنَّ كثيرا من المالكية ليسوا أشاعرة بل هم على مذهب أهل السنة . والأشاعرة عندهم من أهل الأهواء والبدع روى الإمام ابن عبدالبربسنده عن فقيه المالكية بالمشرق ابن خويز منداد[٣] أنه قال في كتاب الشهادات شارحا لقول الإمام مالك : « لاتجوز شهادة أهل البدع والأهواء » قال : « أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا أهل الكلام ، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريا كان أوغير أشعري ، ولاتقبل له شهادة في الإسلام أبدًا ، ويهجر ويؤدب على بدعته فإنْ تمادى عليها أُستتيب منها »[٤].

---

(١) أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، القاضي المؤرخ المتكلم الشافعي ، من مصنفاته : « طبقات الشافعية الكبرى » و « معيد النعم ومبيد النقم » مات سنة ٧٧١هـ انظر : الأعلام ١٨٤/٤ .

(٢) ذكره الألوسي في جلاء العينين ص/٢٢٠نقلا عن كتاب السبكي معيد النعم ، وقد بحثت عنه فلم أجده . !

(٣) أبو عبد الله وقيل أبوبكر محمد بن أحمد بن عبدالله بن إسحاق بن خويز منداد ، العالم الفقيه المالكي الأصولي ، كان يُجانب الكلام وأهله ويُنافرهم ، من مصنفاته ألف كتابا في مسائل الخلاف ، وفي أصول الفقه ، وأحكام القرآن . انظر : ترتيب المدارك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض ٦٠٦/٢ووفيات الأعيان ٢٤٧/١لم يذكر تاريخ وفاته .

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٩٦/٢وذكره ابن قدامة في كتابه : تحريم النظر في كتب أهل الكلام ص/٤٢ .

ومن يقرأ كتاب التمهيد للحافظ ابن عبدالبر يتبين له أنَّ كثيرا من المالكية على مذهب السلف في الصفات إلا من لحق منهم بالأشاعرة أهل الكلام المذموم .

وقد نقل شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه درء تعارض العقل والنقل[١]، ونقض التأسيس[٢]، والحموية وغيرها أقوالَ كثيرٍ من أصحاب المذاهب الأربعة ومنهم المالكية في إثبات الصفات كما وردت ، وكذا الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ، والإمام الذهبي في العلو ، وفي الأربعين في صفات رب العالمين فدعوى السبكي أنَّ المالكية كلهم أشاعرة عارية عن الصواب ، مجانبة للصدق والواقع !

كما أنَّ إثبات الصفات الذي يعتبره السبكي وأضرابه تجسيما ليس خاصا بالحنابلة[٣]بل هو مذهب كل من إتبع الكتاب والسنة وجانب الكلام المذموم المفضي إلى التحريف والتعطيل . وَيَعُدُّ أبو معين النسفي[٤]الماتريدي الحنابلة ضمن طوائف المشبهة الروافض كالجوارية والهشامية الذين قالوا : إنَّ الله جسم ، ويزعم أنهم قالوا : بقولهم : إنَّه ـ تعالى ـ متركب متبعض متجزئ[٥].

وهذا بهتان عظيم فإنه ليس في الحنابلة السلفيين المتبعين لمذهب إمامهم أحمد رحمه الله في الأصول والفروع من يطلق لفظ الجسم على الله تعالى[٦]لكن نفاة الصفات كما ذكر شيخ الإسلام يُسمون كل من أثبت الصفات مجسما بطريق

---

(١) راجع الجزء الثاني .

(٢) راجع الجزء الثاني .

(٣) سيأتي براءة أهل السنة ومنهم الحنابلة من التشبيه والتجسيم انظر : ٢/٢٠٥ و٢٢٠ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ١/٩٤ .

(٥) انظر كتابه : التمهيد في أصول الدين ص/٨-٩ .

(٦) تقدم موقف أهل السنة من إطلاق لفظ الجسم على الله إثباتا ونفيا انظر : ٢/١٢ .

اللزوم[١]. وأما ما ذكره من كون الحنابلة يقولون : إنه تعالى متركب متجزئ فغير صحيح لأنَّ إطلاق ذلك على الله تعالى بدعة عندهم ، لأنَّ ما يطلق على الله عز وجل من الصفات إثباتا ونفيا كما تقدم موقوف على ماورد في الشرع[٢]، وما ذكره هذا الماتريدي غير وارد في الكتاب والسنة ، فلم يقل به أحد من السلف حنبليا كان أوغيرحنبلي ، وإنما هذا من فهم هذا المبتدع عبر عنه بمصطلحاته الكلامية الفاسدة ليشنع به على أهل السنة كذبا وزورا !

ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أنَّ المعطلة النفاة ينسبون من أنكرمن أهل السنة إطلاق لفظ الجسم على الله تعالى إثباتا ونفيا إلى فرق التشبيه كذبا وزورا ويقولون فيه إنه على مذهب هشام بن الحكم الرافضي المشبه وأتباعه[٣]، والسلف بريئون من الجميع من أطلق الجسم على الله كهشام وطائفته بدَّعوه ، ومن نفى الجسم عن الله بَدَّعوه[٤].

وزعم عبد الغني الميداني[٥]الماتريدي أنَّ الحنابلة أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة إلا من لحق بأهل التجسيم ، والمجسمة من الحنابلة أكثر منهم في غيرهم[٦].

---

(١) انظر : درء التعارض ١٠/٢٥٠

(٢) انظر : ١/١٢ و١٢٤ و٣٧٦ و٣٧٧ .

(٣) كهذا الماتريدي المبتدع الذي ادَّعى أنَّ الحنابلة السلفيين على مذهب غلاة المشبهة كالجواربية والهشامية . !

(٤) انظر : رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالله بن سحيم ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ٥/١٣١-١٣٢ .

(٥) عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي الماتريدي . له كتاب « شرح القدوري » في فقه الإمام أبي حنيفة و « شرح العقيدة الطحاوية » نوفي سنة ١٢٩٨هـ انظر : الأعلام ٤/٣٣ .

(٦) انظر كتابه : شرح العقيدة الطحاوية ص/٤٣ .

وهذا زعم باطل فإنَّ الحنابلة أكثرهم على مذهب أهل السنة والجماعة ، وفيهم الأشاعرة إلا أنهم قلة إذا ما قورنوا بغيرهم من أتباع المذاهب الأخرى ، كما أنهم مبرؤون من التجسيم ، وأنَّ المجسمة الممثلة في غيرهم أكثر منهم فيهم ، بل معظمهم مثبتون للصفات كما وردت[١].

وقد غلا الكوثري في وصم أهل السنة بالتجسيم بسبب إثباتهم للصفات التي نفاها واعتبرها تجسيما ، ومن مقالاته في ذلك قوله : « والمجسمة يحملون الضحك والتبشيش على إبداء اللهوات وفغر الفم وكشر الأسنان ونحو ذلك جريا على الوثنية الأولى قبل الإسلام .. »[٢].

فأهل السنة الذين ينبزهم الكوثري بأنهم مجسمة يثبتون لله صفة الضحك والعجب كما وردت بلا تمثيل ولا تعطيل ، ومن أثبت ذلك عند الكوثري وأضرابه يعد مجسما ، وما ذكره من التبشيش وفغر الفم وكشر الأسنان ونحوه من كيسه الخاص لم يقل به أحدٌ من أهل السنة لأنَّ منهجهم في صفات الله التوقف على ماورد في الكتاب والسنة ، ولم يرد ذلك فيهما فإطلاقه في حق الله عندهم بدعة !

لكنَّ الكوثري فهم من إثبات صفة الضحك والكلام وغيرها ما ذكره من المعاني الخاصة بالمخلوق[٣]ثم ادَّعى على أهل السنة بأنهم يقولون بذلك ، وأنهم مجسمة وأنهم بذلك على الوثنية الأولى أهل الشرك ، عامله الله بما يستحق ، إنما يُريد بهذا التشنيع تنفير الناس عن أهل السنة ومذهبهم الذي يعتبره تشبيها وتجسيما ووثنية كذبا وبهتانا !

---

(١) سيأتي براءة الحنابلة من وصمة التشبيه والتجسيم على وجه التفصيل انظر : ٢/٢٢٠ .

(٢) تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي ص/٧٤٨ .

(٣) سيأتي بيان وقوع المعطلة في مقالة التشبيه في الباب الرابع انظر : ٣/٣٧٥ .

كما ذكر الكوثري كتاب « نقض أساس التقديس » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي رَدَّ به على كتاب « أساس التقديس » للرازي ، فوصفه الكوثري بأنه مخبأة ووكر لكتب المشبهة في التجسيم(١)!

لأنَّ شيخ الإسلام رحمه الله قد نقض بهذا الكتاب أساس تقديس الجهمية المعطلة الذي يعتمد عليه الكوثري وأضرابه المتكلمون في تعطيل الله تعالى عن صفات الكمال ! فنقض شيخ الإسلام هذا الكتاب ، وهدم أساس الجهمية على رؤوسهم ونزه الله تعالى عن تعطيلهم ، وأثبت لله تعالى صفاته على الوجه اللائق بجلاله وعظمته ، الذي يعتبره المعطلة تجسيما وتشبيها ، ولهذا وصف الكوثري هذا الكتاب بأنه من وكر كتب أهل السنة في التجسيم ، تشنيعا وتنفيرا عن مذهب أهل السنة في صفات الله تعالى !!

ويزعم الدكتور عبد الحليم محمود أنَّ فريقا من المشبهة شبهوا الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملا بظواهر وردت بذلك فوقعوا في التجسيم الصريح .

وفريقا منهم ذهبوا إلى التشبيه في الصفات بإثبات الجهة والاستواء والنزول والصوت والحرف وأمثال ذلك ، وآل قولهم إلى التجسيم(٢).

ومقصوده بذلك أهل السنة فإنهم هم الذين يثبتون صفات الذات كاليد والقَدم والوجه كما وردت ، ويثبتون صفات الأفعال كالاستواء والنزول وصفة الكلام لله بحرف وصوت كماورت بلا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل .

ومن أثبت ذلك يُعَدُّ عند الدكتور عبد الحليم وأضرابه مجسما مشبها ذات الخالق بذوات المخلوقين ، وصفاته بصفاتهم !

---

(١) انظر كتابه : تكملة الرد على نونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل للسبكي ص/٤٠ .

(٢) انظر كتابه : التفكير الفلسفي في الإسلام ١/١١٢-١١٣ .

ولم يتفرق أهل السنة كما زعم في إثبات الصفات الذاتية ، والفعلية التي جعل إثباتها تجسيما وتشبيها ، بل هم بحمد الله متفقون على إثبات صفات الله كلها كما وردت ، منزهون الله عز وجل في ذلك عن التشبيه والتمثيل .

وَيَدَّعِي أبو حامد بن مرزوق أنَّ أتباع ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب مجسمة موافقون للكرامية ومجسمة الحنابلة[١].

وهذا باطل وبهتان فإنَّ أتباع شيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام محمد بن عبدالوهاب من أهل السنة والتوحيد ، وليسوا موافقين للكرامية فيما خالفوا فيه أهل السنة[٢]، وليس في الحنابلة مجسمة كما يدعي ابن مرزوق ، بل هم متبعون للكتاب والسنة في جميع أمور دينهم لاسيما فيما يتعلق بذات الله تعالى وأسمائه وصفاته ، لكن نفاة الصفات ومنهم ابن مرزوق يعدون مثبتيها مشبهة مجسمة جهلا منهم بالكتاب والسنة ، وبما كان عليه سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان ، وافتتانهم بالكلام المذموم الذي أفضى بهم إلى تعطيل الله تعالى عن صفات الكمال ، ونبز أهل السنة بالتشبيه والتجسيم !

ومقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتجسيم كثيرة جدا[٣]، وإنما ذكرت منها مايتضح به المقام من كونهم مبتدعة افتتنوا بالكلام المذموم ، فعطلوالله تعالى عن

---

(١) انظر كتابه : براءة الأشعريين من عقائد المخالفين ص/٣-٤ .

(٢) تقدم موقف أهل السنة من الكرامية في كثير من مسائل الصفات التي خالفوا فيها الكتاب والسنة انظر على سبيل المثال : ١/٣٠٣ و٣٥٤ - ٣٥٥ و٤١٦ - ٤١٧ و ٤٦٠ و ٤٦٢ و ٥١٠ .

(٣) ا نظرعلى سبيل المثال : تعليقات الكوثري على كتاب التنبيه للملطي ص/١٠٢و١٣٧ وعلى الأسماء والصفات للبيهقي ص/١٩٤و٤١٦و٤٤٨-٣٥٢ ومقالاته و٣٥٦و٣٥٧و٣٦٠و٣٦٣و٣٧١و٣٨٣و٣٩٢ وتكملته الرد على نونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل للسبكي ص/١٣و١٨و٢٠و٣٤و٣٨و٤٨و٦٥و٦٧و٨٧ والبراهين =

صفات الكمال ، ونبزوا أهل السنة بما فهموه من التجسيم ، بقصد التشنيع والتنفير عن مذهبهم في صفات الله الذي عدوه تشبيها وتجسيما ، وأهل السنة بريئون من ذلك ، متبعون في منهجهم في صفات الله إثباتا وتنزيهاوحي الله تعالى ، وسيأتي براءتهم من وصمة التشبيه والتجسيم على سبيل التفصيل في مبحث مستقل !

○○○○

= الساطعة لسلامة القضاعي ص/٧٣و٢٠٠واتحاف الكائنات لمحمود خطاب السبكي ص/ ١١و٣٤و٤٠ وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص/١٩٣-١٩٤وردود على أباطيل لمحمد الحامد ٢/١٣-١٤والمدرسة السلفية للدكتور : محمد عبد الستار نصار١/ ٥٧٣و٥٨٦و٦١٣-٦١٤ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور النشار١/٢٩١ومقدمة حسن السقاف على دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص/٥٦و٥٨و٦٢و٦٩ و٧٤-٧٥وتعليقاته عليه ص/١٣و٩٧و١٢٨وابن تيمية ليس سلفيا لمنصور عويس ص/١٠و٥٨و٦٩و٨١ .

المبحث الثالث

مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بأنهم حشوية ونقدها

وكما نبز المعطلة أهل السنة بالتشبيه والتجسيم فكذلك نبزوهم بأنهم حشوية بقصد التشنيع والتنفير !

والمراد بالحشوية في اللغة بسكون الشين من الحشو وهوكما ذكر ابن فارس : أنْ يُودع الشيء وعاءً باستقصاء . يُقال : حشوته أحشوه حَشْوًا . ويُقال : فلان من حِشْوَة بني فلان أي : من رزالاتهم .

وإنما قيل ذلك : لأنَّ الذي تُحشى به الأشياء لايكون من أفخر المتاع بل أدونه(١).

وذكر ابن منظور أنَّ الحَشْوَ من الكلام الفضل الذي لا يعتمد عليه ، وكذلك من الناس ، وحشو الناس رذالاتهم(٢).

وبفتح الشين : من الحَشَا . وهوالناحية ، وحاشية كل شيء جانبه وطرفه(٣).

والمراد به في اصطلاح من أطلقه على أهل السنة من المعطلة :

١ ـ رواة الحديث من غير تمييزلصحيحها من سقيمها .

فالمعطلة ينتقدون على بعض أهل السنة إيرادهم الأحاديث الضعيفة في كتبهم لإثبات الصفات ويرمونهم بسبب(٤)ذلك بأنهم حشوية ، مع أنَّ المعطلة معرضون عن وحي الله ، ولا يستدلون إلا بأدلتهم الكلامية ، أومايظنونه موافقا لها من أدلة الكتاب والسنة .

ذكر الإمام ابن الوزير(٥)رحمه الله أنَّ الحشوية إنما سُموا بذلك لأنهم يحشون

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦٤/٢مادة « حشا » .

(٢) انظر : لسان العرب لابن منظور ١٨٠/٤مادة « حشا » .

(٣) انظر : معجم مقاييس اللغة ٦٤/٢ـ٦٥ولسان العرب ١٨٠/٤مادة « حشا » .

(٤) سيأتي بيان ذلك عند ذكر بعض الأسباب التي اتخذها المعطلة ذريعة لنبز أهل السنة بالتشبيه ونقدها انظر : ٣٤٢/٢ .

(٥) تقدمت ترجمته انظر : ١٦٠/٢ .

الأحاديث التي لاأصل لها في الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ ويدخلونها فيها مع أنها ليست منها[١]. ثم بين براءة أهل السنة والحديث من ذلك بقوله : « ... فأكثر عامة المسلمين لايدرون من الحشوية ، ولا يعرفون أنَّ هذه النسبة غير مرضية ... ومن كان له أدنى تمييز عرف أنَّ نُقاد الحديث وأئمة الآثار أعداء الحشويةوأكره الناس لهذه الطائفة الغوية ... والمحدثين هم الذين اختصوا بالذب عن السنن النبوية والمعارف الأثرية ، وحموا حماها من أكاذيب الحشوية »[٢].

٢ ـ ويُراد به من يروي أحاديث الصفات التي اعتبرها المعطلة تشبيها وتجسيما وحشوا .

ذكر أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي[٣]أنهم إنما لقبوا بالحشوية لروايتهم أحاديث كثيرة مما أنكره عليهم أصحاب الرأي وغيرهم من الفرق في التشبيه وغير ذلك ، فلقبوهم الحشوية بذلك[٤].

فأحاديث الصفات عند المعطلة حشو وتشبيه ورواتها مشبهة ، وبسببها كما زعم الكوثري أخذ التشبيه يتسرب إلى معتقد الطوائف ويشيع فيهم شيوع الفاحشة[٥]!

---

(١) انظر : الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ١/١٢٠ . .

(٢) المرجع نفسه ١/١٢٠ . .

(٣) أبوحاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الليثي الرازي ، من زعماء الإسماعيلية وكتابهم ، من مصنفاته « الإصلاح » و « الزينة » في فقه اللغة والمصطلحات ، ذكر الحافظ ابن حجر أنه كان من أهل الفضل والأدب والمعرفة باللغة وسمع الحديث كثيرا وله تصانيف ، ثم أظهر القول بالإلحاد وصار من دعاة الإسماعيلة وأضل جماعة من الكبار » مات سنة ٣٢٢هـ انظر : لسان الميزان ١/٢٤٧والأعلام ١/١١٩ .

(٤) انظر كتابه : الزينة الملحق بكتاب الغلو والفرق الغالية للدكتور عبد الله سلوم السامرائي ص/ ٢٦٧وراجع وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور : محمد باكريم باعبدالله ص/١٤٣ .

(٥) انظر : مقدمة الكوثري على كتاب تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص/١٠ .

٣ ـ وَيُراد بالحشوية معنى التشبيه والتجسيم ، ذكر الدكتور جلال محمد موسى الأشعري أنَّ الحشوية يطلق على جماعة كبيرة من كبار الفرق الإسلامية شبهوا الله بالمخلوقات ، ومثلوه بالمحدثات ، وتمسكوا بالظاهر من نصوص الصفات فذهبوا إلى التجسيم[١]. ويقصد بذلك أهل السنة ، لأنَّ المشبهة كما تقدم طوائف كثيرة متفرقة[٢]، وأهل السنة جماعة واحدة يثبتون نصوص الصفات على ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته[٣]، ومن يسلك هذا المنهج عند المعطلة فإنه مشبه مجسم حشوي .

وزعم الكوثري أنهم سموا حشوية لقولهم بالتجسيم ، لأنَّ الجسم حشو ، وهم الذين حادوا عن التنزيه وتظاهروا بإتباع السلف ، وهم يتبعون السلف الطالح[٤].

فمن أثبت الصفات الخبرية وابتعد عن التعطيل الذي يسميه الكوثري وأضرابه تنزيها فهوعندهم مجسم حشوي ، متبع للسلف الطالح دون السلف الصالح الذين هم عند المتكلمين مؤولة يصرفون نصوص الصفات عن ظاهرها الموهم للتشبيه كما زعموا بتفويض المعنى ، الذي هو في الحقيقة كما سيأتي تعطيل[٥] بعيد عن منهج أهل السنة في نصوص الصفات القائم على الإثبات والتنزيه .

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أنَّ جهلة الجهمية يلقبون أهل السنة بالحشوية لأنهم بزعمهم جعلوا ربهم حشو هذا الكون بإثباتهم له صفة الفوقية والاستواء في السماء فمما قاله في ذلك في نونيته :

---

(١) انظر : نشأة الأشعرية وتطورها للدكتور : جلال محمد موسى ص/٨٧ .

(٢) انظر : ١٣٣/١ .

(٣) سيأتي بيان ذلك على وجه التفصيل انظر : ٤٦٧/٢ .

(٤) انظركتابه : تكملة الرد على نونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل للسبكي ص/١٣ .

(٥) انظر : ٥١٦/٢ .

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى بالوحي من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حشوا في الوجود وفضلة في أمة الإنسان
ويظن جاهلهم بأنهم حشوا رب العباد بداخل الأكوان
إذ قولهم فوق العباد وفي السماء الرب ذو الملكوت والسلطان
ظن الحمير بأن في الظرف والرحمن محوي بظرف مكان
والله لم يسمع ندا من فرقة قالته في زمن من الأزمان
لاتبهتوا أهل الحديث به فما ذا قولهم تبا لذي البهتان[١].

فكل من يروي أحاديث الصفات ، ويجريها على ظاهرها ولونفى في ذلك التمثيل ، مادام لم يسلك منهج المعطلة في صرف ظاهرها بالتأويل ، أو التفويض الذي سموه منهج السلف زورا عدوه مشبها حشويا !!

وجميع الفرق التي اتخذت المنهج الكلامي مسلكا لها في توحيد الله تنبز أهل السنة بأنهم حشوية ، وعلى رأسهم المعتزلة ، فهم أول من نبز سلف الأمة وأئمتها بذلك ، فأول من عُرف عنه أنه تكلم في الإسلام بهذا اللفظ كما ذكر شيخ الإسلام هو عمرو بن عبيد[٢]ت١٤٤هـ فإنه ذُكر له عن ابن عمر رضي الله عنه شيء يُخالف قوله . فقال : كان ابن عمر حشويا[٣].

قال ابن العماد[٤]الحنبلي في ترجمته : « ... وكانت له جرأة فإنه قال عن ابن

---

(١) انظر : نونية ابن القيم مع شرح الهراس ١/٣٦٤-٣٦٥ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ١/١١٣ .

(٣) ذكره شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المطبوع » ١/٢٤٤ومنهاج السنة ٢/٥٢٠ .

(٤) أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي ، مؤرخ فقيه عالم بالأدب . من مصنفاته : « شرح متن المنتهى » في فقه الحنابلة و « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » توفي بمكة حاجا سنة ١٠٩٨هـ انظر : الأعلام ٣/٢٩٠ .

عمر : هو حشوي ... فانظر إلى هذه الجرأة والافتراء عامله الله بعدله »[١].

وتأثر الخليفة العباسي المأمون ت ٢١٨هـ بفكر أهل الاعتزال ، فقال بخلق القرآن وامتحن الناس في ذلك ، ونبز أهل السنة بأنهم حشوية بسبب قولهم إنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق ، فقال في كتابه الذي أرسله إلى إسحاق بن إبراهيم[٢]في امتحان القضاة والمحدثين ومما وردفي هذا الكتاب : وقد عرف أمير المؤمنين إنَّ الجمهور الأعظم ، والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة ممن لا نظر له ولا دراية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته ، ولا استضاء بنور العلم أهل جهالة وعمى أن يعرفوا الله الله كنه معرفته ، ويقدروه حق قدره ويفرقوا بينه وبين خلقه فساووا بين الله تبارك وتعالى ، وبين ما أنزل الله من القرآن ، فأطبقوا مجتمعين ، واتفقوا على أنه قديم أول ، لم يخلقه الله ويحدثه ويخترعه[٣].

فوصم أهل السنة بأنهم حشوية الرعية وسفلة العامة على زعمه ، وادَّعى أنهم ساووا بين الله تعالى ، وبين ما أُنزل من القرآن ، لأنهم جعلوه قديما[٤]، وذلك شرك

---

(١) شذرات الذهب ٢١١/١ .

(٢) أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، صاحب الشرطة ببغداد أيام المأموم والمعتصم والواثق ، وهو الذى كان يمتحن العلماء بأمر المأمون في مسألة القرآن . مات سنة ٢٣٥هـ انظر : سير أعلام النبلاء١١/١٧١والأعلام٨/٦٣٢ .

(٣) انظر : تاريخ الرسل والملوك للإمام الطبري ١١/١١١٢-١١١٣وذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء١٠/٢٨٧-٢٨٨ .

(٤) المعتزلة يجعلون من أثبت لله صفة أزلية مشركا ، لأنَّ أخص الصفات عندهم القِدم . ولذا جعلوا صفة الكلام حادثة مخلوقة ، فرارا من تعدد القدماء على زعمهم . انظر : المغني للقاضي عبد الجبار ١/٣٤١وشرح الأصول الخمسة له ص/٥٢٨وراجع : الملل والنحل ١/ ٥١ونهاية الإقدام ص/٢٠١ .

وتشبيه ومساواة لله بخلقه عند أهل الاعتزال ، وسبب نبزه لهم بأنهم حشوية ، لكونهم لم يقولوا بخلق القرآن الذي تقول به المعتزلة ، فرارا من الشرك والتشبيه على زعمهم .

وقد نبز القاضي عبد الجبار المعتزلي أهل السنة في كثير من مصنفاته بأنهم حشوية ومن ذلك قوله : « فقد ذهبت الحشوية النوابت[١] من الحنابلة ، أنَّ القرآن المتلوفي المحاريب ، والمكتوب في المصاحف غير مخلوق ولامحدث ... »[٢].

وذكر أنَّ الحشوية يجعلون كلام الله تعالى غير مخلوق ولامحدث وإلى هذا ذهب أحمد بن حنبل[٣]. ونفى الرؤية واعتبر مثبتي رؤية الله حشوية فقال في ذلك : « وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] لايدل على ما تقوله الحشوية ، في أنه تعالى يُرى يوم القيامة ... »[٤]. فمقصوده بالحشوية فيما ذكرهم أهل السنة لأنهم هم الذين يقولون إنَّ القرآن غير مخلوق ، ويثبتون رؤية الله تعالى للمؤمنين يوم القيامة .

أما الآية التي زعم أنها لاتدل على رؤية الله يوم القيامة فغير صحيح بل هي دالة على ثبوت رؤية الله تعالى يوم القيامة للمؤمنين ، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله : « لما أنْ حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أنَّ أولياءه يرونه في الرضا »[٥].

أما الرافضة فينبزون كل من لم يقل بإمامة علي بعد النبي ﷺ ، ولو تبرأ من

---

(١) تقدم بيان مقصود المعطلة بذلك انظر : ١٤٢/٢ .

(٢) شرح الأصول الخمسة ص/٥٢٧ .

(٣) انظر كتابه : المحيط بالتكليف ص/٣٠٨ .

(٤) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص/٦٨٣ .

(٥) رواه البيهقي في مناقب الإمام الشافعي من طريق الربيع بن سليمان ٤١٩/١ وذكره ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية ص/٢٠٦ .

الشيخين بأنه حشوي ، وقد وصم النوبختي أهل السنة بأنهم أهل الحشو قائلا : « ... فلما قُتل علي رضي الله عنه التقت الفرقة التي كانت معه ، والفرقة التي كانت مع طلحة والزبير وعائشة ، فصاروا فرقة واحدة مع معاوية بن أبي سفيان إلا القليل منهم من شيعته ومن قال بإمامته بعد النبي ﷺ وهم السواد الأعظم وأهل الحشو وأتباع الملوك وأعوان كل من غلب ، أعني الذين التقوا مع معاوية »[١].

كما اتبع الرافضة المعتزلة في نبز من يثبت الرؤية والصفات بأنه من الحشوية المشبهة فقد ذكر شيخ الإسلام أنَّ الرافضة تُسمي أهل السنة حشوية مشبهة ، وأنَّ ابن المطهر الحلي[٢]إنما عنى بذلك الحنابلة ، وهذا من جهله فإنه ليس في الحنابلة قول انفردوا به عن غيرهم من طوائف أهل السنة والجماعة ، بل يُوجد في غيرهم من الزيادة مالا يوجد فيهم .

ومذهب أهل السنة والجماعة قديم معروف قبل أنْ يخلق الله أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد ، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة[٣].

وأما الأشاعرة فقد اعتبروا أهل السنة حشوية بسبب إثباتهم للصفات الخبرية التي نفوها وروايتهم لأحاديث الصفات في ذلك حشوية ، فلا يعتد بكلامهم في الصفات لأنهم كما ذكر الأستاذ محمد خليل هراس لم يتعمقوا تعمقهم في

---

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص/٦ .

(٢) الحسن وقيل الحسين بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي نسبة إلى الحلة بالعراق ، المتكلم من أئمة الشيعة وكتابهم من مصنفاته : « منهاج الكرامة » الذي ردَّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بكتابه « منهاج السنة النبوية » و : « مختلف الشيعة في أحكام الشريعة » و « نهاية المرام في علم الكلام » مات سنة ٧٢٦هـ انظر : الأعلام٢/٢٢٧ .

(٣) انظر : منهاج السنة ٢/٦٠٠ .

التأويل ، ولاذهبوا مذاهبهم في الإنكار والتعطيل ، فكل من آمن بظواهر النصوص عندهم ولم يشتغل بصرفها عما تفيده من معانٍ تُوهم التشبيه على زعمهم ، فهو حشوى بعيد عن التحقيق وليس من العلماء الراسخين[١]. ومن مقالاتهم في نبزهم أهل السنة بذلك قول أبي المعالي الجويني : « وذهبت الكرامية وبعض الحشوية إلى أنَّ الباري تعالى عن قولهم متحيز بجهة فوق »[٢].

ويقصد بالحشوية أهل السنة ، فهم الذين يثبتون صفة الاستواء والفوقية كما يليق بجلال الله وعظمته على ما وردت به النصوص ، وأما ماذكرمن التحيز والجهة فلم يقل به أهل السنة لا نفيا ولا إثباتا لعدم ورود النص به .

وإذا كانت الكرامية قد وافقوا أهل السنة في إثبات صفة من الصفات فإنهم قد اتبعوا الحق في ذلك ، لأنَّ مذهب أهل السنة على مقتضى نصوص الكتاب والسنة لكن الكرامية كما تقدم مخالفون لأهل السنة في طريقة إثباتهم لبعض الصفات ومنها صفة الاستواء حيث بحثوا عن الكيفية المفضية إلى التشبيه[٣].

ويصم أبوحامد الغزالي أهل السنة بأنهم حشوية بسبب إثباتهم نصوص الصفات كما وردت من غير تأويل ، ويدعي أنَّ منهج الأشاعرة الذين سماهم أهل السنة بين منهج المعتزلة الذين اعتمدوا على العقل المجرد ، وبين منهج من سماهم الحشوية الذين جمدوا على التقليد وإتباع الظواهر ، بسبب ضعف العقول وقلة البصائر كما زعم[٤]!

فوصم أهل السنة بأنهم حشوية ، بسبب إثباتهم ماتدل عليه نصوص الصفات من صفات رب العالمين كما وردت .

---

(١) انظر : شرح القصيدة النونية للهراس ١/٣٦٤-٣٦٥ .

(٢) الإرشاد للجويني ص/٥٨ .

(٣) وقد تقدم موقف أهل السنة منهم في ذلك على سبيل التفصيل انظر : ١/٤١٦ - ٤١٧ .

(٤) انظر : الإقتصاد في الإعتقاد لأبي حامد الغزالي ص/٣-٤ .

واعتبر هذا المنهج تقليدا وجمودا ، وضعفا في العقول وقلة في البصائر ، وإنما حكم بهذا لافتتانه بالكلام المذموم الذي عارض به هو وأضرابه المتكلمون وحي الله تعالى ، ووصفوا من لم يسلك منهجهم الكلامي المذموم ويصرف نصوص الصفات عن ظاهرها إلى التأويل المذموم وصفوه بالجمود والتقليد الذي هو عندهم والعياذ بالله : اتباع الكتاب والسنة فيما نفوه من الصفات ، وعدم الأخذ بالكلام المذموم !

وأما وصفه الأشاعرة الذين زعم بأنهم سلكوا منهج الوسطية بين المعتزلة الذين اعتمدوا على العقل ، ومن أطلق عليهم الحشوية الذين جمدوا على اتباع الظواهر وأهملوا العقل على زعمه فإنَّ هذا غير صحيح ينقضه واقع الأشاعرة فإنهم من فرق أهل الكلام المذموم متابعون للمعتزلة في كثير من أصولهم الكلامية التي سموها معقولات[١]، وفي تأويل نصوص الصفات الخبرية التي اعتبروها تشبيها ، وليسوا على منهج وسط كما يدعي الغزالي ! ويزعم أبو الحسن السبكي[٢]أنَّ أهل السنة حشوية غلب عليهم جانب النقل وأهملوا العقل وأنهم جهال ينتسبون إلى أحمد وهوبريئ منهم ، ويذكر أنهم وجدوا كلمات نقلت عنه قالها في دفع المعتزلة أيام المحنة فلم يفهمها الحشوية ، فاعتقدوا هذا الاعتقاد السيئ ، وصار المتأخر منهم يتبع المتقدم إلا من عصمه الله ، حتى جاء ابن تيمية وكان له فضل ذكاء وإطلاع ، ولم يجد شخصا يهديه ، وهو مع ذلك جسور لتقرير مذهبه[٣].

---

(١) بينت ذلك في رسالتي منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل على سبيل التفصيل انظر : ٢/٤٥١و٤٥٨- ٤٦٣وو٤٩٨ووه٥٢٥و٥٣٢ .

(٢) أبوالحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ، والد التاج السبكي صاحب طبقات الشافعية ، وُلي قضاء الشام ، من كتبه : « السيف الصقيل » ردَّ به على القصيدة النونية للإمام ابن القيم . و« السيف المسلول على من سَبَّ الرسول » مات سنة ٧٥٦هـ انظر : الأعلام ٤/٣٠٢ .

(٣) انظر كتابه : السيف الصقيل ص/١٢و١٥-١٦ .

فاعتبر من أثبت نصوص الصفات ، وأعرض عن معقولات أهل الكلام المذموم حشويا ، كما زعم أنَّ الحنابلة أتباع الإمام أحمد حشوية جهلة لم يفهموا كلام الإمام أحمد في مناظرته للمعتزلة أيام المحنة فاعتقدوا الاعتقاد السيئ الذي هو إثبات الصفات الخبرية كما وردت ، وأحمد على زعمه بريء منهم في ذلك ، وهذا كلام في غاية التناقض وتزويرالحقائق لأمرين :

الأمرالأول : كيف لايفهم أتباع الإمام أحمد كلام إمامهم حتى يُوصفوا بالجهل وإذا لم يفهمه أتباعه فمن يفهمه ، أأهل الكلام المذموم أمثال السبكي المحرف المعطل أم غيرهم ؟!

الأمر الثاني : إنَّ الإمام أحمد رحمه الله كان يثبت الصفات الخبرية كما وردت ، التي يعتبرها السبكي وأضرابه تشبيها وحشوا ، ويعتبر مثبتيها حشوية مشبهة ، وإذا كان اعتقاد ذلك سيئًا يتبرأ منه الإمام أحمد ـ كما يزعم ـ فما هو الاعتقاد الصحيح الذي كان عليه الإمام أحمد ، أهو اعتقاد المعتزلة المحرفة المعطلة الذي سار عليه السبكي وأضرابه الأشاعرة ، أم غيره ، وإذا كان الأول فلماذا كان يناظر أحمد رحمه الله أهل الاعتزال المعطلة وينكر مقالاتهم في التعطيل ، ومن ذلك مقالتهم في القرآن الذي هو صفة من صفات الله عز وجل وهل يناظر أحد على ما هو موافق عليه ويتعرض بسبب ذلك للتعذيب والضرب ؟

وإذا كان السبكي يقصد أنه كان مفوضا لمعاني نصوص الصفات صارفا لها عن ظاهرها بخلاف أتباعه فإنهم يثبتون الصفات على ظاهرها الموهم للتشبيه عند المعطلة فهذا باطل فإنَّ مذهب التفويض[1]هو التجهيل ، وحاشا الإمام أحمد أوغيره من أئمة السلف أن يثبتوا صفاتٍ لله تعالى لايفهم معناها ، بل هم مثبتون لصفات

(١) سيأتي بطلان مقالة المعطلة في اعتبارهم مذهب السلف مفوضة معاني الصفات انظر : ٥١٦/٢ .

الله على ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته ، وعلى هذا المنهج المستقيم قد سار المتقدم منهم والمتأخر ، التابع منهم والمتبوع ، وما أُتبع الإمام أحمد رحمه الله وغيره من أئمة المذاهب إلا لاتباعهم الكتاب والسنة لاسيما فيما يتعلق في مسائل الصفات إثباتا ونفيا ، بخلاف أهل الكلام المذموم فإنهم مقلدون سائرون على ماكان عليه أئمتهم أهل الجدل والفلسفة والتعطيل !

أما اعتبار شيخ الإسلام بأنه على مذهب الحشوية فلا يضيره ذلك ، بل هو متبع للكتاب والسنة مثبت لنصوص الصفات كما وردت ، مقر وناصر لمذهب أهل السنة في صفات الله ، مبطل وداحض لمذهب أهل التحريف والتعطيل ، ومن كان كذلك عند السبكي وأضرابه المعطلة حشوي ضال يُحتاج والعياذ بالله إلى من يهديه من شيوخ أهل الكلام المعطلة الضلال !!

ويزعم الكوثري أنَّ أهل السنة حشوية ، والمعطلة أهل حق فيقول : « نفي أنْ يكون الله متمكنا في السماء مذهب أهل الحق وكذا نفي الفوقية الحسية ، بخلاف معتقد الحشوية »[(١)]! فمن يعطل الله تعالى عن صفاته ، فينفي فوقيته تعالى وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه عند الكوثري من أهل الحق ، ومن يثبت ذلك كما وردت في الكتاب والسنة فهو حشوى ضال ، هكذا تنعكس الموازين عند أهل الكلام المذموم فيصبح الحق باطلا وأهله ضُلالا ، ويصبح الباطل حقا وأهله أصحاب حق !! ومقالات المعطلة في نبزهم أهل السنة بأنهم حشوية كثيرة جدا[(٢)]، وإنما ذكرت منها ما يتضح به المقام ، وَيُعلم به أنَّ هؤلاء المعطلة قد انعكست

---

(١) تعليقات الكوثري على كتاب التنبيه للملطي ص/٩٧ .

(٢) انظر على سبيل المثال : مقدمة الكوثري على كتاب السيف الصقيل للسبكي ص/ ٥و١٣و١٤و٥٤و١٠٠ و١٠٨وتعليقاته على الأسماء والصفات للبيهقي ص/ ٤١٥و٤١٦و٤٢٣و٤٤٨و٤٤٩ومقدمته على كتاب تبيين كذب المفتري لابن عساكر =

عندهم الأمور ، وساءت أفهامهم بسبب الكلام المذموم ، فاعتبروا ما دلت عليه نصوص الصفات ، ورواية أحاديثها حشوا وتشبيها ، وماهم عليه من التحريف والتعطيل حقا وتوحيدا وتنزيها ، وهم في الحقيقة أهل تحريف وتعطيل وباطل يشنعون على أهل السنة بما يظنونه صادا الناس عن منهجهم ، وهل تحجب أكف أهل الضلال ، شمس الحق والمعرفة والتوحيد الساطعة بنور وحي الله عز وجل ؟!!

○ ○ ○ ○

= ص/١٣و١٤و١٧و١٨و١٩ومقالاته ص/٣٦و٤٠٥و٤١١وفرقان الفرقان لسامة القضاعي ص/١٧و٧٩و٨٠ والبراهين الساطعة له ص/١٤٢و١٧٣و٢٢٤و٢٣٤والنشر الطيب على شرح الشيخ الطيب لإدريس الوزان ١/٥٤٠ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور : علي سامي النشار١/٢٨٧و٢٨٨وعلم الكلام وبعض مشكلاته للدكتور : أبوالوفاء الغنيمي ص/١١٠ونشأة الأشعرية وتطورها للدكتور : جلال محمد موسى ص/٨٧و٨٨ والملحق بتفسير مقاتل بن سليمان للدكتور : عبدالله شحاته ٥/٨٤والباقلاني وآراؤه الكلامية للدكتور : رمضان محمد عبد الله ص/٤٦٢-٤٦٣ومقدمة السقاف على دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص/٥٦و١١٤ .

المبحث الرابع

براءة أهل السنة من وصمة التشبيه والحشو والتجسيم وموقفهم من ذلك

إنَّ من حكمة الله عز وجل أنْ جعل لكل من يسلك طريق النبي ﷺ في الدعوة إلى عبادة الله تعالى ، وتنزيهه عن الشرك والتمثيل والتعطيل ، وإثبات صفاته كما وردت أعداءً من أهل الشرك والتعطيل والبدع يصدون الناس عن دعوته ومنهجه بشتى الأساليب والوسائل ، فإذا أعيتهم قوة الحجة والبرهان لجؤوا إلى وصم الحق وأهله بأقبح الألقاب وأحط الأسماء بغية التشنيع والتنفير ! كما فعل مشركو قريش مع رسول الله ﷺ حيث اقتسموا القول فيه فسماه بعضهم ساحرا ، وبعضهم كاهنا ، وبعضهم شاعرا ، وبعضهم مجنونا ، وبعضهم مفتريا مختلقا كذابا ، ونبي الله ﷺ كان بعيدا بريئا من تلك المعايب ، ولم يكن إلا رسولا مصطفى نبيا ، قال الله تعالى في ذلك مبرءًا نبيه ﷺ : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[1] [الإسراء : ٤٨] .

ولما كان أهل العلم والإيمان هم ورثة النبي ﷺ الناقلون لآثاره ، والمهتدون بسنته لقوا من أهل الكلام أهل البدع والتعطيل مالقيه النبي ﷺ من المشركين ، فلقبتهم كل طائفة بما برأهم الله منه من ألقاب التشنيع والسخرية جهلا منهم بالحق ، حيث ظنوا صحة ماهم عليه وبطلان ما عليه أهل السنة ، أوسوء قصد من بعضهم حيث أرادوا التنفير عن أهل السنة ومنهجهم في الصفات !

وسلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان ليسوا كما زعم المعطلة مشبهة حشوية مجسمة بل هم أهل توحيد وسنة وتنزيه لله تعالى عن التمثيل والتشبيه وعن كل نقص وعيب يُضاد كماله فهم كما قال الإمام الصابوني رحمه الله : « ... عصامة من هذه المعايب بريئة زكية نقية ، وليسوا إلا أهل السنة المضية والسيرة المرضية ، والسبل السوية والحجج البالغة القوية ، قد وفقهم الله عز وجل لاتباع كتابه ووحيه وخطابه ، والاقتداء

---

(١) انظر : عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/١٣٣ .

برسوله ﷺ في أخباره ... وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته وشرح صدورهم لمحبته ومحبة أئمة شريعته وعلماء أمته ، ومن أحب قوما فهو معهم يوم القيامة بحكم رسول الله ﷺ : « المرء مع من أحَبَّ »(١) .(٢).

فأهل السنة منزهون كما ذكر الإمام ابن البنا الحنبلي عما أضافه إليهم أهل الكذب والبهتان من التشبيه والتجسيم ، لأنهم حملة القرآن ، وآثار الرسول ﷺ وهم سرج العباد ونور البلاد وقد صح عن العلماء والعقلاء أنهم مبرؤون من مقالة التشبيه العوراء ، وأنها من أباطيل الملحدة حين ضاق بهم المخرج ، ولم يصح لهم المنهج ، ورأوا ما أبدى الله على ألسنة أهل السنة من عوراتهم الشنيعة ، وجهالاتهم الفظيعة ، ما خالفوا فيه الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، فأرادوا أنْ يُموهوا على العوام بزخرف الكلام مانزه الله عنه كل إمام يُقتدى به في الإسلام ، وَيُهتدى بقوله في الحلال والحرام ، أَترى هل يظن مسلم أنَّ ماتخرصه هؤلاء المبتدعة يدنس أئمة الإسلام مثل مالك وسفيان الثوري والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من السادات أولي العبادات والمجاهدات ، ! هيهات ، خاب والله مَارجوه وبطل ما أملوه(٣)!

وذكر الإمام ابن قدامة رحمه الله أنَّ ماسماه المتكلمون نفي التشبيه والتجسيم ورمي أهل السنة بذلك إنما هو شيء وضعوه ليتوسلوا به إلى إبطال السنن وردِّ الآثار والأخبار ، والتمويه على الجهال والأغمار(٤)!

---

(١) روى الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك « أنَّ رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة ، فقال : « فما أعددت لها ، . قال : لا شيئ ، إلا أني أحب الله ورسوله ، فقال : « أنت مع من أحببت . . . » انظر : صحيح البخاري مع الفتح كتاب فضائل الصحابة ٥١/٧ح٣٦٨٨ .

(٢) انظر : عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٣٣/١ .

(٣) انظر : المختار في أصول السنة لابن البنا ص/٨٢ .

(٤) انظركتابه : تحريم النظر في كتب أهل الكلام ص/٥٧ .

وقد ساءت أفهام هؤلاء المعطلة بسبب فساد عقولهم بالكلام المذموم ، فلم يفهموا من كلام الله تعالى ، وكلام رسوله ﷺ ، وكلام السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان لم يفهموا من كلامهم في باب الصفات إلا المعاني اللائقة بالمخلوق ، ثم نبزوا بما فهموه من التشبيه والتجسيم أهل السنة والجماعة ، وهم بريئون من ذلك لأنهم إنما أثبتوا ما أثبت الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته على وفق قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وتتضح براءتهم من وصمة التشبيه والتجسيم والحشو ، وبهتان من وصفهم بذلك من أهل البدع والتعطيل من وجوه :

الوجه الأول : إنَّ ذم هؤلاء المعطلة لأهل السنة بالتشبيه والتجسيم والحشو كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله ذم لهم بأسماء ماأنزل الله بها من سلطان ، والأسماء التي يتعلق بها المدح والذم من الدين ، ولاتكون إلا من الأسماء التي أنزل الله بها سلطانه ، وَدَلَّ عليها الكتاب والسنة ، والإجماع كالمؤمن والكافر والعالم والملحد والمقتصد والجاهل .

أما هذه الألفاظ التي يصم بها هؤلاء المعطلة أهل السنة ، فليست في كتاب الله تعالى ، ولا في حديث عن رسول الله ﷺ ، وليس فيها مايوجد عن السلف ذمه إلالفظ التشبيه وقد أرادوا به تمثيل الله بخلقه[١] دون نفي الصفات التي في القرآن والحديث ، كما يزعم المعطلة !ولم ينطق بلفظ الجسم[٢] والحشو أحد من السلف لا إثباتا ولا نفيا ، بل أول من ابتدع الذم بها هم المعتزلة ، الذين فارقوا جماعة المسلمين ، فاتباعُ سبيل المعتزلة[٣] دون سبيل الأمة ترك للقول السديد ، الواجب في

---

(١) تقدم بيان ذلك انظر : ١١٠/١ .

(٢) تقدم موقف أهل السنة من إطلاق لفظ الجسم على الله أونفيه انظر : ١٢/٢ .

(٣) كما فعل الأشاعرة والماتريدية . !

الدين ، واتباع لسبيل المبتدعة الضالين[١]!

فالحمد والذم ، والحب والبغض ، والموالاة والمعادات ونحو ذلك من أحكام الدين لايصلح إلا بالأسماء التي أنزل الله بها سلطانه ، وأماتعليق ذلك بأسماء مبتدعة في الدين فلا يجوز ، بل ذلك من باب شرع لم يأذن به الله ، فلابُدَّ من معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله[٢]!!

والأسماء التي لم يدل الشرع على ذم أهلها ولامدحهم يحتاج فيها إلى مقامين :

أحدهما : بيان المراد بها[٣].

والمعطلة الذين نبزوا أهل السنة بالتشبيه والتجسيم ظنوا أنَّ الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق يقتضي التشبيه والتجسيم[٤]، وأنَّ إثبات ماتدل عليه نصوص الصفات الخبرية حشوا وتجسيما[٥]، وعلى مَنْ يعترضون عليهم لهم أنْ يمنعوا ذلك ، فيقولون : لانسلم أنَّ الذين عنيتموهم بذلك داخلون في هذه الأسماء التي نبزتموهم بها ، لأنَّ إثباتهم للصفات التي فيها اشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق لا يقتضي التشبيه ، وأنَّ إثباتهم لما تدل عليه نصوص الصفات الخبرية لا يُعد حشوا ولا تشبيها ، بل هواتباع لمنهج القرآن والسنة الدال على إثبات الصفات كما وردت بلا تعطيل ولا تشبيه ، وإتباعٌ لسبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار المتبعين لوحي الله تعالى ، والمثبتين لصفات الله تعالى كما وردت على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته !

---

(١) انظر : نقض المنطق ص/١٢١-١٢٢وضمن مجموع الفتاوى ١٤٦/٤ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص/١٢٦وضمن مجموع الفتاوى١٥٤/٤ ومنهاج السنة ٧٠٨/٢ .

(٣) انظر : نقض المنطق ص/١٢٠-١٢١وضمن مجموع الفتاوى١٤٧/٤ .

(٤) تقدم موقف أهل السنة من ذلك انظر : ٨٦/١ و٣٥٨ .

(٥) ستأتي مقالاتهم في ذلك وموقف أهل السنة منها انظر : ٨٦/١ و٣٥٨ .

والثاني : كما ذكر شيخ الإسلام بيان أنَّ أولئك مذمومون في الشريعة[١].

لأن المدح والذم إنما يتعلق بالأسماء إذا كان لها أصل في الشرع كلفظ المؤمن والكافر والبر والفاجر والعالم والجاهل !

والكتاب والسنة ليس فيها هذه الألفاظ التي يذم بها هؤلاء االمعطلة كلفظ المشبهة والمجسمة والحشوية[٢].

فإذا كان الأمر كذلك فمقالاتهم في أهل السنة باطلة شرعا ، ولا يعتد بها وأهل السنة بريئون منها .

ومن أثبت الصفات لله تعالى كما وردت فهو موحد مؤمن متبع للرسول ﷺ وليس مشبها مجسما إلا عند من انحرفت فطرته ، وفسد عقله من أهل الكلام المذموم !

فمن أراد أنْ يمدح أو يذم كما بين شيخ الإسلام فعليه أنْ يبين دخول الممدوح والمذموم في تلك الأسماء[٣]التي علق الله تعالى ورسوله ﷺ المدح والذم بها ، أما إذا كان الاسم ليس له أصلٌ في الشرع ، ودخول الداخل فيه مما يُنازع فيه المُدْخَل بطلت كلتا المقدمتين ، وكان هذا الكلام مما لايعتمد عليه إلا من لايدري ما يقول[٤].

الوجه الثاني : إنَّ هؤلاء المبتدعة المعطلة النابزين لأهل السنة بالتشبيه والتجسيم داخلون هم أيضا في هذا الذم شعروا أولم يشعروا !

وبيان ذلك : أنَّ لفظ التشبيه في اصطلاح النفاة صار لفظا مجملا مشتركا ، فكل من نفى شيئا من الأسماء والصفات يُسمي المثبت لما نفاه مشبها مجسما !

---

(١) انظر : نقض المنطق ص/١٢١وضمن مجموع الفتاوى ١٤٧/٤ .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية ٦٠٨/٢-٦٠٩ .

(٣) كالمؤمن والكافر ونحوها كما تقدم قريبا .

(٤) انظر : منهاج السنة ٦٠٨/٢-٦٠٩والمنتقى من منهاج الاعتدال ص/١١٥ .

فمن أنكر أسماء الله بالكلية كالقرامطة والفلاسفة[١]، يزعم أنَّ من سمى الله بذلك فهو مشبه ، لأنَّ الاشتراك في الاسم يُوجب الاشتراك في معناه[٢]!

والمعتزلة يثبتون الأسماء[٣]، فهل يرضون أنْ يُقال لهم مشبهة مجسمة بسبب إثباتهم للأسماء ؟! ومن نفى الصفات كالمعتزلة ، يقولون لمن أثبت الصفات ولو بعضها مشبها مجسما ! فهل يرضى الأشاعرة والماتريدية أنْ يُقال لهم فيما أثبتوه من الصفات مشبهة مجسمة ؟!

بل إنَّ أئمة متكلمي الأشاعرة كما ذكر شيخ الإسلام كانوا متفقين على إثبات الصفات الخبرية في الجملة كابن كلاب[٤]، وأبو الحسن الأشعري ، وأئمة أصحابه كأبي عبد الله بن مجاهد[٥]، وأبي الحسن الباهلي[٦]، والقاضي أبي بكر

---

(١) تقدم التعريف بالقرامطة والفلاسفة انظر : ١/٩٥ ز١٤٥ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص/١٢١ .

(٣) المعتزلة يثبتون الأسماء دون الصفات ، لكن في إثباتهم للأسماء لايجعلون ذلك موقوفا على ماورد في الكتاب والسنة . انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ٥/ ٨٨و١٧٩و٣٧٣وشرح الأصول الخمسة له ص/١٥١و١٥٦و١٦٠و١٦٧و١٨١ .

(٤) أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري أحد أئمة التكلمين ، وإليه تنسب الكلابية ، قال عنه الإمام الذهبي : « رأس المتكلمين في زمانه بالبصرة وصاحب التصانيف في الرد على المعتزلة ، وهوأول من قال : القرآن معنى قائما بالذات بلا قدرة ولامشيئة » وله كتاب « الصفات » و « خلق الأفعال » توفي سنة ٢٤٠هـ انظر : سيرأعلام النبلاء١١/١٧٤ولسان الميزان ٣/٢٩٠-٢٩١ .

(٥) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي البصري ، أحد كبار تلاميذ أبي الحسن الأشعري ، وعنه أخذ أبوبكر الباقلاني . توفي سنة ٣٦٠هـ انظر : تبيين كذب المفتري ص/١٧٧وسير أعلام النبلاء ١٦/٣٠٥ .

(٦) أبو الحسن الباهلي البصري أحد كبار تلاميذ أبي الحسن الأشعري ، أخذ عنه أبوبكر الباقلاني ، والأسفراييني ، وكان رجلا عابدا ، انظر : تبيين كذب المفتري ص/١٧٨وسيرأعلام النبلاء١٦/٣٠٤ .

الباقلاني[١] وغيرهم فهؤلاء كانوا يثبتون الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن[٢] كالاستواء والوجه واليد ويبطلون تأويلها ليس لهم في ذلك قولان أصلا وأول من اشتهر عنه نفيها أبو المعالى الجويني فإنه نفى الصفات الخبرية متابعة للمعتزلة ، فسار من سلك طريقته ينفي الصفات الخبرية[٣]، وينبز من أثبتها بالحشو والتشبيه !!

فإذا كان أئمة هؤلاء الأشاعرة المتأخرين الذامين لأهل السنة بالتشبيه والحشو والتجسيم يذمون جميع أهل الإثبات وغيرهم فقد نبزوا بالتشبيه حتى أئمتهم المنتسبين إليهم ولم يبق معهم إلا الجهمية من المعتزلة ومن وافقهم في نفي الصفات وهم بذلك قد ذموا أنفسهم أيضا ، بذمهم أئمتهم ، وإذا كان الكلام لايخرج به الإنسان عن أنْ يذم نفسه ، أويذم سلفه الذين يقر بإمامتهم ، وأنهم أفضل من اتبعهم كان هو المذموم بهذا الذم على التقديرين أيضا[٤].

الوجه الثالث : أما نبزهم أهل السنة بأنهم حشوية ، فهذا كذب وبهتان ، وأهل السنة بريئون من ذلك لأمور منها :

١ ـ إنَّ الطائفة كما ذكر شيخ الإسلام إنما تتميز باسم رجالها ، أو بنعت أحوالها .

---

(١) أبوبكر محمد بن الطيب بن محمد المعروف بابن الباقلاني من كبار متكلمي الأشعرية وفضلائهم ، كان يثبت كثيرا من الصفات الخبرية التي نفاها متأخرو الأشعرية . من مصنفاته : « تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل » و « الإنصاف فيما يجب إعتقاده ولايجوز الجهل به » توفي سنة ٤٠٣ هـ انظر : تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص/ ٢١٧ ودرء التعارض ٢/١٧-١٨ وسيرأعلام النبلاء ١٧/١٩٠ .

(٢) انظر : درء تعارض العقل ٢/١٧ ونقض المنطق ص : ١٢١-١٢٢ وضمن مجموع الفتاوى ٤/ ١٤٧-١٤٨ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل ٢/١٨ .

(٤) انظر : نقض المنطق ص/١٢١-١٢٢ وضمن مجموع الفتاوى٤/١٤٧-١٤٨ .

فالأول كما يُقال : الجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان .

والثاني كما يُقال : الرافضة نسبة لرفضهم زيد بن علي[١] رحمه الله .

أما لفظ الحشوية فليس فيه ما يدل على شخص معين ولامقالة معينة فلا يُدرى من هم هؤلاء ، فلا يُطلق على شخص معين ، ولا على صفة أو مقالة معينة[٢]!

٢ ـ إنَّ هؤلاء المعطلة النابزين لأهل السنة بأنهم حشوية زعما منهم بأنهم يروون الأحاديث بلا تمييز بين صحيحها وضعيفها كذب وبهتان ، فإنَّ أهل السنة والحديث هم الذين اختصوا بالذب عن السنة ، والتمييز بين صحيحها من ضعيفها فكيف يوصفون بحشو الأحاديث كما يزعم هؤلاء المبتدعة ، وحال أهل السنة كما قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله : « ... التمسوا الحق من وجهته ، وتتبعوه من مظانه وتقربوا إلى الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله ﷺ ، وطلبهم لآثاره وأخباره برا وبحرا وشرقا وغربا ، يرحل الواحد منهم راجلا مَقْوِيا[٣] في طلب الخبر الواحد ، أو السنة الواحدة حتى يأخذها من الناقل لها مشافهة ثم لم يزالوا في التنقير عن الأخبار والبحث لها حتى فهموا صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها ... »[٤].

ووجود بعض الأحاديث الضعيفة في كتب بعض أهل السنة لايُشنع بها على

---

(١) تقدم التعريف به وبطائفته الزيدية انظر : ١٥٧/٢ .

(٢) انظر : منهاج السنة ٥١٨/٢ـ٥٢٠ .

(٣) معناه المسافر ومنه قوله تعالى : ﴿ نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ﴾ الواقعة [٧٣] قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والنضر بن عربي يعني : المسافرين . وأصله من القوى ، والمقوي الذي أصحابه وإبله أقوياء انظر : تفسير ابن كثير ٣١٨/٤و معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٦ـ٣٧ مادة « قوى » . فيكون معناه أي : أنه يسافر في طلب الحديث الواحد ويتحمل في ذلك المصاعب والشدائد .

(٤) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص/٨٧ .

جميعهم ، لأنَّ هذا خطأ فردي لايحكم به على جميعهم ، ولأنَّ منهجهم العام في رواية الحديث صحة السند إلى رسول الله ﷺ فمتى كان كذلك وجب قبوله والعمل به واعتقاد مايدل عليه[1] بخلاف أهل الكلام المذموم فإنهم معارضون لوحي الله بأصولهم الكلامية الفاسدة ، ولايقبلون من صحيح المنقول إلا مايظنونه موافقا لها ، فلا يحق لهم أنْ ينبزوا أهل السنة بأنهم حشوية يروون الأحاديث بلا تمييز بين صحيحها وضعيفها كما يزعمون ، وهم معرضون عنها أساسا معارضونها بكلامهم المذموم !

ولاشك أنَّ رميهم أهل السنة والحديث بأنهم حشوية من علامات أهل البدع وصنيع الزنادقة كما قال أبو حاتم رحمه الله : « وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الآثار »[2].

وأهل الحديث أنصار رسول الله ﷺ ، ولايبغض الأنصار وينبزهم بألقاب السوء رجل يؤمن بالله واليوم الآخر ، كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته :

يا مبغضا أهل الحديث وشاتما ... ابشر بعقدولاية الشيطان
أوما علمت بأنهم أنصارُ ... دين الله والإيمان والقرآن
أوما علمت بأنَّ أنصار الرسول ... هم بلا شك ولانكران
هل يبغض الأنصارعبد مؤمن ... أو مدرك لروائح الإيمان ؟
... ...
ماذنبهم إذْ خالفوك لقوله ... ما خالفوه لأجل قول فلانِ

---

(١) سيأتي بيان ذلك على وجه التفصيل ، وسيأتي ذكر بعض الأسباب التي جعلها المعطلة ذريعة لنبز أهل السنة بالتشبيه والتجسيم ومنها وجود بعض الأحاديث الضعيفة في بعض كتب أهل السنة انظر : ٢/٣٤٢و٣٤٦و٤٦٧و٤٧١ .

(٢) ذكره اللالكائي في شرح أصول الإعتقاد ١/١٧٩ .

لـووافـقـوك وخـالـفـوه كـنـت تـشـهـد أنـهـم حـقـا أولـوالإيـمـان

إلى أن قال :

مـاضـرهـم والـلـه بـغـضـكـم لـهـم إذْ وافـقـوا حـقـارضـا الـرحـمـن[1]

الوجه الرابع : إنه ينبغي أنْ يُفرق بين النابزين المبتدعة ، وبين أهل السنة ليعلم أنَّ هؤلاء المعطلة المبتدعة أحق بكل لقب شنيع !

فأئمة المعطلة هم الجعد بن درهم[2]الذي زعم أنَّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ، فَقُتِل على ذلك مرتدا .

ومثل الجهم بن صفوان المعروف بكل كفر وتعطيل وإلحاد الذي ترك الصلاة أربعين يوما على وجه الشك[3]. وقيل له بالشام : أين تريد ، فقال : « أطلب ربا أعبده »[4].

ومثل عمرو بن عبيد المعتزلي الذي صرح بتكذيبه لوحي الله ، وباعتراضه على الله وعلى رسوله ﷺ بقوله : « لو سمعت الأعمش[5]يقول هذا لكذبته ، ولوسمعت

---

(١) القصيدة النونية لابن القيم مع شرح الهراس ٢/٢٧٤ .

(٢) الجعد بن درهم من الموالي مبتدع ضال له أخبار في الزندقة سكن الجزيرة الفراتية ، وأخذ عنه مروان بن محمد لما ولي الجزيرة في أيام هشام بن عبد الملك فنسب إليه ، فأخذه خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى فقال : أيها الناس إرجعوا فضحوا تقبل الله منكم فإني مضح بالجعد ابن درهم ، فإنه زعم أنَّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، وتعالى عما يقول الجعد علوا كبيرا ، ثم نزل فذبحه ، وكان ذلك عام ١١٨هـ انظر : الرد على الجهمية للدارمي ص/٧والفتوى الحموية الكبرى ص/١٣وضمن مجموع الفتاوى ٥/ ٢٠-٢١وميزان الإعتدال ١/٣٩٩وسير أعلام النبلاء ٥/٤٣٣والأعلام ٢/١٢٠ .

(٣) ذكره الإمام البخاري في خلق أفعال العباد ص/١٦واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/ ٣٧٨-٣٧٩ .

(٤) ذكره ابن البنا الحنبلي في المختار في أصول السنة ص/٨٢ .

(٥) تقدمت ترجمته انظر : ١/٣٠٦ .

زيد بن وهب[١]يقول هذا ما أجبته ، ولوسمعت رسول الله يقول هذا رددته ، ولوسمعت الله يقول هذا لقلت له ليس على هذا أخذت ميثاقنا »[٢]!

ومثل ثمامة بن الأشرس[٣]الذي رمى الأنبياء بالتشبيه كما تقدم[٤]. ومثل النظام[٥]الذي كان يطعن على أقوال أصحاب رسول الله ﷺ ويزعم أنها متناقضة[٦]. وهو الذي ذكر الإمام ابن قتيبة رحمه الله بأنَّ له أقاويل في أحاديث يدعي أنها مناقضة للكتاب وأحاديث يستبشعها من جهة العقل ، وقد ذكر أن حجة العقل قد تنسخ الأخبار ، وأنَّ الأحاديث ينقض بعضها بعضا[٧].

ومثل أبي الهذيل العلاف الذي اعتبره الخليفة المأمون مع تأثره بأفكار أهل الإعتزال من أعلام جهنم ، حيث قال يوما لحاجبه : انظرمَن بالباب من أصحاب الكلام ، فخرج وعاد إليه فقال : بالباب أبو الهذيل العلاف ، وعبد الله بن أباض[٨]، وهشام بن

---

(١) أبو سليمان زيد بن وهب الجهني الكوفي الإمام الحجة المقرئ المحدث توفي سنة ١٤٨هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٢٢٦/٦وشذرات الذهب ٢٢٠/١ .

(٢) ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٧٢/٢والذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠٤/٦وراجع : الملل والنحل ٥٧/١ـ٥٨ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ١٦٥/٢ .

(٤) انظر : ١٥٦/٢ .

(٥) تقدمت ترجمته انظر : ٣١٧/١ .

(٦) ذكر ابن قتيبة مقالاته في الطعن على أقوال الصحابة ، ونقضها . انظر : تأويل مختلف الحديث ص/٤٦ـ٤٧ .

(٧) انظر : المرجع نفسه ص/٦٤ .

(٨) ليس هو عبد الله بن أباض زعيم الإباضية ، لأنه توفي سنة ٨٦هـ بخلاف المذكور فإنه كان في زمن الخليفة المأمون في القرن الثاني . انظر : الأعلام ٦١/٤ـ٦٢ولعله وافق ابن أباض في اسمه واسم أبيه ، وقد بحثت عن ترجمته فلم أجدها !

الكلبي الرافضي[١]. فقال المأمون : مابقي من أعلام جهنم إلا وقد حضر[٢].

فأئمة النابزين لأهل السنة هم هؤلاء المبتدعة وغيرهم ممن عارض وحي الله بعقله ووُصِف بالكفر والإلحاد . وأئمة أهل السنة والجماعة الذين ينبزهم المعطلة بالتشبيه والتجسيم والحشو هم أخيار أطهار متبعون لوحي الله عز وجل ، واصفون الله عز وجل بصفات الكمال ، منزهونه عز وجل عن التشبيه والتمثيل والشرك ، وكل نقص يضاد كماله ، وعلى رأسهم إمامهم وقدوتهم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وصحبه الأخيار ، وأئمة التابعين ومن تبعهم بإحسان كالأئمة الأربعة أبوحنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، وعبد الله بن المبارك ، والحسن البصري ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة[٣]، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة[٤]، والبخاري ومسلم وأبو داود[٥]والنسائي[٦]، والترمذي ، والدارمي ، وابن

---

(١) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي الأخباري النسابة قال الإمام أحمد في شأنه : « إنه كان صاحب سمر ونسب ، ما ظننت أنَّ أحدا يحدث عنه » وقال ابن عساكر : « رافضي ليس بثقة » وله في التاريخ والأنساب كتب كثيرة منها : « جمهرة الأنساب » و « نسب الخيل » و « تسمية من بالحجاز من أحياء العرب » مات سنة٢٠٤هـ انظر : ميزان الاعتدال ٥/ ٣٠٤ـ٣٠٥والأعلام٨/٨٥ـ٨٦ .

(٢) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد٣/٣٦٩وذكره ابن البنا الحنبلي في المختار في أصول السنة /٨٤ .

(٣) تقدمت ترجمة ابن المبارك والحسن البصري والسفيانين انظر : ١/٦١و١١٧و٤٣و٤٦ .

(٤) تقدمت ترجمة الحمادين انظر : ١/٤٤٩ .

(٥) أبوداود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني ، الإمام الحافظ الكبير ، إمام أهل الحديث في زمانه ، وصاحب كتاب السنن أحد الكتب الستة في الحديث . توفي سنة ٢٧٥هـ انظر : تقريب التهذيب ١/٣٨٢والأعلام ٣/١٢٢ .

(٦) أبوعبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي الإمام الحافظ صاحب « السنن » توفي سنة ٣٠٣هـ وعمره ٨٣ سنة انظر : تقريب التهذيب ١/٣٦ .

خزيمة[١]، وابن تيمية ، وابن القيم وابن عبد الوهاب وغيرهم من الأئمة الأعلام ، المقتدى بهم في معرفة دين الإسلام ، والمهتدى بأقوالهم في الحلال والحرام ، أولوالعلم والعمل والحكمة ، الذين اتبعوا وحي الله عز وجل ، واجتنبوا الأهواء والبدع ، واستنارت بعلومهم جماهير الأمة المحمدية ، ونفوا عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ونزهوا الله تعالى عن تعطيل المعطلين وتمثيل المشبهين ! فشتان بين من ورث دينه عن رسول الله ﷺ ، وبين من ورث دينه عن الجعد بن درهم والجهم بن صفوان ومن اتبعهم في التعطيل والكفر !

فهل تُقبل مقالات هؤلاء المبتدعة المطعون في دينهم وعقيدتهم على هؤلاء الأئمة الأطهار الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ؟! حاشا والله لايقول بهذا من كان عنده أدنى مسكة من عقل وإيمان وعلم !! فهؤلاء المبتدعة هم أهل حشو وضلال ، حشوا كتبهم بمقالات الجهمية والفلاسفة أهل الكفر والإلحاد وعطلوا الله عن صفات الكمال ووصفوه بالمعدومات ، ولم يفهموا من نصوص الصفات إلا التشبيه والتجسيم[٢]ثم رموا بما فهموه أهل السنة والجماعة ظلما وجهلا وعدوانا !

الوجه الخامس : إنَّ هؤلاء المبتدعة قد فسدت عقولهم بالكلام المذموم فوصموا أهل السنة بأنهم مشبهة مجسمة حشوية ولو كان لهم عقول كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله لعلموا أنَّ التلقيب بهذه الألقاب ليس لأهل السنة ، وإنما هو لمن جاء بهذه النصوص ، وتكلم بها ، ودعا الأمة إلى الإيمان بها ومعرفتها ، ونهاهم عن تحريفها وتبديلها . ولو كان خصومهم كما زعموا ، وحاشاهم مشبهة لكانوا أقل تنقيصا لرب العالمين وكتابه وأسمائه وصفاته منهم ، لوكان قولهم يقتضي التنقيص فكيف وهو لا يقتضيه ولو صرحوا به ؟!

---

(١) تقدمت ترجمة الترمذي والدارمي وابن خزيمة انظر : ١/٥٧و٤٢و١١١ .

(٢) سيأتي بيان وقوع المعطلة في مقالة التشبيه انظر : ٣/٣٧٥ .

فإنهم يقولون : نحن أثبتنا لله غاية الكمال ونعوت الجلال ، ووصفناه بكل صفة كمال فإنْ لزم من هذا تشبيه وتجسيم ، لم يكن هذا نقصا ولا عيبا بوجه من الوجوه ، فإنَّ لازم الحق حق ، ومالزم من إثبات كمال الرب ليس بنقص !

وأما هم فقد نفوا عن الله صفات الكمال ، ولاريب أنَّ لازم هذا هو وصفه بأضدادها من العيوب والنقائص ، فماسوى اللهُ ولا رسولهُ ولا عقلاءُ عباده بين من نفى كماله المقدس حذرا من التشبيه والتجسيم ، وبين من أثبت كماله الأعظم وصفاته العلى بلوازم ذلك كائنة ما كانت[١]!

ولا يضر أهل السنة نبز هؤلاء المبتدعة بالألقاب الذميمة ، ولا يمنعهم من إثبات الصفات نبزهم لهم بالتجسيم والتشبيه ، فإنَّ هذا من مقالات أهل البهت والعدوان !

وأهل السنة كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله لا يجحدون صفات خالقهم بتسمية هؤلاء المعطلة لمن أثبت ذلك مجسما مشبها ، بل ينزهون الله تعالى عن تعطيلهم الذي سموه تنزيها ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

فإنْ كان تجسيما ثبوت استوائه على عرشه إني إذًا لمجسم
وإنْ كان تشبيها ثبوت صفاته فمن ذلك التشبيه لا أتكتم
وإنْ كان تنزيها جحود استوائه وأوصافه أوكونه يتكلم
فعن ذلك التنزيه نزهت ربنا بتوفيقه والله أعلى وأعظم[٢]

فنبزهم لأهل السنة بالتشبيه والتجسيم والحشو بهتٌ لهم وظلم وعدوان ، وهم بريؤون من ذلك ، لأنهم لم يتجاوزوا في وصف الله تعالى ما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ إثباتا وتنزيها .

---

(١) انظر : الصواعق المرسلة ١/٢٦١- ١٦٥ .

(٢) المرجع نفسه ٣/٩٣٩-٩٤٠ .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان بُهْت هؤلاء المعطلة وكذبهم ، وبراءة أهل السنة من التشبيه والحشو والتجسيم :

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حشوا في الوجود ... وفضلة في أمة الإنسان
ويظن جاهلهم بأنهم حَشَوا ... رب العباد بداخل الأكوان
إذْ قولهم فوق العباد وفي السماء ... الرب ذوالملكوت والسلطان
ظَنَّ الحمير بأنَّ في الظرف والر ... حمن محويٌّ بظرف مكان
والله لم يسمع ندًا من فرقة ... قالته في زمن من الأزمان
لاتبهتوا أهل الحديث به فما ... ذا قولهم تبا لذي بهتان

إلى أنْ قال :

كم ذا مشبهة وكم حشوية ... فالبهت لايخفى على الرحمن[1]

وقال رحمه الله مبينا براءة أهل السنة من وصمة التشبيه والتجسيم ، ووصفهم الله تعالى بصفات الكمال ، واتباعهم في ذلك وحي الرحمن :

كم ذا مشبهة مجسمة نوا ... بتة مسبة جاهل فتان
أسماءً سميتم بها أهل الحد ... يث وناصري القرآن والإيمان
سميتموهم أنتم وشيوخكم ... بهتا بها من غير ما سلطان
وجعلتموها سِبة لتنفروا ... عنهم كفعل الساحر الشيطان
ماذنبهم والله إلا أنهم ... أخذوا بوحي الله والفرقان
وأبو أ ن يستحيزوا لمقالة ... غير الحديث ومقتضى القرآن
وأبوا يدينوا بالذي دنتم به ... من هذه الآراء والهذيان

(١) القصيدة النونية لابن القيم مع شرح الهراس ٣٦٤/١ .

وصفوه بالأوصاف في النصين من خَبر صحيح ثم من قرآن
إنْ كان ذا التجسيم عندكم فيا أهلا به مافيه من نكران[١].

الوجه السادس : أما نبزهم الحنابلة بالتشبيه والتجسيم واعتمادهم في ذلك على ماذكره ابن الجوزي[٢]في كتابه « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » في وصمه بعض الحنابلة بالتشبيه فباطل لأمور :

الأمر الأول : إنَّ الإمام ابن الجوزي كما ذكر شيخ الإسلام لم يصنف كتابه الذي يعتمد عليه المعطلة في نبز الحنابلة بالتشبيه في الرد على الحنابلة جميعهم وإنما رَدَّ به فيما ادعاه على بعضهم وقصد أبي عبد الله بن حامد[٣]، والقاضي أبي يعلى[٤]، وشيخه أبي الحسن بن الزاغوني[٥]ومن تبعهم ، وجنس الحنابلة لم

(١) المرجع نفسه ١/٣٦٧ .

(٢) أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البكري البغدادي الحنبلي العلامة كان كثير التصانيف من مصنفاته : « زاد المسير في علم التفسير » و « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » و « ومناقب الإمام أحمد » وغيرها توفي سنة ٥٩٧هـ انظر : وفيات الأعيان ١/٢٧٩وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٦٥والأعلام ٣/٣١٦ .

(٣) أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي ، إمام الحنبلية في زمانه وقاضيهم ومفتيهم ، مصنف كتاب : « الجامع » في المذهب الحنبلي ، و « شرح الخرقي » و « شرح أصول الدين » توفي سنة ٤٠٣هـ انظر : طبقات الحنابلة ٢/١٧١-١٧٧وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٠٣-٢٠٤ .

(٤) أبو يعلى محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء البغدادي الحنبلي القاضي ، كان عالم العراق في زمانه ، وقد إنتهت إليه الإمامة في الفقه الحنبلي ، مع معرفة بعلوم القرآن وتفسيره ، والنظر والأصول ، وكان ذا عبادة وزهد وهيبة . من مصنفاته : « مسائل الإيمان » و « المعتمد في أصول الدين » و « إبطال التأويلات » توفي سنة ٤٥٨هـ انظر : طبقات الحنابلة ٢/١٩٣-٢٣٠وسير أعلام النبلاء ١/٨٩-٩١ .

(٥) أبوالحسن علي بن عبيد الله بن نصر بن عبدالله بن سهل بن الزاغوني البغدادي صاحب =

يتعرض ابن الجوزي للرد عليهم ، ولا حكى عنهم ما أنكروه ، بل هو يحتج في مخالفته لهؤلاء بكلام كثير من الحنابلة[١]، فالقول بأنه رَدَّ به على الحنابلة لقولهم بالتشبيه والتجسيم مجانب للصواب .

الأمر الثاني : إنَّ هؤلاء الذين رَدَّ عليهم ابن الجوزي ووصمهم بالتشبيه عندهم بعض الأخطاء لكن لم يصل حالهم إلى ماذكر ابن الجوزي ، فأخطاؤهم تتمثل في التفويض ، أوالغلو في الإثبات ، وبعضهم موافق للمتكلمين في تأويل بعض الصفات ، وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله بعض أخطائهم التي خالفوا فيها أهل السنة فمما ذكره في ذلك قوله : « وأما الحنبلية فأبو عبد الله ابن حامد قويٌ في الإثبات جاد فيه ينزع لمسائل الصفات الخبرية وسلك طريقه صاحبه أبو يعلى لكنه ألين منه ، وأبعد عن الزيادة في الإثبات ... »[٢].[٣].

وأبو حامد رحمه الله لم يأخذ بأصول المتكلمين ، بل كان يُوافق أهل السنة في إثبات الصفات الخبرية ، وكان يرد على المتكلمين المعطلة[٤].

وإنما كان في إثباته نوع غلو ومبالغة في طريقة إثبات الصفات ، ولذا كان يقول بعض الحنابلة : « أنا أثبت متوسطا بين تعطيل ابن عقيل[٥]، وتشبيه ابن حامد »[٦].

= التصانيف ، كان من بحور العلم ، صاحب دين وتقوى وزهد وعبادة . توفي سنة ٥٢٧هـ انظر : سيرأعلام النبلاء ١٩/٦٠٥-٦٠٧ .

(١) انظر : نقض المنطق ص/١٣٥-١٣٦وضمن مجموع الفتاوى ٤/١٦٥-١٦٦ .

(٢) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٥٢ .

(٣) سيأتي بيان براءة القاضي أبي يعلى من وصمة التشبيه انظر : ٢/٢٣٩ .

(٤) انظر : درء التعارض ٢/١٧و١٩و٧٥و٧٦و٩٩-١٠٠و١٥٦ .

(٥) تقدمت ترجمته انظر : ٢/٨٨ .

(٦) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٥٤ .

أما ابن الزاغوني فقد كان منهجه في الصفات أمشاجا بين إثبات وتأويل وأخذ ببعض أصول أهل الكلام ، فقد ذكر شيخ الإسلام أنه كان يثبت الصفات الخبرية التي جاء بها القرآن كصفة الوجه واليد ونحوها(١).

وقد وافق المتكلمين في بعض أصولهم الكلامية كالاستدلال بدليل الأعراض وحدوث الأجسام على وجود الله تعالى ، والقول بوجوب النظر لمعرفة الله ، ونفي الحركة عن الله تعالى لنفي بعض الصفات الفعلية المتعلقة بقدرة الله تعالى ومشيئته(٢).

وذكر الإمام الذهبي رحمه الله أنّه رأى لأبي الحسن بن الزاغوني مقالة في الحرف والصوت عليه فيها مآخذ ، والله يغفر له فياليته سكت(٣)!

ويقصد بذلك كلام الله بحرف وصوت ، كما هو مذهب أهل السنة في صفة الكلام فلعل ابن الزاغوني نفى ذلك كما يفعل متكلمو الأشاعرة(٤)!

أما القاضي أبويعلى فكان تارة يختارطريقة متكلمي الأشاعرة في تأويل بعض الصفات كما فعل في كتابه : « المعتمد في أصول الدين »(٥)وتارة طريق التفويض(٦)وتارة طريق الإثبات كا فعل في كتابه : « إبطال التأويلات » الذي رَدَّ

---

(١) انظر : درء التعارض ٣/٣٨١و٧/٧٣-٧٤ .

(٢) انظر : درء التعارض ٢/١٩و٢٤٤و٣٠٧-٣٠٨و٤٤٤و٤/٤٠و١٢٦و٢٤١و٦/٢٤٣و٢٨٩-٢٩٠و٩/٣٦ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء ١٩/٦٠٧ .

(٤) سيأتي بيان ذلك عند ذكروقوع المعطلة في مقالة التشبيه انظر : ٣/٢٩٢ -٣٠٣ .

(٥) انظر : مختصر المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى ص/٦١ .

(٦) ذكر ذلك شيخ الإسلام كما سيأتي قريبا ، لكن لم أجد له تفويضا فيما اطلعت عليه من مصنفاته ، وإنما رأيت كلامه دائرا بين التأويل والإثبات الذي كان عليه آخر كلامه في الصفات كما سيأتي عند بيان براءته من وصمة التشبيه انظر : ص/٥٥٧ .

به على ابن فورك[١] في كتابه : « مشكل الحديث وبيانه » وهوالذي بسببه شنع عليه ابن الجوزي في كتابه « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » ونقل منه بعض الأحاديث ، منها ماهو صحيح فهم منها ابن الجوزي التشبيه على منهج أهل الكلام المذموم[٢]، ومنها ماهوضعيف لا يجوز إثبات صفة لله بها[٣]! وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله ذلك بقوله : « ... ونوع ثالث سمعوا الأحاديث والآثار وعظموا مذهب السلف ، وشاركوا المتكلمين الجهمية في بعض أصولهم الباقية ولم يكن لهم من الخبرة بالقرآن والحديث والآثار مالأئمة السنة والحديث ، لا من جهة المعرفة والتمييز بين صحيحها وضعيفها ولا من جهة الفهم لمعانيها ، وقد ظنوا صحة بعض الأصول العقلية للنفاة الجهمية ، ورأوا مابينهما من التعارض ، وهذا حال أبي بكر بن فورك والقاضي أبي يعلى وابن عقيل وأمثالهم ولهذا كان هؤلاء يختارون طريقة أهل التأويل كمافعله ابن فورك وأمثاله في الكلام على مشكل الآثار[٤]، وتارة يفوضون معانيها[٥]ويقولون : تجري على ظواهرها ، كما فعله القاضي أبو يعلى وأمثاله في ذلك ، وتارة يختلف اجتهادهم فيرجحون هذا تارة وهذا تارة ، كحال ابن عقيل وأمثاله ، وهؤلاء قد يدخلون في الأحاديث المشكلة

---

(١) تقدمت ترجمته انظر : ٣٠٤/١ .

(٢) انظر كتابه : دفع شبه التشبيه فقد أول أحاديث صحيحة إدَّعى فيها التشبيه كصفة الصورة والقَدم والعلو والنزول والفرح والأصابع واليد واليمين والصوت والوجه . انظر ذلك على الترتيب في كتابه المذكور ص/١٤٤-١٤٥و١٧٠و١٨٦و١٩٢و٢٠٠و٢٠٥و٢٠٧و٢٥٠و٢٥٣و٢٥٥ .

(٣) انظر لذلك : كتابه إبطال التأويلات فقد أثبت فيه بعض الصفات بأحاديث ضعيفة انظرمنها أمثلة في ص/ ١٠٣و١١٥و١١٦و١٣٣و١٨٧وقد أوردها ابن الجوزي في كتابه دفع شبه التشبيه . !

(٤) وهو المطبوع تحت عنوان « مشكل الحديث وبيانه » .

(٥) سيأتي بطلان مقالة أهل التفويض ونسبتها إلى السلف انظر : ٥١٦/٢ .

ماهوكذب موضوع[١] ولايعرفون أنه موضوع وماله لفظ يدفع الإشكال ... »[٢].

ووقوع بعض الحنابلة كابن حامد في الغلو في الإثبات ، أو إيراد بعض الأحاديث الضعيفة في الصفات من بعضهم كما فعل أبو يعلى وغيره ممن ينتسب إلى السلف لا يسوغ لأيِّ إنسان أنْ يطعن في مذهب السلف في الصفات ، وينسب أخطاء من أخطأ من الحنابلة إلى جميعهم ، بل عليه أنْ يتجنب الهوى ويتكلم وينقد بعلم وعدل وإنصاف ، دون جهل وظلم وإجحاف !

لأنَّ أخطاء من أخطأ ممن ينتسب إلى السنة كما ذكر شيخ الإسلام لاتُنْسَب إلى جميع السلف ، ولا تنسب الأقوال الباطلة إلى مذهبهم ، كما أنَّ المسلم إذا فعل منكرا ، لايقدح ذلك في دين المسلمين ، ولا يُنسب المنكرإلى دينهم[٣]!

وابن الجوزي عفا الله عنه ، لمالم يكن له معرفة بحقيقة مذهب السلف عموما وبما عليه الإمام أحمد رحمه الله خصوصا[٤] ظَنَّ أنَّ ماقاله ابن حامد ، وأبو يعلى ، وبن الزاغوني تشبيه ، فنفى سامحه الله كثيرا مما وصف الله به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بدعوى دفع شبه التشبيه بما سماه أكف التنزيه ، الذي هو في الحقيقة تحريف وتعطيل !

فمن الظلم والجور أن يُنسب خطأرجل ممن ينتسب إلى أهل السنة ويشنع به عليهم ، كما فعل المعطلة ، ولايقول بهذا من اتصف بالعلم والعدل ، بل هذا من صفات أهل الأهواء الذين يلجؤون لترويج أباطيلهم إلى الظلم والكذب كيفما اتفق !!

---

(١) سيأتي ذكر بعض الأحاديث الضعيفة التي جعلها المبتدعة ذريعة لنبز أهل السنة بالتشبيه ونقدها انظر : ٣٤٢/٢ .

(٢) درء تعارض العقل ٣٤/٧ .

(٣) انظر : منهاج السنة ٣٤/٢ .

(٤) سيأتي بيان منهجه في الصفات قريبا !

الأمر الثالث : إنَّ ابن الجوزي الذي جعله المعطلة حجة في نبز الحنابلة بالتشبيه والتجسيم كما ذكر شيخ الإسلام مضطرب متناقض في باب الصفات ، لم يثبت على قدم النفي ، ولاعلى قدم الإثبات ، بل له من الكلام في الإثبات نظماونثرا ماأثبت به كثيرا من الصفات التي أنكرها في كتابه « دفع شبه التشبيه » فهو في باب الصفات مثل كثير من الخائضين في هذا الباب من أنواع الناس ، يثبتون تارة وينفون أُخرى في مواضع كثيرة من الصفات(١).

والذي يرجع إلى كتبه يراه بين مذهب المؤولة ومذهب المفوضة ، وتارة يثبت وهو قليل ففي كتابه تلبيس إبليس قرر منهج تفويض المعانى ، فذكر بعض النصوص ثم قال : « ... إنما الصواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها ... »(٢).

وذكر أنَّ ماكان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وتابعوهم بإحسان من إثبات الخالق سبحانه ، وإثبات صفاته على ماوردت به الآيات والأخبار من غير تفسير(٣).

والذي يرجع إلى تفسيره يراه مرة يفوض ومرة يُؤول ، ومرة يثبت وهو قليل ففي صفة الاستواء حكى إجماع السلف على قراءة الآية فقط وزعم أنهم لم يزيدوا على ذلك(٤)!

وتراه في باقي الصفات يُؤول فقد أَوَّل صفة الوجه بالذات(٥). والإتيان باتيان أمر الله أو إتيان إهلاكه وانتقامه(٦)، واليد بالجود(٧)، والعين : بالرؤية والحفظ

---

(١) انظر : نقض المنطق ص/١٣٩وضمن مجموع الفتاوى ١٦٩/٤ .

(٢) تلبيس إبليس ص/١٠١ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ص/١٠٢ .

(٤) انظر : تفسير ابن الجوزي ٢١٣/٣ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ١١٤/٨ .

(٦) انظر : المرجع نفسه ١٥٦/٣ .

(٧) انظر : المرجع نفسه ٣٩٣/٢ .

والعلم[١]!

وفي حين يفوض صفة الاستواء ـ كما تقدم ـ يذكر قول ابن عباس رضي الله عنه في صفة العلو ويقره ففي قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾ [الملك : ١٦] يقول ابن الجوزي : « قال ابن عباس : ءَأَمنتم عذاب من في السماء ، وهو الله عز وجل »[٢]. وهذا يدل على الاضطراب فإنَّ إقراره بإثبات صفة العلو يلزم عليه أنْ يثبت صفة الإستواء ولايفوض !!

أما في كتابه « صيد الخاطر » فقد انتقد الإمام ابن عبد البر في إثباته صفة النزول بقوله : « ولقد عجبت لرجل أندلسي يُقال له : ابن عبدالبر صنف كتاب التمهيد ، فذكرفيه حديث النزول إلى السماء الدنيا ، فقال : هذا يدل على أنَّ الله تعالى على العرش ، لأنه لولا ذلك لما كان لقوله ينزل معنى ، وهذا كلام جاهل بمعرفة الله عز وجل ، لأنَّ هذا استسلف من حسه مايعرف من نزول الأجسام ، فقاس صفة الحق عليه »[٣].

وهذا غير صحيح فإنَّ ابن عبد البر رحمه الله إنما أثبت صفة النزول كما وردت من غير تشبيه ولا تعطيل[٤]، ولم يقس نزول الخالق على المخلوق كما زعم ، بل هذا من فهم ابن الجوزي نبز به ابن عبد البر لكونه لم يسلك منهج التأويل والتفويض ، وقد تقدم أنَّ ابن عبد البر ذَمَّ القياس في ذات الله تعالى وصفاته واعتبر ذلك مفضٍ إلى التشبيه[٥]. فكيف يقيس نزول الخالق على المخلوق وهو يقوم بذلك ؟!

---

(١) انظر : المرجع نفسه ١٠١/٤ .

(٢) انظر المرجع نفسه ٣٢٢/٨ .

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي ص/٩٧وراجع : إتحاف أهل الفضل والإنصاف بنقض كتاب ابن الجوزي دفع شبه التشبيه لسليمان بن ناصر العلوان ص/١٠٩-١١٠ .

(٤) انظركتابه : التمهيد ١٤٣/٧ .

(٥) كما تقدم انظر : ٤٠٨/١و١٣٢/٢ .

وقد اعتبر ابن الجوزي في كتابه « دفع شبيه التشبيه بأكف التنزيه » إثبات الصفات كما وردت من غير تأويل تشبيها[١] ووصم من أثبتوها بأنَّ كلامهم صريح في التشبيه[٢]. فابن الجوزي مضطرب بين التفويض والتأويل والإثبات وهو قليل ، ومن كان حاله هكذا لا يجوز أنْ يكون قوله حجة في نبز الحنابلة بالتشبيه والتجسيم ، لأنه خصم لمن يثبت الصفات فلا يُقبل قوله فيهم في هذا الباب !

وقد رَدَّ عليه بعض علماء الحنابلة بسبب تأويلاته للصفات ، ونبزه لمن أثبتها بالتشبيه وبينوا أنه قد مزج اعتقاده بكثيرمن آراء الأشعرية ، كما ذكروا أنَّ قوله لايقبل فيمن نبزه بالتشبيه وقد رَدَّ عليه بعض من عاصره من العلماء ، ونصحوه وَذَكَّرُوه بمذهب السلف الصالح وأنْ يترك الطعن على العلماء ، ومن هؤلاء أبو الفضل العلشي[٣] رحمه الله فقد أرسل إليه رسالة قيمة ينصحه فيها أنْ يتبع منهج أهل السنة في الصفات ، ويترك الطعن على الأئمة والعلماء ورميهم بالتشبيه ، ومما ذكره في ذلك قوله : « ... واعلم أنه قد كثر النكير عليك من العلماء والفضلاء والأخيار في الآفاق بمقالتك الفاسدة في الصفات وقد أبانوا وهاء مقالتك ، وحكوا عنك أنك أبيت النصيحة ، وعندك من الأقوال التي لاتليق بالسنة مايضيق الوقت عن ذكرها ... ـ ومنها ـ أنك تعرضت لصفات الخالق تعالى ، كأنها صدرت لا من صدر سكن فيه احتشام العلي العظيم ولا أملاها قلب مُلأَ بالهيبة والتعظيم ، بل من واقعات النفوس البَرْهَجِيَّة الزيوف ، وزعمت أنَّ طائفة من أهل السنة والأخيار تلقوها

---

(١) انظر كتابه : دفع شبه التشبيه ص/١٠١و١٠٤و١٠٧و١١٣و١١٧و١٢١و١٢٨و١٣١و١٤٥ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص/١٠١ .

(٣) أبو الفضل إسحاق بن أحمد بن محمد بن غانم العلشي ، العالم الفقيه ، الزاهد القدوة ، كان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكرلاتأخذه في ذلك لومة لائم ، وكان يُراسل الأمراء ينصحهم فيها . توفي سنة ٦٣٤هـ انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٠٤-٢١١ .

ومافهموا ، وحاشاهم من ذلك بل كفوا عن الثرثرة والتشدق لا عجزًا ـ بحمد الله ـ عن الجدال والخصام ، ولا جهلا بطريق الكلام وإنما أمسكوا عن الخوض في ذلك عن علم وروية ودراية ، لا عن جهل وعماية ... فكيف يجوز أن تتبع المتكلمين في آرائهم وتخوض مع الخائضين فيما خاضوا فيه ثم تنكر عليهم هذا من العجب العجيب ، ولو أن مخلوقا وصف مخلوقا مثله بصفات من غير رؤية ولاخبر صادق لكان كاذبا في إخباره فكيف تصفوا الله سبحانه بشيء ما وقفتم على صحته بل بالظنون وتنفون الصفات التي رضيها لنفسه وأخبر بها رسوله بنقل الثقات الأثبات بيحتمل ويحتمل ... وتدعي أنَّ الأصحاب[١]خلطوا في الصفات ، فقد قبحت أكثر منهم وما وسعتك السنة ، فاتق الله سبحانه ، ولاتتكلم فيه برأيك ، فهذا خبر غيب لا يسمع إلا من الرسول المعصوم ، فقد نصبتم[٢]حربا للأحاديث الصحيحة ، والذين نقلوا شريعة الإسلام ... »[٣]. وذكر ابن قدامة المقدسي[٤]رحمه الله أنَّ ابن الجوزي كان إمام أهل عصره في الوعظ ، وكان حافظا للحديث إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة ولا طريقته فيها[٥].[٦]!

---

(١) يقصد الحنابلة .

(٢) أي المتكلمين .

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٠٥ـ٢٠٩ .

(٤) أبو محمد عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي ، كان عالم الشام في زمانه ، وإمام الحنابلة بجامع دمشق ، وكان ثقة حجة نبيلا ورعا عابدا سلفيا ، من مؤلفاته : « لمعة الإعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد » و « ذم التأويل » توفي سنة ٦٢٠هـ بدمشق . انظر : سيرأعلام النبلاء ٢٢/ ١٦٥والذيل على طبقات الحنابلة ١٣٣/٢ وشذرات الذهب ٨٨/٥ .

(٥) ذكره الإمام ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٥/١ .

(٦) راجع : علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين للدكتور : رضا نعسان معطي ص/ ١٢١-١٢٢ .

ويقصد بقوله « تصانيفه في السنة » في أحاديث الصفات ، فإنهم كانوا يُسمون الكتب المصنفة في الصفات بالسنة أوالشريعة أوالتوحيد .

وذكر رحمه الله في صدد رده على من يصم الحنابلة بالتشبيه إنما يحصل التشبيه والتجسيم ممن يحمل صفات الله سبحانه وتعالى على صفات المخلوقين ، وأهل السنة ومنهم الحنابلة لايعتقدون ذلك ولايدينون به ، بل يعلمون أنَّ الله تبارك وتعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَّهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ وأنَّ صفاته لاتشبه صفات المحدثين ، وأنَّ كل ماخطربقلبٍ ، أووَهْمٍ فالله عز وجل بخلافه ، لا شبيه له ولا نظير ولاعدل ولاظهير[١]!

قال الإمام الذهبي رحمه الله : « ... وسمعت الحافظ اليُونيني[٢]يقول : « لما كنت أسمع شناعة الخلق على الحنابلة بالتشبيه عزمت على سؤال الشيخ الموفق[٣]، وبقيت أشهرا أريد أنْ أسأله فصعدت معه الجبل[٤]، فلما كنا عند دار ابن محارب قلت : ياسيدي . وما نطقت بأكثر من سيدي . فقال لي : التشبيه مستحيل ، فقلت : لم ، قال : لأنَّ من شرط التشبيه أنْ نرى الشيء فنشبهه[٥]من الذي رأى الله ثم شبهه لنا » ؟[٦]!

---

(١) انظر : تحريم النظرفي كتب أهل الكلام لابن قدامة ص/٥٩ .

(٢) أبو الحسين علي بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عبدالله اليونيني الإمام الحافظ الفقيه الحنبلي البعلبكي شيخ الإمام الذهبي المتوفى سنة ٧٠١هـ انظر : معجم شيوخ الذهبي ٤٠/٢وشذرات الذهب ٢/٦ .

(٣) يعني : موفق الدين ابن قدامة رحمه الله .

(٤) يعني جبل قاسيون حيث الصالحية وفيها ديارهم .

(٥) في الأصل ثم نشبهه والسياق يقتضي ما أثبته .

(٦) ذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٧١/٢٢ .

فبين رحمه الله براءة أهل السنة الحنابلة من وصمة التشبيه ، وذكرأنَّ ذلك مستحيل ، لأنَّ من شرط المشبه أنْ يرى الله ، ثم يشبهه بنظيره ، وهذا مستحيل ، لأنَّ الله تعالى لا شبيه له ولا مثيل ولا نظير !

وذكر الإمام ابن رجب رحمه الله أنَّ ابن الجوزي نقم عليه جماعة من مشايخ الحنابلة وأئمتهم ميله إلى التأويل في بعض كلامه واشتد نكيرهم عليه في ذلك ولا ريب أنَّ كلامه في ذلك مضطرب مختلف ، وهو وإنْ كان مطلعا على الأحاديث والآثار إلا أنه لم يكن يحل شبه المتكلمين ، ويبين فسادها وكان معظما لأبي الوفاء ابن عقيل ، متابعا لأكثر ما يجده من كلامه ، وإنْ كان قد ردَّ عليه في بعض المسائل ، وكان ابن عقيل بارعا في الكلام ، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار ، فلهذا يضطرب في باب الصفات ، وتتلون فيه آراؤه ، وأبوالفرج ابن الجوزي تابع له في هذا التلون(١)!

الأمر الرابع : إنَّ إثبات الصفات كما ذكر شيخ الإسلام ليس مختصا بالحنابلة ولا فيهم من الغلو ما ليس في غيرهم ، بل من استقرأ مذاهب الناس وجد في كل طائفة من الغلاة في النفي والإثبات ما لا يُوجد مثله في الحنابلة ، ووجد من مال منهم إلى نفي باطل أوإثبات باطلٍ فإنه لايسرف إسراف غيرهم من المائلين إلى النفي والإثبات بل يُوجد في الطوائف من زيادة النفي الباطل ، والإثبات الباطل مالايُوجد مثله في الحنابلة وإنماوقع الاعتداء في النفي والإثبات فيهم مما دَبَّ إليهم من غيرهم الذين اعتدوا حدود الله بزيادة في النفي والإثبات ، لأنَّ أصل السنة مبناها على الاقتصاد والاعتدال دون البغي والاعتداء(٢)!

---

(١) ذكره ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٣٣١/٤ .

(٢) انظر : نقض المنطق ص/١٣٩وضمن مجموع الفتاوى ١٦٩/٤-١٧٠وكتاب أصول الفقه ضمن المرجع نفسه١٨٦/٢٠-١٨٧ .

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله في مناظرته على العقيدة الواسطية عندما قال له المعطلة إنه انتسب إلى أحمد أُناس من الحشوية بين أنَّ الحنابلة المحضة المتابعون للإمام أحمد ليس فيهم تشبيه ولا تجسيم .

فمما أجاب به على ذلك قوله : « ... المشبهة والمجسمة في غيرأصحاب الإمام أحمد أكثرمنهم فيهم ، وهؤلاء أصناف الأكراد كلهم شافعية ، وفيهم من التشبيه والتجسيم ما لا يُوجد في صنف آخر ... وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم وكان من تمام الجواب أن الكرامية المجسمة كلهم حنفية ... »[١]!

وليس للحنابلة قول انفردوا به عن غيرهم من أهل السنة والجماعة ، بل كل ما يقولونه في الصفات من الإثبات والتنزيه قد قاله غيرهم من طوائف أهل السنة ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف ، قبل أنْ يخلق الله أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد ، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ﷺ ، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة ، والإمام أحمد رحمه الله وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة والصبرفي المحنة ، فلس ذلك لأنه انفرد بقول ، أو ابتدع قولا ، بل لأنه أحيا السنة التي كانت موجودة معروفة قبله ، ودعا إليها ، وصبر على من امتحن به ليُفارقها[٢]!

ولهذا سُمي إمام أهل السنة والجماعة ، ومن كان على منهجه من الحنابلة وغيرهم في الصفات إثباتا وتنزيها فهومن أهل السنة ، لامن أهل التشبيه والتجسيم والحشو كما يزعم المعطلة !!

الأمر الخامس : إنَّ الحنابلة الذين ساروا على منهج الإمام أحمد رحمه الله في

---

(١) المناظرة في العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى ١٨٥/٣ .

(٢) انظر : منهاج السنة ٦٠١/٢-٦٠٢ .

صفات الله من أهل السنة والجماعة ، قد بذلوا جهودة عظيمة في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والدعوة إليها ، ونشرها في كل زمان ومكان ، وهم بريئون من التجسيم والتشبيه والتعطيل مثبتون للصفات كما وردت في الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . ذكر ابن أبي يعلى[١] رحمه الله في بيان إثبات الحنابلة للصفات كماوردت ، وبراءتهم من وصمة التشبيه ، أنَّ التشبيه إنما يلزم الحنابلة إنْ وُجد منهم أحد أمرين :

١ ـ إما أنْ يكونوا هم الذين ابتدؤوا الصفة لله عز وجل واخترعوها .

٢ ـ أو يكونوا قد صرحوا باعتقاد التشبيه في الأحاديث[٢] التي هم نقلوها .

فأما أنْ يكون صاحب الشريعة ﷺ هوالمبتدئ بهذه الأحاديث ، وقوله ﷺ حجة يسقط بها مايُعارضها ، وهم تبع له ، ثم يكون الحنابلة قد صرحوا بأنهم يعتقدون إثبات الصفات ، ونفي التشبيه ، فكيف يجوز أن يُضاف إليهم ما يعتقدون نفيه ؟!!

وعلى أنه قد ثبت أن الحنبلية إنما يعتمدون في أصول الدين على كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه ﷺ وفيهما ذكر الصفات ولا يوجد فيهما ذكرالتشبيه ، فكيف يجوز أن يُضاف إليهم ما يعتقدون نفيه ؟!!

وقد سَلَّمَ الحنابلة لأخبار الصفات من غير تشبيه ولاتأويل ، وآمنوا وصدقوا ماوصف الله به نفسه في كتابه ، وعلى لسان نبيه ﷺ ، وتركوا البحث عن

---

(١) أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن أبي يعلى الفراء ، القاضي الشهيد ، برع في الفقه وناظر ، من مصنفاته : « المجموع في الفروع » و « طبقات الحنابلة » و « شرف الاتباع » قتله اللصوص في بيته سنة ٥٢٦هـ انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ١/١٧٦-١٧٨ .

(٢) يقصد أحاديث الصفات ، وسيأتي منهج أهل السنة في نصوص الصفات انظر : ٢ / ٢٦٧وما بعدها .

الكيفية والتنقير بل سلموا لذلك من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل .

فهم الفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة ، وهم أصحاب الحديث والأثر ، وخلفاء الرسول ﷺ ، وورثة علمه ، وسفرته بينه وبين أمته ، ولا يقولون في أخبار الصفات بتعطيل المعطلين ، ولابتشبيه المشبهين ، ولا بتأويل المتأولين ، مذهبهم حق بين باطلين[١] وهدى بين ضلالتين ، إثبات الأسماء والصفات ، مع نفي التشبيه ، إذْلا مثيل للخالق ولا شبيه ولا نظير ، نقول كما سمعنا ، ونشهد بماعلمنا ، من غير تشبيه ولا تعطيل ، على أنه عز وجل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَّهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢].

وقال الإمام الذهبي رحمه الله وهو يتكلم عن الحنابلة ومالهم من العلم والعمل والورع : « ... عندهم علوم نافعة ، وفيهم دين في الجملة ، ولهم قلة حظٍ في الدنيا ، وبعض العلماء يتكلمون في عقيدتهم ويرمونهم بالتجسيم ، وبأنه يلزمهم ، وهم بريئون من ذلك والله يغفر لهم ... »[٣]!

فَوصمُ الحنابلة بالتشبيه والتجسيم باطل لأنهم لا يقولون إلا بمذهب السلف في صفات الله الميني على الإثبات والتنزيه ، والمشبهة المجسمة عندهم كفار ، فكيف يرمون بما ينفونه ويحكمون على من يقول به بالكفر ؟!

قال العلامة مرعي الكرمي[٤] رحمه الله : « ومن العجب أنَّ أئمتنا الحنابلة يقولون بمذهب السلف ويصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من

---

(١) سيأتي بيان وسطية أهل السنة في صفات الله بين أهل التعطيل والتمثيل الدال على براءتهم من وصمة التشبيه انظر : ٣٨٧/٢ .

(٢) انظر : طبقات الحنابلة ٢٠٩/٢و٢١١-٢١٢ .

(٣) انظر : بيان زغل العلم للذهبي ص/١٨وذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ص/١٣٦-١٣٧ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ٤٠٥/١ .

غيرتحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ومع ذلك فنجد من لايُحتاط في دينه ينسبهم للتجسيم ، ومذهبهم أنَّ المجسم كافر ، بخلاف مذهب الشافعية فإنَّ المجسم عندهم لا يكفر ، فقوم يكفرون المجسمة فكيف يقولون بالتجسيم[1]؟!

فَعُلم مما تقدم براءة أهل السنة من وصمة التشبيه والتجسيم والحشو ، وأنهم لم يتجاوزوا في إثبات صفات الله عز وجل إلا بأنْ وصفوا ربهم بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ إثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل على حد قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ومن ينبزهم بذلك من المعطلة فقد جار عليهم واعتدى ، وكذب وافترى ، وما حمله على رميهم بالتشبيه والتجسيم والحشو إلا قصد تنفير الناس عن منهجهم في صفات الله تعالى الذي اعتبره عن سوء فهم وقصد تشبيهاوتجسيما كذبا وزورا ، ولايضرأهل السنة ذلك فإنَّ الحق مهما حاول خفافيش الباطل إبطاله ، وصد الناس عنه فإنه يَعلوولايُعلى عليه ، وأنَّى لهؤلاء المعطلة أنْ يحجبوا عن الناس شمس العلم والمعرفة والهدى ، بأكفهم المشلولة الملطخة بأقذار التعطيل ؟!! .

○ ○ ○ ○

(١) أقاويل الثقات لمرعي الكرمي ص/٦٤ .

الفصل الثاني

امثلة ونماذج ممن وُصموا من اهل السنة بالتشبيه وبراءتهم من التشبيه وبيان أسباب نبز أهل السنة بالتشبيه ونقدها

وفيه مباحث :

المبحث الأول : براءة الإمـام ابن قتيبة من وصـمة التشبيه

المبحث الثاني : براءة الإمـام الدارمي من وصـمة التشبيه

المبحث الثالث : براءة الإمام ابن خزيمة من وصـمة التشبيه

المبحث الرابع : براءة الإمـام أبي يعلى من وصمة التشبيه

المبحث الخامس : براءة شيخ الإسلام الأنصاري الهروي من وصمة التشبيه

المبحث السادس : براءة شيخ الإسلام ابن تيمية من وصـمة التشبيه

المبحث السابع : ذكر بعض الأسباب التي اتخذها المعطلة لنبز أهل السنة بالتشبيه والحشو والتجسيم ونقدها

المبحث الأول

براءة الإمام ابن قتيبة من وصمة التشبيه

ذكرت في الفصل السابق بعض مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتشبيه والتجسيم والحشو مع نقدها ، وبيان براءة أهل السنة منها على سبيل الإجمال وفي هذا الفصل سأذكر بعض من تناولهم المعطلة من الأئمة بأسمائهم بإضافة التشبيه والتجسيم إليهم مع بيان براءتهم وبهتان من نبزهم بذلك ، كما سأبين بعض الأسباب التي اتخذها المعطلة لنبز أهل السنة بالتشبيه والتجسيم مع مناقشتها ونقدها

فمن الأئمة الذين وُصموا بمقالة التشبيه : ابن قتيبة[١] رحمه الله .

فقد تناوله سبط ابن الجوزي[٢] ووصمه بالتشبيه ، في كتابه مرآة الزمان[٣]، زاعما أنَّ الإمام الدارقطني[٤] قال : « كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه وكلامه يدل عليه » .

وذكر أنَّ الإمام البيهقي قال عنه : « كان يرى رأي الكرامية » ! ونقل هذه التهمة منسوبة لسبط ابن الجوزي بعض العلماء ومنهم الإمام الذهبي في ميزان

---

(١) تقدمت ترجمته انظر : ٣٦٩/١ .

(٢) أبوالمظفر يوسف بن قزغلي بن عبدالله شمس الدين التركي الحنفي سبط ابن الجوزي الواعظ المؤرخ الإخباري ، ذكرعنه الإمام الذهبي أنه ترفض . من مؤلفاته : « مرآة الزمان » توفي سنة ٦٥٤هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣/٢٩٦-٢٧٩وميزان الاعتدال٤/٤٧١والأعلام٨/٢٤٦ .

(٣) هذا الكتاب كما ذكرالدكتورعلي بن نفيع العلياني مخطوطا بالمكتبة الأزهريةبرقم/٤٦٩ومنه صورة على ميكروفيلم بمركز البحث العلمي بمكة برقم/٦٧٦٥ انظر كتابه : عقيدة الإمام ابن قتيبة ص/١١٣وكتاب مرآة الزمان كبيرجدا كما أخبرني أحد الأساتذة في قسم التاريخ في الجامعة الإسلامية ، مرتب حسب الحوادث التاريخية والوفيات ، وقد طبع منه جزء ليس فيه ما يتعلق بابن قتيبة !

(٤) أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الشافعي الإمام الحافظ الكبير من مصنفاته « السنن » و « العلل الواردة في الأحاديث النبوية » توفي سنة ٣٨٥هـ انظر : شذرات الذهب ٣/ ١١٦والأعلام٤/٣١٤ .

الاعتدال[١] وسير أعلام النبلاء[٢]، والحافظ ابن حجر في لسان الميزان[٣]، والإمام السيوطي[٤] في بغية الوعاة[٥]، وابن تغري بردى[٦] في النجوم الزاهرة[٧]!

وهذه التهمة باطلة لا أساس لها من الصحة ، وابن قتيبة رحمه الله بريء منها يدل على ذلك عدة أمور :

الأمر الأول : إنَّ المؤرخين القريبين من عهد ابن قتيبة كما ذكر الدكتور نافع العلياني لم يذكروا شيئا من هذه التهم التي أضافها إليه سبط ابن الجوزي .

ومنهم : الخطيب البغدادي[٨] وابن الأنباري[٩] وابن

---

(١) انظر : ٢/٥٠٣ .

(٢) انظر : ١٣/٢٩٨ .

(٣) انظر : ٤/١٥٩ .

(٤) أبوالفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي المصري الشافعي ، كان عالما مشاركا في كثير من العلوم ، من مصنفاته : « شرح سنن النسائي » و « الدررالمنثورفي التأويل بالمنثور » توفي سنة٩١١هـ انظر : شذرات الذهب ٨/٥١-٥٥ومعجم المؤلفين ٥/١٢٨ .

(٥) انظر : ٢/٦٣-٦٤ .

(٦) أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردى بن عبدالله الظاهري الحنفي ، برع في الأدب والفروسية . من مصنفاته : « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » و « حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور » توفي سنة ٨٧٤هـ انظر : مقدمة كتابه المجوم الزاهرة ١/٩-٢٨ و الأعلام ٨/٢٢٢-٢٢٣ .

(٧) انظر : ٣/٧٥-٧٦ .

(٨) تقدمت ترجمته انظر : ٢/٢٤٠ .

(٩) أبوبكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار المعروف بابن الأنباري ، كان من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة ومن أكثر الناس حفظا للشعر والأخبار . من مصنفاته : « عجائب علوم القرآن » و« شرح القصائد السبع الطوال لجاهليات » توفي سنة ٣٢٨هـ انظر : وفيات الأعيان ١/ ٥٠٣وتذكرة الحفاظ ٣/٥٧و الأعلام ٦/٣٣٤ .

النديم[١]، وابن الجوزي[٢]، والسمعاني[٣]وغيرهم !

الأمر الثاني : إنَّ الذين نقلوا هذه التهم مصدرهم الوحيد هو كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ، إذْ لم يُضيفوا إلى غيره !

الأمر الثالث : إنَّ سبط ابن الجوزي ذكر هذه التهم من غيرإسناد ، سوى قوله : قال الدارقطني ، والبيهقي ، ففي أيِّ كتاب قالا ذلك ، ومن الذي نقل عنهما ؟!

مع العلم أنَّ سبط ابن الجوزي لم يدركهما حيث توفي عام٥٣٨هـ بينما الدارقطني توفي سنة٣٨٥هـ[٤]والبيهقي متوفى سنة ٤٥٨هـ[٥]فهو قد نقل عنهما بالواسطة ولم يذكرها[٦]!

الأمر الرابع : ذكر الدكتور علي بن نفيع العلياني أنه قد بذل قصارى جهده في التنقيب عن تهم سبط ابن الجوزي لابن قتيبة ولم يعثر عليها !و لقد بذلت أيضا قصارى جهدي في البحث عن كتب الدار قطني والبيهقي لعلي أجد مالم يعثر عليه الدكتور العلياني فلم أجد ما قاله سبط ابن الجوزي !

---

(١) أبوالفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق بن أبي يعقوب المعروف بابن النديم ، صاحب كتاب : « الفهرست » من أقدم كتب التراجم ، كان معتزليا متشيعا . توفي سنة ٤٣٨هـ انظر : لسان الميزان ٧٢/٥ والأعلام ٢٩/٦ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٢٢٠/٢ .

(٣) أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي ، الإمام الحافظ وأبوالمظفر السمعاني المفسر جده ، مؤرخ رحالة ، من مصنفاته : « الأنساب » و « تاريخ مرو » توفي بمرو سنة ٥٦٢هـ انظر : وفيات الأعيان ٢٩/٣و الأعلام٥٥/٤ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ٢٣٩/٢ .

(٥) انظر : ترجمته في ٣٧٨/١ .

(٦) انظر : عقيدة الإمام ابن قتيبة للدكتور العلياني ص/١١٣-١١٥ .

الأمر الخامس : لاتقبل في ابن قتيبة مقالة سبط ابن الجوزي لأنه غير ثقة فهو رافضي[١] حاقد كذاب ، وابن قتيبة سني ، وقد انتقد الرافضة في كتابه تأويل مختلف الحديث[٢] وبين عُوار مذهبهم وكذبهم ، فلا يبعد أنْ يكون اختلق هذه التهم ونسبها إلى ابن قتيبة كذبا وزورا وتشنيعا ليشفي غيظ قلبه الحاقد على أهل السنة ومنهم ابن قتيبة رحمه الله !

قال الإمام الذهبي رحمه الله عن سبط ابن الجوزي وكتابه مرآة الزمان : « ... وألف كتاب مرآة الزمان ، فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات ، وما أظنه بثقة فيما ينقله ، بل يُجَنِّف ويُجازف ، ثم إنه ترفض ، وله مؤلف في ذلك نسأل الله العافية »[٣].

وذكر الإمام الذهبي أنه رأى له مصنفا يدل على تشيعه[٤]. وقد بحثت عن هذا المصنف فلم أجده بل لم أجد عنوانه فيما وقفت عليه غير ما ذكره خير الدين الزركلي[٥] أنه مطبوع بعنوان : « تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة » ويقصد بذلك كما ذكر الزركلي الأئمة الاثني عشر[٦] عند الرافضة الإمامية !

وذكر رحمه الله أن الشيخ محيى الدين السوسي[٧] قال : « لما بلغ جدي موت

---

(١) انظر : ميزان الاعتدال ٢/٥٠٣ .

(٢) انظر : ص/٨٤-٨٦ .

(٣) ميزان الاعتدال ٤/٤٧١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٦٩-٢٧٠ .

(٥) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ، طاف في كثير من الدول العربية والأروبية ، وتقلد عدة منا صب في دول الشام والمملكة العربية السعودية ، وكان يجيد بعض اللغات الأفرنجية ومنها الإنجليزية . من مصنفاته « شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز » ترجم لنفسه في كتابه الأعلام ٨/٢٦٧-٢٧٠ وتوفي في سنة١٩٧٦م .

(٦) انظر كتابه الأعلام٨/٢٤٦ .

(٧) لم أجد ترجمته فيما وقفت عليه !

سبط ابن الجوزي قال : « لا رحمه الله كان رافضيا »[١].

فما اتُّهم به ابن قتيبة من تلك المناكير والحكايات التي ملأَ بها كتابه مرآة الزمان فهي إذًا من قبيل الكذب والبهتان ويدل على ذلك :

١ ـ شهادة الأئمة الثقات للإمام ابن قتيبة بالعلم والصلاح والإمامة وحسن الاعتقاد وأنه على مذهب أهل السنة والجماعة ، ومن أقوالهم في ذلك ماقاله الخطيب البغدادي رحمه الله عن ابن قتيبة : « ... وكان ثقة دينا فاضلا صاحب التصانيف والكتب المعروفة ... »[٢]. وقال ابن النديم وهو شيعي : « ... وكان صادقا فيما يرويه عالما باللغة والنحو وغريب الحديث ومعانيه والشعر والفقه ، كثير التصانيف والتأليف »[٣].

فوصفه بالصدق والعلم ، والفضل ماشهد به المخالف ، إذْ لوكان كما ذكر سبط ابن الجوزي مشبها كراميا لذكره ابن النديم !

وقال عنه الحافظ أبوطاهرالسِّلَفي[٤]رحمه الله : « . . ابن قتيبة من الثقاة وأهل السنة »[٥]. وقال عنه الإمام ابن الجوزي رحمه الله : « ... وكان عالما ثقة دَينا فاضلا وله التصانيف المشهورة »[٦].

---

(١) ذكره الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/٤٧١ .

(٢) تاريخ بغداد ١٠/١٧٠وذكر جزءاً منه الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/٥٠٣ .

(٣) الفهرست لابن النديم ص/٨٥ وذكره الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٤/١٦٠ .

(٤) أبو طاهر السِّلفي أحمد بن أحمد بن محمد بن إ براهيم الأصبهاني الإمام الحافظ العلامة المحدث المفتي شيخ الإسلام ، لُقب جده أحمد « سِلَفَة » بكسر السين وفتح اللام والفاء ، وهو الغليظ الشفة . توفي سنة ٥٧٦هـ انظر : سيرأعلام النبلاء ٢١/٥ـ٣٩ .

(٥) ذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٩والحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٤/١٦٠ .

(٦) المنتظم لابن الجوزي ٥/١٠٢ .

ولوكان كما يقول سبط ابن الجوزي يميل إلى التشبيه وعلى مذهب الكرامية ، لذكر ذلك ابن الجوزي ، كما اتهم غيره بالتشبيه وألف في ذلك كتابه : « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » شنع فيه كما تقدم[١]على من يثبت الصفات الخبرية !

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد ، وإسحاق[٢]، والمنتصرين لمذاهب أهل السنة المشهورين ، وله في ذلك مصنفات متعددة ، وهو أحد أعلام الأئمة ، والعلماء والفضلاء وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون : من استنجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة ، وأنَّ كل بيت ليس فيه من تصانيفه فلا خير فيه !

وَيُقال : هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة ، فإنه خطيب أهل السنة ، كما أنَّ الجاحظ خطيب المعتزلة[٣]. وذكر الإمام صلاح الدين العلائي[٤]رحمه الله أنَّ ابن قتيبة جَارِعلى طريقة أهل الحديث في عدم تأويل الصفات[٥].

ووصفه الإمام الذهبي رحمه الله بأنه الإمام العلم ، ونقل عن كتابه تأويل مختلف الحديث ، في إثبات بعض مسائل الصفات ومنها صفة العلو[٦].

---

(١) انظر : ٢/٢٢٠و٢٢٢ .

(٢) إسحاق بن راهويه وقد تقدمت ترجمته انظر : ١/٧٩ .

(٣) انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى١٧/٣١٩-٣٩٢ .

(٤) أبو سعيد صلاح الدين خليل بن كَيْكَلْدِي بن عبدالله العلائي الشافعي الدمشقي العلامة الفقيه المحدث من مصنفاته : « المجموع المذهب في قواعد المذهب » في فقه الشافعية حققه مجموعة من الطلاب في الجامعة الإسلامية لنيل درجة الماجستير . توفي العلائي سنة ٧٦١هـ انظر : الدرر الكامنة ٢/٩٠والأعلام ٢/٣٢١ .

(٥) ذكره الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٤/١٦٠ .

(٦) انظر كتابه : العلو ص/١٩٦-١٩٧ .

وذكر رحمه الله أنَّ ما اتُّهم به سبط ابن الجوزي ابن قتيبة من كونه يميل إلى التشبيه وكان على مذهب الكرامية لم يصح ، وإنْ صح عنه فسحقا له فما في الدين محاباة[١]! كما ذكر رحمه الله أنه ما رأى لابن قتيبة في كتابه « مشكل الحديث »[٢]ما يخالف طريقة المثبتين من أنَّ أخبار الصفات تُمر ولا تتؤول[٣].

وذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله جماعة من أئمة السلف كالشافعي والخطابي ، وابن عبدالبر ، وابن رجب ، وابن كثير ، وابن قتيبة ، وغيرهم ثم قال في شأنهم : « فهؤلاء إليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف »[٤].

فهؤلاء الذين شهدوا لابن قتيبة بالعلم ، والإمامة في الدين ، وصحة الاعتقاد ، وأنه على مذهب أهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد ومنها الصفات علماء أجلاء وفيهم من كبار سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان ، فلا يُلتفت بعد شهادتهم لابن قتيبة بما ذُكر إلى مقالة رافضي كذاب ، يأتي بالمناكيروالحكايات الكاذبة ، التي لا أساس لها من الصحة !

٢ ـ إنَّ ابن قتيبة رحمه الله ألف كتابه : « الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة » رَدَّ فيه على المشبهة الممثلة ، والجهمية المعطلة ، ونزه الله عز وجل عن مقالة الطائفتين أهل التشبيه والتعطيل ، وأنكر البحث عن الكيفية ، وقياس الخالق على المخلوق ، والإفراط في إثبات الصفات المفضي إلى التشبيه .

ومما قاله في ذلك منتقدا على طائفتي المعطلة والمشبهة : « ... وتعمق آخرون في

---

(١) انظر كتابه : سير أعلام النبلاء ٢٩٨/١٣ .

(٢) وهو المطبوع بعنوان : « تأويل مشكل الحديث » .

(٣) انظر : المرجع السابق ٢٩٩/١٤ .

(٤) كتاب العقائد للإمام محمد ابن عبد الوهاب المطبوع مع الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٣٧/١ .

النظر[١] وزعموا أنهم يريدون تصحيح التوحيد بنفي التشبيه عن الخالق فأبطلوا الصفات[٢]... ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء في النفي عارضوهم بالإفراط في التمثيل ، فقالوا بالتشبيه المحض ، وبالأقطار والحدود ... وكلا الفريقين غالط ، وقد جعل الله التوسط منزلة العدل ونهى عن الغلو فيما دون صفاته من أمر ديننا فضلا عن صفاته ، ووضع عنا أنْ نُفكرفيه كيف كان ، وكيف قدر وكيف خلق ، ولم يكلفنا مالم يجعله في تركيبنا ووسعنا ... »[٣].

ثم ذكر أنَّ عدل القول في أخبار الصفات أنْ نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها من غير أنْ نقيس على ما جاء مالم يأتِ ، فنرجوا أنْ نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غدا إنْ شاء الله[٤]!

فابن قتيبة رحمه الله بين فيما ذكره بطلان مقالة أهل التعطيل والتشبيه ، وأنَّ كلا الفريقين قدحادوا عن الصراط المستقيم ، بالإفراط في نفي الصفات كما فعل المعطلة أوالإفراط في إثباتها كما فعل المشبهة ، والواجب سلوك الطريق الوسط العدل الذي هو طريق أهل السنة والجماعة ، المبني على إثبات الصفات كما وردت من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل .

فكيف يُرمى بالتشبيه وهو يرد على المشبهة ، ويسلك طريق أهل السنة في الصفات ويمدحها ، ويحث على سلوكها ، ويدعوالله أنْ يموت عليها ليكون من الناجين الفائزين يوم القيامة ؟!

٣ ـ إنَّ ابن قتيبة رحمه الله مخالف للكرامية فيما خالفوا فيه أهل السنة من آراء

---

(١) النظر في القضايا العقلية الكلامية لإثبات حدوث العالم الدال على وجود الله عند المتكلمين . !

(٢) وهم المعطلة .

(٣) الإختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص/٢٢و٤٠-٤١ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ص/٤١ .

واعتقادات فإنهم كما تقدم قد أتوا بأمور مبتدعة وصفوا الله بها مثل قولهم : إنّ الله جسم ، وقولهم : إنَّ الله تكلم بعد أنْ لم يكن متكلما[١]، وقولهم بالكيفية في صفة الاستواء ، وأنَّه تعالى مستوٍ على عرشه بمماسة أو ملاقات[٢]، وغير ذلك من المقالات التي أفضت بهم إلى التشبيه !

كما قالوا في الإيمان بأنه قول باللسان فقط[٣]ولا يزيد ولا ينقص !

وابن قتيبة رحمه الله كغيره من أئمة السلف مخالف للكرامية في هذه المسائل فلا يُطلق على الله أنه جسم ، بل لايتجاوز في صفات الله عز وجل ما ورد من ذلك في الكتاب والسنة ، ويتجنب البحث عن الكيفية والقياس المفضيان إلى التشبيه ، وقد ذكر ذلك في قوله : « نحن لاننتهي في صفاته عز وجل إلا حيث انتهى إليه رسول الله ﷺ ، ولا ندفع ماصح عنه ... بل نُؤمن بذلك من غير أنْ نقول فيه بكيفية أو حد[٤]، أو أنْ نقيس على ماجاء مالم يأتِ ، ونرجو أنْ نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة ، والتخلص من الأهواء كلها غدا إنْ شاء الله »[٥].

كما أنَّ مذهبه في الإيمان مذهب أهل السنة والجماعة ، من أنَّ الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[٦].

---

(١) تقدم موقفهم من صفة الكلام وموقف أهل السنة منه انظر : ١/٤٥٩ -٤٦٠ و٤٦٣ .

(٢) تقدم ذكره وموقف أهل السنة منه انظر : ١/٤١٦و٤٣٠ ومابعدها .

(٣) تقدم ذكره عند التعريف بهم انظر : ١/٣٠٢ .

(٤) يقصد بذلك التشبيه وقد تقدم مقصود من نفى الحد من أهل السنة انظر : ١/٤٤٥ .

(٥) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص/١٨٨-١٨٩وراجع كتابه : الاختلاف في اللفظ ص/٤١ .

(٦) انظر : تفسيراته للأحاديث الواردة في الإيمان في تأويل مختلف الحديث ص/١٥٩-١٦١وعقيدة الإمام ابن قتيبة للدكتور : العلياني ص/١١٩ .

وكذلك في إثباته لصفة الكلام على مذهب أهل السنة[١].[٢]، ولم يقل بقول الكرامية إنَّ الله تكلم بعد أنْ لم يكن كذلك !

فكيف يرى رأي الكرامية كما ذكر سبط ابن الجوزي وحكاه عنه بعض الأئمة وهومخالف لهم فيما خالفوا فيه أهل السنة والجماعة ؟!!

٤ ـ قد صرح رحمه الله بعقيدته ، وبين أنه على عقيدة أهل السنة والحديث وهم ليسوا كرامية ولا مشبهة ، كما بين رفضه للكلام المذموم[٣]، ومما قاله في ذلك : « ولو أردنا رحمك الله أنْ ننتقل عن أصحاب الحديث ، ونرغب عنهم إلى أصحاب الكلام ، ونرغب فيهم لخرجنا من اجتماع إلى تشتت ، وعن نظام إلى تفرق ، وعن أُنس إلى وحشة ، وعن اتفاق إلى اختلاف ... »[٤]. ثم ذكر بعض الأمثلة الدالة على اجتماعهم في مسائل الاعتقاد ، وأنَّ من فارقهم في شيء من ذلك نابذوه وأبغضوه ، وبدعوه وهجروه[٥].

وأصحاب الحديث الذين يرتضي ابن قتيبة عقيدتهم في عصره ويرفض من خالفهم من أهل الكلام المذموم ، هم أحمد بن حنبل ، والبخاري ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، وإسحاق بن راهويه ، وغيرهم ، وهؤلاء كلهم أئمة في عقيدة أهل السنة والجماعة ، لم يعرف عنهم تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ، ومنهجهم في الصفات مبني على الإثبات والتنزيه على وفق قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

---

(١) تقدم مذهب أهل السنة في صفة الكلام وموقفهم من الكرامية في ذلك انظر : ٤٦٢/١ .

(٢) انظر : تأويل مختلف الحديث ص/٢٣٠-٢٣١والاختلاف في اللفظ ص/١٤-١٦ .

(٣) ومن أصحاب الكلام المذموم فرق المشبهة كاليونسية والهشامية والكرامية انظر : ٢٥٣/١ و٢٥٧و٢٦١و٣٠٢ .

(٤) تأويل مختلف الحديث ص/٤٤-٤٥ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ص/٤٥ .

المبحث الثاني

براءة الإمام الدارمي من وصمة التشبيه

ومن الأئمة الذين وُصموا بالتشبيه والتجسيم : الإمام الدارمي رحمه الله .

فقد نبزه أهل الكلام المذموم من أمثال الكوثري بالتشبيه وحملوا ماقاله في رده على بشر المريسي المعتزلي في ذلك ، حيث لم يفهموا مما ذكره إلامايخص المخلوق من الصفات ، ثم زعموا أنه يقول به ويقرره !

ومن مقالاتهم : ما ذكره الكوثري أنَّ الدارمي يُحاول هندسة معبوده بالذراع والباع هكذا[١]! وأنَّ قوله : « والله تعالى له حد ... ولمكانه حد ، وهوعلى عرشه فوق سمواته ، وهذان حدان اثنان ... وكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية »[٢]أنَّ هذا الكلام كما زعم الكوثري لايدعُ مجالا لتبرئة قائله من التجسيم والتشبيه ، وما هو إلا وثنية[٣].

ومنها زعمهم أنَّ الدارمي جَوَّز استقرار معبوده على ظهر بعوضة ، وأنَّ هذا عنده أمر مفروغ منه ، وقد استدل بذلك على جواز استقراره تعالى على العرش ، الذي أوسع من ظهر البعوضة ولم ينطق أحد من البشر بمثل هذا الهَذْر قبل هذا السجزي[٤].[٥]!

وذكر أن الدارمي السجزي انخدع بالكرامية وأصبح مجسماعند تأليفه لكتاب النقض[٦]، وأنَّ الأزهر الحديث تخلى عن عقيدة التنزيه ، لأنهم أباحوا نشر كتاب

---

(١) انظر : مقالات الكوثري ص/٣٧٨ .

(٢) انظر : رد الإمام الدارمي ص/٢٣ وقدحذف منه الكوثري ماييين مقصود الدارمي من قوله بالحد كماسيأتي بيانه قريبا انظر : ٢/٢٥٧ .

(٣) انظر : مقالات الكوثري ص/٣٧٨ .

(٤) يقصد الدارمي نسبة إلى موطنه سجستان . !

(٥) انظر : تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ص/٣٧٨-٣٧٩ .

(٦) انظر : تكملة الرد على نونية ابن القيم للكوثري المطبوع مع السيف الصقيل للسبكي ص/ ٧١-٧٢ .

النقض للدارمي الذي فيه التجسيم[١].

وقد سار على منوال الكوثري في نبز الإمام الدارمي بالتشبيه والتجسيم كُلٌّ من أبي حامد بن مرزوق الذي زعم أنَّ كتاب النقض للدارمي مليء بالتجسيم والتشبيه وذكر على ذلك أمثلة ، ومنها ماذكره الكوثري واتهم به الدارمي بالتشبيه ، ومنها بعض نصوص الصفات الخبرية الذي زعم أنَّ إثباتها تشبيه وتجسيم[٢].

وادَّعى الدكتور محمد عبدالستار نصار أنَّ الأحاديث التي استدل بها الدارمي لإثبات الصفات ، والرد على بشر المريسي تشبيه وتجسيم[٣].

كما ذكر ماذكره الكوثري من القول بالحد ، وجواز استقرارالله على بعوضة الذي شنع به على الإمام الدارمي وجعله دليلا على قوله بالتشبيه والتجسيم[٤]!

والإمام الدارمي رحمه الله بريء من هذه التهم التي وصمه بها هؤلاء المبتدعة المعطلة فليس مشبها ولامجسما ولاكراميا كما زعموا ، بل هو من أهل السنة والجماعة موحد مثبت لصفات الله تعالى كما وردت ، منزه الله عز وجل عن التعطيل والتكييف والتمثيل ، وما ذكره هؤلاء المعطلة من المقالات كلها مبنية على فُهُو مهم الفاسدة ، حيث لم يفهموا من نصوص الصفات التي استدل بها الدارمي ولا من أقواله في الرد على المريسي إلا التشبيه والتجسيم ، ثم رموه بما فهموه عن سوء قصد وسوء فهم ، بقصد التشنيع والتنفير .

ويدل على براءته رحمه الله عدة وجوه :

---

(١) انظر : مقالاته ص/٣٥٢ .

(٢) انظر كتابه : براءة الأشعريين من عقائد المخالفين ص/٤و١٣و٢٠و٢٣و٢٥و٨٥ .

(٣) انظر كتابه : المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام ١/٦٠٧-٦١٠ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ١/٦٠٩-٦١٠ .

الوجه الأول : إنَّ منهجه في صفات الله تعالى منهج أهل السنة والجماعة المبني على إثبات الصفات كما وردت ، وتنزيه الله في ذلك عن التشبيه والتمثيل ، ومن أقواله الدالة على ذلك ما ذكره في معرض رده على المريسي بقوله : « ... عقلنا عن الله أنه ليس كمثله شيء ، وقد نفينا عن الله ما نفاه عن نفسه ، ووصفناه بما وصف به نفسه »(١).

وقال : « هو ـ تعالى ـ كما وصف نفسه ووصفه الرسول ﷺ »(٢).

ومعلوم عند من يقدر الله حق قدره أنه تعالى وصف نفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ بصفات الكمال مع التنزيه التام في ذلك عن التشبيه والتكييف والتمثيل .

وقال في معرض رده على المريسي الذي وصم أهل السنة بالتشبيه : « فإنْ كنا مشبهة عندك إذْ وحدنا الله إلها واحدا بصفات أخذناها عنه ومن كتابه ، فوصفناه بما وصف به نفسه في كتابه ، فالله في دعواكم أول المشبهين نفسه ، ثم رسوله الذي أنبأنا ذلك عنه »(٣).

وهذه حجة بالغة وبرهان جلي أنَّ من يتهم أهل السنة بالتشبيه ، لإثباتهم صفات الله الواردة في الكتاب والسنة ، فقد إتهم الله بذلك ، لأنَّ الله هوالذي وصف نفسه بذلك ، وأنزله بذلك وحيا على رسوله ﷺ ، وأهل السنة متبعون للكتاب والسنة ، فمن وصمهم بالتشبيه والعياذ بالله فقد نبز الله ورسوله بذلك!! .

وذكر رحمه الله بعض صفات الله عز وجل كما وردت في الكتاب والسنة ثم أورد بعد ذلك قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٤).

---

(١) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٧٤ .

(٢) المرجع نفسه ص/٨٠ .

(٣) المرجع نفسه ص/٤٣ .

(٤) انظر : الرد على الجهمية للدارمي ص/٤ .

وهذا يدل على أنه رحمه الله يثبت صفات الله وفق هذه الآية الجامعة بين الإثبات والتنزيه ، فلا يُعطل كما فعل المعطلة ، ولايمثل كما فعل المشبهة ، بل يثبت صفات الله بلا تمثيل وينزهه بلا تعطيل .

الوجه الثاني : إنَّ الإمام الدارمي رحمه الله قدأبطل مقالة المشبهة ، وبين براءة أهل السنة منها ، ونزه الله عن ذلك ، وبين أنَّ من شبه صفات الله بصفات خلقه كافر عند أهل السنة ، ذكر ذلك في صدد رده على المريسي المعطل الذي نبز أهل السنة بالتشبيه والتجسيم ومما قاله في ذلك : « أولم تسمع أيها المريسي قول الله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وكما أنه ليس كمثله شيء ، فليس كسمعه سمع ، ولا كبصره بصر ، ولاهما عند الخلق قياس ولامثال ولا شبيه فكيف تقيسهما أنت بشبه ماتعرفه من نفسك وقد عبته على غيرك ؟ »[١].

وبين رحمه الله براءة أهل السنة من وصمة التشبيه ، وأنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما أخبر به الصادق المصدوق من صفات ربه ، ومن جعل إثبات الصفات تشبيها فهو ظالم لنفسه جاهل بالتشبيه[٢].[٣].

وأنَّ هؤلاء المعطلة الذين ينبزون أهل السنة بالتشبيه ، إنما يُشنعون عليهم بذلك تلبيسا على الجهال حتى تنفق بضاعتهم في التعطيل ، وأهل السنة بريئون من ذلك ، بل هم مؤمنون بصفات الله تعالى ، مصدقون الله ورسوله فيها ، بغير تكييف ولا تمثيل[٤].

وبين رحمه الله أنَّ تشبيه الله تعالى بما هو موجود في الخلق ليس خطأً فقط كما

---

(١) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٤٥ .

(٢) تقدم مفهوم التشبيه عند المتكلمين ونقده انظر : ٨٦/١ .

(٣) انظر : المرجع السابق ص/٤٣ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ص/٢١ .

ذكر المريسي ، بل هو عند أهل السنة كفر ، وهم لتكييفها وتشبيهها بما هوموجود في الخلق أشد أنفا من المعطلة النفات !

غير أنهم كما لا يُشبهونها بصفات المخلوقين ، ولا يُكيفونها لا يكفرون بها ولا يُكذبون بنصوصها ، ولا يُبطلونها بتأويل الضلال المعطلة[١]، بل يثبتونها كما وردت بلا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل !

وذكرفي مقام رده على المريسي الذي وصم أهل السنة بالتشبيه ، وزعم أنَّ إثبات صفة الاستواء كإثبات مخلوق على مخلوق ، وأنه لا يقول بذلك ، فرد عليه الإمام الدارمي بقوله : « ... لا يُقال لله إنه على العرش كمخلوق على مخلوق ، ولكن ملك كريم خالق غير مخلوق على عرش عظيم مخلوق ، على رغمك وأنت ملوم ، فمن لم يُؤمن به أنه كذلك ، فقد كفر بما أنزل الله ، وجحد آيات الله ، ورد أخبار رسول الله ﷺ »[٢].

ثم ذكر أن قول المريسي كمخلوق على مخلوق ، تشبيه ودلسة ، وكلفةلم نكلف بها في ديننا ولكن نقول كما قال الله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[٣].

الوجه الثالث : بين الإمام الدارمي رحمه الله أنَّ المعطلة الذين يرمون أهل السنة بما هم بريئون منه هم في الحقيقة مشبهة ممثلة ، لأنهم شبهوا الله تعالى بالمعدومات !

ومما ذكره في ذلك في صدد رده على المريسي أنه بنفيه صفة السمع والبصر والكلام واليد ، قدوصف ربه بأصم وأعمى وأبكم وأقطع ، فمعبوده أصم لا سمع له ، وأعمى لا بصر له ، وأبكم لا كلام له ، وأقطع لا يدان له ، وليست هذه بصفة إله المصلين .

---

(١) انظر : المرجع نفسه ص/٢٢ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص/٧٧ـ٧٨ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ص/٧٨ .

ثم إنه وحاله هكذا مشبه معطل ، يستجيز أنْ يسمي أهل السنة وأهل المعرفة بصفات الله المقدسة : مشبهة ، إذْ وصفوا الله بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وإذا كانت الصفات التي وصفوه بها فيها اشتراك في اللفظ والمعنى العام[١] بما هو موجود ببني آدم ، وقد وصفوا الله تعالى بها بلا تكييف ولا تمثيل فهم بذلك ليسوا مشبهة ، بل هم مثبتون للصفات الذي زعم أنه تشبيه ، إذْ وصفوا الله بما صف به نفسه بلا تكييف ولا تشبيه !

فلولا أنها كلمة هي محنة الجهمية التي بها ينبزون المؤمنين ماسمى هذا المبتدع أهل السنة مشبهة ، والحقيقة أنه المشبه الممثل المعطل !

فادَّعى هو وطائفته المعطلة على أهل السنة الذين لايكيفون ولايشبهون : التكييف والتشبيه ، وهو وطائفته دائبون يكيفون ويشبهون بأقبح الأشياء ، وأبطل الأمثال[٢] [٣]!

الوجه الرابع : إنَّ ماذكره الكوثري وأضرابه كأبي حامد ابن مرزوق وغيره من أنَّ الدارمي قدأثبت لله مالم يصف به نفسه فأثبت له الحد ، وأنَّ ذلك لايدع مجالا لقائله بالتشبيه فقدكذبوا في ذلك ، فإنَّ من أثبت الحد من أهل السنة ومنهم الدارمي لم يثبت صفة اسمها الحد ، بل قالوا بذلك لما امتحنوا بأمثال الكوثري نفاة الصفات بنفي الحد ، فَرَدَّ عليهم أهل السنة بإثبات الحد وبينوا مقصودهم بذلك وهو : أنَّ الله له صفات تميزه عن غيره من المخلوقات ، ومنها صفة الاستواء ، التي أنكرها المعطلة ، وزعموا أنَّ إثباتها فيه حد لله تعالى يقتضي التمثيل ، وقد تقدم بيان

---

(١) تقدم أنَّ ذلك لا يقتضي التشبيه انظر : ٣٥٨/١ .

(٢) سيأتي بيان وقوع المعطلة في مقالة التشبيه انظر : ٣٧٥/٣ .

(٣) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٤٢و٧٤-٧٥ .

مقصود من أثبت الحد لله تعالى من أهل السنة على وجه التفصيل[١] ثم إنَّ الكوثري فيما نقله من كتاب النقض للدارمي[٢]ليشنع عليه به من أنه يثبت الحد وأنَّ هذا كمازعم تشبيها وتجسيما فإنه مدلس مزور قد حذف من كلام الإمام الدارمي مايبين مقصوده من إثبات الحد لله تعالى ، وأنا أنقل كلام الإمام الدارمي ليُعلم تمويه الكوثري وكذبه وتدليسه! قال الإمام الدارمي رحمه الله : « والله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره ، ولا يجوز لأحد أنْ يتوهم لحده غاية في نفسه ، ولكن نؤمن بالحد ، ونكل علم ذلك إلى الله ، والمكانة أيضا حد ، وهو على عرشه فوق سمواته ، فهذان حدان اثنان »[٣].

فحذف الكوثري ما تحته خط من كلام الإمام الدارمي وزعم أنَّ هذا نص كلامه[٤]، ليشنع عليه بالتشبيه والتجسيم الذي هو بريء منه ، لأنَّ الكوثري أدرك أنه لو ذكر كلام الدارمي كله لافتضح من أول وهلة ، فأراد بذلك أنْ يُموه ويشنع ، مع أنه حتى بعد حذفه بقي ما يدل على كذبه وبهتانه !

فالكوثري محرف مشنع يطعن على الأئمة ويحرف كلامهم ويتنقص من شأنهم للتنفير منهم ومن مذهبهم في الصفات الذي اعتبره تشبيها ولقد أحسن العلامة الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله في رده على الكوثري وبيان عواره وبراءة الأئمة من مطاعنه في كتابه : « التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل » كذلك بين مطاعنه ومطاعن تلميذه أبي غدة على علماء الأمة ونقدها الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه : « براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة » فيحسن

---

(١) انظر : ١/٤٥٠ .

(٢) انظر : ١/٣٥١ .

(٣) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٢٣ .

(٤) انظر : مقالاته ص/٣٧٨ .

الرجوع إلى الكتابين !

وما ذكره الكوثري قد ردَّ به الدارمي على المريسي وأضرابه المعطلة الذين نفوا الحد ونفوا به الاستواء ، فرد عليهم بأنَّ الله له حد ، أي : صفة تميزه عن غيره ، من كونه تعالى مستو على عرشه بائنا من خلقه ، وليس كما زعم المريسي وأمثاله أنه تعالى في كل مكان مع خلقه بذاته(١).

ولكنْ حد صفته التي يتميز بها عن خلقه وكيفيتها وحقيقتها لا يعلمها أحد غيره ولا يجوز لأحد أنْ يتوهم أنَّ له حدا موصوفا بمايميزه عن غيره من الصفات وأنَّ هذا الحد له غاية ونهاية يدركها وصف واصف ، فإنَّ حقيقة ذلك وكيفيته لا يعلمها إلا الله تعالى .

وعلى المسلم أنْ يؤمن بصفات الله تعالى ومنها صفة الاستواء التي يتميز بها الخالق عن المخلوق ، ويؤمن بعرش الله تعالى ، فهذان حدان اثنان يجب الإيمان بهما : عرش الرحمن ، واستواؤه عليه كما يليق بجلاله وعظمته .

هذا ما يدل عليه كلام الإمام الدارمي السابق ، ويدل على ذلك ذكره لنصوص العلو والاستواء كقول الله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] وقول الله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠] وقوله ﷺ للجارية : « أين الله ، قالت في السماء . قال : اعتقها فإنها مؤمنة »(٢).

وقول عبد الله بن المبارك رحمه الله عندما سُئل : بِمَ نعرف ربنا ، قال : بأنه على العرش ، بائن من خلقه ، قيل : بحد ، قال : بحد »(٣).

فذكر الإمام الدارمي هذه النصوص والأثر ليُفسر به الحد الذي قاله للرد به على من نفاه ونفى به الاستواء ، وبين به أنَّ الله تعالى موصوف بصفات الكمال ، متميز عن

---

(١) انظر : رد الإمام الدرمي على بشر المريسي ص/٨٦ .

(٢) تقدم عزوه انظر : ٢/٧٧و٣١٠١ .

(٣) تقدم عزوه انظر : ١/٤٥٠ .

خلقه باستوائه على عرشه ، وليس كما يزعم الجهمية أنه مع خلقه بذاته كالمريسي وأضرابه المعطلة !! فالكوثري وأضرابه المتكلمون أهل بدع وأهواء ، ينبرون أهل السنة بما يفهمون من التجسيم والتشبيه ، ويسلكون لتقرير ذلك منهجَ التحريف والتزوير والكذب والبهتان !

أما ما ذكره الكوثري وأضرابه من أنَّ الدارمي يُجَوِّز استقرار معبوده على ظهر بعوضة ، ليستدل بذلك على جواز استقراره علىالعرش فإنَّ هذا من التشنيع فالدارمي رحمه الله لم يُجَوِّز استقرار الله على ظهر بعوضة ، وحاشاه أنْ يقول بذلك ، فإنَّ هذا يرأ عنه العامة ، فضلا عن عالم بالكتاب والسنة ، وإنما مقصوده بقوله : « ولو قد شاء لاستقرعلى ظهر بعوضة ، فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم ، أكبر من السموات السبع والأرضين السبع »[١].

مقصوده بذلك كما ذكر الشيخ مراد شكري أنَّ الله في استوائه على عرشه واستقراره عليه غير محتاج للعرش ، وأنَّ الله غني عن العرش غِناه عن البعوضة سواءً بسواءٍ وهذا غير خاف على أهل العلم ، فإنَّ « لو » في اللغة : أداة امتناع لامتناع فلا هو شاء « ولا هو استقر على ظهر بعوضة ، كما هومعلوم ، وهذا ما أراده الإمام الدارمي رحمه الله والمعنى صحيح لا غبار عليه[٢].

والدارمي رحمه الله عندما قال هذا الكلام الذي حرف معناه الكوثري ، إنما كان يرد به على المريسي المعطل ، الذي زعم أنَّ استواء الله على عرشه يلزم منه أنْ يكون أصغر منه أو أكبرمنه ، وكيف يحمله الملائكة ، ونحوذلك من المقالات[٣]التي مبناها على قياس الخالق على المخلوق المفضية إلى التشبيه !

---

(١) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي/٨٥ .

(٢) انظر : دفع الشبه الغوية عن شيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ مراد شكري ص/١٢٨ .

(٣) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٨٥ .

فرد عليه الدارمي بأنَّ الله عز وجل أعظم من كل شيء ، وأكبر من كل شيء ، وأنَّ الملائكة ماحملوا العرش بقوتهم ، ولكن حملوه بقدرته ومشيئته وإرادته ، وحوله وقوته ، ولولا ذلك ما أطاقوا حمله(١).

ثم ذكر ما يبين استغناء الله عن العرش ، وعن جميع خلقه ، وأنه لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة ، فاستقلت به بقدرته ، ولطف ربوبيته ، لكنه لم يشأولم يفعل ، بل استوى كما أخبر على عرش عظيم(٢)، فلا يُنْكَر استواء الله على عرشه ، بالأقيسة الفاسدة ، لأنَّ الله عز وجل لا يُقاس بخلقه ولايُشبه بهم ، فالمخلوق إذا استوى على مخلوق فإنما يكون عن احتياجه إليه ، والله عز وجل في استوائه على عرشه غني عنه ، وعن جميع خلقه . وسيأتي الرد على من يقول إنَّ استواء الله على عرشه ، وحمل الملائكة للعرش يلزم منه أنْ يكون الملائكة حاملين لله ، سيأتي الرد على ذلك وتنزيه الله عنه(٣)! .

وبهذا يتين أنَّ مقصود الدارمي بمقالته التي شنع بها عليه المعطلة إنما يقصد كما تقدم إنَّ الله غني عن العرش وعن كل ماسواه ، غناه عن البعوضة سواء بسواء ، ولو شاء لاستقر على ظهر بعوضة ، لكنه لم يشأ ولم يفعل ، بل استوى على عرشه عز وجل كما يليق به .

وهذا لا اعتراض عليه عند ذوي العقول السليمة ، التي لم تفسد بالكلام المذموم ، لكن أهل الأهواء والبدع لاسيما في العصور المتأخرة أبوا إلا أنْ يفهموا من كلام سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان إلا التشبيه والتجسيم !!

---

(١) انظر : المرجع نفسه ص/٨٥ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص/٨٥ .

(٣) عند بيان وقوع المعطلة في مقالة التشبيه في الباب الرابع انظر : ٣/٣٨٣ - ٣٨٦ .

الوجه السادس : أما مقالة الكوثري إنَّ الدارمي انخدع بالكرامية وأصبح مجسما مثلهم مقالة باطلة فإنَّ من يقرأ مصنفاته يجد أنه مخالف لهم في كل ما ذهبوا إليه من آراء واعتقادات تخالف الكتاب والسنة ، فالكرامية كما تقدم يطلقون على الله أنه جسم[١] والدارمي رحمه الله قد ردَّ على هذه المقالة واعتبرها بدعة ، فقال في صدد رده على المريسي : « وأما قولك كجسم على جسم ، فإنا لا نقول : إنه كجسم على جسم لكن نقول : رب عظيم وملك كريم كبير ، نور السموات والأرض ، وإله السموات والأرض على عرش مخلوق عظيم فوق السماء السابعة »[٢].

وإذا كانت الكرامية كما تقدم[٣] قد وافقت أهل الكلام المذموم على الأدلة الكلامية التي عارضوا بها وحي الله تعالى ، فإنَّ الإمام الدارمي رحمه الله لا يستدل إلا بأدلة الكتاب والسنة في تقرير مسائل الاعتقاد ، أوالأدلة العقلية الموافقة لصحيح المنقول ، وقد صرح بهذا في قوله : « ... فالمعقول عندنا ما وافق هديهم ، والمجهول ماخالفهم هديهم ، ولاسبيل إلى معرفة هديهم إلا هذه الآثار ... »[٤].

فبين رحمه الله أنَّ المعقول عند أهل السنة ماوافق هدي الصحابة رضوان الله عليهم ، والمجهول ماخالف هديهم ، ولاسبيل لمعرفة هديهم ومنهجهم إلا الآثار المروية عنهم ، والأحاديث المتصلة السند إلى رسول الله ﷺ .

وإذا كانت الكرامية كما تقدم يجعلون بعض صفات الله حادثة اتصف الله بها بعد أنْ لم يكن كذلك ، كصفة الكلام[٥].

---

(١) انظر : ٢/٩-١١ .

(٢) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٧٩ .

(٣) انظر : ١/٣٠٣و٣١٠و٣٥٤و٤١٦و٢/٩-١٠و٨٥و٨٧و١١٧-١١٩و١٢٩-١٣١ .

(٤) المرجع السابق ص/٦٧ .

(٥) انظر : ١/٤٥٩ - ٤٦٠و٤٦٣و٤٦٤ .

فإنَّ الإمام الدارمي رحمه الله مُخالف لهم في هذا المنهج ، فقد قال رحمه الله في صفة الكلام : « فالله هو المتكلم أزلا وآخرا ، إذْ لا متكلم غيره ، ولا يزال له الكلام إذْ لا يبقى متكلم غيره ... »[١].

فهو رحمه الله يثبت بهذا الكلام كلام الله تعالى أزلا وأبدا ، فنوع الكلام أزلي وآحاده حادث ، لم يزل عز وجل له الكلام ولا يزال متكلما أزلا وأبدا ، يتكلم متى شاء وكيف شاء[٢]. وقد أنكر رحمه الله على بشر المريسي الذي جعل كلام الله حادثا مخلوقا فأنكر عليه بقوله : « ... فالله بزعمك كان بلا كلام ، حتى خلق لنفسه كلاما ... فتمت به ربوبيته ووحدانيته ، وأمره ونهيه بزعمك »[٣]!

فكذب مقالته هذه وجعلها زعما وافتراءً ، وبين أنَّ وصف الله بالربوبية والوحدانية ، وأنَّ له أمرا ونهيا لايتم إلا بأنْ يكون عز وجل متكلما أزلا وأبدا متى شاء وكيف شاء .

وإذا كانت الكرامية كما تقدم[٤]قد بحثوا عن كيفية استواء الله على عرشه حتى قالوا : إنَّ استواء الله بملاقات أوبمماسة فإنَّ الإمام الدارمي يثبت صفة الاستواء كما وردت بلا تكييف ولا تمثيل ، وينهى عن البحث عن الكيفية لما يفضي إليه من التمثيل[٥].

وَرُوِي أنَّ الإمام الدارمي رحمه الله قد قام على ابن كرام زعيم طائفة الكرامية فطرده عن هراة[٦].[٧]. وإذا كان الأمر كذلك فأين موافقته للكرامية فيما خالفوا

(١) الرد على الجهمية للدارمي ص/٦٧ .

(٢) تقدم بيان ذلك على وجه التفصيل انظر : ١/٤٥٨ - ٤٦٤ .

(٣) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/١١٢ .

(٤) انظر : ١/٤١٦ - ٤١٨ .

(٥) انظر : المرجع السابق ص/٢٢و٧٨-٧٩ .

(٦) مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان يوجد بها بساتين ، وكان فيها علماء كثيرون وأهل فضل وثراء انظر : معجم البلدان ٥/٣٩٦-٣٩٧ .

(٧) ذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٣/٣٢٣ .

فيه السلف من التجسيم والتشبيه ، والبحث عن الكيفية المفضية إلى ذلك ؟ وأين موافقته لهم وهويطرد زعيمهم محمد ابن كرام ، وما طرده إلا لما رأى عنده من البدع المخالفة لهدي السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

الوجه السابع : أما ما ذكره الكوثري من أنَّ الأزهر الشريف تخلى عن عقيدته في التنزيه ، وأباحوا نشركتاب النقض للدارمي الذي فيه التجسيم والتشبيه كما زعم فإنَّ مقصوده بالتنزيه تعطيل صفات الله تعالى وتأويلها لِتوهم التشبيه المزعوم ومقصوده بالتجسيم والتشبيه إثبات الصفات كما وردت من غير تأويل !

فهؤلاء المعطلة ومنهم الكوثري انعكست عندهم المفاهيم ، بسبب فساد عقولهم بالكلام المذموم ، فجعلوا تأويل الصفات وتعطيلها تنزيها ، وهو في الحقيقة تحريفا وتعطيلا !! وجعلوا إثبات الصفات كما وردت تجسيما وتشبيها !!

قال الإمام ابن القيم رحمه الله مبينا فساد مقالتهم هذه ، وتنزيه الله عما زعموه تنزيها ، ووجوب إثبات الصفات كما وردت ، وعدم جحدها لتسمية المعطلة لمن أثبتها مشبها مجسما ، قال في ذلك :

فإن كان تجسيما ثبوت استوائه على عرشه إني إذا لمجسم
وإن كان تشبيها ثبوت صفاته فعن ذلك التشبيه لا أتكتم
وإن كان تنزيهاجحود استوائه وأوصافه أوكونه يتكلم
فعن ذلك التنزيه نزهت ربنا بتوفيقه والله أعلى وأعلم[1].

والأزهر إلى يومنا هذا منهجه في مسائل الصفات وغيرها من مسائل الاعتقاد منهج الأشاعرة الكلامي ، الذي سموه منهج أهل السنة[2] ادِّعاءًا منافيا للحق

---

(١) الصواعق المرسلة ٣/٩٤٠ .

(٢) تقدم بيان أنَّ الأشاعرة ليسوا من أهل السنة في مسائل الصفات انظر : ١/٤٦ ـ ٥١ .

والصواب ، وهو مبني على أصول المتكلمين وأدلتهم العقلية الفلسفية ، تنقضي على الطالب سنون عديدة وهو بعيد عن هدي الكتاب والسنة ، خائض في المسائل الكلامية البالغة الصعوبة ، المبنية على الجدل والخصومات ، بالأدلة الغامضة الصعبة على طريقة إنْ قالوا قلنا ، التي لا تزيد الخائض فيها إلا الحيرة والشك وفساد الاعتقاد !

فإنْ كان الأزهر في زمان الكوثري قد سمح بنشر كتاب النقض للدارمي فقد أحسن صنعا ، وليت القائمين عليه تخلوا عن منهجهم الكلامي ، ورجعوا إلى منهج سلف الأمة وأئمتها المبني على هدي الكتاب والسنة ، لتتحد كلمة المسلمين !

أما كتاب الدارمي « النقض » الذي يمتعض الكوثري من نشره ، ويصفه بالتجسيم والتشبيه ، فلاغرابة في ذلك ، فإنَّ الإمام الدارمي نقض فيه منهج أهل التعطيل المبني على الكلام المذموم ، ونصر فيه منهج أهل السنة المبني على وحي الله ، وهذا الصنيع عند الكوثري وأضرابه بدعة ، وتشبيه وتجسيم يجب عدم نشره والخلاص منه !!

وقد انتشرت والحمد لله كتب أهل السنة بسبب انتشار منهج السلف ، وظهور أنصاره ، لاسيما في المملكة العربية السعودية دولة التوحيد والسنة والجماعة ، حرسها الله فليمت غيظا من يسلك منهج الكوثري في عدائه لأهل السنة وكتبهم كمنصور عويس[١] وحسن السقاف[٢]، وعبد الله الحبشي[٣] وأمثالهم أهل التحريف والتعطيل ، والكذب والبهتان !

---

(١) الذي ألف كتابا سماه « ابن تيمية ليس سلفيا » نبز فيه شيخ الإسلام بالتشبيه والتجسيم كما سيأتي انظر : ٢/٣١٨ .

(٢) الذي حذر من كتب السلف وسماها كتب التشبيه والتجسيم كما تقدم .

(٣) الذي ألف كتابا سماه « الدليل القويم على الصراط المستقيم » نبز فيه أهل السنة بالتشبيه لاسيما شيخ الإسلام كما سيأتي انظر : ٢/ ١١٧ - ٣١٨ .

وقد أثنى الأئمة الأعلام على الإمام الدارمي الذي وصفه المعطلة بالتشبيه والتجسيم ، فوصفه أهل العلم والإنصاف بالعلم والإمامة ، وبأنه كان على منهج أهل السنة والجماعة فقد قال أبو الفضل الجارودي[١] رحمه الله : « كان عثمان بن سعيد إماما يُقتدى به في حياته وبعد مماته »[٢].

وذكر الإمام الذهبي رحمه الله أنَّ الإمام الدارمي أخذ علم الحديث وعلله عن علي بن المديني ، ويحيى بن معين[٣]، وأحمد بن حنبل ، وفاق أهل زمانه ، وكان لهجا بالسنة ، بصيرا بالمناظرة[٤]. وقال أيضا : « ... كان عثمان الدارمي جِذْعًا في أعين المبتدعة ، وهو الذي قام على محمد بن كرام وطرده من هراة »[٥].

ووصفه الإمام ابن القيم رحمه الله بقوله : « ... الإمام حافظ أهل المشرق وشيخ الأئمة عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله »[٦].

وبعد هذه الشهادة للإمام الدارمي من هؤلاء الأئمة الأعلام ، أهل العلم والإيمان لا يلتفت إلى أهل الكلام المذموم ، أهل التحريف والتعطيل ، أمثال الكوثري وأضرابه الذين اتخذوا منهج الشتم والنبز والعدوان والكذب طريقا لهم للتشنيع والتنفير عن أهل السنة ومنهجهم في مسائل الصفات !

وقد أوصى شيخ الإسلام رحمه الله بكتاب الإمام الدارمي « النقض على المريسي »

---

(١) أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد الجارودي الهروي الإمام الحافظ المتقن الجوال المتوفي سنة ٤١٣هـ انظر : سيرأعلام النبلاء ١٧/٣٨٤-٣٨٦ .

(٢) ذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٣/٣٢٤ .

(٣) تقدمت ترجمة ابن المديني ويحيى بن معين انظر : ١/٦١ و٢/٢٦٥ .

(٤) انظر : سيرأعلام النبلاء ١٣/٣٢٠ .

(٥) المرجع نفسه ١٣/٣٢٣ .

(٦) اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٨٩ .

الذي وصفه هؤلاء المعطلة بكتاب التجسيم والتشبيه ، واعتبر تلميذه الإمام ابن القيم رحمه الله من أجل الكتب المصنفة على مذهب أهل السنة ، وحث على قرآءته ومطالعته والاستفادة منه ، حيث قال في ذلك : « وكتاباه[١]من أجل الكتب في السنة وأنفعها ، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ماكان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أنْ يقرأكتابيه وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يُوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ، ويعظمهما جدا وفيهما من تقرير التوحيد ، والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما »[٢].

فَعُلم مما تقدم براءة الإمام الدارمي من وصمة التشبيه والتجسيم وأنه مثبت لصفات الله كما وردت ، منزه الله تعالى عن التكييف والتشبيه والتعطيل ، وأنه ليس كراميا كما زعم أهل البدع ، بل هو من أئمة أهل السنة والسلف أهل العلم والإيمان .

O O O O

(١) أي : الرد على الجهمية ، والنقض على المريسي .

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٩٠ .

المبحث الثالث

براءة الإمام ابن خزيمة من وصمة التشبيه

ومن الأئمة الذين وُصموا بالتشبيه إمام الأئمة[١]ابن خزيمة رحمه الله فقد نبزه المعطلة بالتشبيه ، ووصفوا كتابه التوحيد بأنه كتاب شرك ، ومن الذين قاموا بذلك أبو عبد الله الرازي الذي تهجم عليه فوصفه بأنه رجل مضطرب الكلام ، قليل الفهم ، ناقص العقل ، وذكر أنَّ كتابه الذي سماه التوحيد هو في الحقيقة كتاب شرك[٢]!

وسار على منواله الكوثري فحمل على الإمام ابن خزيمة وزعم أنه قد أساء إلى نفسه بتأليفه لكتاب التوحيد ، وأنه سقط من مرتبة العلماء حينما خاض فيما لايحسنه[٣]. وله كلام في الوجه[٤]والمماثلة لا يدع له وجها يُواجه به أهل العلم وادَّعى أنَّ مثله لايلتفت إليه في باب الاعتقاد[٥]، وأنَّ مذهبه في تحقيق الظاهر أفضى به إلى القول بالتشبيه[٦].

ونبزه الدكتور : محمد عبد الستار نصار بالتشبيه ، وذكر أنه يكفي في الاستدلال على ذلك أنه جعل لإثبات كل عضو لله بابا في كتابه ، وحق فيه قول الرازي : إنه كتاب الشرك وليس كتاب التوحيد[٧].

والإمام ابن خزيمة رحمه الله بريء من هذه التهم الباطلة التي وصفه بها هؤلاء

---

(١) ذكر هذا اللقب شيخ الإسلام ابن تيمية انظر : الفتوى الحموية الكبرى ص/ ٣١وضمن مجموع الفتاوى ٥/٥٢والإمام الذهبي في كتابه العلو ص/٢٠٧ .

(٢) انظر : التفسير الكبير للرازي ٢٧/١٥٠ .

(٣) انظر : تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي ص/٣٤٠-٣٤١و٢٦٩ .

(٤) يقصد صفة الوجه . !

(٥) انظر : المرجع السابق ص/٣٥١-٣٥٢ .

(٦) انظر : المرجع نفسه ص/٣٥٠-٣٥١ .

(٧) انظر كتابه : المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام ١/٦١٦ .

المعطلة ، ومقالاتهم فيه خارجة عن العدل والاستقامة ، مبنية على السب والشتم والتهويل الذي يترفع عنه حتى العامي الجاهل ، فضلا عمن ينتسب إلى العلم !

وهو رحمه الله ليس مشبها ولامضطربَ الكلام قليل الفهم ، بل هو موحد عالم ، إمام من كبار أئمة أهل السنة والجماعة ، وكتابه كتاب توحيد وتنزيه ، لا كتاب شرك وتشبيه ، ويدل على براءته مما وصمه به هؤلاء المعطلة وجوه :

الوجه الأول : إنَّ الإمام ابن خزيمة رحمه الله سلفي العقيدة ، سائر على منهج أهل السنة في صفات الله تعالى المبني على إثبات الصفات كما وردت بلا تمثيل ، وتنزيه الله في ذلك عن التشبيه بلا تعطيل ، وقد صرح بذلك في مواضع كثيرة من كتابه التوحيد من ذلك قوله : « فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أنْ نثبت لله ما أثبته الله لنفسه ، نقر ذلك بألسنتنا ، ونصدق بذلك بقلوبنا ، من غير أنْ نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين عَزَّ ربنا عن أنْ يشبه المخلوقين ، وَجل ربنا عن مقالة المعطلين وعز أنْ يكون عدما كما قاله المبطلون »(١).

وقال رحمه الله : « نحن نثبت لخالقنا ـ عز وجل ـ صفاته التي وصف الله عز وجل بها نفسه في محكم تنزيله ، أوعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ مماثبت بنقل العدل عن العدل موصولا إليه »(٢).

فبين رحمه الله منهجه الذي سارعليه في صفات الله وهو أنه منهج أهل السنة المبني على إثبات الصفات كما وردت في القرآن الكريم ، أوفيما صح سنده إلى رسول الله ﷺ ، وتنزيه الله في ذلك عن تشبيه صفاته بصفات المخلوقين ، وعن وصفه بصفات العدم بتعطيل صفاته كما فعل المعطلة المبطلون !

---

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/٢٦ .

(٢) المرجع نفسه ١/٥٧ .

ومن سار على منهج أهل السنة في إثبات الصفات ، وأثبت صفات الله من غير تأويل فهو عند المعطلة مشبه ، لأنَّ إثبات الصفات عندهم تشبيه ، وتأويل نصوصها وتعطيلها تنزيه ، هكذا انحرفت أفها مهم بالكلام المذموم فسموا التوحيد شركا ، وإثبات الصفات تشبيها ، وتعطيلهم توحيدا وتنزيها ، ونبزوا أهل السنة بماهم بريئون منه فزعموا أنهم مشبهة ظلما وجهلا وعدوانا .

الوجه الثاني : إنَّ الإمام ابن خزيمة رحمه الله نزه الله تعالى عن مقالة التشبيه والتعطيل ، وبرأ أهل السنة من وصمة التشبيه ، كما وضح رحمه الله أنَّ الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق لا يقتضي التشبيه كما تصور المعطلة ، ومما ذكره في ذلك قوله : « ... تعالى ربنا عن صفات المحدودين[١]، وتقدس عن شبه المخلوقين ، وتنزه عن مقالة المعطلين »[٢].

وقال رحمه الله : « ... عَزَّ ربنا عن أنْ يشبه المخلوقين ، و جل ربنا عن مقالة المعطلين . . »[٣]وبين رحمه الله براءة أهل السنة من وصمة التشبيه حيث ذكر أنَّ الجهمية المعطلة تزعم أنَّ أهل السنة القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ، المثبتين لله عز وجل صفاته الواردة في الكتاب والسنة تزعم أنهم مشبهة جهلا منهم بكتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه ﷺ ، وقلة معرفتهم بلغة العرب ، الذين بلغتهم نُحوطبنا[٤].

ثم ذكر أنَّ الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق لا يقتضي المماثلة ، وأنَّ من يثبت ذلك ليس مشبها .

---

(١) يقصد المحدَثين ، فإنَّ المخلوق محدود العمر في الدنيا .

(٢) كتاب التوحيد ٧/١ .

(٣) المرجع نفسه ٢٦/١ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ٥٣/١ .

وأنه ليس في تسمية أهل السنة ووصفهم الله تعالى بأسماء وصفات فيها اشتراك في اللفظ والمعنى العام مع بعض أسامي خلقه وصفاتهم بِمُوجب عند العقلاء الذين يعقلون عن الله خطابه أنْ يقولوا : إنكم شبهتم الله بخلقه ، إذْ أوقعتم بعض أسامي الله وصفاته على خلقه ، وهل يمكن لهؤلاء الجهال حَلُّ هذه الأسامي من المصاحف ، أو محوها من صدور أهل القرآن ، أو ترك تلاوتها في المحاريب ، وفي الجدران والبيوت[١]؟! .

حاشا أنْ يكون من وصف الله عز وجل بما وصف به نفسه ، أو على لسان نبيه المصطفى ﷺ مشبها خالقه بخلقه ، ولكن نَبْز هؤلاء المبتدعة أهل السنة بالتشبيه إنما هو من تمويهاتهم على الرعاع والسفل والجهال[٢]حتى يصدوهم عن منهج أهل السنة في الصفات ، الذي اعتبروه تشبيها وتجسيما جهلا وظلما وتزويرا !

الوجه الثالث : أما وَصْفُ الرازي ومن قلده من المعطلة « كتاب التوحيد » لابن خزيمة بأنه كتاب الشرك فإنَّ هذا مبني على فهمهم الفاسد للتوحيد والشرك ، بسبب خوضهم في الكلام المذموم ، وتقليدهم للمعتزلة الذين يعتبرون إثبات الصفات شركا وتشبيها ، وتعطيلهم توحيدا وتنزيها[٣]!

وإثبات الصفات عندهم يستلزم التشبيه ، ومن شبه الله بخلقه فقد أشرك ، ولهذا سموا كتاب التوحيد لابن خزيمة كتاب الشرك !

فهؤلاء المعطلة كماذكرالإمام ابن القيم رحمه الله يتكلمون بالمتشابه من الكلام الذي له وجهان ، ليخدعوا بذلك من لايعرف مقالاتهم وأصولهم الكلامية الفاسدة !

---

(١) انظر : المرجع نفسه ١/٥٦-٦٣ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ١/٦٥ .

(٣) انظر : الانتصار للخياط ص/١٢٦والمحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبارص/٧٧ وشرح الأصول الخمسة له ص/٢٧٧ .

فالتوحيد الذي حقيقته إثبات صفات الكمال لله تعالى ، وعبادته وحده لاشريك له وتنزيهه عما يُضاده من الشرك والتمثيل والتعطيل سموه شركا وتشبيها ، واصطلحوا على وضعه للتعطيل المحض ، ثم د عوا الناس إلى هذا التوحيد الباطل ، فخدعوا بذلك من لايعرف معناه في اصطلاحهم(١)، مع أنه تحريف وتعطيل !

ثم قالوا نحن الموحدون ، فجعلوه جُنَّةً وترسا يُقاتلون به أهل السنة ، وسموا التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنبياءه تركيبا وتجسيما وتشبيها ، وجعلوا هذه الألقاب له سهاما وسلاحا يُقاتلون بها أهله ، فتترسوا بما عندأهل الحق من الأسماء الصحيحة بالأسماء الباطلة التي سموا بها مابعث الله به رسوله ﷺ ، وتترسوا باسم التوحيد والتنزيه !!

ومن العجب أنهم سموا توحيد الرسل شركا وتشبيها وتجسيما مع أنه في غاية الكمال ، وسموا تعطيلهم ونفيهم توحيدا وهو غاية في النقص ، ثم نسبوا أتباع الرسل إلى نقص الرب تعالى(٢).

أما ما جعله الدكتور محمد عبد الستار نصار دليلا لرمي ابن خزيمة بالتشبيه والتجسيم ، من كونه جعل لإثبات كل عضولله بابا في كتابه ، فإنه يقصد بذلك الصفات الخبرية الذاتية كصفة الوجه والساق واليدين ونحوها ، فسماها أعضاء بناءً على فهمه الفاسد ، الذي تصور به أنَّ إثبات ذلك يُفضي إلى أنْ يكون لله أعضاء وجوارح كأعضاء المخلوقين وجوارحهم ثم لما تصور هذا التشبيه ، رمى به ابن خزيمة لإثباته صفات الله تعالى التي سماها جوارح وأعضاء !

وابن خزيمة رحمه الله كغيره من أهل السنة يثبت صفات الله تعالى كما وردت

---

(١) انظر : الصواعق المرسلة ٩٢٩/٣ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ٩٣١/٣ .

بلا تمثيل ولا تكييف ، ولايُسمي ذلك جوارح ولا أعضاء كما يفعل المعطلة ، بل يُسميها صفاتٍ لله تعالى يجب إثباتها كما وردت على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته !

وهو رحمه الله قد سلك في تأليفه لكتاب التوحيد الذي يشنع به عليه الدكتور نصار قد سلك فيه المنهج القويم الموافق للكتاب والسنة ، ولتمسكه بهما ارتضى أنْ تكون عناوين كتابه مستنبطة من الكتاب والسنة ، فالطاعن في منهجه طاعن في نصوص الصفات !

وتسميتهم صفات الله تعالى أعضاء وجوارح ألفاظا ابتدعوها لينفروا بها الناس عن منهج أهل السنة في صفات الله ، فإذا سمعهم من لايعرف كلامهم المذموم ظَنَّ أنهم ينزهون الله تعالى عن التشبيه ، وهم في غاية التعطيل والتلبيس !

قد لبسوا على الناس كما ذكر الإمام ابن القيم بكلامهم المتشابه المجمل ، وسموا صفات الله بغير أسمائها ، ليتوصلوا بذلك إلى نفيها بواسطتها ، وَكَفَّروا وضللوا من أثبتها[1].

الوجه الرابع : أما مقالة الكوثري إنَّ ابن خزيمة له كلام في الوجه والمماثلة لايدع له وجها يُواجه به العلماء ، فهذا من باب التلاعب بالألفاظ بقصد التشنيع ، ويقصد بذلك ماذكره ابن خزيمة من الأدلة السمعية والعقلية التي استدل بها لإثبات صفة الوجه لله تعالى ، ورده على المعطلة أئمة الكوثري الذين ادَّعوا التشبيه في ذلك ، وقاموا بتأويل صفة الوجه فرارا من التشبيه ! فناقشهم ابن خزيمة وبين أنَّ الاشتراك بين صفات الخالق والمخلوق في اللفظ والمعنى العام ومنها صفة الوجه لا يقتضي المماثلة ، وأنَّ أهل السنة في إثباتهم لذلك ليسوا مشبهة كما يزعم المعطلة الذين

---

(١) انظر : المرجع السابق ٣/٩٤٨-٩٤٩ .

شبهوا معبودهم بالمعدومات[١].

فساء الكوثري هذا المنهج العلمي المبني على الحجج الدامغة الذي سلكه الإمام ابن خزيمة في نقده على الجهمية نفاة الصفات ، فلم يستطع أنْ يرد الكوثري عليه بعلم وحكمة فلجأ إلى السباب والتلاعب بالألفاظ بقصد التشنيع والتنفير ، وهذا منهج أهل الأهواء والبدع إذا أعيتهم الحجج الدامغة والبراهين الجلية لجؤوا إليه بقصد التلبيس والتشنيع ، وَأَنَّى لهم أنْ يصدوا بأكفهم المشلولة المعطلة شمس الحق الساطعة بنور الوحي والإيمان !

ومقصود الكوثري بالعلماء الذين زعم أنَّ الإمام ابن خزيمة له كلام في الوجه لا يدعه يُواجههم به هم : أهل الكلام المذموم أئمة الكوثري وأضرابه ، وهم في الحقيقة أهل جهل وضلال ، وليس معهم إلا شبهات عارضوا بها وحي الرحمن ، وعطلوا الله بها عن صفات الكمال ، ولم يستفيدوا من كلامهم المذموم إلا الحيرة والشك وفساد الاعتقاد !!

وماذنب الإمام ابن خزيمة حتى ينبز من قبل الكوثري وأضرابه بأنه قد أساء إلى نفسه حين ألف كتاب التوحيد ، ماذنبه في ذلك إلاأنه أثبت لله عز وجل ماأثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ ، ورد على المتكلمين الذين عطلوا الله عن صفات الكمال ووصفوه بالسلوب والعدم !

وهل يعتبر من أخذ منهجه من الكتاب والسنة ، واتبع الرسول ﷺ ، وأقر التوحيد ، ودافع عنه مسيئًا إلى نفسه ، وتسقط منزلته بذلك كمايزعم الكوثري ؟!

لايقول بهذا إلا أهل البدع ممن انعكست مفاهيمهم بالكلام المذموم ، فعدوا الحق باطلا والباطل حقا ، من أمثال الكوثري وأضرابه الذين فسدت عقولهم بالكلام

---

(١) راجع : كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/٢٤-٢٥و٥٩-٨٠ .

المذموم !

الوجه الخامس : إنَّ تحقيق الظاهر في إثبات الصفات الذي ادَّعى الكوثري أنه هو الذي أفضى به إلى القول بالتشبيه ، كلام من ساء فهمه لوحي الله ، فاعتبر نصوص الصفات تشبيها ، ومن أثبتها على ظاهرها من غير تأويل مشبها !وستأتي مناقشة هؤلاء المعطلة في اعتبارهم ظاهر نصوص الصفات يُوهم التشبيه وبيان موقف أهل السنة من ذلك على سبيل التفصيل[١]!

الوجه السادس : إنَّ انتقاد هؤلاء المعطلة على الإمام ابن خزيمة ، ووصمهم له بالتشبيه مبني على السب والشتم كالقول بأنه قليل الفهم ، ناقص العقل ، مضطرب الكلام ونحو ذلك من المقالات الكاذبة[٢]، التي تخرج قائلها عن طريق أهل الاستقامة والعدل والأدب والصدق إلى الجهل والظلم والكذب الذي يبغضه الله تعالى ، وهومن صفات أهل الأهواء الذين يلجؤون إليه لنصرة باطلهم ، والتشنيع على أهل الحق ، ولا يعدلون في قولهم وفعلهم !

والعدل من صفات المؤمنين وهو مما يحبه الله ويأمر به قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾[الأنعام: ١٥٢] وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ ﴾[النحل: ٩٠] . والمؤمن لا يكذب ولا يظلم ولا يبهت لأنَّ ذلك من خصال المنافقين ، وابن خزيمة رحمه الله ليس كما ذكر الرازي بل هو عالم جليل ، وإمام من أئمة أهل السنة مَنَّ الله عليه بالفهم السديد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ورجحان العقل ، يشهد بذلك من يقرأ كتابه التوحيد بتجرد عن التعصب والهوى ، وطلب للعلم والحق وَحَقَّ له أنْ يُلقب بإمام الأئمة ، وقد أثنى عليه كما سيأتي قريبا العلماء الأجلاء أهل

---

(١) انظر : ٤٨٧/٢ ـ ٥٤١ و٥٤٦ ومابعدها .

(٢) كما تقدم انظر : ٢٦٩/٢ .

الفضل والإنصاف ، وشهدوا بعلمه وفضله وإمامته في الدين !

وليس مضطربا كما ادَّعى الرازي بل هذا الوصف من صفات أهل الكلام المذموم الذين أعرضوا عن وحي الله تعالى ، وفتنوا بالكلام فآل بهم الأمر إلى الحيرة والاضطراب والتناقض ، ولهم في ذلك مقالات شهدوا بها على أنفسهم ، ولاتخفى على من له أدنى إطلاع على مقالاتهم في ذلك(١)!

فأهل البدع أهل ظلم وجور ، لَا يُنْفِقُون ضلالهم إلا بالتهم الباطلة ، والسب والشتم وهذا ظلم واعتداء ممقوت ، مجانب للعدل المحبوب قال شيخ الإسلام رحمه الله : « والعدل مما اتفق أهل الأرض على محبته والثناء على أهله ، ومحبتهم ، والظلم مما اتفقوا على بغضه وذمه وتقبيحه وذم أهله وبغضهم »(٢).

والرد بمجرد الشتم والسب لايعجز عنه أحد ، والمسلم لوأنه يُناظر المشركين وأهل الكتاب لكان عليه أنْ يذكرمن الحجج مايبين به الحق الذي معه ، ويفند الباطل الذي معهم ويبطله بالحكمة ، فقد قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل : ١٢٥] وقال : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(٣)[العنكبوت : ٤٦] فلو كان خصوم الرازي غير مسلمين لكان عليه أنْ يذكر الحجج في مناظرتهم ودعوتهم ، ويعدل عما لافائدة فيه من السب والشتم والتنقص ، فكيف إذًا يلجأ إلى ذلك مع إمام من أئمة المسلمين بمجرد مخالفته له في المنهج الكلامي الذي عارض به الرازي وأضرابه وحي الله تعالى ؟!!

الوجه السابع : إنَّ الإمام ابن خزيمةرحمه الله قد شهد له الأئمة الثقات بالعلم

---

(١) ذكرت أمثلة من مقالات المتكلمين في الشهادة على أنفسهم بالحيرة والشك والاضطراب والتناقض في رسالتي منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل انظر : ٣/٩٥١-٩٦٦ .

(٢) منهاج السنة النبوية ٥/١٢٧ .

(٣) انظر : نقض المنطق ضمن مجموع الفتاوى ٤/١٨٦-١٨٧ .

والإمامة وصلاح الاعتقاد ، وبأنه من كبار أئمة السلف أهل العلم والإيمان ومن أقوالهم في ذلك قول الإمام الدارقطني رحمه الله : « كان ابن خزيمة إماما ثبتا معدوم النظير »[١]. وسُئل عنه الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمه الله فقال : « ويحكم هويُسأل عنا ولا نُسأل عنه ، هو إمام يُقتدى به »[٢]

وقال الإمام ابن حبان[٣]رحمه الله : « ما رأيت على وجه الأرض من يُحسن صناعة السنن ، ويحفظ ألفاظها الصحاح ، وزياداتها ، حتى كأنَّ السنن بين عينيه إلا محمد بن إسحاق »[٤].

ووصفه الإمام ابن كثير رحمه الله بأنه كان بحرا من بحور العلم ، رحل إلى الآفاق في طلب الحديث والعلم ، فكتب الكثير وصنف وجمع ، وهو من المجتهدين في دين الإسلام[٥].

وقال عنه الإمام الذهبي رحمه الله : « ولابن خزيمة عظمة في النفوس وجلالة في القلوب لعلمه ودينه واتباعه »[٦].

فَعُلم مما تقدم براءة الإمام ابن خزيمة من وصمة التشبيه ، وأنه مثبت لصفات الله تعالى كما وردت ، منزه الله عز وجل عن التشبيه والتعطيل ، مشهود له من قبل أهل العلم والانصاف بالعلم والإمامة واتباع السنة ، فما مقالات أهل الكلام فيه وفي غيره من أئمة السلف إلا كبعرة منتنة ملقاة في صحراء !!

---

(١) ذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٧٢/١٤وتذكرة الحفاظ ٣٧٢/٢ .

(٢) ذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٧٦/١٤-٣٧٧وتذكرة الحفاظ ٣٧١/٢ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ٣٢٥/١ .

(٤) ذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٧٢/١٤ .

(٥) انظر : البداية والنهاية ١٦٠/١١ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٣٧٤/١٤ .

المبحث الرابع

براءة الإمام أبي يعلى من وصمة التشبيه

ومن الأئمة الذين وُصموا بالتشبيه الإمام أبو يعلى[١]رحمه الله فقد شنع عليه بذلك بعض من تأثر بالكلام المذموم ، ونقلوا عنه من مستشنع القول مقالةً هو منها بريء حيث قال عنه أبو بكر بن العربي[٢]في كتابه العواصم : وأخبرني من أثق به من مشيختي أنَّ أبا يعلى محمد بن الحسين الفراءرئيس الحنابلة ببغداد كان يقول إذا ذكر الله تعالى وما ورد من هذه الظواهر في صفاته ـ تعالى ـ قال : ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة »[٣]!

يعني بذلك كما زعموا أنه يشبه الله بالإنسان ، ويصفه بما يختص به من الصفات ماعدا اللحية والعورة فإنه يمسك عنهما !

وقد تكلم أبومحمد رزق الله التميمي[٤]في الإمام أبي يعلى بمقالة استدل بها ابن الجوزي للطعن بها على من رماهم بالتشبيه[٥]من الحنابلة ومنهم أبويعلى حيث قال : « لقد شان المذهب شيئا قبيحا لا يغسل إلى يوم القيامة »[٦]ويعني بذلك مقالة

---

(١) تقدمت ترجمته انظر : ٢٢٠/٢ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٥٩/١ .

(٣) انظر : كتابه العواصم من القواصم ص/ ٢٠٩ـ ٢١٠ وأشار إليه شيخ الإسلام في درء تعارض العقل ٢٣٨/٥ .

(٤) أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث التميمي ، من فقهاء الحنابلة المشهورين ، ذكر شيخ الإسلام أنه كان موافقا للكلابية والأشعرية في كثير من مسائل الصفات توفي سنة ٤٨٨هـ انظر : طبقات الحنابلة ٢٥٠/٢والأعلام ١٩/٣وراجع : درء تعارض العقل ١/ ٢٣٤و٦/٢و٨ و٢٤٤و١٩٠ومجموع الفتاوى ٥٣/٦ .

(٥) كالقاضي ابن حامد ، وابن الزاغوني وتقدم نقد اتهامه لهم بالتشبيه انظر : ص/٥١١ـ٥١٣ .

(٦) دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص/١٠٢وذكره صلاح الدين الصفدي بلفظ آخر وفيه قال أبو محمد التميمي لما سمع بموت أبي يعلى : « لارحمه الله فقد بال في الحنابلة البولة الكبيرة التي لاتغسل إلى يوم القيامة » انظر : الوافي بالوفيات ٨/٣ .

التشبيه[١] كما ذكر الصفدي[٢]! وقد طار فرحا بتلك المقالة التي نسبها ابن العربي إلى أبي يعلى بعض المتكلمين ، فجعلوها دليلا لوصمه بالتشبيه والتجسيم والكفر حتى قال الكوثري : « ... وهذا كفر قبيح ، واستهزاء بالله تعالى وقائله جاهل به تعالى ولا يقتدى به »[٣].

وقلد حسن السقاف إمامه الكوثري فنقل ماذكره ، وزاد عليه أنَّ أبا يعلى غير متبع لإمامه[٤] الذي ينتسب إليه ويتستربه ، بل هو شريك المشركين في عبادة الأصنام فإنه ماعبد الله ولاعرفه ، وإنما صوره صنما في نفسه[٥]!

والقاضي أبو يعلى بريء من تلك المقالة الفاسدة ، وليس مجسما ولا مشبها ويدل على ذلك عدة وجوه :

الوجه الأول : إنَّ تلك المقالة التي ذكرها ابن العربي ونسبها إلى أبي يعلى باطلة لا أساس لها من الصحة ، وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله أنها كذب عليه عن مجهول لم يذكره أبوبكربن العربي[٦].

فلعله أخذها عن أبي جعفر السمناني[٧] المتكلم قاضي الموصل الذي قال عنه شيخ

---

(١) انظر : المرجع نفسه ٨/٣ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ١٩٥ .

(٣) تكملة الرد على نونية ابن القيم للكوثري المطبوع مع السيف الصقيل للسبكي ص/١١٤ .

(٤) يقصد الإمام أحمد رحمه الله .

(٥) انظر : تعليقات السقاف على دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص/٩٨ .

(٦) انظر : درء تعارض العقل ٢٣٨/٥ .

(٧) أبو جعفر محمد بن محمد السمناني قاضي الحنفية بالموصل ، الأشعري العالم الفقيه ، أخذ الكلام المذموم عن القاضي أبي بكر الباقلاني . قال عنه الخطيب البغدادي : « كتبت عنه وكان ثقة فاضلا . . . يعتقد في الأصول مذهب الأشعرية » توفي سنة ٤٤٤هـ انظر : تاريخ بغداد ١/ ٣٥٥وتبيين كذب المفتري ص/٢٥٩ وسيرأعلام النبلاء ٦٥١/١٧ .

الإسلام : « ويُقال : إنَّ أبا جعفرالسمناني شيخ أبي الوليد الباجي[١]قاضي الموصل كان يقول عليه[٢]ما لم يقله ، ويُقال عن السمناني كان مسمحا في حكمه وقوله »[٣].

فلا يجوز أنْ يُطعن في إمام من أئمة المسلمين معظم للسنة والآثار بمثل تلك المقالة العوراء التي لايقول بها من له أدنى مسكة من علم وإيمان وعقل !

وإنما تلك المقالة لداود الجواربي المبتدع ، الغالي في الرفض والتشبيه كما ذكر علماء الفرق والمقالات[٤].

الوجه الثاني : إني قد بحثت في كتابه « إبطال التأويلات » واستعرضته من أوله إلى آخره وكذا في كتبه الأخرى التي وجدتها مثل « مسائل الإيمان » وليس فيها تلك المقالة التي نُسبت إليه !!

والذي يُعيبه المحققون من أهل العلم على القاضي أبي يعلى إيراده بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة في كتابه « إبطال التأويلات » لإثبات بعض الصفات التي لم ترد في الكتاب والسنة ، وقد شُنع عليه بسببها ، حتى صنف ابن الجوزي كتابه « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » ردا عليه وعلى شيخه القاضي ابن حامد ، وبن

---

(١) أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي الباجي من كبار فقهاء المالكية ورجال الحديث رحل إلى العراق وأخذ كما ذكر شيخ الإسلام طريقة الباقلاني عن أبي جعفر السمناني الحنفي قاضي الموصل . وعاد إلى الأندلس فَوَلي القضاء في بعض نواحيها ، من مصنفاته : « التسديد إلى معرفة التوحيد » و « شرح المدونة » و « التعديل والتجريح لمن روى عنه البخاري في الصحيح » توفي سنة ٤٧٤هـ انظر : وفيات الأعيان ٤٠٨/٢والسير ٥٣٥/١٨ ودرء تعارض العقل ١/ ١٧١والأعلام ١٢٤/٣ .

(٢) يعني على أبي يعلى !

(٣) درء تعارض العقل ٢٣٨/٥-٢٣٩ .

(٤) انظر : الفرق بين الفرق ص/٢٠٨والتبصير في الدين ص/١١٩-١٢٠والملل والنحل ١/ ١٠٥واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص/٩٩ .

الزاغوني[١]، ووصمهم بالتشبيه والتجسيم وقد تقدم تفنيد ذلك ونقده على وجه التفصيل[٢].

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله ما تضمنه « إبطال التأويلات » لأبي يعلى من الآثار الضعيفة والموضوعة بقوله : « وقد صنف القاضي أبو يعلى كتابه إبطال التأويلات ردا لكتاب[٣]ابن فورك ، وهو وإنْ كان أسند الأحاديث التي ذكرها وذكر من رواها ، ففيهاعدة أحاديث موضوعة ، كحديث الرؤية عيانا ليلة المعراج[٤]ونحوه ، وفيها أشياء عن بعض السلف رواها بعض الناس مرفوعة ، كحديث قعود الرسول ﷺ على العرش[٥]رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة وهي كلها موضوعة ، وإنما الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف ، وكان السلف والأئمة يروونه ولاينكرونه ، ويتلقونه بالقبول وقد يُقال إن مثل هذا لا يُقال إلا توقيفا لكن لابُد من الفرق بين ما ثبت من ألفاظ الرسول ، وماثبت من كلام غيره ، سواء كان من المقبول أوالمردود .

ولهذا وغيره تكلم رزق الله التميمي[٦]وغيره من أصحاب أحمد في تصنيف

---

(١) تقدمت ترجمة ابن حامد وابن الزاغوني انظر : ٢/٢٢٠ .

(٢) انظر : ٢/٢٢٠ -٢٢٨ .

(٣) مشكل الحديث وبيانه .

(٤) رواه أبو يعلى في إبطال التأويلات « المطبوع » ١/١٣٣ح١٢٢و١٣٦ح ١٢٧و١٢٩وص/ ١٤٣ح١٤٣ .

(٥) سيأتي استدلال بعض الأئمة بذلك ومنهم أبو يعلى ، وتشنيع المعطلة عليهم بذلك ورميهم بالتشبيه والرد عليهم عند ذكربعض الأسباب التي اتخذها المعطلة ذريعة لرمي أهل السنة بالتشبيه انظر : ص/٥٩٥-٥٩٦ .

(٦) تقدمت ترجمته في ص/ ٥٥٦ .

القاضي أبي يعلى لهذا الكتاب بكلام غليظ[١]، وشنع عليه أعداؤه بأشياء هو منها بريء ، كما ذكر ذلك في آخر الكتاب »[٢].

وذكر الإمام الذهبي رحمه الله أنَّ الإمام أبا يعلى جمع كتابه « إبطال التأويلات » فقام عليه مخالفوه لما فيه من الواهي والموضوع ، فخرج إلى العلماء من عند الخليفة القادر بالله[٣]المعتقد الذي جمعه[٤]، وَحُمِلَ إليه[٥]كتاب « إبطال التأويلات » لأبي يعلى ، فأعجبه ، وجرت أمور وفتن ، نسأل الله العافية ، ثم أصلح بين الفريقين الوزير علي بن مسلمة[٦]، وقال في الملأ : القرآن كلام الله وأخبار الصفات تمر كما جاءت[٧].

وكلام الوزير هذا يدل على أنَّ الأشاعرة مخالفو القاضى أبي يعلى لم ينتقدوا عليه الواهي والموضوعات كما فعل المحققون من أهل العلم ، بل كانوا ينتقدون عليه إيراده في كتابه « إبطال التأويلات » أخبار الصفات حتى ولو كانت صحيحة ،

---

(١) تقدمت مقالته في أبي يعلى انظر : ٢٨١/٢ .

(٢) درء تعارض العقل ٢٣٧/٥-٢٣٨ .

(٣) أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر ، القادر بالله الخليفة العباسي ، كان حازما مُطاعا حليما كريما ذومهابة ومحبة ، صنف كتابا في الاعتقاد ، ذكرالإمام الذهبي أنه قُرئ ببغداد بمشهد من علمائها وأئمتها ، وأنه قول أهل السنة والجماعة ، وفيه أشياء حسنة . توفي سنة ٤٢٢هـ انظر : العلو للعلي الغفار ص/٢٤٥ والأعلام١/٩٥-٩٦ .

(٤) أي : الخليفة القادر بالله .

(٥) أي : إلى الخليفة القادر بالله .

(٦) أبو القاسم علي بن الحسن بن أبي فرج المعروف برئيس الرؤساء ، ابن مسلمة ، كان من خِيار الوزراء علما وعدلا ، سمع الحديث في صباه ، وتضلع من علوم كثيرة ، قُتل في فتنة البساسيري على بغداد سنة ٤٥٠هـ انظر : تاريخ بغداد ١١/ ٣٩١والنجوم الزاهرة ٥/٦و٦٤ والأعلام ٢٧٢/٤ .

(٧) انظر : سيرأعلام النبلاء ٩٠/١٨ .

لكونهم يعتبرون إثباتها كما وردت من غير تأويل تشبيها وتجسيما ، ولذا قال الوزير علي بن مسلمة في الملأ مُبينا الاعتقاد الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة الذي عليه القاضي أبو يعلى من أنَّ « القرآن كلام الله ، وأخبار الصفات تمر كا جاءت » !

لأنَّ الأشاعرة يقولون تفوض أو تؤول ، لتوافق أصولهم الكلامية التي عارضوا بها صحيح المنقول ، ولتنزيه الله عما توهموه من التشبيه كما سيأتى بيان ذلك ونقده على وجه التفصيل[1] فالمنصفون المحققون من أهل السنة كما تقدم انتقدوا عليه إيراده للأحاديث[2] الموضوعة والواهية ، أوالآثار الموقوفة التي قد يكون في سندها مقال ، ولم ينسبوا إليه التشبيه ! بخلاف مخالفيه من متكلمي الأشاعرة فإنهم انتقدوا عليه تأليفه لكتابه « إبطال التأويلات » أساسًا ؛ لأنه أجرى فيه نصوص الصفات على ظاهرها كما وردت من غيرتأويل ، ورد به على ابن فورك في كتابه : « مشكل الحديث وبيانه » الذي أول فيه أخبار الصفات لادِّعائه أنَّ ظاهرها مُوهم للتشبيه ، فلم يعجبهم صنيع القاضي أبي يعلى لكونهم على مذهب الأشاعرة الذين يُؤولون نصوص الصفات الخبرية التي أثبتها القاضي رحمه الله .

فلا يبعد أنْ تكون تلك المقالة التي ذكرها ابن العربي من التشنيع على القاضي أبي يعلى بقصد التنفير !

ومما يدل على ذلك ما ذكره القاضي أبويعلى نفسه بقوله : « اعلموا رحمكم الله أني لما فرغت من كتابي هذا وقرأ على بعض رؤساء خراسان في دارالسلطان عَظُم ذلك على المخالفين ، وأكثروا التحريف والكذب والزور والبهتان فيما حكوه عني

---

(١) انظر : ٢/٤٨٧ - ٤٩٢ و٥١٦ .

(٢) كما تقدم قريبا !

وأضافوه إلى كتابي طلبا للشناعات وتنفير السلطان والعوام ، وقالوا : ذكر فيه باب الذَكر والقفحة واللحية والرأس والمسربة والشعر والنعل الصرارة ، والركوب على الحمار والمشي في الأسواق ، وأنه خلق نفسه من عرق الخيل وغير ذلك مما لا أحفظه فأحكيه من الكذب والزور والبهتان ، مما على قائله وحاكيه يريد به التشنيع ... والله تعالى .. حسيب كل ظالم »[١]!

فتشنيع الأشاعرة مما هو بريء منه من التشبيه ، وَتَقويلُه مالم يقله في ذلك من المقالات المنكرة كان في حياته ، وقد بَرَّأَ منه نفسه ، وذكرأنَّ ماقالوه كذب وزور وبهتان عليه رحمه الله . الوجه الثالث : بَيَّنَ القاضي أبويعلى رحمه الله منهجه في صفات الله المبني على الإثبات والتنزيه ، وذكربراءته من مقالة التشبيه ، ومما ذكره في ذلك رحمه الله قوله : « اعلموا رحمكم الله أنَّ اعتقادي في هذه الأخبار بما قدمته في أثناء كتابي من حملها على ظاهرهامن غير تشبيه ، فلايحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه ، فمن روى خلاف ذلك أوأضاف إلينا سواه أونحلناه في ذلك قولا غيره فهو كاذب مفتري ... »[٢].

وذكر رحمه الله أنه لا يجوز رد أخبار الصفات على ما ذهب إليه المعتزلة ، ولا التشاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشاعرة ، والواجب حملها على ظاهرها ، وأنها صفات لله عز وجل لا تشبه سائر صفات الموصوفين بها من الخلق ، ولا نعتقد التشبيه فيها[٣].

---

(١) إبطال التأويلات لأبي يعلى « المخطوط » ق٣٦٤ .

(٢) المرجع نفسه ق١٨٩وراجع مقدمة الدكتور : سعود بن عبد العزيز الخلف على مسائل الإيمان لأبي يعلى ص/١١٠و١١٤ .

(٣) انظر : إبطال التأويلات « المطبوع » ١/ ٤٣-٤٤ وذكره شيخ الإسلام في الفتوى الحموية الكبرى ص/٥٣وضمن مجموع الفتاوى ٨٩/٥ و الإمام الذهبي في كتابه العلو ص/٢٥٠-٢٥١ .

فقد صرح رحمه الله بما ذكره أنه يثبت صفات الله تعالى كما وردت ، ويحمل النصوص الواردة في ذلك على ظاهرها كما وردت من غير تشبيه ، كما أعلن براءته ممن يرد أخبار الصفات ، أو يؤولها كما فعل المعطلة ، وبين براءته من التشبيه والتمثيل ، وذكرأنَّ من حكى عنه خلاف ذلك فقد كذب وافترى !

وقد بين ابنه أبوالحسين[١] رحمه الله اعتقاد والده وبراءته من التشبيه ، فذكرأنَّ اعتقاد والده في صفات الله عز وجل اعتقاد أهل السنة والجماعة ، المبني على الإيمان والتصديق بما وصف الله به نفسه في كتابه ، أووصفه به رسوله ﷺ في سنته ، مع ترك البحث عن الكيفية والتنقير ، والتسليم لذلك من غير تعطيل ولا تشبيه ولا تأويل مذهبهم حق بين باطلين وهدى بين ضلالتين إثبات الأسماء والصفات مع نفي التشبيه إذ لا مثل للخالق سبحانه شبيه ولا نظسر له فيجنس به ، ووالده سائر على إثرهم ، واعتقاده موافق لاعتقادهم ، فهم بمعرفة كيفية صفات الله جاهلون ، ولا يجوز عندهم رد نصوص الصفات كما فعل الجهمية المعطلة ، ولابتأويل المتأولين ، بل يثبتون صفات الله كما وردت من غير تمثيل ولا تعطيل على أنه تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢].

الوجه الرابع : إنَّ القاضي أبا يعلى رحمه الله قد رد على المشبهة ، وانتقد منهجهم ، ونزه الله عن مقالتهم ، وذكرأنَّ من قال إنَّ الله جسم كالأجسام فقد كفر .

ومما ذكره في ذلك : أنَّ المشبهة هم الذين شبهوا صفات الله بصفات خلقه والمجسمة هم الذين وصفوه بأنه جسم ، وروى بسنده عن الإمام أحمد رحمه الله

---

(١) تقدمت ترجمته انظر : ٢/٢٣٢ .

(٢) انظر : طبقات الحنابلة ٢/٢٠٨-٢٠٩ .

أنه قال : « المشبهة تقول : بصر كبصري ، ويد كيدي ، وقدم كقدمي ، ومن قال بذلك فقد شبه الله بخلقه »[١]. وفي رواية بعد أنْ ذكرذلك قال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢].

وهذا يدل على انتقاده للمشبهة وتشنيعه عليهم وتنزيه الله عن مقالتهم ووصفه بصفات الكمال كما وردت ومنها صفة السمع والبصر .

وللقاضي أبي يعلى رحمه الله كتابان أحدهما في الرد على الكرامية ، والثاني في الرد على المجسمة[٣]. وذكر ابنه أبو الحسين رحمه الله أنَّ والده قال : « من اعتقد أنَّ الله سبحانه جسم من الأجسام وأعطاه حقيقة الجسم من التأليف والانتقال فهو كافر ، لأنه غير عارف بالله عز وجل ، لأنَّ الله يستحيل وصفه بهذه الصفات »[٤].

وإذا كان أبو يعلى رحمه الله يرد على المشبهة والمجسمة ، وينزه الله عن مقالاتهم الفاسدة ويعتبر من يقول : إنَّ الله جسم كالأجسام كافر ، كيف ينبز بالتجسيم والتشبيه ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم !

الوجه الخامس : أما سبب نبز رزق الله التميمي لأبي يعلى بالتشبيه وقوله كما تقدم[٥]« لقد شان المذهب شيئا قبيحا لايغسل إلى يوم القيامة » فللمخالفة في المنهج ، فرزق الله التميمي كان موافقا لنفاة الصفات الخبرية التي أثبتها أبو يعلى في

---

(١) انظر : إبطال التأويلات ٤٣/١و٤٥ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ٤٣/١ .

(٣) ذكره ابنه أبو الحسين في طبقات الحنابلة ٢١٢/٢والذهبي في سيرأعلام النبلاء ، وذكر أنَّ الكتاب الثاني هو « الرد على المجسمة والكرامية » فلعل الكتابين كتاب واحد . انظر : سير أعلام النبلاء ٩١/١٨ .

(٤) انظر : طبقات الحنابلة ٢١٢/٢ .

(٥) انظر : ٢٨١/٢ .

كتابه « إبطال التأويلات » .

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ التميمين ومنهم رزق الله التميمي كانوا أبعد عن الإثبات ، وأقرب إلى موافقة غيرهم وألين لهم ولهذا تتبعهم الصوفية ويميل إليهم فضلاء الأشاعرة كالباقلاني والبيهقي(١). وذكرأنهم كانوا موافقين للنفاة من أصحاب ابن كلاب وغيرهم(٢).

وكان رزق الله التميمي يقرأ هو وأبو يعلى كما ذكرابن عساكر(٣)على أبي محمد ابن اللبان(٤)أصول الدين في داره ، وكل واحد منهما يخفي عن صاحبه ، فاجتمعا يوما في دهليزه(٥)فقال أحدهما لصاحبه : ما جاء بك ، فقال : الذي جاء بك . فقال : أكتم عليَّ ، واكتم عليك واتفقا على أنْ لايعودا إليه بعد ذلك خوفا أنْ يطلع عوامهم على حالهما في القراءة عليه(٦).

لأنهما من كبار مشائخ الحنابلة المعروفين باتباع مذهب الإمام أحمد في الفروع

---

(١) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥٣/٦ .

(٢) انظر : درء تعارض العقل ٨/٢و٥٣ .

(٣) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله المعروف بابن عساكر ، الشافعي المحدث الحافظ الفقيه المؤرخ . من مصنفاته « تاريخ دمشق وأخبارها » و « تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري » توفي سنة ٥٧١هـ انظر : انظر : سيرأعلام النبلاء ٣٥٤/٢٠ووفيات الأعيان ٤٤١/٣ .

(٤) أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن البكري الوائلي الشافعي المعروف بابن اللبان ، صحب القاضي أبابكر الباقلاني ودرس عليه مذهب الأشاعرة . توفي سنة ٤٤٦هـ انظر : تبيين كذب المفتري ص/٢٦١-٢٦٢والأعلام ١٢١/٤ .

(٥) الدهليز بكسر الدال المضعف فارسي معرب وهو : ماين الباب والدار . وجمعه دهاليز . انظر : مختار الصحاح للرازي ص/٢١٣ ولسان العرب ٣٤٩/٥مادة « دهلز » .

(٦) انظر : تبيين كذب المفتري ص/٢٦٢ .

والأصول .

وأبو محمد ابن اللبان كماذكرابن عساكرأخذ عن أبي بكرالباقلاني مذهب الأشعرية ودرس عليه[١]، فتأثر كل من رزق الله التميمي وأبو يعلى بمذهب الأشاعرة ، فلما رجع أبو يعلى عن ذلك إلى مذهب أهل السنة وألف كتابه : « إبطال التأويلات » شنع عليه رزق الله وقال فيه مقالته السابقة التي وصمه فيها بالتشبيه ، وساعده على ذلك إيراد أبي يعلى بعض الأحاديث الموضوعة في كتابه !

قال شيخ الإسلام بعد أنْ ذكر إيراد أبي يعلى للأحاديث الموضوعة في كتابه : « .. ولهذا وغيره تكلم رزق الله التميمي وغيره من أصحاب أحمد في تصنيف القاضي أبي يعلى لهذا الكتاب بكلام غليظ ، وشنع عليه أعداؤه بأشياء هو منها بريء »[٢].

الوجه السادس : ومما يدل على براءة القاضي أبي يعلى من وصمة التشبيه مع ما تقدم ثناء العلماء عليه ، وشهادتهم له بالعلم والإمامة والفضل واتباع السلف ومن أقوالهم في ذلك قول ابنه أبو الحسين رحمه الله : « كان عالم زمانه ، وفريد عصره ... وكان له في الأصول والفروع القدم العالي ... وأصحاب الإمام أحمد « له يتبعون ، ويُتبعون ولتصانيفه يَدرسون وَيُدرسون ، وبقوله يفتون ، وعليه يُعولون ... »[٣].

وذكر رحمه الله أنَّ والده كان على ما درج عليه صالحو السلف وانتهجه بعض أخيار الخلف من التمسك بكتاب الله عز وجل ، واتباع نبيه ﷺ ، ثم مارُوي عن الصحابة رضوان الله عليهم ، ثم عن التابعين والخالفين لهم من علماء المسلمين .

---

(١) انظر : المرجع نفسه ص/٢٦١ .

(٢) درء تعارض العقل ٥/٢٣٨ .

(٣) طبقات الحنابلة ٢/١٩٣ .

وأنه كان على مذهب السلف في الإيمان والتصديق بما وصف الله تعالى به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تشبيه[١].

وقد أثنى عليه تلميذه القاضي يعقوب البرزيني[٢] رحمه الله بقوله : « وينبغي أنْ يُعلم أن ماسطرته في هذه المسألة[٣] أنَّ ذلك مما استفدته وتفرع عندي من شيخنا وإمامنا القاضي أبي يعلى الفراء ، وإنْ كان قد نصر خلاف ماذكرته في هذا الباب فهو العالم المقتدى به في علمه ودينه ، فإني مارأيت أحسن سمتا منه ، ولا أكثر اجتهادا منه ، ولا تشاغلا بالعلم ، مع كثرة العلم والصيانة والانقطاع عن الناس والزهادة فيما بأيديهم ، والقناعة في الدنيا باليسير ، مع حسن التجمل ، وعظم حشمته عند الخاص والعام ، ولم يعدل بهذه الأخلاق شيئا من نفر[٤] الدنيا »[٥].

وأثنى عليه ابن الجوزي مع مخالفته له في المنهج ووصمه بالتشبيه كما تقدم[٦]

---

(١) انظر : المرجع نفسه ٢/٢٠٧-٢٠٨ .

(٢) أبو علي يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن سطور العكبري القاضي الحنبلي ، تلميذ القاضي أبي يعلى ، كان صاحب فنون ، تفقه فيه خلق كثير ، وله تصانيف في المذهب الحنبلي كالتعليقة في الفقه . توفي سنة ٤٨٦هـ انظر : طبقات الحنابلة ٢/٢٤٥-٢٤٧وسيرأعلام النبلاء ١٩/ ٩٣-٩٤والأعلام ٨/١٩٤ .

(٣) مسألة « حروف المعجم » كما ذكر شيخ الإسلام حيث قال ابن حامد والقاضي أبو يعلى وابن عقيل وغيرهم : الحرف حرفان أحدهما قديم ، والثاني مخلوق ، فأنكر ذلك عليهم الأكثرون ، وقالوا هذا مخالفة للحس والعقل وقالوا : الحرف حرف واحد ، وحقيقة هذا الحرف هي حقيقة هذا الحرف ، وصنف القاضي يعقوب البرزيني مصنفا خالف فيه شيخه القاضي أبا يعلى انظر : كتاب القرآن كلام الله حقيقة ضمن مجموع الفتاوى ١٢/٨٣ .

(٤) هكذا في الأصل ولعل الصواب من أمور الدنيا .

(٥) ذكره شيخ الإسلام في المرجع السابق ١٢/٨٣ .

(٦) انظر : ٢/٢٢٠و٢٨٢ .

بسبب إثباته للصفات الخبرية فقال ابن الجوزي رحمه الله في شأنه : « ... وكان إماما في الفقه له التصانيف الحسان الكثيرة على مذهب أحمد ، ودرس وأفتى سنين ، وانتهى إليه المذهب ... وجمع الإمامة والفقه والصدق وحسن الخلق والتعبد والتقشف وحسن السمت ، والصمت عمالايعني واتباع السلف »(١).

وقال الإمام الذهبي رحمه الله : « وأبو يعلى بن الفراء شيخ الحنابلة ، القاضي الحبر ... صاحب التصانيف ، وفقيه العصر ، كان إماما لايُدرك قراره ، ولا يُشق له غُباره ... وجميع الطوائف معترفون بفضله ، ومغترفون من بحره »(٢).

وذكر أنه أفتى وَدَّرس وتخرج به الأصحاب ، وانتهت إليه الإمامة في الفقه الحنبلي وكان آية في معرفة مذهب الإمام أحمد ، وصنف التصانيف الفائقة ، وكان عالم العراق في زمانه(٣).

فَعُلم مما تقدم براءة القاضي أبي يعلى رحمه الله من وصمة التشبيه ، وأنَّ تلك المقالة التشبيهية التي ذكرها ابن العربي كذب عليه ، وهو بريء منها ، بل هو إمام من أئمة السلف يثبت صفات الله كما وردت من غير تكييف ولا تشبيه ، ولا تحريف ولا تعطيل على وفق قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

○○○○

(١) المنتظم لابن الجوزي ٨/٢٤٣-٢٤٤ .

(٢) العبر في خبر من غبر للذهبي ٢/٣٠٩ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء ١٨/٩٠والعلوص/٢٥٠و٢٥٢ .

المبحث الخامس

براءة شيخ الإسلام الأنصاري الهروي من وصمة التشبيه

ومن الأئمة الذين وصموا بالتشبيه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي الأنصاري[١] رحمه الله فقد نبزه أهل الكلام المذموم بالتشبيه والتجسيم بسبب اتباعه منهج أهل السنة في صفات الله الذي اعتبروه تشبيها ، وذمه للكلام المذموم !

ومن أقوالهم في ذلك قول عبد الوهاب السبكي[٢]: « وكان الأنصاري ... يتظاهر بالتجسيم والتشبيه وينال من أهل السنة[٣]... »[٤].

وقال : « ... وأنا لا أعتقد فيه أنه يعتقد الاتحاد ، وإنما أعتقد أنه يعتقد التشبيه ... »[٥].

وقال أيضا : « ... وكانت هراة بأبي إسماعيل الأنصاري قد غلب عليها التجسيم »[٦].

وذكر أنَّ كتابه الفاروق قد أبان فيه عن اعتقاد التشبيه[٧]. كما وصفه الكوثري بأنه من شيوخ الحشوية[٨] بسبب روايته لأخبار الصفات الذي عَدَّه حشوًا .

وزعم الدكتور علي سامي النشار أنَّ التشبيه والتجسيم ظهر على أقوى صوره لدى الهروي الأنصاري ، وقد اعتنق مذهب الصفاتية في صورة مغالية انتهى فيها إلى التجسيم

---

(١) أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي ، شيخ خراسان في عصره ، من كبار أئمة الحنابلة ، كان بارعا في اللغة ، حافظا للحديث ، مظهرا للسنة داعيا إليها ، أُمتحن وَأُوذي بسبب ذمه للكلام وأهله واتباعه للسنة ، من مصنفاته : « ذم الكلام وأهله » و « الفاروق في الصفات » توفي سنة ٤٨١هـ انظر : سيرأعلام النبلاء ١٨/٣٠٥-٣١٠والأعلام ٤/١٢٢ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٢/٢٩٧ .

(٣) يقصد الأشاعرة . !!

(٤) طبقات الشافعية للسبكي ٣/١١٧ .

(٥) المرجع نفسه ٣/١١٧ .

(٦) المرجع نفسه ٥/٣٢٨ .

(٧) انظر : المرجع نفسه ٣/١٧٧وراجع : تعليقات الدكتور : عبدالرحمن بن عبدالعزيز الشبل على كتاب ذم الكلام وأهله لأبي إسماعيل الهروي ١/١٤٦ .

(٨) انظر : تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي ص/٢٦ .

والتشبيه ، وكتب كتابه « ذم الكلام وأهله » الذي يفيض بالتشبيه الخالص ، وبالإيمان بالعرشية المادية والاستوائية الحسية لله ، ورؤية الله السعيدة ، ولذة النظر الحسي .

كما ألف كتابه « منازل السائرين إلى رب العالمين » واقترب فيه إلى حد كبير من مذهب أهل السنة[١] لكن يسود فيه روح تشبيه وتجسيم واضح ، والهروي صورة من الكرامية ، فهو مجسم مثلها[٢] . وشيخ الإسلام الهروي الأنصاري رحمه الله بريء من وصمة التشبيه والتجسيم ، بل هو من الأئمة الأعلام الذين نصروا منهج أهل السنة في صفات الله المبني على الإثبات والتنزيه ، ومن المتبعين للسنة والحديث ، المبرئين من مقالة أهل التعطيل والتشبيه ، ويدل على براءته عدة وجوه :

الوجه الأول : إنَّ المنهج الذي سار عليه رحمه الله في الصفات هو منهج أهل السنة والجماعة المبني على إثبات الصفات كماوردت ، وتنزيه الله في ذلك عن التشبيه والتعطيل وقد ألف عدة كتب سار في طريقة تأليفها على طريقة أهل الحديث والسنة ، حيث أورد أخبار الصفات بسنده إلى رسول الله ﷺ وأثبتها كماوردت من غير تكييف ولا تشبيه .

ومن الكتب التي ألفها في ذلك كتابه « الأربعين في دلائل التوحيد » ذلك الكتاب لعظيم الذي ظهرت فيه عقيدته السلفية بروايته أخبار الصفات وإثباتها كما وردت من غير تأويل ولا تمثيل ، وقد سلك في تأليفه منهج أئمة الحديث القُدامى كالإمام الدارقطني[٣] ، وابن منده[٤] ، والآجري[٥] وغيرهم من الأئمة الذين

---

(١) يقصد الأشاعرة !

(٢) انظر كتابه : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٣١٢/١ .

(٣) في كتابه الصفات .

(٤) في كتابه التوحيد .

(٥) في كتابه الشريعة .

ارتضوا إيرادَ نصوص الصفات دون أنْ يتطرقوا إلى مناقشات المتكلمين المعطلة ، ليُعْلم أنَّ الحق الذي يجب اتباعه في صفات الله إثبات الصفات وإجراء نصوصها كماوردت من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ، وأَنَّ ماسوى ذلك من تحريفات المتكلمين وأقوالهم في صفات الله باطلة ، يجب تنزيه الله عنها وإثبات صفات الله كماوردت على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته .

ومن الأبواب التي عقدها أبو إسماعيل الهروي في كتابه الأربعين في دلائل التوحيد الدالة على براءته من التشبيه : « باب الانتهاء عن التعمق في صفات الله عز وجل »(١).

والتعمق من العمق وهو النظر في الأمور بتعمق ، والمبالغة فيها والتنطع والتشدد وطلب أقصى غايته(٢).

ومراده بذلك الانتهاء عن التنطع والغلو في صفات الله ، وعمالم يرد في ذلك كالبحث عن الكيفية ، أوالتفكر في ذات الله المفضي إلى التشبيه(٣).

وقد أورد في النهي عن التفكر في ذات الله حديثا عن النبي ﷺ أنه قال : « تفكروا في آلاء الله عز وجل ، ولاتفكروا في الله عز وجل »(٤).(٥).

ومن ذلك أيضا : « باب الدليل على أنه عز وجل على العرش » أثبت فيه صفة العلو والاستواء كماوردت من غير تعطيل ولا تمثيل ، وروى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ الله لما قضى الخلق ، كتب عنده فوق

---

(١) انظر : الأربعين في دلائل التوحيد ص/٩٠ .

(٢) انظر : لسان العرب ٨/٢٧٠-٢٧١ مادة « عمق » .

(٣) تقدم بيان ذلك انظر : ص/٢٦٣و٢٧٠ .

(٤) تقدم حديث بمعناه بلفظ : « « تفكروا في الخلق ولاتفكروا في الخالق » » انظر : ١/٤٠٢ .

(٥) انظر : الأربعين في دلائل التوحيد ص/٩٠ .

عرشه : إنَّ رحمتي سبقت غضبي »[١].[٢]. كما ألف رحمه الله في تقرير منهج أهل السنة في صفات الله كتابه : « الفاروق في صفات الله »[٣]وهوكتاب جليل القدر عظيم النفع ، فيه بيان عقيدة السلف في الصفات ، سلك فيه رحمه الله مسلك كتابه « الأربعين في دلائل التوحيد » من حيث رواية أخبار الصفات وإثباتها كما وردت ، كما أورد فيه بعض الآثار المروية عن أئمة السلف في بيان منهجهم في صفات الله ، والرد على المعطلة والممثلة ، ومن ذلك قول الفضيل بن عياض[٤]رحمه الله في إثبات صفات الله ، والابتعاد عن التكييف والتمثيل : « ليس لنا أنْ نتوهم في الله كيف هو ، لأنَّ الله تعالى وصف نفسه فأبلغ ، فقال : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه ، وكل هذا النزول والضحك ، وهذه المباهات ، وهذا الاطلاع ، كما يشاء أنْ ينزل ، وكما يشاء أنْ يُباهي ، وكما يشاء أن يضحك ، وكما يشاء أنْ يطلع فليس لنا أنْ نتوهم كيف وكيف »[٥].

فبإيراده لهذا الأثر رحمه الله في كتابه الفاروق يتبين أنه يثبت صفات الله تعالى كما وردت وينهى عن البحث عن كيفياتها المفضي إلى التمثيل ، ويجمع في

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٣/٤١٥ح٧٤٢٢ومسلم في كتاب التوبة ٤/٢١٠٧ح٢٧٥١ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر : الأربعين في دلائل التوحيد ص/٥٥ .

(٣) الكتاب مفقود ، وقد نقل منه الأئمة في تقرير مذهب السلف في الصفات ، كشيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام ابن القيم ، والإمام الذهبي وغيرهم .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ١/٣٩٤ .

(٥) ذكره شيخ الإسلام في الحموية الكبرى ص/٣٦-٣٧وضمن مجموع الفتاوى ٥/٦١-٦٢ نقلا عن كتاب السنة ، وكتاب الفاروق للهروي .

منهجه في صفات الله بين إثبات الصفات وتنزيه الله في ذلك عن التكييف والتمثيل ، وهو بهذا موافق لمنهج السلف في صفات الله المبني على الإثبات والتنزيه .

كما بين بإيراده هذا الأثر منهجه في أخبار الصفات ، ومنها صفة النزول والضحك والمباهات ، وهو : إثباتها كما وردت بلا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، وبيان أنه لا صفة أبلغ مما وصف به تعالى نفسه ، فلا يُوصف إلا بما وصف به نفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته .

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أنَّ قول الأئمة « استوى بذاته على عرشه » ليس فيه إلا إثبات صفة الاستواء كما وردت ، وأنَّ الله على عرشه بذاته ، لاأنه في كل مكان كما تقول الجهمية الحلولية نفاة صفة الاستواء .

وأنَّ أبا إسماعيل الهروي رحمه الله قد صرح بلفظ « الذات في العلو » وأنه استوى بذاته على عرشه ، وأنَّ أئمة السلف لازالوا يصرحون بذلك[١]. ردًا على المعطلة الذين يجعلون العلو إنما هو علو المنزلة والقدر ، لا علو الذات ، والله على زعمهم في كل مكان بذاته[٢].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في شأن أبي إسماعيل الهروي : « ومن أراد معرفة صلابته في السنة فليطالع كتابيه : الفاروق وذم الكلام »[٣].

---

(١) انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية ص/١٠٩ .

(٢) انظرمقالات المعطلة في ذلك في : تأويلات أهل السنة للماتريدي ص/٩٥٣والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي ص/١٠٨والاقتصاد في الاعتقاد له ص/ ٢٩-٣٠وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ص/٢٦٥-٢٦٧والمواقف في علم الكلام للإيجي ص/ ٢٧٠-٢٧١وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص/٧٧ وجامع زبد العقائد التوحيدية لولد عدلان السوداني ص/١١ .

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ص/١٠٩ .

وذكر الإمام الذهبي رحمه الله أنَّ غالب ماورواه شيخ الإسلام الهروي في كتابه « الفاروق » صحاح حسان ، وفيه « باب إثبات استواء الله على عرشه فوق السماء السابعة بائنا من خلقه من الكتاب والسنة »[١]، وفيه أخبار شتى بأنَّ الله في السماء السابعة على العرش بنفسه وهو ينظر كما تعلمون وعلمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان[٢].

فشيخ الإسلام الهروي رحمه الله كان على منهج أهل السنة في صفات الله المبني على الإثبات والتنزيه ، ولم يعرف عنه تشبيه ولا تجسيم ولا حشو ، غيرأنَّ المعطلة كالسبكي والكوثري والدكتور النشار وغيرهم من المتكلمين يعتبرون من يثبت الصفات التي عطلوها ويسلك في ذلك منهج السلف مشبها مجسما حشويا جهلا منهم بالكتاب والسنة ، بسبب افتتانهم بالكلام المذموم الذي عارضوا به وحي الله حيث أفسد عقولهم وعقائدهم ، لذا اعتبر النشار ـ كماتقدم ـ إثبات الإيمان بالعرش والإستواء عليه ، والدعاء بقول الرسول ﷺ : « اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك »[٣]اعتبر ذلك تجسيما وتشبيها ، فسبحان قاسم العقول ، كيف يُعَدُّ ذلك تشبيها ، وقد وردت به نصوص الصفات ؟!

الوجه الثاني : إنَّ رميَ المعطلة لأبي إسماعيل الهروي رحمه الله بالتشبيه والتجسيم ناتج عن عد ائهم له ، حيث كان رحمه الله جذعا في أعين أهل الكلام أهل التحريف والتعطيل ، هاتكا لأستارهم ، مبينا لعوار مذهبهم ، ذاما لهم

---

(١) وقد ذكر الإمام الذهبي بعض النصوص التي استدل بها الهروي في إثبات صفة العلو الاستواء .

(٢) انظر : سيرأعلام النبلاء ١٨/٥١٤والعلو للعلي الغفارص/٢٦٠ .

(٣) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/٢٦٤والنسائي في كتاب السهو٢/ ٦٢ح١٣٠٤والدارمي في الرد على المريسي ص/١٦٠عن عمار بن ياسر « . وصححه الألباني انظر : صحيح الجامع الصغير ١/٢٧٩ح١٣٠١ .

ولكلامهم المذموم حتى ألف في ذلك كتابه القيم « ذم الكلام وأهله » وكان ناصرا للسنة مثبتا للصفات ، راويا لأخبارها ، داعيا إلى السنة ، مُعادِلمن خالفها لاتأخذه في ذلك لومة لائم ، ولاعداء مُعادٍ ، لذا تعرض لمحن وفتنٍ ومؤامراتٍ فصبرعلى الحق ومن الأمثلة على ذلك تلك المؤامرة التي حاكها له الأشاعرة ليُوغروا عليه صدر السلطان ألب أرسلان[1]عندما قدم هراة فاجتمعوا ودبروا مكيدتهم ، ودخلوا على أبي إسماعيل الهروي ، فقالوا له : ورد السلطان ونحن على عزم أنْ نخرج ونسلم عليه ، فأحببنا أنْ نبدأ بالسلام عليك ، وكانوا قد تواطأوا على أنْ حملوا معهم صنما من نحاس صغير ، وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ وخرجوا ، وقام الشيخ من خلوته ، ودخلوا على السلطان وزعموا أنه مجسم ، وأنه يترك في محرابه صنما يزعم أنَّ الله تعالى على صورته ، وإذا بعث السلطان الآن يجده ، فَعَظُم ذلك على السلطان وبعث غلاما وجماعة ، فدخلوا المحراب فأخذوا الصنم ، وأتوا به إلى السلطان ، فبعث من يُحضر الأنصاري فأتى ، فرأى الصنم وعلماء الأشاعرة ، وقد اشتد غضب السلطان ، فقال له السلطان : ما هذا ، فقال : صنم يُعمل من الصفر شبه اللعبة . فقال : لست عن هذا أسألك . قال : فعم يسألني السلطان ؟

قال : إنَّ هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا ، وأنك تقول : إنَّ الله على صورته !

فقال شيخ الإسلام رحمه الله بصولة وجولة وكان جهوري الصوت : سبحانك هذا بهتان عظيم ! فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه ، فأمربه ، فَأُخرج إلى داره مكرما .

وقال لهم : اصدقوني . وهددهم . فقالوا : نحن في يد هذا الرجل في بلية من

---

(١) أبو شجاع السلطان محمد بن السلطان جغرل بيك داود بن ميكائيل بن سلجوق التركماني ، من عظماء ملوك الإسلام ، العادل . توفي سنة ٤٥٦هـ انظر : سير أعلام النبلاء ١١٤/١٨ .

استيلائه علينا بالعامة ، فأردنا أنْ نقطع شره عنا ، فأمر بهم ، ونكل بهم ، وأهانهم[١].

وهكذا نجى الله شيخ الإسلام الهروي رحمه الله من مكائد هؤلاء المبتدعة المعطلة ورد الله كيدهم في نحورهم بسبب كذبهم وبهتانهم وثبات شيخ الإسلام على الحق وشجاعته وإيمانه واتباعه للكتاب والسنة ، وصدق الله إذْ يقول : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ﴾ [غافر : ٥١] .

وكم دُبرت له من قبل أهل البدع المعطلة من مكائد ليتخلصوا منه ، فثبت على الحق ونصر السنة ، حتى استحق بحق أنْ يُلقب بشيخ الإسلام عن علم وإيمان وعمل .

وقد ذكر رحمه الله أنه عُرض على السيف مرات فقال : « عرضت على السيف خمس مرات ، لا يُقال لي ارجع عن مذهبك ، ولكن يُقال : أُسكت عمن خالفك ، فأقول لا أسكت »[٢]وهذا يدل على ثباته على الحق ، وانتصاره على أهل البدع والتعطيل .

قال الحافظ عبد الرحمن الفامي[٣]في شأنه : « ... وقد قاس بذلك قصد الحساد في كل وقت ، وسعوا في روحه مرارا ، وعمدوا إلى إهلاكه أطوارا ، فوقاه الله شرهم ، وجعل قصدهم سببا لارتفاع شأنه »[٤].

وذكر الإمام الذهبي أنه هُدد بالقتل مرات ، ليقتصر عن مبالغته في إثبات الصفات ، وليكف عن مخالفيه من علماء الكلام ، فلم يرعو لتهديدهم ، ولاخاف

---

(١) ذكر ذلك الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٨/٥١٢وتذكرة الحفاظ ٣/١١٨٨-١١٨٩ .

(٢) ذكره الإمام الذهبي ا نظر : المرجع نفسه ٣/١١٨٤وسيرأعلام النبلاء١٨/٥٠٩ .

(٣) أبو النضرعبدالرحمن بن عبد الجبار بن عثمان بن منصور الهروي الفامي ، الإمام الثقة المحدث .
توفي سنة ٥٤٦هانظر : سيرأعلام النبلاء ٢٠/٢٧٩-٢٩٨ .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ ٣/١١٨٤وسيرأعلام النبلاء ١٨/٥١٠ .

من وعيدهم[١].

فهؤلاء الذين يصمون شيخ الإسلام الهروي بالتشبيه والتجسيم من أمثال السبكي والكوثري والنشار مقلدون لأئمتهم الأشاعرة الذين عادوا شيخ الإسلام الهروي وشنعوا عليه بالتجسيم ، ودبروا له المكائد والفتن فأنجاه الله منهم ، وبرأه من تشنيعهم ومكائدهم بسبب ثباته على الحق واتباعه للكتاب والسنة .

الوجه الثالث : أما اعتبار الكوثري شيخ الإسلام الهروي من شيوخ الحشوية ، فهذا مبني على اعتقاد الكوثري أنَّ رواية أخبار الصفات ، والتأليف في ذلك وعدم تأويلها يعتبر حشوا من الأقوال ، مفضٍ إلى التجسيم الذي هو حشو عندهم ، وقد تقدم تفنيد ذلك ونقده[٢] مما أغنى عن إعادته هنا .

الوجه الرابع : وأما اعتبار الدكتور النشار شيخ الإسلام الهروي صورة من الكرامية في التجسيم والتصوف فباطل لأمرين :

الأمر الأول : إنه رحمه الله لم يُوافق الكرامية فيما خالفوا فيه أهل السنة والجماعة ، فهم كما تقدم من أهل الكلام المذموم[٣] وشيخ الإسلام الهروي رحمه الله كان جذعا في أعين أهل الكلام ، ذامالهم ولكلامهم المذموم ، وقد ألف في ذلك كتابه : « ذم الكلام وأهله » للرد به على كل من جعل الكلام منهجا له في إثبات مسائل الاعتقاد ، سواء كان معتزليا أوأشعريا ، أوكراميا ، أوغيرهم ، وقد بين فيه بطلان منهجهم الكلامي ، ومقالتهم : إنَّ الله جسم ، واعتبره من البدع المحدثة ، واستدل على ذلك بقول الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

---

(١) انظر كتابه : العلو ص/٢٦٠ .

(٢) انظر : ٢/٢٠٥ ـ ٢٢٠ .

(٣) انظر : ١/٣٠٢ .

وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] فكل ما أُحدث في الدين كما ذكر الهروي بعد نزول هذه الآية فهو فضل وزيادة وبدعة(١).

ومن أعظم ما أُحدث في الدين الكلام المذموم الذي أفسد عقائد كثير من المسلمين فعطل به من عطل ، وشبه به من مَثَّل !

فالكلام المذموم الذي خاض فيه الكرامية وغيرهم من فرق المبتدعة بدعة في الدين مفسد للاعتقاد ، فكيف يكون شيخ الإسلام الهروي رحمه الله صورة من الكرامية ، وهو يذم الكلام المذموم الذي سار عليه الكرامية مع فرق أهل التعطيل ، وهورحمه الله يعتبره بدعة في الدين ؟! . وقد نهى رحمه الله عن التعمق في إثبات الصفات(٢)، والغلو في الدين ، وروى في ذلك(٣)حديثا عن النبي ﷺ أنه قال « إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين »(٤).

ومن أشد أنواع الغلو في الدين خطورة ، الغلو في إثبات الصفات ، والبحث عن كيفياتها إلى حد التشبيه ، وتسمية الله بمالم يرد في الكتاب والسنة كقول الكرامية إنَّ الله جسم(٥). كيف يكون صورة من الكرامية وهو ينهى عن الغلو ، والبحث عن الكيفية ، ويسلك منهج أهل السنة في صفات الله تعالى

---

(١) انظر كتابه : ذم الكلام وأهله ١/١٧-١٨ .

(٢) وقد عقد بذلك بابا كما تقدم انظر : ص/٥٦٧ .

(٣) انظر كتابه : ذم الكلام وأهله ١/٦٧ .

(٤) جزء من حديث رواه النسائي في كتاب المناسك ٣/٢٩٦ ح٣٠٥وابن ماجه في كتاب المناسك ح٣٠٢٩ . والحديث صححه أهل العلم فقال الحاكم رحمه الله : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . انظر : المستدرك ١/٤٦٦وصححه الشيخ الألباني انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/٢٧٨ح١٢٣٨ .

(٥) تقدم بيانه وموقف أهل السنة منه انظر : ٢/٩-١٠و١٢ .

المبني على إثبات ماورد في الكتاب والسنة من صفات رب العالمين على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ، وعدم تجاوزذلك بغلو في إثبات أونفي ؟! .

وإذا كان الكرامية قد أطلقوا على الله تعالى أنه جسم فإنَّ أبا إسماعيل الهروي رحمه الله يعتبر ذلك بدعة في الدين ، ومخالف لتوحيد المسلمين ، وقد روى في ذلك قول الإمام ابن سريج رحمه الله عندما سُئل عن التوحيد ما التوحيد ؟

فقال : توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين : أشهدأنْ لا إله إلا الله ، وأشهد أنَّ محمدا رسول الله ، وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام ، وإنما بُعث النبي ﷺ بإنكار ذلك[١]. وروى أيضا قول الإمام مالك رحمه الله : « إياكم والبدع ، قيل يا أبا عبد الله ومالبدع ، قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وقدرته ، ولايسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان »[٢].

والكرامية ـ كما تقدم ـ من أهل الكلام المذموم ، وقد تكلموا في بعض صفات الله بعقولهم من غير اعتماد على وحي الله ، فجعلوها حادثة النوع اتصف الله بها بعد أنْ لم يكن متصفا بها[٣]، وأطلقوا على الله أنه جسم مع أنَّ إطلاق ذلك كما تقدم بدعة في الدين[٤]! وقد أنكر أبوإسماعيل الأنصاري رحمه الله مقالة الكرامية وغيرهم من المشبهة في صفة الكلام ، وقولهم إنَّ الله تكلم بعد أنْ لم يكن كذلك ، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيميةرحمه الله أنَّ أبا إسماعيل الهروي قال في كتابه

---

(١) ذكره السيوطي في كتابه صون المنطق ص/٧٥ .

(٢) ذكره السيوطي في كتابه : صون المنطق ص/٥٦ـ٥٧ .

(٣) كما تقدم انظر : ٤٥٩/١ ـ ٤٦٠و٤٦٣و٤٦٤ .

(٤) انظر : ١٢/٢ .

مناقب الإمام أحمد[١] في اعتقاد أهل السنة وما وقع عليه إجماع أهل الحق من الأمة قال : « اعلم أنَّ الله متكلم قائل مادح نفسه وهو متكلم كلما شاء ويتكلم بكلام لا مانع له ولا مكره ، والقرآن كلامه هو تكلم به »[٢].

فكلامه هذا يُخالف مقالة الكرامية في صفة الكلام ، الذين قالوا : إنَّ الله تكلم بعد أن لم يكن كذلك ، فقوله : « وهو متكلم كلما شاء ويتكلم بكلام لا مانع له ... » يدل على إثباته لكلام الله أزلا وأبدا ، متى شاء وكيف شاء ، لا مانع له في ذلك ولا مكره !!

الأمر الثالث : أما ماذكره الدكتورالنشار من أنَّ أبا إسماعيل الأنصاري كان صورة من الكرامية لأنه كان صوفيا مثلهم ، فهذا تعليل عليل مُجانب للصواب ، فالكرامية وإنْ كان فيهم كما تقدم نوع من التصوف[٣] فليس كل صوفي كرامي ، ولايقول بذلك إلا مغالط !

وإذا كان أبو إسماعيل الأنصاري قدخاض في نوع من التصوف ، فإنه بريئٌ من تصوف أهل الحلول والاتحاد ، وقد عاب عليه العلماء خوضه في التصوف ، كما انتقدوا إيراده بعض العبارات الغامضة في كتابه « منازل السائرين » وتقسيمه التوحيد إلى : توحيد العامة ، وتوحيد الخاصة ، وتوحيد خاصة الخاصة[٤].

واستدرك عليه الإمام ابن القيم رحمه الله ، وتعقبه في بعض الأشياء التي خالف فيها الشرع من ذلك حينما وصف شيخ الإسلام الهروي توحيد الألوهية بأنه توحيد العامة عَلَّقَ على ذلك الإمام ابن القيم بقوله : « ... فهذا توحيد خاصة الخاصة ،

---

(١) بحثت عن هذا الكتاب وسألت عنه فلم أجده ولعله مفقود .

(٢) ذكره شيخ الإسلام في درء التعارض ٧٦/٢ .

(٣) انظر : ٣٠٢/١ الحاشية رقم (١) ترجمة ابن كرّام !!

(٤) انظر : منازل السائرين للهروي ضمن شرحه مدارج السالكين لابن القيم ٤٨٠/٣ .

الذي من رغب عنه فهو من أسفه السفهاء »[١]. وقال في ذلك أيضا : « ... قد تبين أنَّ هذا توحيد خاصة الخاصة ، الذي لاشيء فوقه ، ولاأخص منه ، وأنَّ الخليلين أكمل الناس فيه توحيدا ، فليهنأ العامة نصيبهم منه ... »[٢].

وقد انتقد الإمام الذهبي أيضا خوضه في التصوف وتأليفه في ذلك كتابه « منازل السائرين » وإيراده فيه بعض العبارات الصوفية الغامضة فقال في ذلك : « ... ولكنه له نفس عجيب لايشبه نفس أئمة السلف في كتابه « منازل السائرين » ففيه أشياء مضطربة ، وفيه أشياء مشكلة ، ومن تأمله لاح له ما أشرت إليه ... ولاينهض الذوق[٣]، والوَجْد[٤]إلا على تأسيس الكتاب والسنة »[٥].

لكن أبا إسماعيل رحمه الله وإنْ خاض في التصوف إلا أنَّ تصوفه لم يكن من نوع تصوف أهل الحلول والاتحاد ، الذين يزعمون حلول الله فيهم واتحاده بهم

---

(١) المرجع نفسه ٣/٤٨١ .

(٢) المرجع نفسه ٣/٤٨٥ .

(٣) الذوق عند الصوفية كما يدعون هو نور يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أوغيره ، وهو كالشراب لكن الشراب لايستعمل إلا في الراحات ، والذوق يلائم الراحات والمتاعب ، وأول التجليات الذوق ثم الشراب وذكر القشيري أنه أول درجات شهود الحق بالحق ، وهو من ثمرات التجلي ونتائج الكشوفات وبوادر الواردات انظر : الرسالة للقشيري ص/٧٢ ومعجم مصطلحات الصوفية للدكتور : عبد المنعم حفني ص/١٠٤هواصطلاحات الصوفية للكاشاني ص/١٦٢ .

(٤) الوَجد عند الصوفية هو : مايُصادف القلب ويرد عليه بلا تعب ولا تكلف ، ويطلقون عليه المصادفة ، قال أبو علي الدقاق : « الوجد يُوجب استقرار العبد ، وصاحب الوجد له صحو ومحو ، فحال صحوه بقاؤه بالحق ، وحال محوه فناؤه بالحق . انظر : الرسالة القشيرية ص/ ٦١-٦٣ .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٨/٥٠٩ .

وينفون استواءه تعالى على عرشه ومباينته لخلقه[١]، وأبو إسماعيل مخالف لذلك تماما ، متبرئ من مقالاتهم ، ومما يدل على ذلك إثباته مباينة الخالق للمخلوق ، وقد عقد بابا في كتابه : « الأربعين في دلائل التوحيد » عنون له بقوله : « باب الدليل على أنّه عز وجل على العرش »[٢]أورد فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لما قضى الله عز وجل الخلق كتب كتابا فهوعنده على عرشه : إنّ رحمتي غلبت غضبي »[٣]. وبابا آخر بعنوان : « باب الدليل على أنه تعالى في السماء »[٤]. أورد فيه حديث الجارية وفيه قول النبي ﷺ لها : « أين الله : فأشارت بيدها إلى السماء ، فقال : من أنا ، فقالت : أنت رسول الله . قال : اعتقها فإنها مؤمنة »[٥].

وقال رحمه الله : « إنّ الله في السماء السابعة على العرش بنفسه وهو ينظر كيف تعملون وعلمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان »[٦].

فدل ذلك على أنه رحمه الله بريء من أقوال أهل الحلول والاتحاد ، مثبت لمباينة الله لخلقه بعلوه عليهم واستوائه على عرشه كما يليق به ، وقد بين رحمه الله بماذكره أنّ الله ليس في كل مكان كما يقول المعطلة الحلولية ، وإنما هو بذاته في السماء السابعة على عرشه وأنه معهم بعلمه وقدرته وبصره واستماعه !

وقد برأه من مقالة أهل الحلول والاتحاد عدد من الأئمة الأعلام ، ومنهم الإمام

---

(١) كما تقدم انظر : ٤٧٤/١و٥٦/٢و٧٠-٧١ .

(٢) انظر كتابه : الأربعين في دلائل التوحيد ص/٥٥ .

(٣) تقدم عزوه انظر : ٢٩٩/٢ .

(٤) انظر : الأربعين في دلائل التوحيد ص/٥٣ .

(٥) تقدم عزوه انظر : ٧٧/٢ .

(٦) ذكره الإمام الذهبي في سيرأعلام النبلاء ٥١٤/١٨والعلو ص/٢٦٠ .

الذهبي رحمه الله حيث قال : « ... ورأيت أهل الاتحاد يعظمون كلامه في : « منازل السائرين » ويَدَّعون أنه مُوافقهم ، ذائق لوجدهم ، ورامز لتصوفهم الفلسفي ، وأنَّى يكون ذلك وهومن دعاة السنة وعصبة آثار السلف ، ولاريب أنَّ في « منازل السائرين » أشياء من محط المحو[١] والفناء[٢]، وإنما مراده بذلك الفناء : الغيبة عن شهود السوي ، ولم يرد السوي في الخارج »[٣]!

ونفى الإمام ابن القيم رحمه الله أنْ يكون من أهل الحلول والاتحاد في مواضع من كتبه لاسيما « مدارج السالكين » ومن ذلك ما ذكره من أنَّ شيخ الإسلام الهروي بريء من أهل الاتحاد وإلحادهم[٤]!

وذكر فضيلة شيخي الدكتور : علي ناصر فقيهي ـ حفظه الله ـ أنَّ تصوف أبي إسماعيل الهروي رحمه الله وإنْ سُمي بذلك ، فالمقصود به العبادة والزهد في الدنيا ، لاتصوف الدروشة ومخالفة السنة ، ولذا نجده شديد المحافظة على السنة معادٍ لمن يُخالفها ، يُخالط المجتمع ، وَيُبصر الناس بما يجب عليهم ، داعيا إلى عز الإسلام ونصرته ، لا يأخذ من السلاطين شيئا ، ولا يُبالي بهم ، ولذا بقي عزيزا مكرما ، مسموع الكلمة مُهابا ، مقبولا قبولا أتم من الملك ، مطاعَ الأمر نحوًا من ستين سنة من غير مزاحمة[٥].

---

(١) المحو عند الصوفية هو : رفع أوصاف العبادة عن العبد ، وضده الإثبات وهو : إقامة أحكام العبادة انظر : الرسالة القشيرية ص/٧٣-٧٤ .

(٢) المراد بالفناء عند الصوفية هو : استيلاء سلطان الحقيقة على العبد ، وفناءه في ذات الله ، بحيث لم يُشاهد غيره ، لاعينا ولاأثرا ولارسما ولاطللا ، فعندئذٍ والعياذ بالله فقد فني عن الخلق ، وأصبح فانيا في الحق . انظر : المرجع السابق ص/٦٧-٦٨ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٣/١١٨٣-١١٩١ .

(٤) مدارج السالكين ١/٢٢٩و٢٦٤ .

(٥) انظر : مقدمة الدكتور علي ناصر فقيهي على الأربعين في دلائل التوحيد للهروي ص/١٥ .

الوجه الخامس : ومما يدل على براءته رحمه الله من مقالة التشبيه ثناء كثيرمن أئمة أهل السنة عليه ، وشهادتهم له بالعلم والإمامة ، والذب عن السنة وأهلها ، ومواجهة خصومها من غير خوف ولا محاباة ، وبراءته من وصمة التشبيه والتجسيم ، ومن أقوالهم في ذلك :

قول الإمام أبي القاسم سعد الدين الزنجاني[١] رحمه الله : « حفظ الله الإسلام برجلين : أبي إسماعيل الأنصاري ، وعبد الرحمن بن منده [٢] »[٣].

وقال عنه الإمام السمعاني[٤] رحمه الله : « كان أبو إسماعيل مظهرًا للسنة ، داعيا إليها محرضًا عليها ... وماكان يتعدى إطلاق ماورد في الظواهر[٥] من الكتاب والسنة ، معتقدا ماصح ، غير مصرح بما يقتضيه تشبيه »[٦].

وقال عنه الإمام البغوي رحمه الله حينما زاره ، وكان قد نُفي بسبب وشاية أهل البدع إلى الحكام : « إنَّ الله قد جمع لك الفضائل ، وكانت قد بقيت لك فضيلة واحدة ، فأراد الله أنْ يكملها لك ، وهي الإخراج من الوطن أسوة برسول الله ﷺ »[٧]. وقال عنه ابن الجوزي رحمه الله : « كان كثير السهر بالليل ، حَدَّث وصنف ، وكان شديدًا على أهل البدع ، قويًا في نصر السنة »[٨].

---

(١) تقدمت ترجمته انظر : ٤٣٥/١ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٤٧٦/١ .

(٣) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٥٢/١٨-٣٥٣وتذكرة الحفاظ ١١٦٧/٣ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ٢٤١/٢ .

(٥) يقصد ظواهر نصوص الصفات ، وسيأتي موقف أهل السنة من ذلك انظر : ٤٦٧/٢ .

(٦) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥١٤/١٨وتذكرة الحفاظ ١١٩٠/٣ .

(٧) ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة ٦٠/١-٦١ .

(٨) المنتظم لابن الجوزي ٤٥/٩ .

وذكرشيخ الإسلام رحمه الله بأنه كان إماما في الحديث والتفسير وغيرذلك وله مصنف مشهور في ذم طريقة أهل الكلام[١].

وقد أكثر الثناء عليه الإمام الذهبي رحمه الله فمما قاله في ذلك : « الحافظ الإمام الزاهد ... »[٢]. وقال عنه : « وكان سيفا مسلولا على المخالفين ، وَجِذْعًا في أعين المتكلمين ، وطودًا في السنة لايتزلزل وقد امتحن مرات ... »[٣].

وقال في منهجه في الصفات : « ... بل هو رجل أثري ، لهج بإثبات نصوص الصفات ، منافر للكلام وأهله جدًا »[٤].

وقد أكثر الثناء عليه الإمام ابن القيم رحمه الله ، وبين براءته من التشبيه والتعطيل ومذاهب أهل الحلول والاتحاد ، ومن أقواله في ذلك : « وقد كان شيخ الإسلام ـ قدس الله روحه ـ راسخا في إثبات الصفات ونفي التعطيل ، ومعاداة أهله ، وله في ذلك كتب ، مثل كتاب « ذم الكلام » وغير ذلك مما يخالف طريقة المعطلة والحلولية والاتحادية ... »[٥].

وذكر رحمه الله أنَّ أبا إسماعيل الأنصاري كان شديد الإثبات للأسماء والصفات مضادًا للجهمية من كل وجه ، له كتاب « الفاروق » استوعب فيه أحاديث الصفات وآثارها ، ولم يُسبق إلى مثله ، وكتابه « ذم الكلام وأهله » وطريقته فيه أحسن طريقة ، وله مع الجهمية المقامات المشهودة ، وقد سعوا لقتله إلى السلطان مرات عديدة ، والله عصمه منهم ، ورموه بالتشبيه والتجسيم ، على عادة

---

(١) انظر : الاستقامة ١٠٤/١ .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ٥١٤/١٨وتذكرة الحفاظ١١٨٣/٣ .

(٣) المرجع نفسه١١٨٤/٣ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٥١٠/١٨ .

(٥) مدارج السالكين ٥٢١/٣ .

بهت الجهمية والمعتزلة لأهل الحديث والسنة وهو بريء من ذلك[١].

وأقوال العلماء في الثناء على شيخ الإسلام الأنصاري وشهادتهم له بالعلم والإمامة واتباع السنة ، وسلوك منهج السلف في صفات الله ، بل وإمامته في ذلك ، وبراءته من التشبيه أقوالهم في ذلك كثيرة[٢]، مما يدل على كذب وبهتان مقالة المعطلة في نبزهم له بالتجسيم والتشبيه فمقالاتهم فيه كَطَنين ذُباب لا أثرلها ، ولا يُلتفت إليها ، مع أقوال هؤلاء الأئمة الأعلام وشهادتهم له بالسنة واتباع السلف والصلاح في العقيدة .

O O O O

(١) انظر : المرجع نفسه ١/ ٢٦٣-٢٦٤ .

(٢) قد ذكر الكثير منها الدكتور : عبد الرحمن بن عبد العزيز الشبل في مقدمة كتاب : ذم الكلام وأهله لأبي إسماعيل الأنصاري ١/١٣٩-١٤٥ .

المبحث السادس

براءة شيخ الإسلام ابن تيمية من وصمة التشبيه

ومن الأئمة الذين وُصموا بالتشبيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فقد ذكر فيه المعطلة من ذلك مقالات كثيرة مضادة لمنهجه في صفات الله المستنبط من الكتاب والسنة ، الموافق لمنهج السلف المبني على الإثبات والتنزيه ، ورغم وضوح موقفه من مقالة التشبيه ، وتنزيهه الله عن ذلك بصحيح المنقول وصريح المعقول إلا أنَّ المعطلة أبوا إلا رميه بالتشبيه والتجسيم(١)، عن سوء فهم حيث اعتبروا إثبات الصفات تشبيها وتجسيما ، وسوء قصد مبني على العداء لشيخ الإسلام لنقده منهجهم الكلامي المبني على التحريف والتعطيل ، وبيانه لعوار مقالاتهم الفاس ونصرته لمنهج أهل السنة في صفات الله الذي اعتبروه تشبيها ، لهذه الأسباب وغيرها رموه بمقالة التشبيه ، وذكروا فيه من مستشنع القول ماهو بريء منه .

---

(١) انظر : دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد لأبي بكر الحصني/ ٣٠و٣٦و٣٧و٤٠و٤٣و٤٤ و٥٣و١١١والسيف الصقيل للسبكي ص/١٦وحسن التشبه لما ورد في التشبه لمحمد بن محمد الغزي ق/٣٧وتكملة الرد علىنونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل للسبكيص/٤٠و٨٠و٨٢و٨٧ و١٠٢و١٤٣ومقالات الكوثري ص/٤٠٢ و٤٠٣و٦٩٣ ومقدمته على البراهين الساطعة لسلامة القضاعي ص/٧و٨وعلى الأسماء والصفات للبيهقي ص/ ٣٠١وفرقان الفرقان بين صفات الخالق وصفات الأكوان لسلامة القضاعي ص ، ٧٧وكتابه البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة ص/١٩٩وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص/ ١٩٣-١٩٤وبراءة الأشعريين من عقائد المخالفين لأبي حامد بن مرزوق ص/ ٣و٤و٧و٧٢و٧٣ونشأة الفكرالفلسفي في الإسلام للدكتور : علي سامي النشار١/ ٤و٣١٢و٣٥٤ و٣٥٨والمدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام للدكتور : محمد عبد الستار نصار ١/٦٣٥و٦٧٥ و٦٨٨و٧٥٤و٦٥٥والدليل القويم على الصراط المستقيم لعبد الله الحبشي الهرريص/٤٠ونشأة الأ شعرية وتطورها للدكتور : جلال محمدموسى ص/٣٣١والباقلاني وآراؤه الكلامية للدكتور : رمضان محمود ص/٤٦٢و٤٦٣ وابن تيمية ليس سلفيا لمنصور محمد عويس ص/٦٧و٦٩و٨١و٦٩و٨٩و٩١و١١٧و١٦٣و٢٠٤و٢١٦ ومقدمة حسن السقاف على دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص/٦١و٧٥وتعليقاته عليه ص/١٠٢ .

ورغم موقفه الواضح من الكرامية وردوده عليهم فيما خالفوا فيه الكتاب والسنة إلا أنَّ بعض المعطلة لاسيما المعاصرين زعموا أنه متبع للكرامية محيي لمذهبهم[١]، وقد ألف بعض المعطلة كتبا خصصها لنبز شيخ الإسلام بالتشبيه والتجسيم ، والطعن عليه بكل نقيصة ظلما وزورًا ، ومن هؤلاء أبو بكر الحصني[٢]الذي ألف كتابا في ذلك سماه : « دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد » وقد صار هذا الكتاب مرجعا للحاقدين على شيخ الإسلام رحمه الله في نبزه بالتشبيه والتجسيم ، كالكوثري وأضرابه المتكلمين أهل التحريف والتعطيل ، كما ألف منصور محمد عويس من المعطلة المعاصرين كتابا سماه « ابن تيمية ليس سلفيا » ملأه بنبز شيخ الإسلام بالتجسيم والتشبيه ، وتحريف أقواله وتحميلها ما لا تحتمل زورا وبهتانا ! ومقالات المعطلة في نبزهم شيخ الإسلام بمقالة التشبيه قديما وحديثا كثيرة جدا ، كأنهم قد تواصوا بذلك ، ولاغرو فإنه رحمه الله يعتبر بحق محييا لمنهج أهل السنة في مسائل الاعتقاد ومنها الصفات ، في وقتٍ اندرست فيه معالم الدين ، وكثر فيه أهل البدع والأهواء من المتكلمين والصوفية وغيرهم ، فأبطل شيخ الإسلام بصحيح المنقول وصريح المعقول مناهجهم التي عارضوا بها وجي الله تعالى وغلبهم في كثير من مناظراته ودروسه وكتبه الكثيرة التي صارت من أهم المراجع

---

(١) انظر : تكملة الرد على نونية ابن القيم للكوثري المطبوع مع السيف الصقيل ص/٣٦ومقالاته ص/١٩٧وبراءة الأشعريين من عقائد المخالفين لأبي حامد بن مرزوق ص/٧و٧٧-٧٨والمدرسة السلفية للدكتور : محمد عبد الستار١/٥٨٢و٦٣٥و٧٠٣و٧٠٩والتنديد على من عدد تقسيم التوحيد لحسن السقاف ص/٤٤والبراهين الساطعة لسلامة القضاعي ص/ ١٨٦و٢١٧و٢١١-٢١٢و٢١٧ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور : النشار ١/ ٣٢٢وابن تيمية ليس سلفيا لمنصور عويس ص/١٢٥ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ص/٤٤٦ .

في فهم عقيدة سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان ، والرد على من خالفها من أهل البدع والأهواء ، فكان والأمر هكذا أنْ لجأ المعطلة عندما عجزوا عن الحجة والبرهان إلى السباب والشتائم ، والاتهامات الباطلة كالرمي بالتشبيه والتجسيم بقصد التشنيع والتنفير عن منهج أهل السنة في صفات الله الذي عدوه تشبيهاوتجسيما ، ولما كانت مقالاتهم في نبزهم شيخ الإسلام بمقالة التشبيه كثيرة جدا ، فإني سأورد منها مقالتين تناقلها المعطلة في مصنفاتهم قديما وحديثا بقصد التشنيع والتنفير ، رغم وضوح بطلان نسبتهما إليه وبراءته منهما .

المقالة الأولى : مقالة ابن بطوطة[1]التي استدل بها المعطلة في نبز شيخ الإسلام بالتشبيه والتجسيم ، فقد تَقَوَّل عليه ابن بطوطة قائلا : « وكنت إذْ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة ، وهويعظ الناس على منبرالجامع وَيُذكرهم ، فكان من جملة كلامه أنْ قال : إنَّ الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ، ونزل درجة من درجات المنبر ... »[2]!

وقد تناقل هذه المقالة كثير من أهل التعطيل ليشنعوا بها على شيخ الإسلام بالتشبيه وسودوا بها صفحات كتبهم المظلمة ، وهورحمه الله بريء من ذلك براءة الذئب من دم نبي الله يوسف بن يعقوب عليهما السلام وتتبين براءته من ذلك بوجوه :

الوجه الأول : إنَّ ابن بطوطة كما ذكر المحققون من أهل العلم[3]لم يسمع من

---

(١) أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن إبراهيم الطنجي ، الرحالة المؤرخ ، استغرقت رحلته سبعة وعشرين عاما ، ثم عاد إلى المغرب الأقصى ، وأملى أخبار رحلته على محمد بن جزي الكلبي بمدينة فاس سنة ٧٥٦هـ وسماها « تحفة النظار في غرايب الأمصار وعجائب الأسفار » وترجمت إلى عدة لغات . توفي سنة ٧٧٩هـ انظر : الأعلام ٦/٢٣٥-٢٣٦ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ص/١١١-١١٢ .

(٣) كالشيخ محمد بهجت البيطار في كتابه : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص/٣٦والشيخ سليم الهلالي في كتابه ابن تيمية المفترى عليه ص/٥٣-٥٤ .

شيخ الإسلام ابن تيمية ، ولم يره فقدصرح في رحلته ، أنه وصل دمشق يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام٧٢٦هـ[١]أما شيخ الإسلام فقد اتفق المؤرخون الثقات من أهل العلم[٢]على أنه رحمه الله سجن بقلعة دمشق في السادس من شهر شعبان من عام ٧٢٦هـ ولبث فيه إلى أنْ توفي في الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة من عام ٧٢٨هـ فإذا كان شيخ الإسلام دخل السجن قبل مجيء ابن بطوطة إلى دمشق بثلاثة وثلاثين يومًا ، فكيف رآه يعظ الناس في المسجد على المنبر ويقول : « إنَّ الله ينزل كنزولي هذا » ؟!

الوجه الثاني : إنَّ رحلة ابن بطوطة مملوءة بالروايات الباطلة ، والحكايات الغريبة المخالفة للنقل الصحيح والعقل الصريح ومن ذلك قوله : « وقرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثوري أنَّ الصلاة في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة »[٣]وهذا لا يُقال كما ذكر الشيخ بهجت البيطار من قبل الرأي ، وسفيان رحمه الله أجلُّ من أنْ يُفضله على مسجد رسول الله ﷺ[٤]، وعلى المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين ، وهما لم يبلغ الثواب فيهما هذه الدرجة ، كما هو معلوم للمحدثين

---

(١) انظر : رحلة ابن بطوطة ص/١٠٠ .

(٢) كالإمام ابن كثير في كتابه : البداية والنهاية ١٣٥/١٤والحافظ البزار في كتابه الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص/٨٤والإمام ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٥/٢والحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤٩/١والعلامة ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٨٠/٦ والعلامة مرعي الكرمي في الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ص/٦٣-٦٤وابن تيمية المفترى عليه للشيخ سليم الهلالي ص/٥٤ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ص/١٠٧ .

(٤) ورد عن رسول الله ﷺ أنَّ الصلاة في مسجده بألف صلاة ، وفي المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة ، في روايات متعددة جمعها الدكتور : صالح بن حامد الرفاعي في كتابه : الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعا ودراسة ص/٤٠٧-٤٣٠ .

وغيرهم[١]! ومن نقول ابن بطوطة التي أقرها ولم ينكرها النذور للقبور ، ومن ذلك النذر لأبي إسحاق إذا هاجت الرياح في البحر ، واشتدت الأخطار ، والوقوف عند المشاهد والقبور والمزارات وغير ذلك من الشركيات والخرافات[٢]التي حكاها ولم ينكرها بل أقرها ، فإذا كان الأمر كذلك فما نسبه إلى شيخ الإسلام وزعم أنه قاله من تلك الروايات الباطلة ، والحكايات الغريبة الباطلة التي لا أساس لها من الصحة ، فلا يُعول عليه في الحكم على الناس في مسائل الاعتقاد وهو يحكي الغرائب ويقر الخرافات والشركيات !

الوجه الثالث : إنَّ ابن بطوطة أعلن عداءه لشيخ الإسلام رحمه الله في أول سطر تكلم فيه عنه فقال : « وكان بدمشق من كِبار فقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون إلا أنَّ في عقله شيئًا ... »[٣].

وهذا العداء ناتج عن مخالفته في الاعتقاد ، فابن تيمية سلفي العقيدة وإمام من أئمة أهل السنة متبع للكتاب والسنة معادٍ لمن خالفها ، وابن بطوطة رجل رَحَّال يكتب مايرى ويسمع ، ويقر الخرافات والشركيات كالنذور للقبور ونحوه ، فلا يبعد أنْ يكون قد اختلق مقالته في ابن تيمية ، أوتلقفها من خصومه ومخالفيه في الاعتقاد فأقرها لموافقتها هواه زورا وبهتانا ، ومما يدل على ذلك ماذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله أنَّ نصر المنبجي[٤]الاتحادي الحلولي قد عادى شيخ الإسلام عداءً

(١) انظر : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد بهجت البيطار ص/٣٧ .

(٢) انظر : رحلة ابن بطوطة ص/٩٥-٩٦و١٢٦ .

(٣) المرجع نفسه ص/١١١ .

(٤) أبو الفتح نصر بن سليمان المنبجي الاتحادي ، كان الجاشنكير السلطان يعتقد فيه ، وكان المنبجي يُغالي في محبة ابن عربي الصوفي الاتحادي ، أنشأ زاوية خارج باب النصر وصار يتعبد فيها ، ويتردد عليه فيها الأكابر . مات سنة ٧١٩هـ انظر : البداية والنهاية ١٤/٩٥والدرر الكامنة ١/ ١٤٧والخطط للمقريزي ٢/٤٣٧ .

شديدا ، بسبب إنكاره عليه ، فسعى المنبجي في أذيته واختلق فيه الأكاذيب هو وأصحابه ، فذكروا أنه ذكر حديث النزول ، فنزل من المنبر درجتين فقال : كنزولي هذا ! فنسب إلى التجسيم[١] كما زعموا !!

فتلك المقالة التي ذكرها ابن بطوطة ونسبها إلى شيخ الإسلام من كذب المنبجي وأصحابه ، تلقفها ابن بطوطة لموافقتها لهواه بسبب عداوته لشيخ الإسلام فزعم أنه قال بذلك ورآه ينزل من المنبر درجة زورا وبهتانا !

الوجه الرابع : إنَّ شيخ الإسلام رحمه الله لم يكن خطيبا يعظ الناس على منبر الجامع كما ذكر ابن بطوطة ، بل كان يُلقي دروسه ومواعظه وهو جالس على كرسي ، ويدل على ذلك قول الإمام الذهبي رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية : « ... وأخذ في تفسير الكتاب العزيز في الجامع على كرسي من حفظه ، فكان يُورد في المجلس ولا يتلعثم وكان كذلك يلقي الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح ... »[٢].

وهذه الطريقة التي ذكرها الإمام الذهبي طريقة المفسرين والمحدثين لا طريقة الخطباء على المنابر . وقد ذكر ابن بطوطة نفسه أنَّ المحدثين كانوا يقرؤون كتب الحديث على كراسي مرتفعة[٣]. وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية كان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث وغيره من العلوم فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ، مالايقدر أحد أنْ يُورده في عدة مجالس كأنَّ هذه العلوم بين عينيه[٤].

---

(١) انظر : الدرر الكامنة لابن حجر ١٥٤/١ .

(٢) ذكره ابن عبد الهادي في : العقود الدرية ص/٥ .

(٣) انظر : رحلة ابن بطوطة ص/١١٠ .

(٤) انظر : الدرر الكامنة ١٥٣/١ .

والكراسي المرتفعة في اللغة كما ذكرابن منظور تُسمى منابر[١]. وابن بطوطة نفسه ذكر أنَّ الذي كان يخطب بالمسجد الأموي هو قاضى القضاة القزويني[٢]حيث قال : « . . وكان في عهد دخولي إليهم إمامهم قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني من كبار الفقهاء ، وهو خطيب المسجد[٣]، وسكناه بدار الخطابة ، ويخرج من باب الحديد إزاء المقصورة ... »[٤].

وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف رأى ابن بطوطة شيخ الإسلام وهو يعظ الناس ويخطب على منبر الجامع ، ونسب إليه مقالته الكاذبة ، . سبحانك هذا بهتان عظيم !

الوجه الخامس : إنَّ منهج شيخ الإسلام رحمه الله في صفات الله ومنها صفة النزول يكذب مقالة ابن بطوطة ، ويجتثها من أساسها ، فقد قرر رحمه الله في مصنفاته منهج أهل السنة المبني على الإثبات والتنزيه ، وبينه أتم بيان[٥]، وله مقالات كثيرة في تنزيه اللهعن التشبيه والتمثيل ، ومن ذلك ماذكره في بيان مذهب أهل السنة في صفات الله وتنزيههم الله عن الشبيه والمثيل بقول : « ومن الإيمان بالله : الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غيرتحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل يُؤمنون بأنَّ الله سبحانه :

---

(١) انظر : لسان العرب ١٨٩/٥مادة « نبر »

(٢) أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق القاضي من مصنفاته : « تلخيص المفتاح » في المعاني والبيان . توفي سنة ٧٣٩هـ انظر : الأعلام ١٩٢/٦ .

(٣) أي : المسجد الأموي .

(٤) رحلة ابن بطوطة ص/٩٣ .

(٥) وقد ألف في ذلك كتبا ورسائل كثيرة كالرسالة التدمرية والمدنية والفتوى الحموية والواسطية والمراكشية وغيرها .

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ فلاينفون عنه ماوصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يُلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه ، لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ندَّ له ولا يُقاس بخلقه سبحانه وتعالى »[١].

وذكر رحمه الله أنَّ من جعل صفات الله مثل صفات المخلوقين ، فقال : إنَّ استواء الله كاستواء المخلوقين ، أونزوله كنزول المخلوقين ونحوذلك فهو مبتدع ضال[٢]. وأنَّ من جعل صفات الرب مثل صفات العبد فهو مبطل ضال[٣].

وأنَّ من جعل مثلا للخالق في شيء من الأشياء ، أو وصفه بمثل مايُوصف به الخالق فهومشرك ، لأنَّ الله تعالى لا كفو له ، ولا سمي له ولا مثل له[٤].

وبين رحمه الله أنَّ الله تعالى منزه عن أنْ يكون نزوله كنزول المخلوقين ، لا نزول الآدميين ولا غيرهم ، ثم ذكر الفرق بين نزول المخلوق والخالق الدال على عظمة الله تعالى وتنزيهه عن المماثلة فقال في ذلك : « ... فالمخلوق إذا نزل من علو إلى سفل زال وصفه بالعلو ، وتبدل إلى وصفه بالسفول وصار غيره أعلى منه ، والرب تعالى لا يكون شيء أعلى منه قط بل هو الأعلى ولا يزال هو العلي الأعلى ، مع أنه يقرب إلى عباده ويدنو منهم وينزل إلى حيث شاء ويأتي كما يشاء وهو في ذلك العلي الأعلى ، الكبير المتعالى ، عليٌّ في دنوه ، قريبٌ في علوه ... »[٥].

---

(١) العقيدة الواسطية ص/٢٠-٢٥وضمن مجموع الفتاوى ٣/١٢٩-١٣٠ .

(٢) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥/٢٦٢-٢٦٣ .

(٣) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ١/٥٨٨ومنهاج السنة ١/٢٤٢ .

(٤) انظر : الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموع الفتاوى ١٣/١٦٣-١٦٤ونقض التأسيس « المطبوع » ١/٣٢٧ .

(٥) التفسيرالكبير٦/٤٠٨ .

وقد ألف رحمه الله كتابا في شرح حديث النزول بين فيه منهج أهل السنة في صفة النزول المبني على الإثبات والتنزيه ، ورد فيه على أهل البدع في الصفات المعطلة والمشبهة !

فكيف يشبه نزول الخالق بنزوله ويقول كمايزعم ابن بطوطة « إنَّ الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزولي هذا » وينزل درجتين عن المنبر ، وهو ينزه الله عن أنْ يكون نزوله كنزول المخلوقين ، ويعتبر من يقول بذلك ضالا مبتدعا ممثلا مشركا ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم !

المقالة الثانية : ونسب أبوبكر الحصني إلى شيخ الإسلام رحمه الله مقالة في التشبيه هو منها بريء ، حيث ذكرأنَّ أبا الحسن علي الدمشقي[١]قال : « كنا في صحن الجامع الأموي جلوسا في مجلس ابن تيمية فذكر ووعظ ، وذكرآيات الاستواء ثم قال : « استوى الله على عرشه كاستوائي هذا » فوثب الناس عليه وأنزلوه من الكرسي ، وبادروا إليه باللكم والضرب بالنعال وغير ذلك ، حتى أوصلوه إلى بعض الحكام ، واجتمع في ذلك المجلس العلماء فشرع يُناظرهم فقالوا له : ماالدليل على ذلك ، فقال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ فضحكوا منه وعرفوا أنه جاهل لايجري على قواعد العلم ... »[٢].

وقد نقل هذه المقالة بعض المعطلة كالكوثري[٣]، وسلامة القضاعي[٤] للتشنيع بها على شيخ الإسلام بالتشبيه !

وهذه المقالة كأختها السابقة من الكذب على شيخ الإسلام رحمه الله ، ويدل

---

(١) لم أجد ترجمته فيما وقفت عليه . !

(٢) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد لأبي بكر الحصني ق/٣٧ .

(٣) في كتابه : تكملة الرد على نونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل ص/٨٥ .

(٤) في كتابه : البراهين الساطعة ص/١٩٤ .

على ذلك عدة أمور :

الأمر الأول : إنَّ مصدرها الوحيد هو أبوبكر الحصني الذي ذكر أنهاحكاها له أبا الحسن علي الدمشقي الذي لايُدرى من هو ؟!

فإنْ كان حكى ذلك للحصني فهو ومن تلقاها عنه من أكذب الكاذبين ، إذْ لوقال ذلك وحاشاه كما زعموا لاسيما في ملأ في صحن الجامع الأموي لتناقلها الناس لاسيما أعداءه الذين كانوا يبحثون عن أيِّ زلة منه ليشنعوا بها عليه عند الحكام فلم يجدوا ، سوى أنهم كانوا يشنعون عليه بما يفهمونه من كون إثبات الصفات الخبرية التي نفوها تشبيها لاعتبارهم أنَّ الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق يقتضي التشبيه[١]، فكانوا إذا رفعوا أمره إلى الحكام وشنعوا عليه بالتشبيه يحكون عنه مايفهمونه من التشبيه ، ويُعبرون عن ذلك بكلام مجمل محتمل الحق والباطل ليلبسوا بها على من لايعرف مصطلحاتهم الكلامية ، مثل قولهم كما ذكر شيخ الإسلام بنفسه : « الذي نطلب منه أنْ ينفي الجهة والتحيز »[٢]فسموا صفة الاستواء التي أثبتها رحمه الله كما وردت تحيزا وجهة ولم يقولوا ما ذكره الحصني !

فرد عليهم شيخ الإسلام بقوله : « أما قول القائل : الذي نطلب منه أنْ ينفي الجهة عن الله والتحيز . فليس في كلامي إثباتٌ لهذا اللفظ ، لأنَّ إطلاق هذا اللفظ نفيا وإثباتا بدعة ، وأنا لا أقول إلا ماجاء به الكتاب والسنة ، واتفق عليه سلف الأمة ... »[٣].

ثم فند كلامهم هذا وبين مايحتمله من حق وباطل ، وكيف أنهم أرادوا بذلك نفي علو الله على خلقه واستوائه على عرشه الثابت له بالكتاب والسنة والعقل

---

(١) تقدم بيان ذلك ونقده انظر : ٣٥٨/١ .

(٢) انظر : كتاب الرد على الطوائف الملحدة لابن تيمية ضمن الفتاوى الكبرى ٣٢٤/٦ .

(٣) المرجع نفسه ٣٢٥/٦ .

الصريح[١].

ولم يذكر أحد منهم ما ذكره الحصني من أنَّ ابن تيمية قال : « استوى الله على عرشه كاستوائي هذا » وحاشاه من ذلك ، بل هذا من الكذب الفاحش عليه ، الذي لم يذكره أحد قبله حسب إطلاعي سوى أبي بكر الحصني المعروف بعدائه الشديد لشيخ الإسلام وكذبه عليه ، حتى إنه من افترائه عليه زعم أنه يكفر عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، ويزري بالشيخين ، ويجعل عبد الله بن عمر من المجرمين ، ويقول : إنه ضال مبتدع ، وادَّعى أنَّ ذلك قاله ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم[٢]!

ولاشك أنَّ هذا من أعظم الإفتراء على شيخ الإسلام رحمه الله ، حيث لايُوجد من ذلك وحاشاه في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » ولاحرفا واحدا !!كيف يقول بذلك وقد ألف كتابه « منهاج السنة النبوية » ليرد به على الرافضة الذين يسبون معظم الصحابة ويكفرونهم ، . سبحانك هذا بهتان عظيم .

فمقالته التي حكاها ليشنع بها على شيخ الإسلام بالتشبيه من ضمن هذه الأكاذيب التي لا تروج على من له أدنى إطلاع على كتب شيخ الإسلام رحمه الله !

الأمر الثاني : إنَّ هذه القصة التي ذكرها الحصني تحمل بين طياتها مايدل على كذبهاوبيان ذلك :

١ ـ إنه ذكر فيها أنَّ الناس لما قال ذلك وثبوا عليه وأنزلوه من الكرسي وبادروا إليه ضربا باللكم والنعال حتى أوصلوه إلى بعض الحكام ، وهذا كله كذب ، يعرف كذبه من له أدنى اطلاع بعلاقة شيخ الإسلام بالمجتمع الذي كان فيه ، وعلمه وإمامته في الدين وتقواه فقد كان رحمه الله يعظمه الناس لاسيما من لم تتلوث

---

(١) انظر : المرجع نفسه ٦/٣٢٥ .

(٢) انظر : دفع شبه من شبه وتمرد ق/٥٩

أذهانهم بشبهات أهل الكلام المذموم ، وشطحات أهل التصوف الممقوت ، ولم يكن يبغضه من فئات المجتمع إلا أهل البدع المشار إليهم الذين رأوا مكانته في نفوس الناس ، وكثرة أتباعه ، فعادوه حسدا ، وخوفا على من كان له منصب في القضاء والفتيا !

أما غيرهم فقد كانوا يحبونه لأنهم كانوا يستفيدون منه علما وعملا حتى إنهم كانوا يزدحمون في دروسه ويودعونه عند سفره ، ويتألمون لما يحصل له من السجن نتيجة وشاية أهل البدع به على الحكام ظلما وعدوانا ، ومما يدل على ذلك أنه لما خرج رحمه الله من الشام إلى مصر بسبب فتنة نصر المنبجي[١]، وسعيه إلى السلطان الجاشنكير[٢]، ازدحم عليه الناس لوداعه ورؤيته وهم بين باكٍ وحزين ، وكان يوما مشهودا[٣]!

وذكر تلميذه البزار[٤] رحمه الله محبة الناس وتقديرهم لشيخ الإسلام حيث كان مجلسه رحمه الله عاما للكبير والصغير والجليل والحقير والحروالعبد والذكر والأنثى ، كل يستفيد من علمه ودروسه ، قد وسع مجلسه كل من يرد عليه من الناس ، يرى كل واحد منهم في نفسه أنْ لم يكرم أحدًا بقدره[٥]!

---

(١) تقدمت ترجمته انظر : ٣٢١/٢ .

(٢) بيبرس البرجي الجاشنكير السلطان ، كان يعتقد في نصرالمنبجي ، ولذلك أُوذي شيخ الإسلام أيام سلطته ، قُتل سنة ٧٠٩هـ انظر : البداية والنهاية ٥٥/١٤والدررالكامنة ١٤٧/١ .

(٣) انظر : العقود الدرية ص/٢٤٩والبداية والنهاية ٣٧/١٤-٣٨وموقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور : عبدالرحمن المحمود ١٨٣/١ .

(٤) أبوحفص عمر بن علي بن موسى بن الخليل البغدادي الأزدي البزار الإمام العالم الفقيه المحدث من مصنفاته « الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية » توفي سنة ٧٤٩هـ انظر : الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص/٢١٠-٢١١ .

(٥) انظركتابه : الأعلام العلية ص/٤٢ .

ولما قُرئت فتواه الحموية بين يدي قاضي الشافعية إمام الدين القزويني[١]لم يحصل إنكار عليه من كل من حضر المجلس حتى قال القاضي : « كل من حضر القاضي يعزر » فرجع شيخ الإسلام رحمه الله إلى داره في ملأ كثير من الناس وهم في فرح واستبشار به[٢].

ولما خرج شيخ الإسلام رحمه الله من السجن الذي كان عليه في مصر بسبب فتنة المنبجي ، كتب إلى الشام بخطاب يتضمن ماوقع له ، وفرح الناس بخروجه فرحا شديدا ، ثم تفرغ للتدريس والإفتاء[٣].

أما أهل الشام فقد كانوا يُتابعون ما يجرى للشيخ ويتألمون لما وقع له ، حتى إنه لما جاء خطابٌ من شيخ الإسلام إلى دمشق ، أخبر نائب السلطنة في الشام ، فأرسل في طلبه فَقُرئ على الناس ، وجعل النائب يشكر شيخ الإسلام ويثني على علمه[٤].

وذكر أخوه شرف الدين[٥]في رسالته التي أرسلها إلى أخيه

---

(١) عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد القزويني تولى القضاء بدل بدرالدين بن جماعة ، ثم لما جاء التتار خرج إلى مصر . توفي سنة ٦٩٩هـ انظر : طبقات الشافعية ٣١٠/٨ .

(٢) انظر : العقود الدرية ص/٢٠١-٢٠٢ وموقف شيخ الإسلام من الأشاعرة ١٧٨/١ .

(٣) انظر : العقود الدرية ص/٢٥١-٢٥٦ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ص/٢٥١والبداية والنهاية ٤٣/١٤ وموقف شيخ الإسلام ابن تيمة من الأشاعرة ١٨/١ .

(٥) أبو محمد شرف الدين عبد الله بن عبد الحليم شقيق شيخ الإسلام ابن تيمية ، الإمام العلامة الحافظ الزاهد الورع ، كان صاحب صدق وإخلاص شجاعا ، ذهب مع أخيه إلى مصر وناظر خصومه وحده فانتصر عليهم . توفي سنة ٧٢٧هـ لما كان أخوه مسجونا في القلعة . انظر : العقود الدرية ص/٣٦١-٣٦٢والذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٢/٢وشذرات الذهب ٧٦/٦ .

بدر الدين[١] يُعدد نِعم الله على شيخ الإسلام ، وكيف أنَّ السجن قد تحول إلى مدرسة ، ومما ذكره أنَّ الأمور انعكست عليهم فأصبحوا يتقطعون حسرة وندامة على مافعلوه ، وأقبل أهل ثغر الإسكندرية بأجمعهم إلى شيخ الإسلام ، مُتقبلين لما يذكره وينشره من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ وينكرون ما فعله الأعداء من أهل البدع والضلالات[٢]! وكان يوم وفاته رحمه الله يوما مشهودا ، فما هو إلا أنْ سمع الناس بموته ، فلم يبق في دمشق مَن يستطيع المجيء للصلاة عليه إلا وقد حضر ، وحصل للناس بمصابه أمرٌ شغلهم عن غالب أمورهم ، وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء والفقهاء والأتراك والأجناد والرجال والنساء والصبيان من الخواص والعوام ، حتى إنه لم يتخلف أحدٌمن غالب الناس إلا ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته ، فاختفوا من الناس خوفًا على أنفسهم ، بحيث غلب على ظنهم أنهم متى خرجوا رجمهم الناس فأهلكوهم[٣].

فهذه الأمثلة التي ذكرتها وهي قليل من كثير تدل دلالة واضحة على محبة الناس لشيخ الإسلام رحمه الله بسبب علمه وعمله الصالح وتقواه وزهده ، واتباعه للكتاب والسنة ، ومناصرتهما والرد على خصومهما ، مما يدل على كذب ماذكره الحصني من ضرب الناس له لما قال مقالته التي نسبها إليه ، و إيصاله إلى بعض الحكام !!

فمن هؤلاء الناس ، ومن الحاكم الذي أوصلوه إليه وهم يضربونه ، إنَّ هذا كله جهالات وأكاذيب اختلقها الحصني بقصد التشنيع ، والتنفير من منهجه في

---

(١) أبو القاسم محمد بن خالد الحراني ، أخوشيخ الإسلام لأمه ، كان عالما فقيها إماما . توفي سنة ٧١٧هـ انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ٣٧٠/٢وشذرات الذهب ٤٥/٦ .

(٢) انظر : العقود الدرية ص/٢٧٣-٢٧٥ .

(٣) الأعلام العلية للبزار ص/٨٤-٨٥ والرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص/ ١٦٥-١٦٦و٢٤٦و٣٠٤والشهادة الزكية لمرعي الكرمي ص/٦٦-٦٧و٧٢ .

الصفات الذي اعتبره تشبيها زورا وبهتانا !

٢ ـ إنَّ أبا بكر الحصني ذكر أنَّ العلماء الذين ناظروا شيخ الإسلام في مقالته التي نسبها إليه ضحكوا لما قرأ قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ وعرفوا أنه جاهل ، وهذه كذبة أُخرى لاتقل عن أختها السابقة ، وفيها جناية حتى على علماء الأشاعرة الذين يتعصب لهم الحصني ، إنّ صحت ، فكيف وهي من الأقاصيص المصطنعة !

والدليل على ذلك أنَّ علماء الأشاعرة الذين كانوا يُناظرون شيخ الإسلام لم يقل أحد منهم إنه جاهل ويكتفوا في مناظراتهم معه بمجرد الضحك كمازعم الحصني ، بل كانوا معترفين بعلمه وقوة حججه وبراهينه المبنية على صحيح المنقول وصريح المعقول ، ولذا كانوا يجمعون كل مايعرفون من الأدلة والشبهات ليردوا بها على شيخ الإسلام ، ويأتون بمن يرون أنه يستطيع أنْ يغلب شيخ الإسلام ليناظره ، كما حصل في المناظرة الواسطية حيث أحضروا معهم في الجلسة الثانية من يعتبرونه أكبر شيوخهم ومنهم صفي الدين الهندي[1]، وجرى نقاش حول عدة قضايا ومنها صفة الكلام والتشبيه والتجسيم ، والاشتراك في الصفات وغيرها ، وكان شيخ الإسلام هو المرجع في ذلك ، فإذا تكلم لم يستطيعوا رَدَّ كلامه وأدلته ، وانتهى المجلس ، ورجع شيخ الإسلام رحمه الله إلى بيته معززا منصورا مكرما[2].

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الهندي ، الفقيه الأصولي ، وُلد بالهند ثم رحل إلى الشام ، واستوطن دمشق ، استعان به علماء الأشاعرة على مناظرة شيخ الإسلام ، لكونه من محققيهم ، لكن كما قال الإمام ابن كثير : « ساقيته لاطمت بحرا » من مصنفاته : « نهاية الوصول إلى علم الأصول » و « الرسالة التسعينية في الأصول الدينية » توفي سنة ٧١٥هـ انظر : البداية والنهاية ٣٦/١٤والأعلام ٢٠٠/٦ .

(٢) انظر : المناظرة في العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى ١٨١/٣-١٩٣والبداية والنهاية ٣٧/١٤

حتى إنَّ شيخ الإسلام كان يتحدى مناظريه من العلماء والفقهاء الذين فتنوا بالكلام المذموم فتحداهم قائلا : « قد أمهلت كل من خالفني في شيء منها[١] ثلاث سنين ، فإنْ جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة ... يُخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك ، وعليَّ أنْ آتيَ بنقول جميع الطوائف ، عن القرون الثلاثة تُوافق ماذكرته من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، والأشعرية ، وأهل الحديث ، والصوفية وغيرهم ... »[٢].

وتحداهم بأنه أعلم بمذهبهم منهم قائلا : « كل من خالفني في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه ... »[٣]. فأين الجهل الذي نسبه إليه الحصني ، وزعم أنَّ العلماء الذين ناظروه ضحكوا منه عندما قرأ آية الاستواء ، فهل ضحكوا من تلاوته للآية ، فهذا لايقوم به مسلم يعقل إيمانه !

أما كون ذلك منه لجهله كما زعم الحصني فإن هذه أكذوبة لم يقل بها ـ كما تقدم ـ حتى خصومه الذين كانوا يُناظرونه ، ويبذلون جهدهم لكي ينتصروا عليه ويغلبوه لكنه رحمه الله قد غلبهم بفضل الله ورحمته ، ثم بما أُوتي من علم بالكتاب والسنة وصريح المعقول ، وتفوق عليهم حتى في معرفة مذهبهم الكلامي ، فكسره فوق رؤوسهم ، ونصر عقيدة أهل السنة والجماعة ، ولذا حسدوه وسعوا بالوشاية به إلى الحكام للتخلص منه ، حتى توفي في السجن رحمه الله تعالى ، وأسكنه فسيح جناته !

الأمر الثالث : إنَّ هذه المقالة التي نسبها إليه الحصني ، وطار بها فرحا الكوثري

---

(١) أي : من العقيدة الواسطية التي كانت فيها المناظرة !

(٢) المناظرة في العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى٣/١٦٩ .

(٣) المرجع نفسه ٣/١٦٣ .

وأضرابه ينقضها ماذكره شيخ الإسلام رحمه الله في كتبه ، من تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل في جميع صفاته عز وجل ، ومنها صفة الاستواء ومما ذكره في ذلك أنَّ من جعل صفات الله مثل صفات المخلوقين ، فقال : إنَّ الله استوى كاستواء المخلوق ونحو ذلك فهو مبتدع ضال(١)!

وذكر أنَّ من ظن أنَّ صفات الرب كصفات خلقه ، وأنَّ الله سبحانه على عرشه كالمخلوق فقد وقع في تمثيل وضلال ، وذلك لأنَّ المخلوق إذا استوى على سريره فهو مفتقر إلى ذلك ، ولوزال سريره لسقط ، والله غني عن العرش وعن كل ماسواه ، والعرش وكل ماسواه فقير إلى الله ، وعلوه عليه تعالى لايُوجب افتقاره إليه(٢).

وذكررحمه الله أنَّ الله تعالى إذا قال : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الفرقان : ٥٩] فمن فهم من ذلك مايختص بالمخلوق كما يفهم من قوله تعالى : ﴿ فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك ﴾ فمن نفسه وسوء فهمه أُتي فإن ظاهر اللفظ يدل على استواء يُضاف إلى الله عز وجل كما يدل في تلك الآية على استواء يُضاف إلى العبد ، وإذا كان المستوي ليس مماثلا للمستوي لم يكن الاستواء مماثلا للاستواء ، وليس في ظاهر كلام الله عز وجل مايدل على مايختص به المخلوق من حاجة إلى حامل وغير ذلك بل توهم ذلك من سوء الفهم لا من دلالة اللفظ ، لكن إذا تخيل المتخيل في نفسه أن الله مثله تخيل أن يكون استواءه كاستوائه ، ومن عرف أنَّ الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله عَلِم أنَّ استواءه ليس كاستواء المخلوق(٣).

---

(١) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥/٢٦٢-٢٦٣ .

(٢) انظر : الجواب الفاصل بتمييز الحق من الباطل لابن تيمية المطبوع في مجلة البحوث الإسلامية العددص/٢٩٥-٢٩٦ .

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣/١٥٢-١٥٣ . .

وبرأ رحمه الله نفسه وهو على قيد الحياة من مثل المقالة التي نسبها إليه أبو بكر الحصني قائلا : « ... إنَّ الله تعالى فوق عرشه على الوجه الذي يليق بجلاله ، ولا أقول فوقه كالمخلوق على المخلوق كما تقول المشبهة ، ولا يُقال إنه لا فوق السموات ولا على العرش رب كما تقول المعطلة الجهمية ، بل يُقال : إنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه »[١].

ونقل عن الإمام مالك رحمه الله مُقَرِرًا أنَّ من قال : إنَّ استواءه تعالى على عرشه كاستواء المخلوق على كرسيه ، فهو ضال مبتدع جاهل[٢].

فإذا كان رحمه الله ينزه الله تعالى عن أنْ يكون استواءه كاستواء مخلوق على مخلوق ، ويعتبر من قال بذلك ضالا مبتدعا جاهلا ، ويتبرأمن ذلك ، فكيف ينسب إليه ما ينفيه ويتبرأ منه ، ويحكم بضلال من قال به ؟!سبحانك هذا بهتان عظيم !

الأمر الرابع : ومما يدل على براءة شيخ الإسلام رحمه الله من وصمة التشبيه ثناء العلماء أهل الفضل والإنصاف عليه حتى مخالفوه ، وشهادتهم له بالإمامة والعلم والعمل والورع وصحة الاعتقاد ، وبالبراءة من التشبيه والتجسيم ، وقد ألف بعض العلماء كتبا[٣]بذلك ، ومن أقوالهم ما ذكره ابن الزملكاني[٤]رحمه الله ت ٧٢٧هـ في الثناء عليه وشهادته له بالعلم والإمامة مع

---

(١) المناظرة في العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٢٠٧-٢٠٨ .

(٢) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥/٢٥٨ .

(٣) كالأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للحافظ البزار ، والعقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية للإمام ابن عبد الهادي ، والرد الوافر على من زعم بأنَّ من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر . للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي ، والشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية للعلامة مرعي بن يوسف الكرمي .

(٤) أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن عبد الواحد بن خطيب زملكاه الأنصاري الشافعي الإمام العلامة قاضي القضاة الذي تولى مناظرة شيخ الإسلام غير مامرة ومع ذلك كان =

أنه تولى مناظرته لكن قال في شأنه منصفا : « ... الإمام العالم العلامة الأوحد ، البارع الحافظ الزاهد ، الورع القدوة الكامل العارف تقي الدين شيخ الإسلام مفتي الأنامسيد العلماء قدوة الأئمة الفضلاء ناصرالسنة قامع البدعة حجة الله على العباد في عصره ، راد على أهل الزيغ والعناد ، أوحد العلماء العاملين ... »[١].

وذكر الإمام ابن عبد الهادي[٢] رحمه الله ت٧٤٤هـ أنَّ شيخ الإسلام رحمه الله كان سيفا مسلولا على المخالفين ، وشَجىً في حلوق أهل الأهواء المبتدعين ، وإماما قائما ببيان الحق ونصرة الدين[٣].

وذكر الإمام البزار[٤] رحمه الله ت٧٤٩هـ أنَّ المنصف لشيخ الإسلام رحمه الله يراه واقفا مع الكتاب والسنة لا يميله عنهما قول أحد ، كائنا من كان ، ولا يُراقب في الأخذ بعلومهما أحدًا ، ولايخاف في ذلك أميرا ولا سلطانا ، ولا سوطا ولا سيفا ، ولا يرجع عنهما لقول أحد ، وماسمعنا أنه اشتهرعن أحد مُنذ دهر طويل ما اشتهر عنه من كثرة متابعة الكتاب والسنة والإمعان في تتبع معانيهما ، والعمل بمقتضاهما[٥].

= يعترف بإمامته وفضله ولاينكرفضله ولابره لانصافه . توفي سنة ٨٣٧هـ انظر : الشهادة الزكية لمرعي الكرمي ص/٣٥-٣٧ .

(١) ذكره ابن ناصر الدين الدمشقي في الرد الوافر ص/١٠٨ومرعي الكرمي في ثناء الأئمة على ابن تيمية ص/٣٥-٣٧ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن الشيخ عماد الدين أبي العباس أحمد بن عبدالهادي بن عبدالحميد بن عبد الهادي المقدسي الصالحي الحنبلي ، الإمام العلامة الحافظ من مصنفاته : « العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية » توفي سنة ٧٤٤هـ انظر : الرد الوافر ص/٦٣-٦٤والشهادة الزكية ص/٥٣ .

(٣) انظر : العقود الدرية ص/٧وذكره العلامة مرعي الكرمي في الشهادة الزكية ص/٥٣ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ص/٥٨٨ .

(٥) انظر كتابه : الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص/٨٠-٨١ .

وقال بهاء الدين السبكي[١] رحمه الله ت٨٥٢هـ : « ... والله ... مايُبغض ابن تيمية إلاجاهل أوصاحب هوى ، فالجاهل لايدري مايقول ، وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته له ... »[٢]!

وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله ت٨٥٢هـ منكرا على من يصف شيخ الإسلام بالتجسيم أنَّ تصانيف شيخ الإسلام طافحة بالرد على من يصمه بالتجسيم ، وأنه بريء من ذلك ، ومن العجب أنَّ هذا الرجل من أعظم الناس قياما على أهل البدع من الروافض والحلولية والاتحادية ، وتصانيفه في ذلك كثيرة مشهورة ، وفتاويه فيهم لاتدخل تحت الحصر ، ومع هذا فَيَا قرة أعينهم إذاسمعوا بكفره ، وياسرورهم إذارأوا من يكفر من لايكفره فالواجب على من تلبس بالعلم ، وكان له عقل أنْ يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشتهرة أومن ألسنة من يوثق به من أهل النقل ، فيفرد من ذلك ماينكر ، فيحذرمنه على قصد النصح ، ويثني عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك ، كدأب غيره من العلماء !

ولولم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن القيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة ، التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته ، فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتمييز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم ، فضلا عن الحنابلة[٣]!

---

(١) أبو البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي ، الإمام العلامة قاضي القضاة ، توفي سنة ٧٧٧هـ انظر : الرد الوافرص/٩٧والشهادة الزكية ص/ ٥٧ .

(٢) ذكره ابن ناصر الدين الدمشقي في الرد الوافر ص/٩٩ .

(٣) انظر : تقريظ الحافظ ابن حجر على كتاب الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص/٢٤٨ .

وذكرخير الدين الألوسي[١]رحمه الله ت١٣١٧هـ أنَّ شيخ الإسلام قد اتبع ماوردت به السنة المرضية ووافق أقوال الأئمة ، وذهب إلى ماذهب إليه كثير من علماء الأمة ، فلا لوم عليه في ذلك عند المنصفين ، وَلايُنسب إليه الابتداع في الدين ، فتأمله وكن من المستغفرين له ولنا ولنفسك وللعلماء السالفين رحمهم الله تعالى وإيانا أجمعين[٢].

وذكر أيضا في مقام رده على ابن حجر الهيتمي[٣]في رميه شيخ الإسلام بالتجسيم أنَّ مارماه به الشيخ ابن حجرالهيتمي فليس كما قال ، بل هو عن ذلك بمعزل ، وبعيد بألف ألف منزل فتأليفاته وعباراته التي سمعتها قاضية بكذب ما عُزي إليه ، وكذلك شهادات العلماء حاكمة باختلاق ما زور عليه[٤]!

وذكرأيضا أنه رأى والده[٥]رحمه الله أنه قال في ابن تيمية : « حاشا لله تعالى أنْ يكون من المجسمة ، بل هوأبرأ الناس منهم ... »[٦].

وبين أنَّ الطاعنين عليه بالتشبيه والتجسيم إنما كان منهم ذلك لأنه سلفي العقيدة

---

(١) أبو البركات نعمان بن محمود بن عبد الله خير الدين الألوسي ، من أعلام الأسرة الألوسية في العراق ، كان عالما فقيها واعظا باحثا ، من مصنفاته : « الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح » و« جلاء العينين في محاكمة الأحمدين » أحمد بن تيمية ، وأحمد بن حجر الهيتمي . توفي سنة ١٣١٧هـ انظر : الأعلام ٤٢/٨ .

(٢) انظر كتابه : جلاء العينين ص/٤٠٧-٤٠٨ .

(٣) أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي الهيتمي السعدي الأنصاري ، الأشعري من مصنفاته « تحفة المحتاج » و « الصواعق المحرقة » توفي سنة ٩٧٣هـ انظر : شذرات الذهب ٨/ ٣٧٢ . ومعجم المؤلفين ٢١٨/٦ .

(٤) انظر : جلاء العنين ص/٣٣٩ .

(٥) أبو الثناء محمود بن عبدالله الألوسي وقد تقدمت ترجمته انظر : ص/١٨٣ .

(٦) انظر : جلاء العينين ص/٣٤٠ .

كالأئمة الأمجاد ، وطاعنوه كما نعلم خلفيون ، ولآيات الصفات مؤولون والعجب ممن يترك صريح لفظه بنفي التشبيه والتجسيم ويأخذ بلازم قوله الذي لايقول به ولايُسلم له[١]!

وأقوال أهل العلم في الشهادة لابن تيمية بالعلم والإيمان وصحة الاعتقاد ، والبراءة من التشبيه والتجسيم كثيرة جدا ، وإنما ذكرت منها نماذج ، ليُعلم مع ماتقدم براءته من وصمة التشبيه ، وكذب من رماه بذلك ، وخروجهم عن العدل والإنصاف إلى الظلم والبهتان !

o o o o

(١) انظر : المرجع نفسه ص/١٧ .

المبحث السابع

ذكر بعض الأسباب التي اتخذها المعطلة لنبز أهل السنة بالتشبيه والحشو والتجسيم ونقدها

ذكرت فيما تقدم بعض مقالات أهل التعطيل في نبز أهل السنة بالتشبيه والتجسيم والحشو وبراءتهم من ذلك .

وفي هذا المبحث سأذكر بعض الأسباب التي اتخذها المعطلة ذريعة لنبزأهل السنة بأنهم حشوية مشبهة مجسمة ونقدها ، حتى لاينخدع بها من لامعرفة له بتمويهات هؤلاء المبتدعة ، لاسيما وأنَّ بعضها قد يكون موجودا في بعض كتب أهل السنة كالأحاديث الضعيفة ، التي رواها بعض الأئمة في مقام الرد على المعطلة ، أو في مقام إثبات صفة ثابتة بنصٍ آخر صحيح ، فتغافل عن هذا أهل التعطيل ، وأخذوا يشنعون على أهل السنة بالحشو والتشبيه ، بقصد التنفير عن منهجهم المستنبط من الكتاب والسنة .

وسيكون بيان هذه الأسباب مع نقدها وتفنيدها في مطالب :

المطلب الأول

وجود بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة في بعض كتب أهل السنة

رغم وضوح منهج أهل السنة في نصوص الصفات المبني على الكتاب والسنة الصحيحة[١] إلا أنَّ بعض أهل السنة قد قصروا عن الالتزام بهذا المنهج بإيرادهم بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة في كتبهم ، مما جعل للمعطلة مدخلا في نبزهم بالحشو والتشبيه .

ومن هذه الأحاديث على سبيل المثال ما رواه ابن أبي عاصم[٢] بسنده عن عبد الله بن منين[٣] قال : بينا أنا في المسجد إذْ جاءه قتادة بن النعمان[٤] فجلس فتحدث ، ثم ثاب إليه ناس فقال : انطلق بنا ياابن منين إلى أبي سعيد الخدري فإني قد أُخبرت أنه قد اشتكى ، قال : فانطلقنا حتى دخلنا على أبي سعيد فوجدناه مستلقيا رافعا إحدى رجليه على الأخرى فسلمنا وقعدنا فرفع قتادة يده فقرصه قرصة شديدة ، قال أبو سعيد : أوجعتني . قال : ذلك أردت ، ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول : « لما قضى الله خلقه استلقى ثم وضع إحدى رجليه على الأُخرى ثم قال : لاينبغي أنْ يُفعل مثل هذا » قال أبو سعيد : نعم[٥].

---

(١) سيأتي موقف أهل السنة من نصوص الصفات انظر : ٤٦٧/٢ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٦٥/٢ .

(٣) عبد الله بن مُنين المصري قال عنه الإمام الذهبي « ماروى عنه سوى الحارث بن سعيد » وثقه يعقوب بن سفيان . انظر : ميزان الاعتدال ٥٠٨/٢ هـ وتقريب التهذيب ٥٣٨/١ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ٣٣٥/١ .

(٥) رواه ابن أبي عاصم في السنة ٢٤٨/١-٢٤٩ح٥٦٨ .

فهذا الحديث كما ذكر الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله ضعيف والمتن منكر كأنه من وضع اليهود[١].

وهو من الأحاديث الذي شنع بها ابن الجوزي على من رماهم بالتشبيه[٢].[٣].

وقد شنع به الكوثري على أهل السنة بعد أنْ نبزهم بأنهم حشوية ، مُدَّعيا أنهم يتقولون في الله ما لا يُجوزه الشرع والعقل من إثبات الحركة له والاستلقاء[٤]!

ومن الأمثلة على استدلال بعض الأئمة بالأحاديث الضعيفة مارواه القاضي أبو يعلى بسنده عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله تعالى : ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] قال : يجلسه معه على السرير »[٥].

وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه يجلسه على عرشه »[٦]وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها : « وعدني ربي القعود على العرش »[٧]. ومثله عن عمر بن الخطاب[٨].

وبإسناده عن مجاهد قال : « يجلسه على العرش »[٩]وأورد عن مجاهد أيضا

---

(١) انظر : تعليقاته على المرجع السابق ٢٤٩/١ .

(٢) وهم القاضي ابن حامد ، وابن الزاغوني ، والقاضي أبويعلى ، وقدتقدم نقد مقالات ابن الجوزي فيهم انظر : ٢٢١/٢ .

(٣) انظركتابه : دفع شبه التشبيه ص/١٢٥

(٤) انظر : مقدمة الكوثري على تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص/١٤ .

(٥) انظر : إبطال التأويلات٤٧٦/٢رقم/٤٤٠ .

(٦) انظر : المرجع نفسه ٤٨٢/٢رقم/٤٥٢ .

(٧) انظر : المرجع نفسه ٤٧٦/٢رقم/٤٤١ .

(٨) انظر : المرجع نفسه ٤٧٧/٢رقم/٤٤٣ .

(٩) انظر : المرجع نفسه ٤٨٣/٢رقم/٤٥٤ .

يرفعه إلى النبي ﷺ بأن المراد به الشفاعة[١]. لكن انتقد هذه الرواية قائلا : « ... والراوية المشهورة في تفسير هذا أنه : الجلوس على العرش رواه ابن عمر ، وابن عباس ، وابن مسعود وعائشة ، وقد تقدم أسانيد هذه الأحاديث والمشهور فى الرواية أولى مما شذ منها »[٢].

فحكم على الرواية المشهورة الصحيحة[٣]في تفسير المقام المحمود بالشذوذ !

ثم حاول الجمع بينهما قائلا : « ... على أنه لا يمتنع أنْ يكون المقام المحمود : الشفاعة والقعود على العرش ، لأنَّ القصد من ذلك علو المنزلة ... »[٤].

وهذه الأحاديث التي رواها أبو يعلى ورفعها إلى النبي ﷺ في تفسير المقام المحمود كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله كلها موضوعة ، وقد رواها بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة وهى كلها موضوعة وإنما الثابت عن مجاهد وغيره من السلف ، وكان السلف والأئمة يروونه ولا ينكرونه ويتلقونه بالقبول ، وقد يقال إن مثل هذا لايقال إلا توقيفا لكن لابد من الفرق بين ماثبت من ألفاظ الرسول وماثبت

---

(١) انظر : المرجع نفسه ٤٨٦/٢رقم/٤٨٦ .

(٢) المرجع نفسه ٤٨٧/٢ .

(٣) تفسير المقام المحمود بالشفاعة العظمى يوم القيامة في المحشر هو الذي وردت به الروايات الصحيحة عن النبي ﷺ فقد رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر « في كتاب التفسير٨/٢٥١ح٤٧١٨ومن حديث جابر بن عبد الله « ح٤٧١٩ومسلم في كتاب الإيمان ١/ ٣٢٠ح٣٢٠ من طريق جابر رضي الله عنه أيضا .

وبه قال جمهور أهل السنة قاطبة كماذكرابن عبد البر في كتابه التمهيد ١٥٧/٧وراجع : تفسير الطبري ١٣٠/٨-١٣٢وتفسيرابن كثير ٥٨/٣-٦٢وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص/ ٢٥٣-٢٥٦وشرح العقيدة الواسطية للهراس ص/٢٥٣ .

(٤) إبطال التأويلات٤٨٧/٢ .

من كلام غيره سواء كان من المقبول أو المردود »[١]. وسيأتي لماذا كانوا يتلقونه بالقبول[٢].

وذكر الإمام الذهبي رحمه الله أنَّ قضية قعود النبي ﷺ على العرش لم يثبت عن النبي ﷺ فيها نص[٣]!

لكنه رحمه الله كما ذكر الشيخ الألباني لم يقف عند هذا البيان الواضح في أنه ليس في الباب نص ملزم للأخذ به ، بل ذكر أكثر من صفحة في نقل أقوال من أفتى بالتسليم في تفسير قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ بأنه يجلسه أو يقعده على العرش[٤]!

وقد وجد المعطلة ذريعة بمثل هذه الأحاديث الموضوعة للطعن على أهل السنة والحديث ورميهم بالحشو والتشبيه ، لاسيما المعاصرين منهم كالكوثري وأضرابه المتكلمين[٥] .

حيث زعم الكوثري أنَّ أسطورة تفسير المقام المحمود بقولهم : « يقعده معه على العرش » تسربت إلى معتقد الحشوية من قبل النصارى بأن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء وقعد إلى جنب أبيه[٦].

كما نبز أهل السنة بلقب الحشوية ، وذكر أنهم يقولون في الله مالا يجوزه الشرع

---

(١) انظر : درء التعارض ٥/٢٣٧ .

(٢) انظر : ٢/٣٥٠ ـ٣٥٤ .

(٣) انظر كتابه : العلوص/١٧٠ومختصره ص/١٨٣ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ص/ ١٤-١٥وراجع : كتاب العلو ص/١٧٠-١٧١ .

(٥) انظر : المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام للدكتور محمد عبد الستار نصار ١/٦٢٠-٦٢١وبراءة الأشعريين من عقائد المخالفين لأبي حامد بن مرزوق ص/٦٤ .

(٦) انظر كتابه : تكملة الرد على نونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل للسبكي ص/١٢٥ .

ولا العقل من إثبات الحركة[١]له ـ تعالى ـ والنقلة[٢]، والحد والجهة[٣]، والقعود والإقعاد[٤]ويعني بالأخير ماروي في تفسير المقام المحمود بقعود النبي ﷺ مع الله على العرش !!

وقد يقول البعض إنه قد يجد المعطلة أحيانا كالكوثري سبيلا للطعن على أهل السنة ورميهم بالحشو والتشبيه فيما يرويه بعضهم من الأحاديث والآثار الموضوعة في الصفات لذا لا يجوز إيرادها إلا في مقام ردها وإبطالها ، كما لا يجوز التشنيع بها على أهل السنة واعتبارهم حشوية مشبهة ، ولايقول بهذا إلا جاهل أو مغرض يريد التشنيع ، وأهل السنة بريئون من ذلك ويدل على ذلك وجوه :

الوجه الأول : إنَّ من منهج أهل السنة في صفات الله كما تقدم[٥]الوقوف على ما ورد في كتاب الله تعالى ، وما صح عن رسول الله ﷺ فإن لأحاديث المروية في الصفات يشترطون فيها الصحة[٦]، فإنْ كانت صحيحة وجب قبولها والإيمان بها مع تنزيه الله تعالى عن التشبيه فيها ، وإنْ كانت ضعيفة فلا يجوز الاشتغال بها !

وقد بين الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله المنهج المستقيم الذي يجب سلوكه مع الأحاديث المروية في الصفات ، وقسمها إلى ثلاثة أقسام :

---

(١) تقدم موقف أهل السنة من إطلاق ذلك إثباتا ونفيا انظر : ٥١٩/١ ـ ٥٢١ .

(٢) يريد بالنقلة صفة النزول والمجيء !

(٣) يريد بالحد والجهة صفة العلو والاستواء وتقدم موقف أهل السنة من إثبات الحد لله أونفيه انظر : ٤٤٤/١ .

(٤) انظر : مقدمة الكوثري على تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص/١٤ .

(٥) انظر : ١٢١/١.

(٦) سيأتي بيان ذلك عند ذكر موقف أهل السنة من أحاديث الصفات انظر : ٤٦٧/٢ و٤٧١ ـ ٤٨٣ .

١ ـ منها أخبار ثابتة أجمع أهل النقل على صحتها لاستفاضتها وعدالة ناقليها ، فيجب قبولها والإيمان بها ، مع حفظ القلب أنْ يسبق إليه اعتقاد ما يقتضي تشبيها لله بخلقه ووصفه بما لا يليق به .

٢ ـ أخبار ساقطة بأسانيد واهية ، وألفاظ شنيعة ، أجمع أهل العلم بالنقل على بطلانها فهذه لا يجوز الاشتغال بها ولا التعريج عليها .

٣ ـ أخبار اختلف أهل العلم في أحوال نقلتها ، فقبلهم البعض دون الكل ، فهذه يجب الاجتهاد والنظر فيها لتلحق بأهل القبول ، أو تجعل في حيز الفساد والبطلان(١).

وذكر الإمام ابن خزيمة رحمه الله منهج أهل السنة في صفات الله وبين أنه منهج توقيفي موقوف على ماورد في الكتاب والسنة الصحيحة ، ووضح موقفهم من الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والآراء فقال : « لا نصف معبودنا إلا بما وصف به نفسه إما في كتاب الله أوعلى لسان نبيه ﷺ بنقل العدل عن العدل موصولا إليه ، لا نحتج بالمراسيل ولابالأخبار الواهية ، ولانحتج أيضا في صفات معبودنا بالآراء والمقاييس »(٢).

وذكر الإمام موفق الدين بن قدامة رحمه الله منهج أهل السنة في أحاديث الصفات فمما قاله في ذلك : « ... فينبغي أن يُعلم أن الأخبار الصحيحة التي تثبت بها صفات الله تعالى هي : الأخبار الصحيحة الثابتة بنقل العدول الثقات التي قبلها السلف ونقلوها ولم ينكروها ولاتكلموا فيها ، وأما الأحاديث الموضوعة التي وضعتها الزنادقة ليلبسوا بها على أهل الإسلام أو الأحاديث الضعيفة إما لضعف

---

(١) انظر : رسالة الصفات للخطيب البغدادي المطبوعة في مجلة الحكمة « العدد الأول » ص/٢٩٧ .

(٢) كتاب التوحيد ١٣٧/١ .

رواتها أوجهالتهم أولعلة فيها فلا يجوز أن يُقال بها ولااعتقاد مافيها بل وجودها كعدمها ، وما وضعته الزنادقة فهو كقولهم الذي أضافوه إلى أنفسهم »[١]

وبين شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ الواجب أنْ يُفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب فإن السنة هي الحق دون الباطل ، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة ، فهذا أصل عظيم لأهل الإسلام عموما ، ولمن يدعي السنة خصوصا[٢].

فمنهج أهل السنة في أحاديث الصفات مبني على ماصح إسناده إلى النبي ﷺ ، ومن أخطأ من أهل السنة فأورد في كتابه بعض الأحاديث الموضوعة فخطؤه خطأ فردي لا يجوز التشنيع بذلك على أهل السنة عموما ، ولا يجوز نسبة الأقوال الباطلة إلى مذهبهم ، كما أنَّ المسلم إذا فعل منكرا لايقدح في دين المسلمين ، ولا ينسب المنكر إلى دينهم[٣]!

أما إيراد الأحاديث الضعيفة غير الموضوعة فلايكون خطأ على كل حال فقد يجوز إيراده إذا كان له شواهد ومتابعات ، وكان الذي أورد له ثابت بأدلة من القرآن والسنة الصحيحة كما في الوجه الثاني .

الوجه الثاني : إنَّ بعض الأئمة قد يُوردون بعض الأحاديث التي فيها ضعف لما يُوجد لها أدلة ثابتة في كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ كإيرادهم حديث الأطيط[٤]،

---

(١) ذم التأويل لابن قدامة ص/٤٧ .

(٢) انظر : الوصية الكبرى ضمن مجموع الفتاوى ٣/٣٨٠ .

(٣) انظر : منهاج السنة ٢/٦٣٠-٦٣١ .

(٤) الذي رواه أبو دود في كتاب السنة في الرد على الجهمية ٥/٩٤-٩٦ح٤٧٢٦والدارمي في الرد على الجهمية ص/٢٤وابن أبي عاصم في كتاب السنة ص/٢٥٢ح٥٧٥والدار قطني في الصفات ص/٥١ح٣٨وابن عبد البر في التمهيد ٧/١٤١واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/ ٣٩٤-٣٩٥ح٦٥٦والذهبي في العلو ص/٤٤-٤٥ح٧٣كلهم من طريق جرير بن حازم =

وحديث الأوعال[١] لدلالتها على علو الله عز وجل ، واستوائه على عرشه لأنَّ ذلك أمر ثابت عندهم بأدلة صحيحة صريحة قطعية الثبوت والدلالة ، وهذان الحديثان إنما جاءا على وفق تلك الأدلة فهم يجمعون ماورد في الباب من صحيح وضعيف ، لأنَّ كثرة الأدلة والشواهد تقوي الحجة وتقطع الخصم وتفحمه[٢].

وبعضهم قد يبين حال الحديث الضعيف ، لذا اعتذر الإمام الذهبي رحمه الله عن إيراده حديث الأطيط مع مافيه من ضعف ، وبين المنهج الذين عليه أهل السنة في أحاديث الصفات بقوله : « وقولنا في هذه الأحاديث : إننا نُؤمن بما صح منها ، وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره ، فأما ما في إسناده مقال واختلف العلماء في قبوله وتأويله ، فإنا لا نتعرض له بتقرير ، بل نرويه في الجملة ونبين حاله ، وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه مما يوافق آيات

= عن محمد بن إسحاق به .

وإسناده كما ذكر الشيخ الألباني ضعيف ، ورجاله ثقاة ، لأنَّ محمد بن إسحاق مدلس ، ومثله لا يحتج به إلا إذا صرح بالتحديث ، وهذا مالم يفعله فيما وقفت عليه من الطرق إليه . انظر تخريجه على كتاب السنة لابن أبي عاصم ص/٢٥٢ .

(١) الذي رواه أبو داود في كتاب السنة انظر : سنن أبي داود ٥/٩٣ح٤٧٢٢ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ص/٢٥٣-٢٥٤ح٥٧٧والدارمي في الرد على الجهمية ص/٢٤والآجري في الشريعة ص/٢٩٢-٢٩٣واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/٣٨٩ح٦٥٠والذهبي في العلو/ ٥٨-٦٠ح١٠٤و١٠٥و١٠٦و١٠٧ . كلهم من طريق عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب « . والحديث ضعيف لأنَّ في إسناده عبد الله بن عميرة ، قال فيه الإمام البخاري : « لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس » وقال عنه الإمام الذهبي : « فيه جهالة » انظر : تهذيب الكمال ١٥/٣٨٦وميزان الاعتدال٢/٥٦٩وراجع : تخريج الشيخ الألباني له في كتاب السنة لابن أبي عاصم ص/٢٥٤ .

(٢) انظر : جهود الإمام أبي داود السجستاني في تقرير مسائل الاعتقاد للدكتور : جيلاني خضر العروسي ص/٣٥٣رسالة دكتوراه مقدمة في الجامعة الإسلامية ، قسم العقيدة .

الكتاب »[١].

الوجه الثالث : إنَّ بعض الأئمة يُوردون الأحاديث بأسانيدها ، والعهدة على الراوي وذلك لأنَّ العلماء وطلبة العلم في عصرهم كانوا يُدركون علل الحديث ، لاسيما إذا كان الراوي أو الحديث مشهورا بضعفه ونكارته ، وأما في الأزمان المتأخرة فلا تبرء العُهد برواية الحديث الضعيف ولو بذكر إسناده ، لأنَّ هذه الخاصية قد ضعفت عند غالب خواص أهل العلم فضلا عن غيرهم !!

الوجه الرابع : إنَّ بعض الأئمة قد يستدلون أحيانا بحديث ضعيف غير موضوع أوأثرضعيف غير موضوع إذا كان له ما يقويه من آثار السلف وأقوالهم ، وتضافرت كلماتهم على الاستشهاد به وقبوله ومن أمثلة ذلك احتجاج بعض السلف بأثر مجاهد في إقعاد النبي ﷺ على العرش[٢]، لأنَّ هذا الأثر قد اشتهر بين السلف من غير نكير ، وله ما يقويه من أقوالهم[٣].

ولا يتناقض هذا مع ما تقدم ذكره[٤]عن شيخ الإسلام رحمه الله من أن ماروي عن مجاهد في تفسير المقام المحمود من الآثار كلها موضوعة وذلك ـ كما بين شيخ الإسلام ـ إذا رويت مرفوعة إلى النبي ﷺ ، لكن إذا رويت موقوفة على مجاهد وغيره من السلف فلا تكون حينئذ موضوعة لأنها ثابتة عن مجاهد وغيره من السلف ، ولذا كان الأئمة يروون أثر مجاهد السابق ويتلقونه بالقبول ، ويردون به على الجهمية المعطلة ، لأن له شواهد من القرآن والأحاديث الصحيحة المرفوعة إلى

---

(١) العلو للذهبي ص/٤٥ .

(٢) انظر : كتاب السنة للخلال ١/٢٠٩-٢٥٩والسنة لابن أبي عاصم ص/١٣٢وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/٩-١١و١٣٢ .

(٣) انظر : جهود الإمام أبي داود السجستاني في تقرر مسائل الاعتقاد ص/٣٥٦ .

(٤) انظر : ٢/٣٤٤ .

النبي ﷺ تثبت صفة الاستواء لله تعالى كما وردت .

ولذا قال الإمام أبو داود السجستاني[١] كما ذكر الخلال[٢]: وسمعت أبا داود يقول : « من أنكر هذا فهو عندنا متهم ، وقال : مازال الناس يحدثون بهذا يريدون مغايظة الجهمية وذلك أن الجهمية ينكرون أن على العرش شيء »[٣].

وجمهور السلف متفقون على أن المقام المحمود الوارد في الآية المراد به : الشفاعة العظمى للنبي « يوم القيامة كما ورد في الحديث الصحيح[٤].

ذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله أنَّ الذي عليه جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم تفسير المقام المحمود بالشفاعة ، وأنَّ هذا مروي أيضا عن مجاهد ، فصار إجماعا في تأويل الآية من أهل العلم بالكتاب والسنة[٥].

فترك أهل البدع ذِكر ما اتفقوا عليه ، وشنعوا عليهم بما ذكر بعضهم ، مع إنكار بعضهم ذلك كما فعل ابن عبد البر رحمه الله حيث اعتبره قولا مهجورا عند أهل السنة ، وذكر أن الذي عليه جماعتهم ماثبت ذلك عن نبيهم ﷺ من أنه الشفاعة ، وليس من العلماء أحد إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ[٦].

فتغافل هؤلاء المبتدعة الذين شنعوا على أهل السنة بتفسيرهم المقام المحمود : « بإقعاد النبي ﷺ على العرش » تغافلوا عن أمرين :

الأمر الأول : عن اتفاق جمهور أهل السنة بأنَّ المقام المحمود هو شفاعة رسول

---

(١) تقدمت ترجمته انظر : ٤٤٨/١ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ١٦٧/٢ .

(٣) أخرجه الخلال في كتاب السنة ٢١٤/١-٢١٥رقم/٢٤٤ .

(٤) الذي تقدم عزوه قريبا .

(٥) انظر : التمهيد ٦٣/١٩-٦٤ .

(٦) انظر : المرجع نفسه ١٥٧/٧ .

الله ﷺ يوم القيامة في المحشر .

الأمر الثاني : بأنَّ ما شنعوا به عليهم ليس قول جماعتهم ، بل قولٌ لبعضهم ، وقد أنكره بعضهم وذكروا قول جماعتهم وما هو متفق عليه بينهم ، وهو شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة .

على أنه لو ورد نصٌ صحيح ثابت بإقعاد النبي ﷺ على العرش لوجب قبول ذلك لأنه ليس فيه انتقاصٌ من حق الربوبية ، فالله يفعل ما يشاء ، ولايكتسب رسول الله ﷺ بذلك صفة من صفات الربوبية ، بل هو عبد الله ورسوله ﷺ .

وجلوس النبي ﷺ على العرش على فرض صحته وهو غير صحيح كما ذكر الشيخ مراد شكري ليس هو من أسماء الله عز وجل ولامن صفاته في شيء مادام أنَّ الله مستوٍ على العرش كما يليق بذاته بلا تكييف ولا تمثيل .

فليس لذلك صلة بمسائل الصفات ، كما يتوهم المبتدعة الذين يشنعون على أهل السنة بذلك بالتشبيه ، وحتى الذين أوردوه من أهل السنة ، لم يوردوه على أنه من أسماء الله وصفاته ، وحاشاهم من ذلك ، فإنهم أئمة أعلام متبعون للكتاب والسنة وإنما توهموا صحة حديث لم يصح ، فأثبتوا لفظة في الشرع لم تثبت[١]، أرادوا بذلك كما تقدم عن أبي داود رحمه الله مغايظة الجهمية[٢]الذين ينكرون استواء الله على العرش ، مع ثبوته بالكتاب والسنة .

الوجه الخامس : إنه إذا قابلنا بين أهل الكلام المذموم ، وبعض أهل السنة الذين يوردون بعض الأحاديث الضعيفة في الصفات ، فإنَّ الذي يعيب بعض أهل الحديث والسنة بحشو القول كما ذكر شيخ الإسلام إنما يعيبهم بقلة المعرفة ، أوبقلة

---

(١) انظر : دفع الشبه الغوية عن شيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ مراد توفيق ص/١٢٧ .

(٢) انظر : ٣٥١/٢ .

الفهم !

أما الأول : فبأنْ يحتجوا بأحاديث ضعيفة أو موضوعة ، أو بآثار لاتصلح للاحتجاج .

وأما الثاني : فبأنْ لا يفهموا معنى الأحاديث الصحيحة ، بل يقولون القولين المتناقضين ولايهتدون للخروج من ذلك .

والأمر راجع إلى شيئين إما إلى زيادة أقوال غير مفيدة يُظن أنها مفيدة ، كالأحاديث الموضوعة وإما أقوال مفيدة لكنهم لا يفهمونها ، لأنَّ اتباع الحديث يحتاج أولا : إلى صحة الحديث .

وثانيا : إلى فهم معناه كاتباع القرآن ، فالخلل يدخل عليهم من ترك إحدى المقدمتين ومن عابهم من الناس فإنما يعيبهم بهذا .

ولاريب أنَّ هذا موجود في بعضهم ، يحتجون بأحاديث موضوعة في مسائل الأصول والفروع ويذكرون من القرآن والحديث مالا يفهمون معناه وربما تأولوه على غير تأويله ووضعوه على غير موضعه !

ثم إنهم بهذا المنقول الضعيف ، والمعقول السخيف قد يكفرون ويضللون ، ويبدعون أقواما من أعيان الأمة ويجهلونهم ، ففي بعضهم من التفريط في الحق والتعدي على الخلق ماقد يكون بعضه خطأً مغفورًا ، وقد يكون منكرا من القول وزورًا ، وقد يكون من البدع والضلالات التي يُوجب تغليظ العقوبات ، وهذا لاينكره إلا جاهل ظلوم وقد رأيت من هذا عجائب !

لكنهم بالنسبة إلى غيرهم في ذلك كالمسلمين بالنسبة إلى بقية الملل ، ولاريب أنَّ في كثير من المسلمين من الظلم والجهل والبدع والفجور مالا يعلمه إلا من أحاط بكل شيء علما ، لكن كل شر في بعض المسلمين فهو في غيرهم أكثر ، وكل خير يكون في غيرهم فهوفيهم أعلى وأعظم ، وهكذا أهل الحديث بالنسبة إلى غيرهم .

وبيان ذلك أن ما يذكرمن فضول الكلام الذي لا يفيد مع اعتقاد أنه طريق إلى التصور والتصديق ، هو في أهل الكلام والمنطق أضعاف أضعاف مافي أهل الحديث !

فبإزاء احتجاج بعض أهل السنة بالأحاديث الضعيفة ، يحتج المتكلمون بالحدود والأقيسة العقيمة ، التي لاتفيد معرفة ، بل لاتفيد إلا جهلا وضلالا .

وبإزاء تكلم بعض أهل الحديث بأحاديث لا يفهمون معناها ، يتكلف المتكلمون بالقول على الله بغير علم ماهو أعظم من ذلك وأكثر !

وما أحسن قول الإمام أحمد رحمه الله : « ضعيف الحديث خير من رأي فلان »

ثم لأهل الحديث من المزية أنَّ ما يقولونه من الكلام الذي لا يفهمه بعضهم هو كلام في نفسه حق وقد آمنوا به . أما المتكلمون : فيتكلفون من القول مالا يفهمونه ولا يعلمون أنه حق ! وأهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في نقض أصل عظيم من أصول الشريعة بل إما في تأييده ، وإما في فرع من الفروع ! بخلاف أهل الكلام المذموم فإنهم يحتجون بالحدود والأقيسة الفاسدة في نقض الأصول الحق الثابتة !

وأهل السنة والحديث هم أتباع رسول الله ﷺ ، وأعلم الناس بآثاره وأتبعهم له وقد سعدوا في كل زمان ومكان بذلك ، وهم الطائفة الناجية ، امتازوا بما اختصوا به من العلم الموروث عن الرسول ﷺ ، وبما يجهله غيرهم ، أو يكذب به ، فهم يُشاركون كل طائفة فيما ينتحلون به من صفات الكمال ، ويمتازون عنهم بما ليس عندهم .

بخلاف أهل الكلام المذموم : فالكلام في أقيستهم التي هي حججهم وبراهينهم على معارفهم وعلومهم ، فهم أعظم الناس حشوا وقولا للباطل ، وتكذيبا للحق في مسائلهم ودلائلهم بل لاتكاد تخلوا لهم مسألة واحدة في ذلك !

فهم أعظم الناس شكا واضطرابًا ، وأضعف الناس علما ويقينا ، وهذا أمر يجدونه في أنفسهم ويشهده الناس منهم ، وإنما فضيلة أحدهم باقتداره على الاعتراض

والقدح والجدل وهذا ليس بعلم ولا فيه منفعة[١]!

الوجه السادس : إنَّ الذين يشنعون على أهل الحديث بالتشبيه بسبب وجود بعض الروايات الضعيفة في بعض كتبهم هم أهل كذب وظلم وبهتان ، يرمون أهل السنة بما ليس فيهم ولامن أقوالهم ، حتى قد أورد بعضهم روايات شنيعة في التشبيه اخترعها ليشنع بها على أهل الحديث ليُقال إنهم يروون مثل هذا ، كما فعل محمد بن شجاع الثلجي[٢]الجهمي المريسي الوضاع ، الذي وضع حديثا زعم أنه من رواية حماد بن سلمة رحمه الله !

ونص الحديث كما زعم : « قيل يا رسول الله : مِمَّ ربنا ، قال : من ماء مرور ، لا من أرضٍ ولا من سماءٍ ، خلق خيلا فأجراها فعرقت فخلق نفسه من ذلك العرق ... »[٣].

فهذا الحديث الموضوع المكذوب على النبي ﷺ الذي لايقبله عقل صريح ، ولا فطرة مستقيمة ، ولايقول به من له أدنى مسكة من عقل وإيمان ، وضعه هذا الجهمي المفتري ونسبه إلى حماد بن سلمة ليشنع به على أهل الحديث ، ليُقال عنهم إنهم يروون مثل هذا الحديث المنكر الشنيع[٤]!

وأهل السنة والحديث كما ذكرالإمام ابن البنا الحنبلي[٥]رحمه الله بريئون من هذا

---

(١) انظر : نقض المنطق ضمن مجموع الفتاوى٤/٩-١٠و٢٣-٢٨ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٢/١٤٩ .

(٣) ذكره الكناني في الموضوعات انظركتابه : تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ١/ ١٣٤ والسيوطي في اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/٣ .

(٤) انظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٣٨والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة له ص/٤٠والأسماء والصفات للبيهقي ٢/٢٢٩-٢٣١والمختار في أصول السنة لابن البنا الحنبلي ص/٩٦ودرء تعارض العقل لابن تيمية ١/١٤٨-١٤٩وميزان الاعتدال للذهبي ٣/٥٧٨-٥٧٩ .

(٥) تقدمت ترجمته انظر : ١/٣٠٦ .

الحديث المنكر ، بل هو من وضع المبتدعة الذين أضافوا إلى أهل السنة وأصحاب الحديث المحالات من أخبار الصفات ، ووضعوا أشياء مختلقة من الضلالات ، قد أعاذ الله مسلما منها ، والويل لهم حيث يقول الرسول ﷺ : « من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوء مقعده من النار »[١] [٢]!

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ بعض الزنادقة الملاحدة وضعوا أحاديث مخالفة لصريح العقل ، ليهجنوا بها الإسلام ويجعلوها قادحة فيه .

مثل حديث عرق الخيل الذي فيه أنه خلق خيلا فأجراها فعرقت فخلق نفسه من ذلك العرق ، فإن هذا الحديث وأمثاله لا يكذبه من يعتقد صدقه لظهور كذبه ، وإنما كذبه من مقصود إظهار الكذب بين الناس كما يقولون : إنَّه وضعه بعض أهل الأهواء ـ والمتهم بوضعه محمد بن شجاع الثلجي ـ وضعه ليقول : إنَّ أهل الحديث يروون مثل هذا ، ومع هذا فكل أهل الحديث متفقون على لعنة من وضعه[٣]!

ومن الأحاديث التي وضعها الثلجي ونسبها إلى حماد بن سلمة ليشنع بها على أهل الحديث بالتشبيه حديث زعم فيه أنَّ النبي ﷺ قال : « دخلت على ربي في جنة عدنٍ شابًا جعدا في ثوبين أخضرين »[٤]!

وقد بين الإمام الدارمي رحمه الله أنَّ هذا الحديث منكر جدا ، ولا يجوز نشره في أيدي الصبيان ، مُعَارَض بماروي عن النبي ﷺ عندما سُئل هل رأيت ربك ،

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب العلم ١/٢٤٢ح١٠٧ومسلم في كتاب الإيمان ١/ ١٠ح٣ من طريق عبدالله بن الزبير عن أبيه عن جده .

(٢) انظر : المختار في أصول السنة ص/٩٦ .

(٣) انظر : درء التعارض ٧/٩٢-٩٣و١/١٤٨-١٤٩ .

(٤) ذكره الإمام الدارمي في الرد على بشر المريسي ص/١٦٣ .

قال : « نورأنّى أراه »[١]. ويعارضه قول عائشة رضي الله عنها : « من زعم أنَّ محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية »[٢].[٣]!

ولكن للأسف بعد أنْ ردَّ الإمام الدارمي هذا الحديث المنكر وأنكره وذكر معارضته للآثار ، بدأَ يُؤوله[٤]. وكان الأولى به أنْ يُعرض عنه ، ولايتكلف الجواب عن تأويل ما وضعه الثلجي الكذاب ، فإنه كما ذكر الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله إنما يتصيد هذه الموضوعات ليشكك بها ، فكان الأجدر بالإمام الدارمي أنْ يكتفي بما ذكره في رد رواية الحديث وتضعيفه وبيان أنه منكر جدا[٥]!

وقد تجرأَ هذا الثلجي الكذاب بالتشنيع على أهل الحديث فزعم أنَّ الزنادقة قد وضعوا اثني عشر ألفا من الحديث ، وروجوها على رواة الحديث ، وأهل الغفلة منهم[٦]!

وقد أبطل مقالته هذه الإمام الدارمي بقوله : « ... أيها المعارض ما أَقَلَّ بُصْرُك بأهل الحديث وجهابذته ، لوقد وضعت الزنادقة اثني عشر ألف حديث ما راج لهم على أهل البُصْر بالحديث منها حديث واحد ، ولاتقديم كلمة ولاتأخيرها ولاتبديل إسناد مكان إسناد ، ولو قد صحفوا عليهم في حديث واحد ، لاستبان ذلك عندهم ، وردوه في نحورهم ، ويلك هؤلاء ينتقدون على العلماء المشهورين بتقديم رَجُل من تأخيره ، وتقديم كلمة من تأخيرها ، ويحصون عليهم أغاليطهم

---

(١) تقدم عزو ه انظر : ٢/٧٥ .

(٢) تقدم عزو أثر قريب منه مروي عن عائشة رضي الله عنها انظر : ٢/٧٣ .

(٣) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/١٦٣-١٦٤ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ص/١٦٤ .

(٥) انظر : تعليقات الشيخ محمد حامد الفقي على المرجع نفسه ص/١٦٤ .

(٦) انظر : المرجع نفسه ص/١٥٠ .

ومدلساتهم ، أَفيجوز للزنادقة عليهم تدليس »[١]؟! .

وقد دافع لهذا الثلجي الكذاب جهمي العصر الكوثري فزكاه ، ووصفه بأنه الإمام المُفترى عليه ، وأنه لامغمز في علمه وثقافته وورعه ، لكنه ألف كتابا في الرد على المشبهة وهذا ذنب لايُغتفر عندهم[٢]!

كما طعن على حماد بن سلمة رحمه الله فزعم أنه هو الذي كان يروي أخبارا تالفة وقد اتخذها الحشوية دينا[٣].

ولايُستغرب مثل هذا الدفاع من الكوثري فهو جهمي معروف بعدائه الشديد لأهل السنة مثل إمامه الثلجي ، وقد ساءه ماذُكر في الثلجي الوضاع ، فأخذ يُدافع عنه ويزكيه ويطعن على حماد بن سلمة زورا وبهتانا .

فالثلجي الذي يُدافع عنه الكوثري ويصفه بالإمامة والعلم والثقة والورع قال عنه الإمام أحمد رحمه الله : « مبتدع صاحب هوى »[٤].

وقال عنه الأزدي[٥]: « كذاب لاتحل الرواية عنه لسوء مذهبه وزيغه عن الدين »[٦].

---

(١) المرجع نفسه ص/١٥٠-١٥١ .

(٢) يعني أهل السنة ! .

(٣) انظر : تكملة الكوثري على الرد على نونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل للسبكي ص/ ٩٦-٩٩ .

(٤) ذكره الحافظ المزي في تهذيب الكمال ٣٦٣/٢٥ .

(٥) أبو الفتح محمد بن الحسين بن يزيد الأزدي الموصلي الحافظ جمع وصنف وله كتاب كبير في الجرح والتعديل قال عنه الخطيب البغدادي : « في حديثه غرائب ومناكير » توفي سنة ٣٦٧هـ انظر : تاريخ بغداد ٢٤٣/٢ وميزان الاعتدال ٥٢٣/٣ والأعلام ٩٨/٦ .

(٦) ذكره الإمام المزي في تهذيب الكمال ٥٦٤/٢٥ .

وقال زكريا الساجي[١]: « فأما ابن الثلجي فكان كذابا احتال في إبطال الحديث ... نصرة لفلان ومذهبه »[٢]وقال الذهبي « ... الثلجي ليس بمصدق على حماد وأمثاله ، وقد أُتهم نسأل الله السلامة »[٣].

والكوثري أيضا متهم صاحب هوى وبدع ، ذكر الشيخ الألباني رحمه الله : أنه صاحب هوى قد ضَعَّفَ أحاديث كثيرة في الصحيحين أو أحدهما ، لو تتبعها أهل العلم في كتبه وتعليقاته لجاءت في مجلد وذكر منها الشيخ الألباني رحمه الله نماذج ، وأما الأحاديث التي ضعفها مما ليس عند الشيخين فحدث ولاحرج ، وتجد الأمثلة منها مع الرد عليه فيها عند الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله في كتابه الفذ : « التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل »[٤].

وهو الذي يصف كتب السنة المروية في أحاديث الصفات ـ كما تقدم ـ بأنها كتب شرك ووثنية وتجسيم[٥]فتزكيته للثلجي نابعة عن هوى وعداء ، وكذب وبهتان .

فلا يُعتد بها أمام أقوال أهل العلم والإيمان ، ووصفهم للثلجي بالكذب والوضع والهوى وسوء الاعتقاد والمذهب !

ولا يضر حماد بن سلمة رحمه الله طعن الثلجي ومقلده الكوثري ، فإنه إمام من أئمة أهل السنة والحديث ، وشهد له الأئمة الأعلام بالعلم والإمامة وصحة الاعتقاد ،

---

(١) زكريا بن يحيى الساجي البصري ، ثقة فقيه توفي سنة ٣٠٧ هـ انظر : تقريب التهذيب ٣١٤/١ .

(٢) ذكره الإمام المزي في تهذيب الكمال ٥٦٣/٢٥-٥٦٤والإمام الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/ ٥٧٨ .

(٣) المرجع نفسه ٥٩٣/١ .

(٤) انظر : مقدمة الشيخ الألباني على شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزص/٣٢-٣٣ .

(٥) انظر : ١٦٦/٢- ١٦٧و١٨٥و٢٥١و٢٦٩ .

وقد وثقه الأئمة الأعلام الثقات منهم الإمام أحمد ويحيى بن معين وغيرهم[١]، فشهدله ابن المبارك بأنه مارأى أحدا أشبه بمسالك الأُول منه[٢]. ويعني بذلك سلوكه لمنهج من تقدمه من السلف . وقال عنه ابن المديني : « من سمعتموه يتكلم في حماد فاتهموه »[٣]وقال عنه الإمام أحمد : « ... لاأعلم أحدا أروى في الرد على أهل البدع منه »[٤]وقال ابن حبان : « لم ينصف من جانب حديث حماد »[٥]. وقال عنه أيضا : « كان ذا فضل ودين ونسك وعلم وصلابة في السنة ، وقمع لأهل البدع ، لم يكن يثلبه في أيامه إلا معتزلي قدري ، أومبتدع جهمي ، لما كان يُظهر من السنن الصحيحة التي ينكرها المعتزلة ... »[٦]وقال عنه الإمام الذهبي : « الإمام العلم »[٧].

فهذا هو حماد بن سلمة رحمه الله الذي يطعن فيه الثلجي ومقلده الكوثري قد شهد له الأئمة الأعلام بالإمامة والعلم والفضل وصحة الاعتقاد ، فأيُّ مقالة يقبل فيه العاقل ، قول الجهمية أهل الكذب والافتراء ، المتهمين في الدين أمثال الثلجي الوضاع والكوثري الطعان الكذاب أم أقوال الأئمة الأعلام الثقات أمثال الإمام عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل ، وابن معين ، وابن المديني ، وابن حبان ، والذهبي الذين هم سُرُج الدنيا بالعلم والإيمان والعمل الصالح ؟! .

---

(١) انظر : تهذيب الكمال ٢٥٣/٧-٢٦٩وميزان الاعتدال ٥٩٠/١و٥٩٢ .

(٢) ذكره الذهبي انظر : المرجع نفسه ٥٩١/١ .

(٣) ذكره المزي في تهذيب الكمال ٧/ ٢٦٣والذهبي في ميزان الإعتدال٥٩٢/١ .

(٤) ذكره المزي في تهذيب الكمال ٢٥٩/٧ .

(٥) ذكره الذهبي في ميزان الإعتدال ٥٩١/١ .

(٦) ذكره المزي في تهذيب الكمال ٢٦٩/٧ .

(٧) انظر : ميزان الإعتدال٥٩٠/١ .

ثم جاء دورالرازي بعد الثلجي فأحيا مقالته مرة أُخرى فزعم أنَّ الملاحدة وضعوا أحاديث في الصفات وروجوها حتى على البخاري ومسلم ، واعتذر لهما بأنهما لم يكونا يعلمان الغيب(١).

فإذا كانت كُتب السنة وعلى رأسها الصحيحان اللذان يعتبران أصح كتب السنة عند المسلمين بعد كتاب الله عز وجل مشتملة كما يزعم الرازي على أحاديث وضعتها الملاحدة ، فأيُّ اعتمادٍ على دين تكون هذه حالة أصح كتبه ؟!

ولو كان الأمر كما يدعي الرازي لسقط الاحتجاج بأحاديث رسول الله ﷺ ولضاع أمر الأمة الإسلامية ، لكن الله تعالى بمنه وفضله حفظ دينه بحفظ كتابه وسنة نبيه ﷺ قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] فسخر الله تعالى علماء الحديث الأجلاء لحفظ سنة نبيه الله عز وجل ، فذبوا عنهاوحموها من يد العابثين ، وميزوا صحيحها من ضعيفها ، وهذا أمرلايجهله من له أدنى إطلاع على علوم الحديث وأهلها !

والمقصود أنَّ هؤلاء المبتدعة الذين يشنعون على أهل السنة بالحشووالتشبيه لوجود بعض الروايات الضعيفة في كتبهم هم أهل جور وظلم وبهتان وحشو ، يرمون أهل السنة بما هم بريئون منه ، ويضعون أحاديث في التشبيه ليشنعوا بها على أهل الحديث والسنة زورا وبهتانا ، ولم يقفوا عند هذا الحد بل طعنوا على أحاديث الصفات وزعموا أنها من وضع الزنادقة والملاحدة !

فغرضهم إبطال أحاديث الصفات ، ولايهمهم صحتها أوضعفها ، وإنما يعيبون على أهل الحديث برواية بعض الأحاديث الضعيفة بغرض التشنيع والتنفير عن منهج أهل السنة في صفات الله الذي اعتبروه حشوا وتشبيها وتجسيما كذبا وزورا !

---

(١) انظر : أساس التقديس للرازي ص/١٧٠ .

المطلب الثاني

اعتبارهم أنَّ الاشتراك في اللفظ والمعنى العام يقتضي التشبيه وأنَّ الأجسام متماثلة

ومن الأسباب التي اتخذها المتكلمون المعطلة لنبز أهل السنة بالتشبيه اعتبارهم أنَّ الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق يقتضي التشبيه ، وأنَّ كل من أثبت لله صفة مما يتصف به المخلوق فهو مشبه !

وكذا قولهم بتماثل الأجسام ، حيث اعتبروا الصفات أعراضا لاتقوم إلا بجسم ومن أثبت لله صفة فهو مشبه ، لأنَّ الأجسام متماثلة !

ومن الأمثلة على اعتبارهم من أثبت لله صفة مما يتصف به المخلوق فهو مشبه ماذكره الشهرستاني أنَّ الجهم بن صفوان كان يقول : لا يجوز أنْ يُوصف الباري تعالى بصفة يُوصف بها خلقه لأنَّ ذلك يقتضي تشبيها ، فنفى كونه حيا عالما وأثبت كونه فاعلا خالقا ، لأنه لايُوصف شيء من خلقه بالقدرة على الفعل والخلق(١).

وكان يقول كماذكر الإمام أحمد من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أوحدث عنه رسوله كان كافرا وكان من المشبهة(٢).

لأنَّ ذلك عنده مما يُوصف به المخلوق ، ومن وصف الله بشيء من ذلك فهو مشبه . والمشبه الذي هو مثبت للصفات على زعمه كافر !

وذكر الإمام الدارمي أنَّ المريسي المعتزلي استجاز تسمية أهل السنة بأنهم مشبهة إذْ وصفوا الله بما وصف به نفسه في كتابه بالأشياء التي أسماؤها موجودة في

---

(١) نظر : الملل والنحل ١٨٦/١وراجع درء تعارض العقل ١٨٧/٥ .

(٢) انظر : الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص/٢٤ .

صفات بني آدم بلا تكييف[١]. وذلك كصفة الوجه واليدين والسمع والكلام وغيرها ، فمن أثبت ذلك على زعمه فهو مشبه !

فقد ادَّعى الدكتور محمد عبد الستار نصار في صدد رده على الإمام ابن خزيمة أنَّ المشبهة هم الذين أطلقوا على الله مايُطلق على الخلق[٢]!

ومن الأمثلة على اعتبار المعطلة الأجسام متماثلة ، وأنَّ من أثبت لله صفة قائمة بالأجسام فهو مشبه ماذكره الرازي في معرض معارضته قول أهل السنة : الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق لا يقتضي التشبيه والمساوات في التسمية ، وإطلاق اسم المشبهة على من يثبت لله صفة يتصف بها المخلوق مع تنزيه الله عن المماثلة كذب وزور ، فعارض الرازي هذه المقالة الموافقة لصحيح المنقول بأنَّ القول بالتشبيه لازم لمن قال بها لأنَّ الأجسام متماثلة في تمام الماهية ، فلوكان الباري تعالى جسما لزم أنْ يكون مثلا لهذه الأجسام ، وحينئذٍ يكون القول بالتشبيه لازما[٣].

فلم يجد الرازي حجة في الرد عليهم إلابأنَّ مايثبتونه من الصفات فيها اشتراك بين صفات الخالق والمخلوق يقتضي أنْ يكون جسما ، والأجسام متماثلة وحينئذٍ يكون القول بالتشبيه على زعمه لازما لمن يصف الله بصفات تتصف بها الأجسام .

وأهل السنة ـ كما تقدم ـ لم يقولوا : إنَّ الله جسم ، بل إثبات ذلك ونفيه عن الله عندهم بدعة ، لكن الرازي تَقَوَّل عليهم بمافهمه من أنَّ إثبات الصفات التي نفاها بحجة التشبيه يقتضي أنْ يكون الله جسما ، ولوكان كذلك للزم أنْ يكون الله مثلا لهذه

---

(١) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٤٢-٤٣ .

(٢) انظر كتابه : المدرسة السلفية ٦١٢/١ .

(٣) انظر : أساس التقديس للرازي ص/١٩٢-١٩٦و١٩ .

الأجسام المتماثلة ، والتشبيه لازم لمن يثبت الصفات التي تقوم بالأجسام على زعمه !

وذكرشيخ الإسلام في صدد رده على ابن المطهر الحلي[١]أنَّ سبب رميه أهل السنة بالتشبيه بناءً على اعتقاده وطائفته أنَّ الجسمين متماثلان ، ومن أثبت لله صفة مما تقوم بالأجسام فهو مشبه ، فقالوا : إنَّ مثبتة الصفات مشبهة[٢].

كما بين شيخ الإسلام شبهة الجهمية والمعتزلة في نفيهم للصفات ورميهم لمن أثبتها بالتشبيه أنهم قالوا : إنَّ من أثبت لله صفة فقد زعم أنه جسم مركب ، وأنه مشبه لأنَّ الصفات أعراض ، والعرض لايقوم إلا بجوهر[٣]متحيز ، وكل متحيزجسم مركب ، أوجوهر فرد ومن قال بذلك فهو مشبه ، لأنَّ الأجسام متماثلة[٤].

فهؤلاء المبتدعة أتوا بألفاظ فلسفية مجملة لبسوا بها الحق بالباطل ، فجعلوا صفات الله من قبيل الأعراض التي لاتقوم إلا بجسم ، ثم زعموا أنَّ من أثبت لله صفة فقد زعم أنه جسم وحكموا عليه بأنه مشبه ، وذكروا في ذلك أنَّ الأجسام متماثلة كذبا وزورا !

فهم لم يفهموا من إثبات صفات الله عز وجل إلا ما عند المخلوق من الصفات فجعلوا من أطلق على الله صفة فيها اشتراك في اللفظ والمعنى العام مع صفات المخلوق مشبها ، لأنَّ التشبيه عندهم ـ كما تقدم ـ هو الاشتراك بين صفات الخالق والمخلوق في اللفظ والمعنى العام ، وقد تقدم نقد ذلك على وجه التفصيل[٥].

---

(١) تقدمت ترجمته انظر : ١٩٧/٢ .

(٢) انظر : منهاج السنة ٦٠٧/٢-٦٠٨ .

(٣) تقدم تعريف الجوهر والعرض انظر : ٩٣/١ .

(٤) انظر : الفتوى الحموية الكبرى ص/ ٦٥-٦٦وضمن مجموع الفتاوى ١١١/٥-١١٢ .

(٥) انظر : ٣٥٨/٢ -٣٦٧ .

كما تقدم[١] مفهوم التشبيه عند أهل السنة الذي يجب تنزيه الله عنه مما أغنى عن إعادته هنا !

وتقدم أيضا[٢] بيان أنَّ شبهة كل من انحرف في صفات الله إلى تمثيل أوتعطيل أنَّ الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق يقتضي التشبيه ، فالتزم ذلك المشبهة فقالوا : بالتمثيل ، ولم يلتزمه المعطلة بل نفوه فوقعوا في التعطيل !

كما تقدم أيضا[٣] أنَّ ضلال الطائفتين إنما كان بسبب عدم تمييزهم القدر المشترك الذي هو الاشتراك بين صفات الخالق والمخلوق في اللفظ والمعنى العام ، والفرق المميز الذي تتميزبه صفات الخالق عن المخلوق بالإضافة والتخصيص !

ووفق الله أهل السنة لفهم ذلك فأثبتوا القدر المشترك ، وبينوا أنَّ إثبات ذلك لا يقتضي التشبيه بل ليس وراء نفيه إلا التعطيل ، وعرفوا الفارق المميز بين صفات الخالق والمخلوق الذي يعرف بالإضافة والتخصيص ، لذا أثبتوا لله صفاته كما وردت على الوجه اللائق به من غير تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل كما تقدم بيان ذلك على وجه التفصيل[٤].

وبقي في هذا المطلب بيان بطلان مقالة المعطلة السابقة أنَّ الأجسام متماثلة ، ومن أثبت لله صفة مما تقوم به الأجسام فهو مشبه ، فهذه المقالة باطلة لغة وشرعا وعقلا وحسا وبيان ذلك كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ اللغة التي نزل بها القرآن ليس فيها إطلاق لفظ « المثل » على كل جسم ، وليست الأجسام متماثلة ، فلا يُقال في اللغة أنَّ السماء مثل الأرض ، والشمس والقمر والكواكب مثل الجبال ،

---

(١) انظر : ٧٩/١ .

(٢) انظر : ٣٥٨/١ - ٣٦١ .

(٣) انظر : ٣٦١/١ - ٣٦٢ .

(٤) انظر : ٣٦٢/١ - ٣٦٧ .

والجبال مثل البحار ، والبحارمثل التراب والتراب مثل الهواء ، والهواء مثل النار ، والنارمثل الشمس ، والشمس مثل الإنسان والإنسان مثل الفرس والحمار ، وقدعُلم بصريح العقل أنَّ هذه الأشياء وغيرها ليست متماثلة مع اتفاقها في مسمى الجسمية ، ولا في اللغة التي نزل بها القرآن أنَّ كل شيئين اشتركا في المقدارية بحيث يكون كل منهما له قدر من الأقداركالطول والعرض والعمق أنه مثل للآخر !

ولا أنه إذا كان منهما بحيث يُشار إليه الإشارة الحسية يكون مثل الآخر ، بل ولا أنه إذا كان كل شيئين كانا مركبين من الجواهر المنفردة(١)، أو المادة والصورة(٢)كان أحدهما مثل الآخر ، بل اللغة العربية التي نزل بها القرآن تبين أنَّ الإنسانين مع اشتراكهما في أنَّ كلا منهما جسم حساس نامٍ متحرك بالإرادة ناطق ضحاك ، بادي البشرة ، قد لا يكون أحدهما مثل الآخر كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٨] فقد بين الله تعالى أنه يستبدل قوما لا يكونون أمثال المخاطبين ، ونفى عنهم المماثلة مع اشتراكهم فيما ذكرناه فكيف يكون في لغة العرب أنَّ كل إنسانٍ مماثل للإنسان بل مماثلٍ لكل حيوان ، بل مماثلٍ لكل جسم نامٍ حساسٍ ، بل مماثل لكل جسم مولد عنصري ، بل مماثل لكل جسم فلكي أوغير فلكي(٣)؟! .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ * ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ ﴾ [الفجر : ٦ ـ ٨] فأخبر تعالى أنه لم يخلق مثلها في البلاد وكلاهما بلد ، فكيف يُقال : إنَّ كل جسم مماثل لكل جسم(٤).

---

(١) تقدم التعريف بذلك انظر : ٢/٢٤ .

(٢) تقدم التعريف بالصورة والمادة انظر : ٢/٢٤ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل ١/١١٥-١١٦و٥/١٩٢و٧/١١٢-١١٤ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ٥/١٩٤-١٩٥ .

والله عز وجل إنما أرسل نبيه ﷺ بلسان قومه ، وهم قريش خاصة ، ثم العرب عامة ولم ينزل القرآن بلغة من قال : « الأجسام متماثلة » ، حتى يحمل القرآن على لغة هؤلاء ، هذا لوكان ما قالوه صحيحا في العقل ، فكيف وهو باطل في العقل فهذا القول من أبعد الأقوال عن المعقول الذي يعرفه الناس بحسهم وعقولهم وأكثر العقلاء على إنكاره(١).

ومسألة تماثل الأجسام وتركيبها من الجواهر المفردة ، قد اضطرب فيها جماهيرالمتكلمين وكثير منهم يقول بها ، وبعضهم حار وتوقف ، وبعضهم أنكرها(٢)!

حتى أبو عبد الله الرازي الذي لجأ إلى القول بتماثل الأجسام عندما أفحمه من وصفهم بأنهم مشبهة بالحجج والبراهين ، وبينوا أنَّ القول بالتماثل والاشتراك من بعض الوجوه بين صفات الخالق والمخلوق لايلزم التشبيه ، قد اعترف الرازي في كتابه « نهاية العقول في دراية الأصول » بأنَّ القول بتماثل الأجسام غيرممكن عقلا ، وأنَّ من قال بكون صفات الله تعالى فيها مشابهة لصفات خلقه من بعض الوجوه في اللفظ والمعنى العام لايلزمه أنْ يكون مشبها مجسما بين ذلك بقوله : « قوله(٣): المجسم مشبه ، والمشبه كافر . قلنا : إنْ عنيتم بالمشبه من يكون قائلا بكون الله مشابها لخلقه من كل الوجوه فلا شك في كفره ، لكن المجسمة لايقولون بذلك ولايلزم من قولهم بالتجسيم قولهم بذلك ، ألآترى : أنَّ الشمس والقمر ، والقمل والبق أجسام ، ولايلزم من اعترافنا باشتراكها في الجسمية كوننا مشبهين للشمس

---

(١) انظر : المرجع نفسه ١/١١٦-١١٧و٧/١١٢و٧/٢٤٥ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ١/١٥٨-١٥٩ .

(٣) يقصد بذلك من يرد عليه من المعتزلة المعتبرين من يثبت الصفات كلها مشبهة كماتقدم انظر : ص/٤٦٥و٤٦٧ .

والقمربالقمل والبق ، فإنْ عنيتم بالمشبهة من يقول بكون الله مشابها لخلقه من بعض الوجوه فهذا لا يقتضي الكفر ، لأنَّ المسلمين اتفقوا على أنه تعالى موجود وشيء وعالم وقادر ، والحيوانات أيضا كذلك ، وذلك لا يُوجب الكفر ، فإنْ عنيتم بالمشبهة من يقول الإله جسما مختصا بالمكان فلانُسلم انعقاد الإجماع في محل خلافٍ فلا يُلتفت إليه »[١].

فالرازي قد اعترف بعدم إمكان تماثل الأجسام ، كما قرر بأنَّ من يقول بالمماثلة من بعض الوجوه في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق لا يُقال له مشبه ولايحكم عليه بالكفر !

قال شيخ الإسلام معلقا على كلام الرازي السابق : « ... وهذا تصريح منه بأنَّ القول بكون الله شبيها لخلقه من بعض الوجوه داخل في قول كل المسلمين ، ولاريب أنَّ كل موجودين فلا بُدَّ أنْ يتفقا في شيء يشتركان فيه ، وأنَّ أحدهما أكمل فيه وأولى من الآخر وإلا فإذا قُدِّر أنهما لايتفقان في شيء أصلا ولايشتركان فيه لم يكونا موجودين ، وهذا معلوم بالفطرة البديهية التي لايتنازع فيها العقلاء الذين يفهمون ... »[٢].

فهؤلاء الأئمة مثل الرازي يعترفون بمثل هذه الحقائق البدهية التي لاتقبل الجدل عندما يردون على خصومهم كالمعتزلة الذين يرمونهم بالتشبيه لإثباتهم صفات المعاني التي نفتها المعتزلة .

لكن عندما يكون الكلام مع أهل السنة الذين نبزوهم بالتشبيه لإثباتهم الصفات الخبرية التي عطلوا الله عنها ، يقررون القول بتماثل الأجسام ، وأنَّ القول بالتشابه

---

(١) انظر : نهاية العقول في دراية الأصول للرازي مخطوط ق/٩٣ونقله شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المخطوط » /٢٥٣-٢٥٤ .

(٢) المرجع نفسه ٣/٢٥٤ .

من بعض الوجوه في اللفظ والمعنى العام يقتضي التشبيه ، وأنَّ من أثبت ذلك فهومشبه مجسم !

ولاشك أنَّ هذا التناقض والاضطراب من آثار الكلام المذموم الذي عارضوا به وحي الرحمن ، وعطلوا الله به عن صفات الكمال ، ونبزوا بسببه أهل السنة بالتشبيه والتجسيم .

○○○○

المطلب الثالث

اعتبارهم لازم المذهب هو المذهب

من أسباب نبز المعطلة أهل السنة بالتشبيه والتجسيم اعتبارهم لازم المذهب هو المذهب ، فكل من أثبت صفة من الصفات التي نفوها اعتبروه مشبها مجسما وذكروا أنَّ هذا لازم مذهبه ، مع أنه إنْ كان فاسدا لايلتزمه ولايقول به بل ينفيه ويكذب من يلزمه به .

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله في مقام رده على من يصم الحنابلة بالتجسيم بأنه ليس في الحنابلة من أطلق لفظ الجسم على الله تعالى لكن نفاة الصفات يُسمون كل من أثبتها مجسما بطريق اللزوم لأنهم يقولون : إنَّ الصفات لاتقوم إلا بجسم حسب اصطلاحهم(١)، فيسمون كل ما يشار إليه جسما فيلزم على قولهم أن كل ما جاء به الكتاب والسنة وما فطر الله عليه عباده وما عليه سلف الأمة وأئمتها تجسيما ، وهذا لا يختص بطائفة لا الحنابلة ولا غيرهم بل يطلقون لفظ المجسمة على أتباع السلف كلهم(٢)، ويذكرون أنَّ إثبات الصفات يلزم منه التشبيه والتجسيم حسب فهمهم الفاسد مع أنه لا يلزم ذلك !

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الإمام ابن الوزير اليماني رحمه الله في صدد رده على أبي القاسم الزيدي(٣)الذي نبز الإمام أحمد رحمه الله بالتشبيه ذكر أن هذا كذب وبهتان وأنَّ الإمام أحمد بريء من ذلك ، لأنه أظهر السنة ، وَأُمتحن على القول بأنَّ القرآن غير مخلوق فصبر ، ولو أظهر التجسيم لذكر ذلك ، وكان

---

(١) تقدم معنى الجسم عند المتكلمين ونقده انظر : ٢٣/٢ .

(٢) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ٦٢٥/١-٥٢٦ودرء التعارض ١٠/٢و٨٩و٢٥٠ .

(٣) الملقب بالسيد وقد تقدمت ترجمته انظر : ١٦١/٢ .

مناظروه المعتزلة يلزمونه التجسيم والتشبيه وهو لا يلتزمه ، ولو كان متظاهرا به لما احتاجوا إلى إلزامه ، ولصرح به ، كما صرح بأنَّ القرآن غير مخلوق ، وناظر عليه مع التعذيب ، وفي هذا أعظم براءة له ولأئمة الحديث من التهمة بالتشبيه(١).

فالذين ناظروا الإمام أحمد كما ذكر الإمام ابن الوزير كانوا يلزمونه التجسيم والتشبيه للتشنيع عليه بذلك وهولايلتزمه ، وقد تقدم أنهم أرادوا أنْ يلزموه التجسيم وطلبوا منه أنْ ينفي أنْ يكون الله جسما ، فرفض إطلاق ذلك على الله إثباتا ونفيا وبين أنَّ ذلك بدعة ، ثم تلا سورة الإخلاص المشتملة على إثبات صفات الكمال ونفي النقائص والشبيه والكفو والمثيل(٢).

وذكر الكوثري في مقام تشنيعه على أهل السنة بالتشبيه أنَّ من يثبت النقلة والأضراس واللهوات والأعضاء ونحوها لفظا أو معنى نلزمه مقتضى كلامه وننبذه نبذ المنبوذين(٣)!

فالكوثري يشنع على أهل السنة بما فهمه من التشبيه ، ثم يعتبر ذلك من لازم كلامهم كذبا وزورا !

مع أنه لم يقل أحد من أهل السنة بما ذكره ، بل إطلاق ذلك عندهم بدعة لكونه لم يرد في الكتاب والسنة فاعتبر الكوثري إثبات صفة النزول والمجيء نقلة ومقتضى إثبات أنَّ الله يتكلم بحرف وصوت أنْ يكون لله على زعمه أضراس ولهوات ، ومقتضى إثبات صفة الوجه واليد والقدم ونحوها أنْ يكون لله على زعمه أعضاءً وجوارح ، ثم لما فهم هذا الفهم الفاسد ، شَنَّعَ به على أهل السنة وذكر أنَّ

---

(١) انظر كتابه : العواصم والقواصم ٣/٣٢٠-٣٢١ .

(٢) انظر : ٢/١٤ .

(٣) انظر : تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي ص/٤٥٤-٤٥٥ .

هذا هو لازم كلامهم في الصفات كذبا وزورا .

وَادَّعى منصور عويس في صدد تشنيعه على شيخ الإسلام بالتشبيه أنَّ القول باستواء الله على عرشه يستلزم الاحتياج على الله تعالى ، وابن تيمية يُدافع بعنف عن لازم قوله(١).

وشيخ الإسلام رحمه الله بريءٌ من هذا اللازم الفاسد الذي ذكره منصورعويس بل هو رحمه الله يثبت استواء الله على عرشه كما ورد ، مع تنزيه الله في ذلك عن التشبيه والتمثيل كيف يقول بهذا اللازم الفاسد وهو يقول : « ... وإن الله غني عن العرش وعن كل ماسواه لا يفتقر إلى شيء من المخلوقات ، بل هو مع استوائه على عرشه يحمل العرش وحملة العرش بقدرته ولايماثل استواء الله باستواء المخلوقين ، بل يثبت لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات وينفي عنه مماثلة المخلوقين ويعلم أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته و لا في أفعاله »(٢).

وذكر رحمه الله أنَّ الظَانَّ إذا ظن أنَّ صفات الله كصفات خلقه ، وأنَّ الله سبحانه على عرشه كالملك المخلوق على سريره فقد وقع في تمثيل وضلال ، وذلك لأنَّ الملك مفتقر إلى سريره ولوزال سريره لسقط ، والله غني عن العرش وعن كل شيء ، والعرش وكل ماسواه فقير إلى الله ، وهو عز وجل حامل العرش وحملة العرش بقدرته ، وعلوه على عرشه لايُوجب افتقاره عليه(٣)!

فمنصور عويس وأضرابه يظنون أنَّ إثبات الصفات التي نفوها يلزم منه التشبيه ثم يرمون بهذا اللازم أهل السنة ، مع أنهم ينزهون الله عن هذا اللازم إنْ كان فاسدا

---

(١) انظر كتابه : ابن تيمية ليس سلفيا ص/١٠٨ .

(٢) كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٥/٢٦٢-٢٦٣ .

(٣) انظر : الجواب الفاصل بتمييز الحق عن الباطل لابن تيمية ضمن مجلة البحوث الإسلامية العدد ص/٢٩٦ .

كأنْ يكون الله من إثبات استوائه على عرشه محتاجا كما تصور عويس ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فلازم المذهب الذي يشنع به هؤلاء المبتدعة على أهل السنة ، ويجعلونه قولا ومذهبا لهم في الصفات ، لينبزوهم بالتشبيه والتجسيم ليس مذهبا إنْ كان فاسدا كما ذكرالأئمة المحققون من أهل العلم !

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ لازم المذهب ليس مذهبا إلا أن يلتزمه صاحب المذهب ، وذلك لأنَّ خلقا كثيرا من الناس ينفون ألفاظا بل يثبتونها ، أوينفون معانٍ أويثبتونها ويكون ذلك مستلزما لأمور هي كفر ، وهم لايعلمون بالملازمة ، بل يتناقضون وما أكثر تناقض الناس لاسيما في باب الصفات ، وليس التناقض كفرًا[1] .

وإذا كان لازم المذهب ليس بمذهب بسبب إثبات ألفاظٍ ومعانٍ أونفيها ، وعدم العلم باالملازمة أوالتناقض في الإثبات والنفي ، فكيف يكون التشبيه لازما لأهل السنة وهم لم يحصل منهم إثباتا أونفيا لألفاظٍ لم ترد في الكتاب والسنة ، أو معاني مخالفة لذلك ، أو لم يقولوا بالتناقض !

بل جميع اللوازم التي يذكرها المبتدعة من فهمهم ، يفهمون لوازم فاسدة ثم يجعلونها من لوازم منهج أهل السنة في الصفات زورا وبهتانا .

على أنَّ الذي يجب أنْ يُعلم أنَّ شيخ الإسلام أوغيره من أهل السنة لايقرون بأنَّ ماجعله المتكلمون لازم مذهبهم هولازم فعلا بل ينفون هذا اللازم لأن إثبات الصفات ليس تشبيها أوتجسيما كما يزعم المعطلة !

وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله في قصيدته النونية أنَّ الجهمية المعطلة لا يجدون لأهل السنة سلاحا يشهرونه في وجوههم إلا إيراد اللوازم والرمي بالشناعات ومما قاله في ذلك في قصيدته النونية :

---

(١) انظر : كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٣٠٦/٥ .

واحذر حكايات لأرباب الكلام عن الخصوم كثيرة الهذيان
فحكوا بما ظنوه يلزمهم فقا لوا ذلك مذهبهم بلا برهان
كذبوا عليهم باهتين لهم بما ظنوه يلزمهم من البهتان
فحكى المعطل عن أولي الإثبات قولهم بأن الله ذو جثمان
وحكى المعطل أنهم قالوا بأن الله لن يرى لنا بعيان
وحكى المعطل أنهم قالوا يجوز كلامه من غير قصد معان

إلى أن قال :

ظن المعطل أن هذا لازم فلذا أتى بالزور والعدوان
فعليه في هذا محاذير ثلا ث كلها مستحق البطلان
ظن اللزوم وقذفهم بلزومه وتمام ذاك شهادة الكفران
يا شاهدا بالزور ويحك لم تخف يوم الشهادة وسطوة الديان[1]

فبين رحمه الله فيما قاله ان المعطلة يقذفون أهل السنة ويرمونهم بالتشبيه والتجسيم بما يظنونه أنه لازم لهم فيقولون لهم مثلا : يلزم على إثباتكم صفة الاستواء أنْ يكون الله في حيز وجهة ، وأنْ يكون جسما ، كما يلزم على إثبات الوجه واليد والعين أنْ يكون له جوارح وأعضاء !!

ثم بين رحمه الله أنَّ العلماء قد قرروا أنَّ لازم المذهب لايكون مذهبا بلاحجة ولابرهان ، وأنَّ من حكى ذلك عنهم فهو من أهل الجهل والعدوان !

واللوازم إما أنْ تكون لوازم حقٍ يُشنع بها الخصوم لفهمه السيئ لهذا اللازم كلوازم الكتاب والسنة ، فكل مايقوله الله عز وجل ، ورسوله ﷺ فهو حق ولابُدَّ أنْ تكون لوازمه كلها مقصودة .

---

(١) انظر : القصيدة النونية مع شرح الهراس ٢/٢٥٦-٢٥٨ .

ومنها لوازم باطلة ، يحكيها الخصوم ويشنعون بها على أهل السنة ، ويعتبرونها لازم مذهبهم وهذا باطل ، لأنَّ لازم المذهب الباطل ليس مذهبا لهم فاحذرمايحكيه أهل الكلام عن خصومهم من أهل الحق والإثبات من حكايات فيها كثيرمن الهذيان ، فقد ذكروا ماظنوه لازما لمذهبهم ، وحكوه على أنه مذهب لهم بلا حجة ولا برهان ، فكذبوا بذلك عليهم وبهتوهم بالتشبيه والتجسيم وهم منه بُراء ، وإنما ظنوا ذلك لازما لأقوالهم وآرائهم[١]!

وذكر الشيخ مرعي الكرمي رحمه الله أنَّ كثيرا من الناس يظنون أنَّ القائل بالجهة[٢]هو من المجسمة لأنَّ من لازم الجهة التجسيم وهو ظن فاسد ، فإنهم لايقولون بذلك ، لأنَّ لازم المذهب ليس بلازم عند المحققين ، فكيف يجوز أنْ يُنسب للإنسان شيء من لوازم كلامه وهو يفر منه . بل قالوا : نحن أشد الناس هربا من ذلك وتنزيها للباري تعالى عن الحد[٣]الذي يحصره فلايحد بحد يحصره بل بحد يتميزبه عظمة ذاته من مخلوقاته[٤].

وذكر خير الدين نعمان الألوسي في صدد تبرئته شيخ الإسلام من تهمة التشبيه والتجسيم التي رماه بها ابن حجر الهيتمي أنَّ شيخ الإسلام لايعتقد تشبيها ولاتجسيما بل يصرح بنفي ذلك تصريحا لاخفاء فيه ، والعجب ممن يترك صريح لفظه بنفي التشبيه والتجسيم ويأخذ بلازم قوله الذي لايقول به ، ولايُسلم للازمه[٥].

---

(١) انظر : شرح القصيدة النونية للهراس ١/٢٥٥ـ٢٥٨ .

(٢) يقصد صفة الاستواء وأهل السنة لا يطلقون لفظ الجهة في حق الله تعالى إثباتا ونفيا لعدم وروده في الكتاب والسنة .

(٣) تقدم موقف أهل السنة من ذلك انظر : ١/٤٤٤ .

(٤) انظر كتابه : أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات ص/٩٢ .

(٥) انظر كتابه : جلاء العينين ص/١٧ .

وبين الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله أنَّ اللازم من قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ إذا صح أنْ يكون لازما فهو حق ، وذلك لأنَّ كلام الله ورسوله حق ، ولازم الحق حق ولأنَّ الله عز وجل عالم بما يكون من كلامه وكلام رسوله ﷺ فيكون مرادا .

وأما اللازم من قول أحد سوى قول الله ورسوله فله ثلاث حالات :

الأولى : أنْ يذكر للقائل ويلتزم به مثل أنْ يقول من ينفي الصفات الفعلية لمن يثبتها يلزم من إثباتك الصفات الفعلية لله عز وجل أنْ يكون من أفعاله ما هو حادث فيقول المثبت : نعم وأنا ألتزم بذلك فإنَّ الله تعالى لم يزل ولايزال فَعَّال لما يريد ولا نفاد لأقواله وأفعاله كما قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩] وحدوث آحاد فعله تعالى لايستلزم نقصا في حقه .

الثانية : أنْ يُذكر له ويمنع التلازم بينه وبين قوله . مثل أنْ يقول النافي للصفات لمن يثبتها : يلزم من إثباتك أنْ يكون الله تعالى مُشابها للخلق في صفاته ؟

فيقول المثبت : لايلزم ذلك لأنَّ صفات الخالق مضافة إليه ولم تذكر مطلقة حتى يمكن ما ألزمتني به ، وعلى هذا فتكون مختصة به لائقة به عز وجل .

الثالثة : أنْ يكون اللازم مسكوتا عنه فلايذكربالتزام ولامنع ، فحكمه في هذه الحال أنْ لايُنسب إلى قائله ، لأنه يحتمل لوذُكرله أنْ يلتزم به أويمنع التلازم ويحتمل لو ذُكر له فتبين له لزومه وبطلانه أنْ يرجع عن قوله لأنَّ فساد اللازم يدل على فساد الملزوم ولو ورد هذين الاحتمالين لايمكن الحكم بأن لازم القول قول[1]!

وفي الحقيقة فإنَّ ما يذكره المعطلة من اللوازم لنبز أهل السنة بالتشبيه والتجسيم

---

(١) انظر كتابه : القواعد المثلى ص/١٤-١٥ .

إنما هو نتيجة لما فهموه بعقولهم الفاسدة من أنَّ إثبات الصفات التي عطلوا الله عنها يلزم منه التشبيه والتجسيم ، وأهل السنة يقولون : لايلزم من إثبات الصفات التشبيه والتجسيم ، إذْ لوكان الأمر كذلك لما أثبتها الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ولنزه الله عنها نفسه غاية التنزيه فيجب إثباتها كما وردت على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته بلا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف على وفق قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

○○○○

المطلب الرابع

سوء القصد والفهم

ومن أسباب نبز المعطلة أهل السنة بالتشبيه : سوء القصد المتمثل في عداوتهم لأهل السنة بسبب مخالفتهم لمنهجهم الكلامي الذي عارضوا به وحي الله تعالى ، وسوء فهمهم لمنهج السلف في الصفات ، حيث أنهم لم يفهموا منه إلا التشبيه والتجسيم ثم رموا بذلك أهل السنة[1] وعادوهم ورموهم بكل نقيصة ، ونبزوهم بالتشبيه ، بل استحلوا دماءهم ، وعادى بعضهم نصوص الصفات ، ولهم في ذلك مقالات شنيعة تقشعر منها الأبدان لهولها وفظاعتها .

ومن أمثلة سوء قصدهم المتمثل في عداوتهم للحق وأهله : صنيع جهم بن صفوان زعيم الجهمية المعطلة فقد صرح بعداوته لكتاب الله عز وجل ، ورمى المصحف الشريف لاشتماله على نصوص الصفات التي اعتبرها تشبيها .

فقد روى الإمام البخاري رحمه الله بسنده : « أنَّ رجلا من أهل مرو وكان صديقا لجهم بن صفوان ثم قطعه وجفاه ، فقيل له لِمَ جفوته ، فقال : جاء منه مالا يحتمل ، قرأت يوما آية كذا وكذا ... فقال : ما أظرف محمدا فاحتملتها ، ثم قرأ سورة طه ، فقال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] قال : أما والله لو وجدت سبيلا لحكها لحككتها من المصحف ، فاحتملتها !

ثم قرأ سورة القصص ، فلما انتهى إلى ذكر موسى ـ عليه السلام ـ قال : ما هذا ، ذكر قصة في موضع فلم يتمها ، ثم ذكرها هنا فلم يتمها ، ثم رمى المصحف من

---

(١) وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك انظر : ١٤٥/٢ وسيأتي بيان وقوع المعطلة في مقالة التشبيه انظر : ٣٧٥/٣ .

حجره برجله فوثبت عليه »[١].

فجهم بن صفوان حمله عداؤه وبغضه لكتاب الله بسبب فساد عقله ، أنْ تمنى مسح آية الاستواء ، لأنها على زعمه تشبيه وتجسيم ، حتى رمى المصحف من حجره والعياذ بالله ! وحمل الثلجي المعتزلي بغضه وعداوته لأحاديث الصفات ولرواتها إلى أنْ يقول مشنعا : « إنَّ الزنادقة قد وضعوا اثني عشر ألفا من الحديث وروجوها على رواة الحدبث وأهل الغفلة منهم »[٢].

ومعاداة المتكلمين لنصوص الصفات ورواتها أمر مشهور يصرحون بذ لك أوتتغير وجوههم عند سماع أحاديث الصفات كما بين الإمام بن القيم رحمه الله أنهم إذا سمعوا بها تتغير وجوههم ، وذكرفي ذلك قصة لجهمي معطل سمع أخبار الصفات في صفة الكلام فغضب وتغير وزوى وجهه ، كالذي شَمَّ رائحة كريهة أعرض عنها بوجهه ، أوذاق طعاما مرا مذاقه[٣]!

وكثيرا من المتكلمين لا يحب تبليغ النصوص ولا إظهارها وإشاعتها ، وقد يشترطون في أماكن أنْ لا يقرؤوا فيها أحاديث الصفات ، وكان بعضهم مُغرما بإعدام كتب السنن المصنفة في الصفات وكتمانها وإخفائها[٤]!

وفي هذا العصر وصل الأمر ببعض من فتنوا بالكلام المذموم من المعطلة أنْ يُعادوا كتب أهل السنة المصنفة في صفات الله ، ويصفوها بالوثنية والتشبيه والشرك ، ويُوصوا بعدم قراءتها كما فعل الكوثري ، ومقلده حسن السقاف وغيرهما ممن رأوا الباطل الذي هم عليه حقا ، والحق الذي عليه أهل السنة تشبيها وباطلا فعادوه

---

(١) خلق أفعال العباد للإمام البخاري ص/٣٨ .

(٢) ذكره الدارمي في رده على بشر المريسي ص/١٥٠ .

(٣) انظر : الصواعق المرسلة ١٠٣٨/٣ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ١٠٣٨/٣ .

وعادوا أتباعه !!

وإذا كان المتكلمون يُعادون من صحيح المنقول ما يُخالف منهجهم الكلامي المذموم ، فإنَّ عداوتهم لأهل السنة المتمسكين به لاسيما نصوص الصفات أمر مشهور ، حتى صارمن علاماتهم كما ذكر الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم ، وتسميتهم إياهم حشوية جهلة ومشبهة ، اعتقادا منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم ، وأنَّ العلم مايُلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ووساوس صدورهم المظلمة[١]!

ولم تتوقف عداوتهم لأهل السنة عند رميهم بالتجسيم والتشبيه بل سعوا في أذيتهم بالسجن والضرب أو القتل انتصارا لمنهجهم الكلامي ، فكلما وجدوا سلطة تسلطوا على أهل السنة ، وقد بين الإمام ابن القيم الصور العدائية التي اتخذها المعطلة مع أهل السنة بسبب إثباتهم لصفات الله التي اعتبروها تشبيها بقوله :

قالوا مشبهة مجسمة فلا تسمع مقال مجسم حيوانِ
والعنهم لعنا كبيرا واغزهم بعساكر التعطيل غير جبان
واحكم بسفك دمائهم وبحبسهم أولا فشردهم عن الأوطان[٢]

فرأيهم في أهل السنة أنهم مشبهة مجسمة يجب مقتهم ومحاربتهم بإحدى خصال ثلاث إما بسفك دمائهم كما تسفك دماء الكفرة والمشركين ، أوبحبسهم حتى يرجعوا عن قولهم ، وإلا فنفيهم عن الأوطان والاستراحة منهم !

ولا غرو فإنهم أتباع النبي ﷺ ، وحكم هؤلاء المعطلة معهم كحكم مشركي

---

(١) انظر : عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٣١-١٣٢ .

(٢) القصيدة النونية مع شرح الهراس ٧٦/١ .

كفار قريش على الرسول ﷺ في دار الندوة المشهور[١]!

وقد نال أهل السنة من هؤلاء المبتدعة ما ذكره الإمام عبد العزيز الكناني رحمه الله فكم سفكت من دماء طاهرة بسببهم ، وكم سجنوا وطردوا من ديارهم من أئمة أعلام أهل علم وإيمانٍ ومما يدل على ذلك ما حصل لأهل السنة من المعتزلة أيام الخليفة المأمون بسبب فتنة القول بخلق القرآن التي تبناها أهل الاعتزال وأقنعوا بها المأمون ، وكان أهل السنة في ذلك الزمان في أمر عظيم ، فقد مُنع الفقهاء والمحدثون والمذكرون والداعون من القعود في الجامعين ببغداد وفي غيرهما من سائر المواضع إلا بشر المريسي ، وابن جهم[٢]ومن كان موافقا لهما على مذهبهما فإنهم كانوا يقعدون ويجتمع الناس إليهم فيعلمونهم الكفر والضلال وكان من أظهر مخالفتهم وذم مذهبهم أَوأُتهم بذلك أحضر فإن وافقهم ودخل في كفرهم وأجابهم إلى ما يدعونه إليه ـ تركوه ـ وإلا قتلوه سرًا ، وحملوه من بلد إلى بلد فكم من قتيل لم يُعلم به ، وكم من مضروب ظهر أمره ، وكم ممن أجابهم وأتبعهم على قولهم من العلماء خوفا على أنفسهم لما عرضوا على السيف والقتل أجابوا كرها ، وفارقوا الحق عيانا وهم يعلمون لما حذروا من بأسهم والوقوع بهم[٣].

وتقدم ذكر مؤامرة الأشاعرة ومكيدتهم على أبي إسماعيل الأنصاري الهروي وكيف أنهم وضعوا له صنما تحت محرابه ، وزعموا أنه يسجد له ، ويقول : إنَّ الله

---

(١) حيث اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيما يعملونه بالنبي ﷺ فكان من آرائهم الحبس أوالنفي ، فأشار عليهم أبو جهل لعنه الله بالقتل ، وأنْ يختاروا لذلك من كل قبيلة أربعين شابا جلدا ليتفرق دمه في القبائل ، فأعلمه الله بأمرهم ، وأمره بالهجرة إلى المدينة ، فخرج من بينهم سالما غانما . انظر : السيرة النبوية لابن هشام١/٤٨٠-٤٨٢ .

(٢) لعله داعية ضلاله فنسب إليه . !

(٣) انظر كتابه : الحيدة والاعتذار/٢٢-٢٣ .

مثل صورته ، فنجاه الله من كيدهم ، وبرأه السلطان ألب أرسلان لما علم صدقه وبراءته وعاقبهم[١]. كل ذلك نتيجة العداء بسبب ذمه للكلام المذموم ، وروايته لأخبار الصفات التي اعتبروها تشبيها وتجسيما !

وذكر الإمام ابن رجب رحمه الله أنَّ أبا نصر القشيري[٢]ورد بغداد سنة تسع وستين وأربعمائة وجلس في المدرسة النظامية ، وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم ونصره جماعة من الأشاعرة فاجتمع جماعة من أصحابه على الهجوم على الشريف أبي جعفر الحنبلي[٣]في مسجده ، والإيقاع به ، فرتب الشريف جماعة أعدهم لرد خصومه إنْ وقعت ، فلما وصل الأشاعرة إلى باب المسجد ، رماهم هؤلاء بالآجر فوقعت الفتنة ، وَقُتل من أُولئك رجل من العامة وجرح آخرون وأخذت ثياب ، وأغلق أتباع ابن القشيري أبواب سوق المدرسة النظامية ، وصاحوا المستنصر بالله يا منصور ، يعنون العُبيدي الباطني صاحب مصر ، وقصدوا بذلك التشنيع على الخليفة العباسي وأنه ممالئ للحنابلة لاسيما وأن الشريف أبا جعفر ابن عمه[٤]!

---

(١) انظر : ٣٠٣/٢ .

(٢) أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري من علماء نيسابور ، ا ذكر ابن عساكر أنه انتقل إلى مجلس إمام الحرمين وواظب على دروسه حتى حصل على طريقته في المذهب وكان من أئمة الأشعرية عالما بالأصول والتفسير والكلام ، ووقعت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية ، فاستدعاه نظام الملك إلى أصفهان وعاد إلى نيسابور . توفي سنة ٥١٤هـ انظر : تبيين كذب المفتري ص/٣٠٨-٣١٧و الأعلام ٣٤٦/٣ .

(٣) أبوجعفر عبد الخالق بن عيسى بن أحمد الشريف الهاشمي إمام الحنابلة ببغداد في عصره ، كان ثقة زاهدا شديدا على أهل البدع . توفي سنة ٤٧٠هـ انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ١٩والأعلام ٢٩٢/٣ .

(٤) انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ١٩/١-٢٠ .

وهذا دأبهم في كل زمان ومكان يُؤذون أتباع الرسول ﷺ ، ويُوالون الملحدين فإذا رأوا رجلا يتبع الكتاب والسنة عادوه ورموه بالألقاب الشنيعة ، وقالوا له أنت مجسم مشبه وفي زماننا هذا يقولون له : أنت وهابي !!

يقصدون بذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الذي دعا إلى توحيد الله ، وترك نقيضه من الأمور الشركية ، ووسائلها المؤدية إليها !

فمن يتمسك بالتوحيد علما وعملا عندهم مشرك مشبه ، يجب محاربته في كل زمان ومكان ، ولكن ما عرفوا حيث أنهم بعملهم هذا يجنون على أنفسهم بالخسران والهلاك ، فإنَّ من يُعادي أولياء الله المتقين فهو متوعد من قبل الله تعالى بالحرب والعقاب ، كما ورد في الحديث القدسي إنَّ الله تعالى قال : « من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب »(١).

ورغم ما يحدث لأهل السنة والجماعة من أهل البدع من الإيذاء ، فإنَّ هذه سنة الله في خلقه ، ولابُدَّ لأتباع الرسول ﷺ السالكين لمنهجه أنْ يحصل لهم الإيذاء ، وقد حصل لإمامهم رسول الله ﷺ من الإيذاء من الكفار والمنافقين ماهو مشهور لمن له أدنى إطلاع في كتب السير والتاريخ ، ولكن بفضل الله فإنهم ظاهرون منتصرون ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ بقوله : « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك »(٢) والحمد لله .

○○○○

(١) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب الرقائق ٣٤٨/١١ح٦٥٠٢ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة ١٥٢٣/٣ح١٩٢٠ .

الفصل الثالث

وسطية اهل السنة في صفات الله الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه وبراءتهم من ذلك وذكر بعض ادلتهم السمعية ومقالاتهم في إبطال التشبيه

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : وسطية أهل السنة في صفات الله الدالة على موقفهم من مقالة التشـــبيه وبراءتهم من ذلك

المبحث الثاني : ذكر بعض أدلتهم السمعية في تنزيه الله عن التشبيه الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه وبراءتهم من ذلك

المبحث الثالث : ذكر بعض مقالاتهم في إبطال التشبيه الدالة على موقفهم من مقالة التشـــبه وبراءتهم من ذلك

ذكرت فيما تقدم بعض مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتشبيه والتجسيم والحشو وموقف أهل السنة منها ، كما بينت بعض الأسباب التي اتخذها المعطلة في نبز أهل السنة بالتشبيه مع مناقشتها ونقدها .

وفي هذا الفصل سأبين وسطية أهل السنة في صفات الله تعالى بين طائفتي أهل التمثيل والتعطيل الدالة على موقف أهل السنة وبراءتهم من وصمة التشبيه ، كما سأذكر بعض النصوص التي يستدلون بها في تنزيه الله عن التشبيه ، وبعض مقالاتهم في إبطال التشبيه الدالة على موقفهم من التشبيه وبراءتهم من ذلك .

وسيكون في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : وسطية أهل السنة في صفات الله الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه وبراءتهم من ذلك .

المبحث الثاني : ذكر بعض أدلتهم السمعية في تنزيه الله عن التشبيه الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه وبراءتهم من ذلك . .

المبحث الثالث : ذكر بعض مقالاتهم في إبطال التشبيه الدالة على موقفهم من مقالة التشبه وبراءتهم من ذلك .

المبحث الأول

وسطية اهل السنة في صفات الله الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه وبراءتهم من ذلك

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ذكر بعض مقالات أهل السنة في بيان وسطية منهجهم في صفات الله الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه وبراءتهم منها

المطلب الثاني : ذكر بعض الصور من وسطية أهل السنة في صفات الله الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه وبراءتهم منها

سلك أهل السنة والجماعة بفضل اتباعهم لوحي الله المنهج الوسط في كل أمور دينهم[١]. لاسيما في مسائل الاعتقاد ومن أهمها أسماء الله وصفاته لتعلقها بالله عز وجل وإثبات الكمالات له عز وجل ففازوا باتباع الحق الذي أُنزل إليهم من ربهم في ذلك ، والحق دائما وسط عدل بين الإفراط والتفريط ، وبين الغلو والتقصير ، بخلاف فِرق المشبهة والمعطلة الذين انحرفوا عن وحي الله تعالى فوقعوا في إفراط وتفريط ، بين غالٍ في إثبات الصفات ، مقصرفي جانب التنزيه حتى شبهوا الله بخلقه كما فعل الممثلة ، وغالٍ في التنزيه مقصر في جانب الإثبات حتى عطلوا الله عز وجل عن صفاته كلها كما فعل الجهمية والمعطلة ، أو أكثرها كما فعل الأشاعرة والماتريدية !

ووسطية أهل السنة في صفات الله تعالى بين طائفتي الممثلة والمعطلة من أعظم الأمور الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه والتعطيل وبراءتهم من ذلك ، وقد أشار سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان إلى هذه الوسطية ، ولهم في ذلك مقالات كثيرة تدل على علمهم وتمسكهم بوحي الله تعالى ، ومجانبتهم لما خالفه من مقالات المبتدعة المبنية على الإفراط والتفريط ، والتشبيه والتعطيل ، وسأذكرفي هذا المبحث صورا من وسطبة أهل السنة في صفات الله من خلال ذكر مقالاتهم في ذلك ، كما سأذكر أمثلة ونماذج مختارة من صفات الله تعالى لبيان وسطية أهل السنة فيها بين طائفتي أهل التمثيل والتعطيل ، وسيكون ذلك على سبيل الاختصار والإجمال في مطلبين :

---

(١) ألف في ذلك الدكتور : محمد باكريم باعبد الله رسالته القيمة « وسطية أهل السنة بين الفرق » ذكرفيها أمثلة كثيرة في بيان وسطية أهل السنة في مسائل الاعتقاد . وهي مطبوعة .

المطلب الأول

ذكر بعض مقالات أهل السنة في بيان وسطية منهجهم في صفات الله الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه وبراءتهم منها

من أقوال أهل السنة في بيان وسطية منهجهم في صفات الله بين أهل التعطيل والتمثيل :

١ ـ قول الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله : « أما الكلام في الصفات فإنَّ ما روي منها في السنن مذهب السلف إثباتها ، وإجراؤها على ظاهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم[١] فأبطلوا ما أثبته الله ، وحققها قوم[٢] من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضروب من التشبيه والتكييف والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة ودين الله بين الغالي والمقصر عنه ... »[٣].

٢ ـ وممن ذكروا وسطية أهل السنة في صفات الله بين أهل التعطيل والتمثيل الإمام أبو القاسم التيمي ومما قاله في ذلك : « مذهب السلف رحمة الله عليهم أجمعين إثباتها ـ يعني الصفات ـ وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله ـ وهم المعطلة ـ وذهب قوم من المثبتين إلى البحث عن التكييف ـ وهم المشبهة ـ والطريقة المحمودة هي الطريقة المتوسطة بين الأمرين »[٤].

وهي طريقة سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان المبنية على الإثبات بلا تمثيل والتنزيه بلا تعطيل المجانبة لطريقة أهل التحريف والتكييف أهل التعطيل والتمثيل .

---

(١) يقصد المعطلة .

(٢) يقصد المشبهة .

(٣) رسالة الخطيب في الصفات المطبوعة في مجلة الحكمة العدد « الأول » ص/٢٩٦ وذكره الإمام الذهبي في سيرأعلام النبلاء ١٨/٢٨٣-٢٨٤ .

(٤) الحجة في بيان المحجة ١/١٧٤-١٧٥ .

٣ ـ وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية وسطية أهل السنة في صفات الله وبراءتهم بذلك من مقالة أهل التعطيل والتشبيه في مواضع كثيرة من مصنفاته .

ومما ذكره في ذلك أنَّ أهل السنة وسط في باب أسماء الله وآياته وصفاته بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ، ويعطلون حقائق ما وصف الله به نفسه حتى شبهوه بالعدم والموات[١]، وبين أهل التمثيل الذين يضربون الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات .

فَيُؤمن أهل السنة بما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غيرتحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف وتمثيل[٢].

ولهذا كان مذهب السلف حق بين مذهبين ، وهدى بين ضلالتين ، إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات .

فقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ رد على أهل التشبيه والتمثيل .

وقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ رد على أهل النفي والتعطيل .

فالممثل أعشى ، والمعطل أعمى الممثل يعبد صنما ، والمعطل يعبد عدما[٣].

والسنة وسط في الإسلام كالإسلام في الملل ، فأهل السنة وسط في الصفات بين أهل التعطيل والتمثيل .

وهذا هو الصراط المستقيم صراط الذين أ نعم الله عليهم من النبيين والصديقين

---

(١) سيأتي بيان وقوع المعطلة في مقالة التشبيه في الباب الرابع انظر : ٣/٣٧٥ .

(٢) انظر : الوصية الكبرى لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١/٢٧٧ .

(٣) انظر : الفتوى الحموية الكبرى ص/ ١٧وضمن مجموع الفتاوى ٥/٢٧و١٩٦والجواب الفاصل بتمييز الحق من الباطل ضمن مجلة البحوث الإسلامية العددص/٣١٢-٣١٤والصفدية ٢/ ٣١٣-٣١٤والعقيدة الواسطية مع شرح الهراس ص/١١٦ومنهاج السنة النبوية ٣/٤٦٨والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/٧ .

والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا[١] .[٢].

٤ ـ وبين الإمام ابن القيم رحمه الله وسطية أهل السنة في صفات الله عز وجل وبراءتهم بذلك من مقالة أهل التعطيل والتمثيل ومن أقواله « ... وهدى الله أصحاب سواء السبيل للطريقة المثلى فلم يتلوثوا بشيء من أوضار هذه الفرق وأدناسها وأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات ، ونفوا عنه مماثلة المخلوقات ، فكان مذهبهم مذهبا بين مذهبين ، وهدى بين ضلالتين ، خرج من مذاهب المعطلين والمخيلين والمجهلين والمشبهين ، كما خرج اللبن من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ، وقالوا : نصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غيرتشبيه ولا تمثيل ، بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات ونفي مماثلة المخلوقات ... »[٣].

وذكررحمه الله أنواع الإلحاد في أسماء الله الحسنى ومنها إلحاد أهل التعطيل وإلحاد أهل التشبيه وكيف أنَّ الله برأ أهل السنة أتباع رسوله ﷺ وورثته القائمين بسنته عن مقالات أهل البدع في أسماء الله وصفاته ، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه ، ولم يعدلوا بها عما أُنزلت على الرسول ﷺ لفظا ولا معنى ، بل أثبتوا له الأسماء والصفات ، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات ، فكان إثباتهم بريئا من التشبيه وتنزيههم خاليا من التعطيل لاَ كمن شَبَّهَ حتى كأنه يعبد صنما ، أوعَطَّلَ حتى كأنه لايعبد إلا عدما ، وأهل

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ولهديناهم صراطا مستقيما * ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ [النساء : ٦٨-٦٩] .

(٢) انظر : الجواب الفاصل المطبوع ضمن مجلة البحوث الإسلامية العددص/٣١٢-٣١٣ .

(٣) الصواعق المرسلة ٢/٤٢٥-٤٢٦ .

السنة وسط في النحل ، كما أنَّ أهل الإسلام وسط في الملل[١].

٥ ـ وذكرالإمام السفاريني رحمه الله أنَّ أهل السنة سلكوا في صفات الله منهجا وسطا حقا بين باطلين ، وسنة بين بدعتين ، فإنَّ من الناس من حمل النصوص على التشبيه والتمثيل فضل وأضل ، ومنهم من حملها على التحريف والتعطيل فألحد وانفصل عن الحق وَأختل ، وأهل الحق أثبتوا النصوص واعتقدوها بلا تكييف ولا تمثيل ، ولا تحريف ولا تعطيل[٢].

٦ ـ وممن بين وسطية أهل السنة في صفات الله ، وبراءتهم من مقالتي أهل التعطيل والتمثيل من العلماء المعاصرين العلامة الشيخ عبد المحسن العباد ـ حفظه الله ـ ومما ذكره في ذلك أنَّ الحق وسط بين الإفراط والتفريط ، وأهل السنة وسط بين الذين أثبتوا الصفات وأفرطوا حتى شبهوا الله بخلقه ، وبين الذين فَرَّطوا وقصروا فعطلوا الصفات ، وتأولوها بقصد تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين !

والمذهب الحق الذي سار عليه أهل السنة وسط بين الطرفين ففيه الإثبات فلا نفي ولا تأويل ، وفيه التنزيه فلا تشبيه ولا تمثيل .

وكل من المشبهة والنفاة جمعوا بين إساءة وإحسان !

فالمشبهة : أحسنوا إذْ أثبتوا الصفات فلم ينفوا ، وأساءوا إذْ شبهوا ومثلوا !

والمعطلة : أحسنوا إذْ نزهوا عن مشابهة خلقه ، وأساءوا إذْ نفوا عن الله ماأثبته لنفسه ! وأهل السنة والجماعة جمعوا بين الحسنيين وسلموا من الإساءتين ، فالإحسان الذي عند الطرفين عندهم ، وليس عندهم ما عند كل من الإساءة ، وذلك لأنهم

---

(١) انظر : بدائع الفوائد ١٥٤/١وراجع أقواله في ذلك في : مدارج السالكين ٣/ ٣٥٩والصواعق المرسلة ١٤٧/١-١٤٨ .

(٢) انظر : لوامع الأنوار البهية ٢١٦/١ .

أثبتواماأُثبت في الكتاب والسنة من الصفات ، ونزهوا الله عن مشابهة خلقه كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فأول الآية تنزيه ، وآخرها إثبات .

فمثل هذا المذهب الحق بالنسبة إلى الطرفين المتقابلين كاللبن الخالص السائغ للشاربين الذي يخرج من بين فرث ودم[١].

وأقوال سلف الأمةوأئمتها أهل العلم والإيمان في بيان وسطية أهل السنة في صفات الله بين أهل التعطيل والتمثيل كثيرة[٢]، وإنما ذكرت منها ماتتضح به براءة أهل السنة من مقالة التشبيه والتعطيل وكذب وبهتان من نبزهم بالتشبيه والتجسيم من أهل التحريف والتعطيل !

○○○○

(١) انظر كتابه : شرح عشرون حديثا من صحيح مسلم ص/١٨٢-١٨٣ .

(٢) انظرعلى سبيل التفصيل : عقيدة الحافظ المقدسي ص/٣٨-٣٩وقطف الثمر في بيان عقائد أهل الأثرللعلامة محمد صديق خان ص/٦٠-٦١والعين والأثرفي عقائد أهل الأثر للعلامة عبدالباقي المواهبي الحنبلي ص/٣٦وكتاب الصفات للشيخ محمد بن ناصر الحازمي ص/٤١-٤٢والحق الواضح المبين للشيخ السعدي ص/١٢والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبدالعزيز السلمان ص/٤٩٦وشرح العقيدة الواسطية للشيخ محمدبن صالح العثيمين ١/٦٥-٧٦ووسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور : محمد باكريم باعبدالله ص/٣٢٤-٣٢٦ .

المطلب الثاني

ذكر بعض الصور من وسطية أهل السنة في صفات الله الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه وبراءتهم منها

تظهر وسطية أهل السنة في صفات الله تعالى جلية واضحة ، لاسيما بمقارنة منهجهم بمنهج مخالفيهم من أهل التمثيل والتعطيل ، فإنَّ الضد كما يُقال : يظهر حسنه بالضد ، فما من مسألة من مسائل الصفات إلا وقد سلكوا فيها المنهج الوسط العدل الخيار ، بخلاف غيرهم من أهل البدع فهم بين مغال ممثل ، ومقصر معطل ، ومن الصور والأمثلة الدالة على ذلك :

منهجهم العام في توحيد الأسماء والصفات فهم قد أثبتوا لله جميع ما أثبته عز وجل لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ من الأسماء والصفات إثباتا خاليا من التمثيل ، وتنزيها بعيدا عن التعطيل كما تقدم[١]. بخلاف طائفتي المعطلة والممثلة فإنهم انحرفوا عن هذا المنهج المستقيم إما :

أ ـ إلى غلو ومبالغة في إثبات الصفات ، والبحث عن الكيفية المفضي إلى التشبيه مع ترك التنزيه ، فوقعوا بذلك في التمثيل المذموم ، كما فعل المشبهة[٢].

ب ـ وإما إلى غلو في التنزيه ، وتقصير في الإثبات إلى حد التعطيل ، كما فعل الجهمية الذين نفوا أسماء الله وصفاته[٣]، والمعتزلة الذين نفوا الصفات[٤]،

---

(١) انظر : ١/١١١ .

(٢) تقدم بيان ذلك انظر على سبيل التفصيل : ١/١٢١ ـ ١٢٧ و٣٧٦ ـ ٣٨١ .

(٣) انظر : منهج الجهمية في أسماء الله وصفاته في : الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص/٢٤والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص/١١٠-١١٢والملل والنحل ١/٨٦ وضمن مجموع الفتاوى ٦/٣٤-٣٥ومنهاج السنة النبوية ٢/٦٠٤ .

(٤) انظر : المنية والأمل لابن المرتضى المعتزلي ص/٦والمغني في أبواب التوحيد والعدل =

والأشاعرة والماتريدية الذين عطلوا معظم الصفات وأثبتوا بعضها[١]!

فكان قول أهل السنة خير وعدل من قول هؤلاء الطوائف تجنبوا مقالة التشبيه بالتنزيه والبعد عن الكيفية ، ومقالة التعطيل بالإثبات ، وعملوا بمقتضى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فجمعوا بذلك بين الإثبات والتنزيه كما تقدم[٢].

وقد سلكوا هذا المنهج الوسط العدل المستقيم في جميع مسائل الصفات سأختار بعضا من الصفات كأمثلة ونماذج تتضح بها وسطيتهم في صفات الله الدالة على موقفهم من التشبيه والتعطيل ، وبراءتهم من ذلك فمنها :

١ـ صفة الاستواء

أخبر الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أنه مستوٍ على عرشه على الوجه اللائق به « فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[٣][طه : ٥] وقال رسوله ﷺ : « لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش ، إنَّ رحمتي سبقت غضبي »[٤].

= للقاضي عبد الجباره/٨٨ وشرح الأصول الخمسة له ص/١٥١وراجع : مقالات الإسلاميين ٢٣٥/١والملل والنحل ٤٦/١ ومنهاج السنة النبوية ٦٠٤/٢ .

(١) انظر : الغنية في أصول الدين للمتولي الشافعي ص/٨٥ـ٨٦والإرشاد للجويني ص/ ٧٧ـ٨٦وقواعد العقائد لأبي حامد الغزالي ص/٥٩ والاقتصاد في الاعتقاد له ص/٥٣ومعالم أصول الدين للرازي ص/٤٩وشرح المقاصد للتفتازاني ٨٩/٤وغاية المرام في علم الكلام للآمدي ص/٢٥و٣٨وشرح أم البراهين للسنوسي ص/٢٦وإشارات المرام للبياضي ص/١١٧ـ١١٨وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص/٥٤ ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص/٥٩ .

(٢) انظر : ص/٨٦ .

(٣) وغيرها من الآيات الواردة في إثبات صفة الاستواء في سورة [الأعراف الآية : ٥٤] و[يونس : ٣] و[الرعد : ٢] و[الفرقان : ٥٩] و[السجدة : ٤] و[الحديد : ٤] .

(٤) تقدم عزوه انظر : ٢٩٩/٢ .

فافترقت طائفتا المشبهة والمعطلة في ذلك إلى تمثيل وتعطيل ، فأفرط المشبهة في إثبات صفة الاستواء وبالغوا في ذلك حتى قال بعضهم : « استواء كاستوائي »[١] وخاض بعضهم في كيفية ذلك حتى قالوا : « استواء بمماسة أو ملاقات » ونحو ذلك من المقالات المبتدعة كما تقدم[٢]! وَفَرَّطَ طوائف المعطلة في ذلك وقصروا ، حتى عطلوا الله تعالى عن استوائه على عرشه وعلوه على خلقه الثابت له تعالى بصحيح المنقول وصريح المعقول ، فلجؤوا إلى تأويل صفة الاستواء مخافة الحصر والتشبيه كما زعموا ، فقالوا : المراد بذلك الاستيلاء[٣] ولهم في ذلك مقالات منكرة مخالفة للنقل الصحيح والعقل الصريح والفطرة المستقيمة !

وهدى الله أهل السنة والجماعة لتجنب مقالة الطائفتين المبنية على التشبيه والتعطيل بسبب تمسكهم بوحي الله ، فأثبتوا استواء الله على عرشه بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل[٤]، فكان قولهم في ذلك القول الحق العدل الوسط الخيار المبني على الإثبات والتنزيه ، والقول الفاصل الحق المبطل لمقالتي أهل التمثيل والتعطيل المنحرفين إلى الإفراط والتفريط !

٢ـ صفة اليدين

وأخبر الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أنَّ له يدين لائقتين بجلاله وعظمته فقال لإبليس اللعين عندما امتنع عن السجود لآدم عليه السلام : ﴿ أَن

---

(١) تقدم ذكر مقالتهم هذه وموقف أهل السنة منها انظر : ٤١٦/١ .

(٢) انظر : ٤١٦/١ ـ ٤١٨ .

(٣) سيأتي بيان وقوع المعطلة في مقالة التشبيه ، وتحريفهم النصوص ومنها نصوص صفة الاستواء هربا من التشبيه المزعوم في ذلك انظر : ٣٧٥/٣ و٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

(٤) تقدم بيان منهج أهل السنة في صفة الاستواء عند ذكرموقفهم من مقالة المشبهة في ذلك انظر : ٤١٩/١ .

تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ سورة [ص : ٧٥] وأخبر رسوله ﷺ أنَّ لله يدين لائقتين به عز وجل فقال في دعاء الاستفتاح : « ... لبيك وسعديك والخير كله في يديك »(١).

فانحرفت طائفتا المشبهة والمعطلة عن إثبات صفة اليدين كما وردت ، فأفرطت المشبهة في إثبات ذلك حتى وقعوا في التشبيه المذموم ، قائلين لله يد كيدي(٢). ومال المعطلة إلى التفريط فأولوا صفة اليدين إلى القوة أو النعمة أو النعمتين(٣)فوقعوا في التعطيل ! وأثبت أهل السنة صفة اليدين كما وردت من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا تحريف ولا تعطيل ، فكان قولهم في ذلك وسطا مستقيما ، حقا بين باطلين ، وهدى بين ضلالتين ، إثبات صفة اليدين ، وتنزيه الله في ذلك عن التشبيه والتعطيل(٤).

٣ـ صفة الكلام

وأخبر تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ بأنَّ له صفة الكلام أزلا وأبدا فهو عز وجل تكلم ويتكلم فقال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] وقال تعالى : ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٤] وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك . فينادي بصوت : إنَّ الله يأمرك أنْ تخرج من ذريتك بعثا إلى النار »(٥).

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ١/٥٣٤ـ٥٣٥ح٢٠١ .

(٢) كما تقدم انظر : ١/٥٢٤ .

(٣) ستأتي ذكرتأويلاتهم هذه ونقدها انظر : ٢/٥٩٨ .

(٤) تقدم بيان ذلك عند ذكرموقفهم من مقالة المشبهة في صفة اليدين انظر : ١/٥٢٥ .

(٥) رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٣/٤٦٢ح٧٤٨٣ .

وقد انحرفت طائفتا المشبهة والمعطلة عن المنهج المستقيم في صفة الكلام ، فجعل المشبهة كلام الله تعالى حادث النوع ، وأنَّ الله يتكلم بكلام متعلق بمشيئته وقدرته بعد أنْ لم يكن كذلك وامتنعوا أنْ يقولوا : إنَّ الله متكلم في الأزل كما تقدم(١)!

وجعل المعتزلة كلام الله تعالى حادثا مخلوقا حيث قالوا : إنَّ الله لايتكلم إلا بكلام يخلقه في غيره(٢).

وجعل الأشاعرة والماتريدية كلام الله تعالى أزليا قائما بذات الله تعالى ، وأنكروا أنْ يكون متعلقا بمشيئته وقدرته(٣).

ووفق الله أهل السنة بسبب اتباعهم لوحي الله لسلوك المنهج العدل الوسط الحق فأثبتوا ما عند طائفة المشبهة والمعطلة من الصواب ، وتجنبوا إساءة الطائفتين ، فقرروا أنَّ الله متكلم بكلام يليق به عز وجل أزلا وأبدا ، فهو تعالى لم يزل ولا يزال متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء ، وأنَّ كلامه بحرف وصوت ، وليس مخلوقا منفصلا عنه كما يقول المعتزلة ولاهولازم لذاته وهولايقدر أنْ يتكلم بمشيئته وقدرته كمايقول الأشاعرة والماتريدية ، ولأنه لم يكن متكلما في الأزل حتى صار كذلك بعد أنْ لم يكن متكلما كما تقول المشبهة ، بل هو عز وجل لم يزل ولا يزال متكلما إذا شاء ، وأنَّ كلامه لايشبه كلام المخلوقين ولا معانيه تشبه معانيه ،

---

(١) انظر : ١/٤٥٩ - ٤٦١ و٤٦٣و٤٦٤ .

(٢) انظر : الكشاف للزمخشري ٢/٨٨والمحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار ص/٢٢٣و٣٠٩ والمغني في أبواب التوحيد والعدل له ٧/٨٤وشرح الأصول الخمسة له ص/٥٢٨ .

(٣) انظر : أصول الدين للبغدادي ص/١٠٨والغنية في أصول الدين للمتولي الشافعي ص/ ٩٨والإرشاد للجويني ص/١٠٥وغاية المرام في علم الكلام للآمدي ص/٨٨وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص/٧١-٧٤وشرح العقيدة الطحاوية للغنيمي الحنفي ص/٦٨ورسالة التوحيد لمحمد عبده ص/١٦ .

ولا صوت الرب يشبه صوت العبد ، تكلم ويتكلم بكلام لائق بجلاله وعظمته[١]! فكان قولهم بذلك هوالقول الوسط العدل الحق المستقيم .

٤- صفة النزول

وأخبر رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه : « ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول : من يدعوني فاستجب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فاغفر له »[٢].

وقد انحرف المشبهة والمعطلة عن الصواب في صفة النزول ، فأفرط المشبهة في ذلك فبالغوا في الإثبات حتى جعلوا نزول الله تعالى من جنس نزول المخلوقين ، وزعم الحلولية من المشبهة أنَّ الله ينزل إلى الأرض فيصافح الركبان ويُعانق المشاة ونحوذلك من المقالات الكفرية الفاسدة كما تقدم[٣].

ومال المعطلة إلى التفريط فنفوا نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا ، وحرفوا الحديث الوارد في ذلك فزعموا أنَّ المراد به نزول ملك ، أو نزول أمر الله وإحسانه[٤]!

ووفق الله تعالى أهل السنة لسلوك المنهج الوسط العدل الصواب بسبب اتباعهم لوحي الله فأثبتوا نزول الله تعالى كما أخبر نبيه ﷺ على الوجه اللائق به عز وجل ،

---

(١) تقدم بيان ذلك عند ذكر موقفهم من مقالة المشبهة في صفة الكلام انظر : ٤٦٢/١ .

(٢) تقدم عزوه انظر : ٤٧٥/١ .

(٣) انظر : ٤٧٤/١ و ٧٠/٢ .

(٤) انظر : ما ذكره الإمام الدارمي عن بشر المريسي في رده عليه ص/٢٠ومشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص/٧٢-٧٦وأساس التقديس للرازي ص/١٠٨و١١٠وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص/٩٣واتحاف الكائنات لمحمود خطاب السبكي ص/١٥٣و١٥٤وتعليقات السقاف على دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص/١٩٢ .

إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل[١].

٥- رؤية الله عز وجل

ومن الأمورالتي تتضح بها وسطية أهل السنة الدالة على براءتهم من مقالة أهل التمثيل والتعطيل إثبات رؤية الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة كما أخبر الله تعالى في قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ـ ٢٣] وكما أخبر رسول الله ﷺ عندما سأله بعض أصحابه هل نرى ربنا يوم القيامة ، فقال : « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ، قالوا : لا يارسول الله . فقال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ، قالوا : لا . قال : فإنكم ترونه كذلك ... »[٢].

وأخبر رسول الله ﷺ أنَّ الله تعالى تستحيل رؤيته في الدنيا فقال : « تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت »[٣]. فأفرط حلولية المشبهة في إثبات ذلك حتى زعموا أنَّ الله تعالى يُرى في الدنيا وادعوا أنهم يصافحونه ويعانقونه ويطوف بالبيت ، ونحو ذلك من المقالات الكفرية الكاذبة[٤].

ومال المعتزلة ومن سار على منهجهم كالخوارج[٥]إلى التفريط في ذلك فنفوا

---

(١) انظر لذلك على سبيل المثال : عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١١٢/١و١١٦-١١٧والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي ١٢٣/٢وكتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٨٩/١-٢٩٠وشرح حديث النزول لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٣٩٣/٥ .

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد ٤٢٩/١٣-٤٣٠ح٧٤٧٤ومسلم في كتاب الإيمان ١/ ١٦٣ح١٨٢واللفظ له .

(٣) رواه مسلم في كتاب الفتن ٢٢٤٥/٤ح١٦٩ .

(٤) وقد تقدم ذكر ذلك وموقف أهل منها انظر : ٤٧٥/١ .

(٥) انظر : مختصر تاريخ الأباضية لأبي الربيع الباروني الأباضي ص/٦٥ومشارق الأنوارلنور الدين السالمي الأباضي ص/٢٠٣ .

رؤيته يوم القيامة الثابتة بالكتاب والسنة[١].

ووفق الله أهل السنة لسلوك المنهج الحق الوسط العدل بين الطائفتين بسبب اتباعهم لوحي الله تعالى فقالوا : إنَّ الله يُرى في الآخرة بالأبصار عيانا ، وأنَّ أحدا لايراه في الدنيا بعينه ، وردوا مقالة طائفتي المعطلة والمشبهة في ذلك ، فكان قولهم هوالحق الصواب المستقيم[٢].

وصور وسطية أهل السنة في باب صفات الله تعالى وغيره لا تنحصر فما من مسألة في ذلك إلا وقولهم فيها وسط بين المشبهة الذين غلوا في الإثبات ، والمعطلة الذين قصروا في ذلك ، فتجنب أهل السنة غلوهم وتقصيرهم ، وسلكوا منهج الوسطية المبني على الإثبات والتنزيه البعيد عن الإفراط والتفريط ، وما فازوا بذلك إلا لتمسكهم بوحي الله تعالى ، وابتعادهم عن مناهج أهل البدع المبنية على الإفراط والتفريط !!

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة ص/٢٣٢والمغني في أبواب التوحيد والعدل ١٦٢/٤ .

(٢) انظر : العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى ١٤٤/٣والوصية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٢٨٩/١و٢٩١-١٩٢وفتح الباري لابن حجر ٤٣٥/١٣وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص/٢٠٣و٢١٣ .

المبحث الثاني

ذكر بعض النصوص التي يستدل بها أهل السنة لتنزيه الله تعالى عن التشبيه الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه وبراءتهم من ذلك

ومن أعظم الأمور الدالة على موقف أهل السنة من مقالة التشبيه و براءتهم من وصمة التشبيه استدلالهم بالأدلة السمعية الدالة على تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل ، وعن جميع صفات العيوب والنقائص الخاصة بالمخلوقين .

ومن أدلتهم في ذلك :

١ ـ قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَّهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ فهذه الآية من أعظم الآيات التي يستدل بها أهل السنة لتنزيه الله عن أنْ يكون له مثل في شيء مما يُوصف به عز وجل من الصفات ، وعلى إثبات صفات الكمال لله تعالى ، سواء كان ذلك في بيان منهجهم في صفات الله تعالى المبني على الإثبات والتنزيه كما تقدم[١]، أو في مقام الردعلى المشبهة[٢]والمعطلة !

فقد قرروا أنَّ قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ رد على المشبهة الممثلة وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ رد على المؤولة المعطلة[٣].

ونفيُ المماثلة عند أهل السنة إنما يكون بعدإثبات الصفات كما قال الإمام الشافعي رحمه الله : « ... ونثبت هذه الصفات وينفي عنه التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَّهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٤].

---

(١) انظر : ١٢٨/١ .

(٢) كما تقدم انظر : ٣٨٢/١ .

(٣) انظر : كتاب التوحيد لابن منده ٤٣/٣ورسالة الإمام أبي الحسن الأشعري إلى أهل الثغرص/ ١١٩وكتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ١٩٦/٥والجواب الفاصل بتمييز الحق عن الباطل ضمن مجلة البحوث الإسلامية العددص/٣١٢ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٧/١ومنهاج السنة النبوية ٢٥٣/٢و٥٢٣وشرح العقيدة الطحاوية ص/٩٩ .

(٤) ذكره ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ٢٨٢/١والذهبي في سير أعلام النبلاء ٧٩/١٠ـ ٨٠ وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٥٩ .

وذكر أبو منصور معمر بن أحمد رحمه الله في وصيته أنَّ قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ينفي كل تشبيه وتمثيل وقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ينفي كل تعطيل وتأويل فهذا مذهب أهل السنة والجماعة والأثر ، فمن فارق مذهبهم فارق السنة ، ومن اقتدى بهم وافق السنة ونحن بحمد الله من المقتدين بهم المنتحلين لمذهبهم القائلين بفضلهم(١). فأهل السنة كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله متفقون على تنزيه الله عن مماثلة الخلق وأنه تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، وأنَّ طريقتهم في الصفات مبنية على إثبات بلا تمثيل وعلى تنزيه بلا تعطيل إثبات الصفات ونفي صفات المخلوقين قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فهذا رد على الممثلة ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ رد على المعطلة(٢).

وذكر رحمه الله أنه قد ألف رسالة مفردة في قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ بين ما فيها من الأسرار والمعاني الشريفة(٣).(٤).

وعقد الإمام الذهبي رحمه الله في كتابه : « الأربعين في صفات رب العالمين » بابا في قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَّهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ومما قاله في ذلك : « اعلم أنَّ الله تعالى لا مثيل له بوجه من الوجوه ، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر وخاب وخسر ، ولايلزم من ذلك أنْ ننفي عنه صفاته المقدسة ، فهو الإله العظيم المنعوت بما وصف به نفسه على ألسنة رسله عليهم السلام ... »(٥).

---

(١) ذكره أبوالقاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة ١/٢٤٣-٢٤٤ .

(٢) انظر : منهاج السنة ٢/٥٢٢-٥٢٣و كتاب الأسماء والصفات ضمن مجموع الفتاوى ٦/٥١٥ .

(٣) انظر : منهاج السنة ٢/١٨٥ .

(٤) وقد بحثت عن هذه الرسالة فلم أجدها ، وماذكره شيخ الإسلام في تفسيره الآية المذكورة كثيرجدا لوجُمع وَدُرس لأصبح مؤلفا كبيرا .

(٥) الأربعين في صفات رب العالمين ص/١٦٥-١٦٦ .

وبين الإمام ابن القيم رحمه الله أنَّ قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ إنما ذكرت في نعوت كماله تعالى وأوصافه لتدل أنَّ هذا الموصوف بهذه النعوت والصفات هوالذي ليس كمثله شيء لكثرة نعوته وأوصافه وأسمائه وأفعاله(١).

وذكر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله أنَّ أهل السنة يعتقدون أنَّ ما اتصف الله به من الصفات لايماثله فيه أحد من خلقه وأنَّ الشر كل الشرفي عدم تعظيم الله تعالى وأنْ يسبق في ذهن الإنسان أنَّ صفة الخالق تشبه صفات المخلوق فعلى القلب المؤمن المصدق بصفات الله تعالى التي تمدح بها أو أثنى عليه بها نبيه ﷺ أنْ يكون معظما لله عز وجل غير متنجسٍ بأقذار التشبيه لتكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بصفات الله التي تمدح بها على أساس التنزيه بقول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٢).

وقد تقدم استدلال أهل السنة بهذه الآية العظيمة في مقامات كثيرة منها في بيان منهجهم المبني على الجمع والتنزيه ، وفي الرد على موقف المشبهة من صفات الله تعالى مما يدل على أنها من أعظم الآيات التي يعتمد عليها منهجهم في مسائل الصفات تأصيلا وتقريرا وردا على أهل البدع المخالفين من أهل التعطيل والتمثيل .

٢ ـ ومن الأدلة التي يستدل بها أهل السنة والجماعة في تنزيه الله عز وجل عن التشبيه والتمثيل ، وعن كل نقص وعيب الدال على براءتهم من وصمة التشبيه سورة الإخلاص ، فقد تضمنت هذه السورة العظيمة كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله توحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب إثباته للرب عز وجل من الأحدية المنافية لمطلق الشركة بوجه من الوجوه ، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال

---

(١) انظر : الصواعق المرسلة ٣/١٠٢٨-١٠٣٠ومختصر الصواعق المرسلة ١/١٥٦-١٥٧ .

(٢) انظر : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص/٢٠ .

التي لايلحقها نقص بوجه من الوجوه ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم صمديته تعالى وغناه وأحديته ، ونفي الكفئ المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل والنظير فتضمنت هذه السورة إثبات كل كمال لله تعالى ، ونفي كل نقص وشبيه أومثيل له في كماله الثابت له ، ونفي مطلق الشريك عنه تعالى وهذه الأصول هي : مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي ، الذي يُباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن ، فإن القرآن مداره على الخبر والإنشاء ، والإنشاء ثلاثة : أمر ونهي وإباحة والخبر نوعان : خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه ، وخبر عن خلقه فأخلصت سورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الخبر عنه تعالى وعن أسمائه وصفاته فعدلت ثلث القرآن[1] وخلصت قارئها المؤمن بها من الشرك العلمي كما خلصت : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ ﴾ قارئها من الشرك الإرادي القصدي[2].

وذكر الإمام ابن رجب رحمه الله أنَّ سورة الإخلاص هي نسب الرحمن وصفته وهي التي أنزلها الله تعالى لنفي ما أضاف إليه المبطلون من تمثيل وتجسيم ، وإثبات أصل وفرع ، فدخل فيها مايقوله المشركون في حق الله تعال من الشرك والتشبيه وأهل الكتاب من إثبات كفوٍ له في شيء من الأشياء مثل من يجعل له تعالى بتشبيهه كفوا له ، أو يجعل له تعالى بعبادة غيره كفوا ، فلا كفوله تعالى في شيء من صفاته ، ولا في ربوبيته ولا في ألوهيته ، فتضمنت هذه السورة تنزيهه تعالى

---

(١) كما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه : « أيعجز أحدكم أنْ يقرأ ثلث القرآن في ليلة . قالوا كيف ياسول الله ، قال : الله أحد الله الصمد ، تعدل ثلث القرآن » رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٣/٣٦٠ح٧٣٧٤عن أبي سعيد الخدري « ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ١/ ٥٥٦ح٨١١ عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) انظر : زاد المعاد ١/٣١٦-٣١٨وبدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم ٥/٣٦٧-٣٦٨ .

وتقديسه عن الأصول والفروع والنظراء والأمثال[١].

وبين رحمه الله أنَّ الكفو المنفي في قوله تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ينفي أنْ يكون لله عز وجل كفو في ذاته ، وربوبيته ، وألوهيته ، وأسمائه وصفاته[٢]!

وذكر الإمام المقريزي[٣]رحمه الله أنَّ الرسول ﷺ قد عَظَّمَ من شأن سورة الإخلاص ورغب في تلاوتها حتى جعلها تعدل ثلث القرآن ، من أجل أنها شاهدة بتنزيه الله تعالى وعدم الشبه والمثل له سبحانه وسميت سورة الإخلاص لاشتمالها على إخلاص التوحيدلله تعالى عن أنْ يشوبه ميل إلى تشبيهه بالخالق عز وجل[٤].

وتعتبر هذه السورة كما تقدم في سبب نزولها[٥]صفة الله تعالى ونسبه عز وجل الدال على تفرده بصفات الكمال وتنزيهه عن الشبيه والمثيل ، وعن كل نقص خاص بالمخلوقين[٦].

وفيها كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله بيان أنَّ الله تعالى ليس من جنس المخلوقات ، وأنه عز وجل منزه عن قول أهل التمثيل والتشبيه لأنه تعالى أحد ، وأنه صمد ليس من مادة ، بل هو صمد لم يلد ولم يولد ، وأنه تعالى منزه عن أنْ يكون

---

(١) انظر كتابه : تفسير سورة الإخلاص ص/١٠٠-١٠١ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص/١٠٢ .

(٣) أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي ، إمام مؤرخ محدث ، من مصنفاته : « تجريد التوحيد المفيد » و « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » توفي سنة ٨٤٥هـ انظر : شذرات الذهب ٢/٢٥٥ومعجم المؤلفين ٢/١١ .

(٤) انظر : خطط المقريزي ٣/٣١١ .

(٥) انظر : ٢/٤٥ .

(٦) تقدم بيان ذلك عند ذكر موقف أهل السنة من استدلال المشبهة بقول الله تعالى ﴿ الله الصمد ﴾ للدلالة على مقالتهم إنَّ الله جسم انظر : ص/٣٩٢ .

أحد كفوا له فاشتملت السورة على جميع أنواع التنزيه والتحميد على النفي والإثبات[١]. ولذا صارت الأصل المعتمد عليه عند أهل السنة لتضمنها وصف الله سبحانه وتعالى الذي جاء بنفي قول أهل التعطيل وأهل التمثيل ما صارت به الأصل المعتمد عليه في مسائل الذات والصفات[٢]. فإذا سُئل أهل السنة عن الله تعالى وصفته أجابوا بسورة الإخلاص اتباعا للنبي ﷺ في ذلك عندما سأله المشركون عن صفة الله عز وجل فنزلت السورة جوابا لذلك[٣]لبيان وصف الله تعالى بصفات الكمال ، وتنزيهه عن الصفات الخاصة بالمخلوق .

ذكر شيخ الإسلام أنَّ الأئمة كأحمد بن حنبل ، والفضيل بن عياض وغيرهما إذا أرادوا أنْ يذكروا ما يستحقه الله تعالى من التنزيه ذكروا سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن لاستيفائها كل ما ينفى عن الله تعالى من العيوب والنقائص والتشبيه والتمثيل ، ولهذا لماناظرت المعتزلة الإمام أحمد رحمه الله وسألوه عن الله هل هو جسم أم لا ، وذكروا لوازم الجسم . أجابهم رحمه الله بسورة الإخلاص فإنَّ مافيها من التنزيه هو الحق دون ما أدخلوه من الزيادات الباطلة[٤].

فكانت هذه السورة دليلا لأهل السنة على إثبات صفات الله تعالى ، وتنزيهه عن مقالة أهل التعطيل والتمثيل[٥].

---

(١) انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ١٧/٤٥٢-٤٥٣ .

(٢) انظر : التحفة العراقية في أعمال القلوب لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٢/٤٠-٤١ .

(٣) كما تقدم انظر : ص/٣٩٧ .

(٤) انظر : نقض التأسيس « المطبوع » ٢/٥٧-٥٨ .

(٥) انظر : كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/٩٥وكتاب التوحيد لابن منده ٣/٩٠-٩٢والأسماء والصفات للبيهقي ١/٩٢و٢/٣٩-٤٠والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي ١/ ١٨٢والعقيدة الواسطية لابن تيمية مع شرح الهراس ص/٣١-٣٢وتفسير سورة الإخلاص له =

فبينوا أنها تضمنت إثبات صفات الكمال ، وتنزيه الله في ذلك عن الشبيه والمثيل وكل نقص خاص بالمخلوق ، فقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّها اشتملت على صفات الكمال كلها ، وصفات التنزيه ويجمع ذلك معنيان :

أحدهما : نفي النقائص عنه تعالى وذلك من لوازم إثبات صفات الكمال ، فمن أثبت له الكمال التام فقد انتفى به النقصان المضاد له ، والكمال من مدلول اسمه تعالى الصمد ، والنقائص جنسها منفي عن الله عز وجل ، وكل ما اختص به المخلوق فهو من النقائص التي يجب تنزيه الله عنها .

والثاني : أنه تعالى ليس كمثله شيء في صفات الكمال الثابتة له ، وهذا من مدلول اسمه الأحد ، فهذان الاسمان العظيمان « الأحد والصمد » يتضمنان : تنزيهه تعالى عن كل نقص وعيب ، وتنزيهه في صفات الكمال أنْ يكون له مماثل في شيء منها .

واسمه الصمد يتضمن : إثبات جميع صفات الكمال ، فتضمنت بذلك إثبات جميع صفات الكمال ، ونفي جميع صفات النقص عن الله عز وجل ، فالسورة تضمنت كل مايجب نفيه عن الله تعالى .

وتضمنت أيضا كل ما يجب إثباته لله تعالى من وجهين :

من اسمه الصمد ، ومن وجهة أنَّ ما نُفي عنه تعالى من الأصول والفروع والنظراء مستلزم صفات الكمال أيضا ، فإنَّ ما يمدح به الرب من النفي فلا بُدَّ أنْ يتضمن ثبوتا وكذلك كل مايمدح به شيء من الموجودات من النفي فلابد أن يتضمن ثبوتا

= ضمن مجموع الفتاوى ١٧/٢٣٥-٢٤١و٣٢٥ونقض التأسيس « المطبوع » ١/ ٥١١-٥١٢و٢/٥٧-٥٨و٦٩-٧٠و « المخطوط » ٢/٢٠٤-٢٠٦و٢١٥-٢١٨وتفسير سورة الإخلاص لابن رجب ص/٩٩-١٠٢وخطط المقريزي ٢/٣١٦و٣١٩وفتح الباري لابن حجر ١٣/٣٦٩ وأعلام السنة المنشورة للحكمي ص/٢٦-٢٧ .

وإلا فالنفي المحض ليس بشيء ، فضلا عن أنْ يكون صفة كمال[١].

فصفات النقص المختصة بالمخلوقين يتنزه عنها عز وجل مطلقا ، ولذا نفاها الله عن نفسه مطلقا بقوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ لأنَّ ذلك من إمارات الحدوث والاحتياج ، والله عز وجل أزلي بصفاته ، غني غِنىً مطلقا عن كل شيء ، والعباد إليه فقراء وفقرهم ذاتي لا يستغنون عن الله تعالى طرفة عين بحال من الأحوال .

وأما صفات الكمال فلا يُماثله بل لايُقاربه فيها شيء من الأشياء ، ولذا كان جماع التنزيه عند أهل السنة نفي النقائص عن الله مطلقا ، ونفي مماثلة غيره له تعالى في صفات الكمال ، وهذا ماتدل عليه سورة الإخلاص[٢]، لذا صارت الأصل المعتمد عليه عند أهل السنة في مسائل الذات والصفات إثباتا وتنزيها الدال على موقف أهل السنة من مقالة التشبيه والتعطيل ، وبراءتهم من ذلك .

٣ ـ ومن الأدلة السمعية التي يستدل بها أهل السنة لتنزيه الله عز وجل عن التشبيه والتمثيل ، ووصفه تعالى بصفات الكمال الدال على براءتهم من التشبيه قول الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل : ٦٠] وقول الله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم : ٢٧] فالمثل الأعلى هو وصفه تعالى بصفات الكمال ، وتنزيهه عن صفات النقص والعيوب والشبيه والمثيل ، رُوي عن

---

(١) انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ١٧/١٠٧-١٠٩وراجع : تفسير سورة الإخلاص لابن رجب ص/٩٥-٩٦ .

(٢) انظر : تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ١٧/١٠٨و٣٢٥ومنهاج السنة ٢ ، ٢/١٥٦-١٥٧و١٨٦-١٨٧ونقض التأسيس « المخطوط » ٢/٢٠٤-٢٠٦وتفسير سورة الإخلاص لابن رجب ص/١٠٠وشرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/ ٥٧-٥٨ .

ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ قال : « يقول ليس كمثله شيء »[١] .

وعن قتادة رحمه الله أنه قال في المثل الأعلى : « شهادة أنْ لا إله إلا الله »[٢]وقال : « الإخلاص والتوحيد »[٣].

وهو شامل لماذكره ابن عباس وقتادة لذا قال ابن جرير الطبري رحمه الله : « ... وهوأنه لا إله إلا هو وحده لاشريك له ، ليس كمثله شيء ، فذلك المثل الأعلى تعالى ربنا وتقدس »[٤].

فالمثل الأعلى عام يشمل إخلاص العبادة لله تعالى ، وتنزيهه عن الشريك والشبيه والمثيل وعن كل عيب ونقص مُضادٍ لوصفه عز وجل لصفات الكمال ، لأنَّ الله عز وجل له الكمال المطلق من كل وجه ، الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه !

ومن شبه الله بخلقه ، أوشبه المخلوق به فجعله شريكا له تعالى فقد وصفه بمثل السوء المناقض لوصفه تعالى بالمثل الأعلى .

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ الله عز وجل له المثل الأعلى فلا يُسلك في شأنه تعالى قياس الشمول الذي تستوي أفراده ، ولا قياس التمثيل الذي يستوي فيه حكم الأصل والفرع[٥]، فإنَّ الله تعالى ليس كمثله شيء لا في نفسه

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ١٠/١٨١والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٤٠كلاهما من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس « وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري نقلا عن الأسماء والصفات للبيهقي انظر : فتح الباري ١٣/٣٦٩ .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره ٧/٦٠٠ .

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره انظر : المرجع نفسه ٧/٦٠٠ .

(٤) المرجع نفسه ١٠/١٨٠-١٨١ .

(٥) تقدم بيان ذلك عند ذكر موقف أهل السنة من استدلال المشبهة بقياس التمثيل والشمول انظر : ٢/١٣٢

المذكورة في أسمائه ، ولا في صفاته ولا في أفعاله[١].

وبين الإمام ابن القيم رحمه الله أنَّ الله عز وجل وصف نفسه بأنَّ له المثل الأعلى الذي هو : الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان أعلى من غيره .

ولما كان الرب تعالى هو الأعلى وسائر صفاته عليا كان له المثل الأعلى ، وكان أحق به من كل ماسواه ، بل يستحيل أنْ يشترك في المثل الأعلى اثنان ، لأنهما إنْ تكافآلم يكن أحدهما أعلى من الآخر ، وإنْ لم يتكافآ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده ، ويستحيل أنْ يكون لمن له المثل الأعلى مثيل أونظير ، وهذا برهان قاطع من إثبات صفات الكمال على استحالة التمثيل والتشبيه فتأمله فإنه في غاية الظهور والقوة[٢].

٤ ـ ومن الآيات التي يستدل بها أهل السنة في تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل الدالة على براءتهم من ذلك قول الله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسيرها : « هل تعلم للرب مثلا أوشبيها »[٣]وبه قال مجاهد وقتادة[٤]وسعيد بن جبير[٥]، وابن جريج

---

(١) انظر : درء التعارض ١/٢٩وشرح العقيدة الأصفهانية ص/٤٩ .

(٢) انظر : الصواعق المرسلة ٣/١٠٣١ .

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره ٨/٣٦١و٣٦٢ والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/٤٠ كلاهما عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس « وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٣/٣٦٩ .

(٤) تقدمت ترجمة مجاهد وقتادة انظر : ٢/١٨٠ و١/١١٧ .

(٥) أبو محمد سعيد بن جبير الأسدي بالولاء الكوفي التابعي الإمام الحافظ المقريئ المفسر قرأ القرآن على ابن عباس رضي الله عنه ، الشهيد قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٩٥هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٤/٣٤١ـ ٣٤٢ والأعلام ٣/٩٣ .

وغيرهم[١].

قال الإمام الدارمي رحمه الله : « ونحن نقول كما قال ابن عباس ليس لله مثل ولاشبه ولا كمثله شيء ، ولا كصفاته صفة »[٢].

وبين شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ الله تعالى أثبت لنفسه الصفات على وجه التفصيل ، ونفى مالا يصلح له من التشبيه والتمثيل على سبيل الإجمال ، ومن الآيات في ذلك قول الله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ قال أهل اللغة[٣]أي : نظيرا يستحق مثل اسمه ، ويُقال : مُساميا يُساميه .

وهذا معنى مايُروى عن ابن عباس : « هل تعلم للرب مثلا أوشبيها » وأهل السنة لايُكيفون ولايُمثلون صفاته بصفات خلقه ، لأنه سبحانه لاسميَّ له ولا كفو ولا يُقاس بخلقه[٤].

والاستفهام في الآية كما ذكر العلماء المراد به الإنكار بمعنى النفي .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : « هل تعلم لله مساويا ، ومشابها ومماثلا من المخلوقين ، وهذا استفهام بمعنى النفي المعلوم بالعقل ، أي : أنه لاتعلم له مساميا ولامشابها ، لأنه الرب وغيره مربوب ، الخالق وغيره مخلوق الغني من جميع الوجوه وغيره فقير ـ إليه ـ بالذات من كل وجه ، الكامل الذي له الكمال المطلق

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٣٦٢/٨وتفسير ابن كثير ١٣٨/٣ .

(٢) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٢٠٨ .

(٣) تقدم معنى « السمي » في اللغة عند بيان معاني الألفاظ المشاركة للفظ التشبيه في المعنى انظر : ١٠٠/١ ـ ١٠١ .

(٤) انظر : الرسالة التدمرية ص/٤وضمن مجموع الفتاوى ٤/٣ومنهاج السنة ١٨٥/٢ونقض التأسيس « المطبوع » ٥٤٤/١و٥٨٧و وشرح حديث النزول ص/ ٧وضمن مجموع الفتاوى ٥/ ٣٢٥ .

من جميع الوجوه ، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى ، فهذا برهان جلي قاطع على أنَّ الله هو المستحق لإفراده بالعبادة ، وأنَّ عبادته حق وعبادة ما سواه باطل ... »[١].

وبين الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله أنَّ النفي يأتي بصيغة الاستفهام لفائدة عظيمة وهي : التحدي ، وفرق بين أنْ يُقال : « لا سمي له » وبين ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ لأنَّ الثاني متضمن للنفي والتحدي ، وهذه قاعدة مهمة ، كأني أقول : إنْ كنت صادقا فأتني بسمي له عز وجل ، فقوله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ أبلغ من « لا سمي له » والسمي : هو المسامي ، أي : المماثل[٢].

فقول الله عز وجل : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ فإنها وإن كانت إنشاءً لكن هذا الإنشاء بمعنى الخبر فهي من الأدلة الخبرية التي فيها النفي الصريح للتمثيل فمن مثل الله بخلقه فقد كَذَّبَ الخبر وعصى الأمر .

ولهذا أطلق بعض السلف القول بالتكفير لمن مثل الله بخلقه كما قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري رحمه الله « من شبه الله بخلقه فقد كفر » ؛ لأنه جمع بين التكفير بالخبر وعصيان الطلب المذكور في مثل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[٣][النحل : ٧٤] .

والنهي المذكور في هذه الآية هو النهى عن تشبيه الله تعالى بخلقه واتخاذ ند له عز وجل قال الإمام ابن جرير فى تفسيرها : « فلا تمثلوا لله الأمثال ، ولا تشبهوا له الأشباه ، فإنه لا مثل له ولا شبيه »[٤].

---

(١) تفسير السعدى ١٢٦/٥-١٢٧ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ١٢٨/١ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ١٠٣/١ .

(٤) تفسير الطبري ٦٢١/٧ .

وقال الإمام ابن كثير : « أي : لا تجعلوا له أندادا وأشباها وأمثالا »[١].

فتضمنت الآية كما ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين النهي عن نوعي التمثيل ففيها النهي عن تشبيه الخالق بالمخلوق ، فلا تجعلوا لله مثلا فتقولون : مثل الله كمثل كذا وكذا أوتقولوا : إنَّ يد الله مثل كذا ، ووجه الله مثل وجه الله كذا وذات الله مثل الذات الفلانية وما أشبه ذلك ، لأنَّ الله يعلم وأنتم لاتعلمون وقد أخبركم بأنه لا مثيل له !

وفيها النهي عن تشبيه المخلوق بالخالق واتخاذ شريك له في العبادة[٢]!

٥ ـ ومن النصوص التي يستدل بها أهل السنة لتنزيه الله عن التشبيه والتمثيل الدال على براءتهم من التشبيه النصوص التي فيها تنزيه الله عن صفات النقص مطلقا المناقضة لصفات كماله عز وجل والخاصة بالمخلوق الناقص فيستدلون تارة كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله بثبوت المحامد والكمالات على نفي النقائص التي تنافيها وتارة يستدلون على ثبوت الكمالات له عز وجل ، كما يستدلون بثبوت المحامد والكمالات على نفي النقائص التي تُناقضها ، لأنه تعالى القدوس السلام الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٣].

ومن الأدلة على ذلك كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله ما وصف الله به نفسه في أعظم آية في كتابه حيث يقول : ﴿ ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٥٩٩ .

(٢) انظر كتابه : شرح العقيدة الواسطية ١/٣٦٨-٣٦٩ .

(٣) انظر : الصواعق المرسلة ٤/١٤٤٣-١٤٤٤ .

إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[١] [البقرة : ٢٥٥] .

فقد جمع الله في هذه الآية العظيمة بين إثبات صفات الكمال له تعالى التي لا يعتريها نقص بوجه من الوجوه ، ولا يُماثله فيها أحد من خلقه ، وبين نفي النقائص عنه عز وجل ، المتضمنة لإثبات صفات الكمال الخاصة به عز وجل .

لأنه قد ورد فيها اسمان عظيمان من أسماء الله الحسنى دالان على وصفه تعالى بصفات الكمال ، وتنزيهه عن صفات النقص والشبيه والمثيل وهما « الحي القيوم » فإنه تعالى الحي في نفسه لا يموت أبدا ، القيم لغيره[٢].

فإنَّ اسمه « الحي » ذو الحياة الكاملة المتضمنة لجميع صفات الكمال التي لم تسبق بعدم ، ولايلحقها زوال ولايعتريها نقص بوجه من الوجوه ، لأنَّ من لاحياة له لايتصف بالصفات ، إذْ الصفات كلها قائمة على وصف الله بأنه حي ولذا صار هذا الاسم من أعظم أسمائه تعالى .

واسمه تعالى « القيوم » القائم بنفسه المستغني عن جميع خلقه غِنىً مطلقا لايشوبه شائبة حاجة أصلا ، لأنَّ غناه تعالى غِنىً ذاتي ، وبه قامت الموجودات كلها فهي فقيرة إليه فقرا ذاتيا لاتستغني عنه لحظة واحدة ، فهي محتاجة إليه في جميع أمورها في إيجادها وإعدادها وإمدادها بما تحتاج إليه في بقائها[٣].

فهذان الاسمان « الحي القيوم » كما ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين فيهما الكمال الذاتي ، والكمال السلطاني :

---

(١) انظر : العقيدة الواسطية مع شرح الهراس ص/٣٣-٣٧ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣١٦/١ .

(٣) انظر كتابه : شرح العقيدة الواسطية ١٦٥/١-١٦٦وراجع : شرح العقيدة الواسطية للهراس ص/ ٣٥-٣٦ .

فالذاتي في قوله : « الحي » والسلطاني في قوله : « القيوم » لأنه عز وجل يقوم على كل شيء ، ويقوم به كل شيء[١].

وقد نزه الله تعالى نفسه في هذه الآية العظيمة عن صفات النقص الخاصة بالمخلوقين كالسِّنة والنوم المناقضان لوصفه تعالى بصفات الكمال ، ومنها صفة الحياة والقيومية ، اللتان وصف بهما نفسه عز وجل .

فإنه عز وجل كما بين الإمام ابن جرير رحمه الله لا تحله الآفات ، ولا تناله العاهات وذلك لأنَّ السِّنة والنوم معنيان يغمران فهمَ ذي الفهم ، وَيُزيلان من أصابه عن الحال التي كان عليها قبل أنْ يُصيباه !

وقوله تعال : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ لايغيره ما يُغير غيره ، ولا يزيله عمالم يزل عليه تنقل الأحوال وتصريف الليالي والأيام ، بل هو الدائم على حال ، والقيوم على جميع الأنام ، لونام ـ وحاشاه ـ كان مغلوبا مقهورا ، لأنَّ النوم غالب النائم قاهره ، ولووسن ـ وحاشاه ـ لكانت السموات والأرض ومافيهما دكا ، لأنَّ قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته ، والنوم شاغل المدبر عن التدبير ، والنعاس مانعٌ المُقدر عن التقدير بوسنه[٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله مبينا ما تضمنه اسم الله تعالى « الحي والقيوم » من وصفه تعالى بصفات الكمال ، وتنزيهه عن صفات النقص :

هذا ومن أوصافه القيوم والـ قيوم في أوصافه أمران
إحداهما القيوم قام بنفسه والكون قام به هما أمران
فالأول استغناؤه عن غيره والفقر من كلِ إليه الثاني

---

(١) انظر كتابه : شرح العقيدة الواسطية ١٦٧/١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٩/٣ .

والوصف بالقيوم ذو شأن كذا موصوفه أيضا عظيم الشأن
والحي يتلوه فأوصاف الكما ل هما لأفقِ سماؤها قطبان
فالحي والقيوم لن تتخلف الـ أوصافُ أصلا عنهما ببيان[١].

فاسم الله « الحي القيوم » كما ذكر لن تتخلف أوصاف الله عنهما ، بل هما يستلزمان جميع صفات الله الذاتية والفعلية ، فقيوميته تعالى مستلزمة لصفاته الفعلية المتعلقة به تعالى كالاستواء على العرش ، والقبض والطي ، والإتيان والمجيء وغيرها من الصفات والأفعال الاختيارية القائمة به تعالى[٢] المستغني بها عن غيره عز وجل .

أو المتعلقة بالمخلوق كالخلق والبعث والإحياء وغيرها فإنَّ هذه الأفعال من لوازم اسمه تعالى « القيوم » الذي به قام الكون .

واسمه « الحي » مستلزم لسائر صفات الكمال الذاتية من العلم والقدرة والإرادة والوجه واليد والعزة والسمع والبصر والعظمة والكبرياء ونحوها .

فالحي القيوم متضمنان لصفات الكمال كلها وهما القطبان لأفقِ سمائها فلا تتخلف عنهما صفة منها أصلا[٣].

ولذا صارت هذه الآية من أعظم الآيات التي يستدل بها أهل السنة في وصف الله بصفات الكمال ، وتنزيهه عن صفات النقص والعيوب والشبيه والمثيل الدال على براءتهم من ذلك .

---

(١) القصيدة النونية مع شرح الهراس ١١١/٢ .

(٢) ذكرشيخ الإسلام أنَّ الأفعال الإختيارية قسمان : منها ماهوقائم بالله تعالى كالاستواء والنزول والإتيان وغيرها . ومنها ماهو قائم به تعالى متعلق بالمخلوق كالخلق والإحياء وغيرها انظر : درء التعارض٣/٢وه .

(٣) انظر : شرح العقيدة النونية للهراس ١١٢/٢-١١٣ .

٦ ـ ومن أدلة أهل السنة في تنزيه الله عن التشبيه والتمثيل وعن كل نقص وعيب الدالة على براءتهم من التشبيه استدلالهم بالنصوص التي فيها لفظ « سبحان » المتضمن لمعنى التقديس والتنزيه ، وبأسماء الله تعالى الدالة على ذلك ومنها اسمه تعالى « السلام » و « القدوس » ونحوها ، فإنَّ من أعظم مقصود هم تنزيههم لربهم عز وجل وتقديسهم له عن كل نقص وعيب يُضاد كماله ، وعن كل تمثيل وتشبيه يُناقض وصفه بصفات الكمال .

سواء كان ذلك بنفي التمثيل وذكر النصوص الواردة في ذلك ، أو الإخبار بنفي مالا يليق به من الصفات ، أو التسبيح وبغير ذلك من أنواع التنزيه مع إثبات صفات الكمال لله تعالى .

أما التسبيح فمعناه : تنزيه الله تعالى عما لايليق بجلاله وعظمته من النقائص والعيوب قال الليث[١]: « سبحان الله ، تنزيهٌ لله تعالى عن كل ما لا ينبغي أنْ يُوصف به ، تقول : سبحت تسبيحا لله أي : نزهته تنزيها ، والسبوح القدوس ، وهو الله تعالى »[٢].

وذكر الزجاج[٣]أنَّ جِمَاع معنى « التسبيح » بُعْدُه تعالى عن أنْ يكون له مثل أو شريك ، أوضد أو ند[٤].

---

(١) الليث بن نصر بن عبدالجبار الخراساني اللغوي النحوي ، صاحب الخليل بن أحمد الفراهيدي ، أملى عليه فيما قيل ترتيب « كتاب العين » في اللغة ، وسدد له أماكن فيه ، وروي أنَّ الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله قال فيه : « كان رجلا صالحا » انظر : تهذيب اللغة للأزهري ١/ ٢٨ـ٣٠وإنباه الرواة على أنباء النحاة لأبي الحسن القطفي ٣/٤٢ـ٤٣ .

(٢) انظر : كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٣/١٥١ـ١٥٢وتهذيب اللغة ٤/٢٣٨ـ٢٣٩ مادة « سبح » .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ص/٦٦ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ٤/٢٣٩مادة « سبح » .

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنه قد جاء عن غير واحد من السلف مثل ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « سبحان ـ الله ـ تنزيه الله نفسه عن السوء »[١] وهو يقتضي تنزيه الله نفسه عن فعل السيآت ، كما يقتضي تنزيهه عن الصفات المذمومة[٢].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : « ... ومعناه تنزيه الله عمالا يليق به من كل نقص فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد ، وجميع الرزائل ، ويطلق التسبيح ويُراد به جميع ألفاظ الذِكر ... ولا يستعمل غالبا إلا مضافا »[٣].

ولأهمية التسبيح وما فيه من تنزيه الله عز وجل عن كل نقص فقد ورد ذكره في القرآن الكريم في أكثر من ثمانين مرة ، وبأساليب متنوعة ، في آيات مختلفة من سور عديدة[٤].

فتارة بلفظ المصدر كقول الله تعالى ناهيا النصارى عن الشرك ومنزها نفسه عن ذلك : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ٱنتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء : ١٧١] .

وتارة بإخبار الله تعالى عن تسبيح خلقه له بلفظ الماضي كما في قوله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحديد : ١] وبلفظ المضارع كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء : ٤٤] وبلفظ الأمر : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١] .

---

(١) انظر : كتاب التفسير ضمن مجموع الفتاوى ١٦/١٢٥-١٢٦ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ١٦/١٢٦ .

(٣) فتح الباري ١١/٢١٠ .

(٤) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ص/٣٣٩- . ٣٤٠

وقد وردت أحاديث كثيرة تبين فضل التسبيح ، وتستشعر بعظمة الله تعالى ووصفه بصفات الكمال ، وتنزيهه عن كل سوء وعيب وتمثيل ، لأنَّ العباد إذا استشعروا بذلك خضعوا له وعبدوه حق عبادته طمعا في رضاه عز وجل ، ورجاءً لما عنده من الثواب الجزيل ، وخوفا من غضبه وعقابه ، ومن هذه الأحاديث ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّت عنه خطاياه ، وإنْ كانت مثل زبد البحر »(١)

وروى أيضا عن النبي ﷺ أنه قال : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »(٢).

ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أنَّ التسبيح إشارة إلى صفات الجلال ، والتحميد إشارة إلى صفات الإكرام ، والمعنى أنزهه عن جميع النقائص ، وأحمده بجميع الكمالات وَوُصف التسبيح بالعظيم لأنه : الشامل لسلب مالا يليق بالله تعالى وإثبات ما يليق به تعالى ، ووصفه تعالى بالعظيم عقب التسبيح لسلب مالا يليق به وإثبات ما يليق به تعالى ، إذْ العظمة الكاملة مستلزمة لعدم النظير والمثيل ونحو ذلك ، وذكر التسبيح مُتَلبسا بالحمد لِيُعلم ثبوت الكمال له تعالى نفيا وإثباتا(٣).

وقد أورد سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان لتنزيه الله عن التشبيه وعن كل نقص وسوء النصوص التي ورد فيها التسبيح ومن الأمثلة على ذلك صنيع الإمام البخاري رحمه الله فإنه ختم كتابه الصحيح بكتاب التوحيد الذي أورد فيه أحاديث كثيرة في بيان توحيد الألوهية والدعوة إلى إخلاص العبادة لله تعالى ، وتوحيد الأسماء والصفات ووصف الله بصفات الكمال وتنزيهه عن التشبيه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات ٢١٠/١١ح٦٤٠٥ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الدعوات ٢١٠/١١ح ٦٤٠٦وفي كتاب التوحيد ٥٤٧/١٣ح٧٥٦٣ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ٥٥١/١٣ .

والتمثيل ، ثم ختم كتابه التوحيد بالحديث السابق ، الذي ورد فيه فضل التسبيح والتحميد ليُدَلِل بذلك أنَّ الله عز وجل موصوف بصفات الكمال ، منزه عن كل سوء ونقص ، وعن كل تشبيه وشريك ومثيل ، فإذا سبح المسلم لله تعالى استشعر عظمته ووصفه بصفات الكمال ، ونزهه عما يضاد كماله الثابت له من الشبيه والشريك ، وحينئذٍ يعبد الله حق عبادته طمعا في ثوابه ، ورجاءً في رحمته وخوفا من غضبه وعقابه ، فينال بذلك رضا الله تعالى ويفوز بجنته .

وكذلك صنيع الإمام ابن منده رحمه الله في كتابه التوحيد فإنه أورد فيه بعض الأحاديث[١] التي ورد فيها التسبيح ليستدل بذلك على عظمة الله تعالى ، ووصفه بصفات الكمال ، وتنزيهه في ذلك عن التمثيل وعن كل نقص مُضادٍ لكماله الواجب له عز وجل لإخلاص العبادة لله عز وجل .

وكذلك صنيع شيخ الإسلام رحمه الله فإنه لما بين منهج أهل السنة في صفات الله المبني على الإثبات والتنزيه ذكر الأدلة على ذلك ومنها قول الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات : ١٨٠ - ١٨٢] .

وذكر أنَّ الله سبح نفسه في هذه الآية عما وصفه به المخالفون للرسل ، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات ، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[٢] .

---

(١) انظر : كتاب التوحيد لابن منده ٣/١٣٧-١٣٩ .

(٢) انظر : العقيدة الواسطية مع شرح الهراس ص/٢٠-٢١و٢٨-٣١ .

وأصل دين الإسلام أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه ، وبما وصفته به رسله عليهم السلام من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل يثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه ، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه ، ويتبعون في ذلك أقوال رسله ويجتنبون ما خالف أقوال رسله ، من مقالات أهل الشرك والكفر والإلحاد ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أي : عما يصفه به الكفار المخالفون للرسل . ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ .

فالرسل وأتباعهم وصفوا الله بصفات الكمال ، ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال ، ونزهوه أنْ يكون له مثل في شيء من صفات الكمال ، وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل ، ونفوا عنه التمثيل والنقائص على سبيل الإجمال(١).

والأمر بتسبيح الله يقتضي تنزيهه « عن كل عيب وسوء ، وإثبات صفات الكمال له عز وجل ، فإنَّ التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم ، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يُحمد عليها ، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده عز وجل(٢).

وقد عقد الإمام الذهبي رحمه الله في كتابه « الأربعين في صفات رب العالمين » بابا في تنزيه الله عن التشبيه والتمثيل ، أورد فيه النصوص الدالة على ذلك ، ومنها الواردة في التسبيح الدالة على تنزيه الله تعالى عن كل سوء وعيب ، وعن كل شبيه ومثيل ووصفه بصفات الكمال(٣).

وبين الإمام ابن القيم رحمه الله أنَّ قول الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ٣/١٣٩-١٤٠ .

(٢) انظر : كتاب التفسير ضمن مجموع الفتاوى ١٦/١٢٥ .

(٣) انظر : الأربعين في صفات رب العالمين ص/١٦٥-١٦٧ .

عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات : ١٨٠ - ١٨٢] قد ذكر الله فيها تنزيهه لنفسه عمالا يليق بجلاله ، ثم سلامه على رسله لسلامة ما وصفوه به من النقائص والعيوب ، ثم حمد نفسه على تفرده بالأوصاف التي يستحق عليها كمال الحمد وفي اقتران السلام بتسبيحه لنفسه سر عظيم من أسرار القرآن يتضمن الرد على كل مبطل ومبتدع ، فإنه نزه نفسه تنزيها مطلقا ، كما نزه نفسه عما يقول خلقه فيه ، ثم سلم على المرسلين وهذا يقتضي سلامتهم من كل ما يقول المكذبون لهم المخالفون لهم ، وإذا سلموا من كل مارماهم به أعداؤهم ، لزم سلامة كل ما جاءوا به من الكذب والفساد ، وأعظم ما جاءوا به التوحيد ، ومعرفة الله ، ووصفه بمايليق بجلاله وعظمته مما وصف به نفسه على ألسنتهم عليهم السلام(١).

والمقصود أنَّ أهل السنة يستدلون بنصوص التسبيح لتنزيه الله عن كل سوء ونقص وتشبيه وتمثيل الدال على براءتهم من التشبيه ، وَكَذِب من رماهم بذلك من أهل التحريف والتعطيل . ومن الأدلة التي يستدل بها أهل السنة في وصف الله بصفات الكمال وتنزيهه عن النقائص والشبيه والمثيل الدالة على براءتهم من ذلك أسماء الله عز وجل الدالة على التنزيه ، ومن ذلك اسم الله « القدوس » و « السلام » .

وقد عقد الإمام البيهقي رحمه الله في كتابه « الأسماء والصفات » بابا عنون له بقوله : « باب جماعُ أبواب الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى جده »(٢).

ومن الأسماء التي ذكرها وأورد فيها النصوص اسم الله تعالى « الأحد » و « الصمد » وقد تقدم بيان ما يدلان عليه من تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل ، وإثبات

---

(١) انظر : بدائع الفوائد ١٤٧/٢ .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ٩٠/١ .

صفات الكمال له عز وجل[١].

ومن الأسماء التي ذكرها الإمام البيهقي اسم الله تعالى « القدوس » و « السلام » وأورد في ذلك قول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر : ٢٣] .

وفي حديث ثوبان[٢]« قال : كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام »[٣].

ومعنى « السلام » السالم من كل عيب ونقص يلحق بالمخلوق .

قال الإمام الخطابي رحمه الله : « فالسلام في صفة الله سبحانه هو الذي : سلم من كل عيب ، وبرئ من كل آفة ونقصٍ يلحق المخلوقين »[٤].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله : ﴿ ٱلسَّلَامُ ﴾ أي : السلام من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله ... »[٥].

فالسلام من الكلمات الجامعة الدالة على إثبات المحامد والكمالات لله تعالى والخلاص من الشرك والتمثيل .

وأهل السنة يستدلون باسم الله السلام والقدوس وغيرها من الأسماء لإثبات المحامد والكمالات وتنزيه الله عن النقائص لإثبات صفات الكمال .

---

(١) انظر : ٣٨/٢ - ٤٧ .

(٢) أبوعبد الله ثوبان بن يجدد مولى رسول الله ﷺ ، اشتراه النبي ﷺ ثم اعتقه ، فلم يزل يخدمه إلى أنْ مات « فخرج ثوبان إلى الشام فسكن حمص وابتنى بها دارا وتوفي بها سنة ٥٤هـ انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ٢١٢/١والأعلام ١٠٢/٢ .

(٣) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٤١٤/١ح٥٩١ .

(٤) شأن الدعاء للخطابي ص/٤١ .

(٥) تفسيرابن كثير ٣٦٧/٤ .

وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله ذلك فذكر أنه تارة يُستدل بثبوت المحامد والكمالات على نفي النقائص التي تنافيها ، وتارة يستدل بنفي النقائص عن الله على ثبوت الكمالات له تعالى ، التي تنافيها فهو سبحانه القدوس السلام[١].

أما اسم الله « القدوس » كما ذكر الإمام الطبري رحمه الله فهو بمعنى الطاهر المعظم ومنه قول الملائكة كماحكى الله عنهم : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ أي : ننزهك ونبرؤك مما يُضيفه إليك أهل الشرك بك ، ونصلي لك وقوله : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ ننسبك إلى ما هومن صفاتك من الطهارة من الأدناس وما أضافه إليك أهل الكفر بك[٢]. وروى بسنده عن الضحاك[٣]في قول الله تعالى : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ قال : « التطهير والتقديس »[٤].

وقال الإمام ابن منده قال أهل التأويل « القدوس » : « الطهرالطاهرالذي تعالى عن كل دنس »[٥].

وذكر الشيخ السعدي رحمه الله أنَّ القدوس هو : المقدس المعظم المنزه عن كل سوء[٦]!

وأهل السنة يُقدسون الله تعالى ويُبرؤونه ممايضيفه إليه أهل الشرك والتشبيه والتعطيل ويصفونه بصفات الكمال الثابتة له تعالى ، ويثبتون له المحامد والكمالات

---

(١) انظر : الصواعق المرسلة ٤/١٤٤٣-١٤٤٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١/٢٤٨ .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) رواه الطبري في تفسيره انظر : ص/٢٤٩ .

(٥) كتاب التوحيد لابن منده ٢/٦٦ .

(٦) انظركتابه : الحق الواضح المبين ص/٤٣ .

لنفي النقائص عنه عز وجل ، ومن أعظم أنواع المحامد التي يستدلون بها على نفي النقائص والشبيه والمثيل أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، الدالة علىتفرده بالكمالات التي لايلحقه فيها نقص بوجه من الوجوه .

لذا فقد سلك الأئمة هذا النوع من الاستدلال الدال على براءتهم من التشبيه كما صنع الإمام البخاري رحمه الله في كتابه التوحيد حيث عقد لذلك بابا عنون له بقوله : « باب قول الله تعالى : ﴿ ٱلسَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ أورد فيه قول النبي ﷺ : « إنَّ الله هو السلام »[1]. ومراد البخاري رحمه الله بعقده هذا الباب كما ذكر الشيخ عبد الله الغنيمان : تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوق ، وأنَّ اشتراكه تعالى مع المخلوق في الاسم ، أوفي معنىً من المعاني لايكون فيه تشبيه ، نحو اليد والاستواء والمجيء والضحك وغير ذلك مما أثبته تعالى لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ ، لأنه تعالى السلام ، أي : السالم من كل عيب ونقص يلحق المخلوق[2].

وقد استشهد الإمام ابن القيم رحمه الله في قصيدته النونية ببعض أسماء الله الحسنى لبيان وصف الله بصفات الكمال ، وتنزيهه عن التشبيه والتمثيل وعن جميع صفات النقائص والعيوب ، والرد بذلك على المشبهة والمعطلة ، ومن ذلك قوله :

وهو الإله السيد الصمد الذي صمدت إليه الخلق بالإذعان
الكامل الأوصاف من كل الوجوه كماله مافيه من نقصان[3].

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٣/٤٧٨ح٧٣٨١ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) انظر : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله الغنيمان ١/١٢٤ .

(٣) القصيدة النونية لابن القيم مع شرح الهراس ٢/١٠٢ .

وقوله :

هـذا ومـن أوصـافـه الـقـدوس ذو التنزيه بالتعظيم للرحمن
وهو السلام على الحقيقة سالم من كل تمثيل ومن نقصان[1].

فأورد اسم الله السيد ، والصمد ، والقدوس ، والسلام للدلالة على وصف الله بصفات الكمال ، وتنزيهه عن كل تمثيل وعيب ونقصان .

وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله دلالةاسم الله « السلام » على سلامة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله من كل عيب ونقص ، ومما ذكره في ذلك أنَّ الله عز وجل هو السلام الحق بكل اعتبار فهو عز وجل سلام في ذاته من كل عيب يتخيله وهم .

وسلام في صفاته وأفعاله من كل عيب ونقص وشر وظلم واقع على غير وجه الحكمة والصواب ، فهو السلام الحق من كل وجه وبكل اعتبار .

وهذا هو حقيقة التنزيه الذي نزه به تعالى نفسه ، ونزهه به رسله عليهم السلام .

فهو السلام من الصاحبة والولد ، ومن النظير والكفئ والسمي والمماثل والشريك ولهذا إذا نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدتها كل صفة سلاما مما يُضاد كمالها فحياته تعالى سلاما من الموت والسنة والنوم ، وقيوميته وقدرته سلام من الحاجة والتعب واللغوب وعلمه سلام من عزوب شيء عنه ، أو عرض نسيان ، أو حاجة إلى تذكر أو تفكر ، وإرادته تعالى سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة وكلامه تعالى سلام من الكذب والخُلف والظلم بل تمت كلماته تعالى صدقا وعدلا .

وغناه تعالى سلام من الحاجة إلى غيره بوجه من الوجوه ، بل كل ما سواه فقير إليه محتاج ، وملكه تعالى سلام من مُنازع فيه أو مشارك ، أو مُعاون مظاهر ، أو شافع عنده بدون إذنه وإلهيته سلام من مُشارك له فيها ، بل هوالله الذي لا إله إلا

---

(١) المرجع نفسه ١٠٧/٢ .

هو ، وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام من أن تكون عن حاجة أو ذلٍ أو مصانعة كما يكون من غيره ، بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه .

وهكذا جميع صفاته وأفعاله سلام من كل ما يتوهمه مُعطل ، أو يتخيله مشبه تعالى ربنا عز وجل وتنزه عما يُضاد كماله(١).

وذكر الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى رحمه الله أنَّ اسم الله السلام يدل على نفي مماثلة الله لأحد من خلقه ، ومن النقصان ، ومن كل مايُنافي كماله فهذا هو ضابط مايُنزه الله عنه ، يُنزه عن كل نقص بوجه من الوجوه ، وينزه ويعظم عن أنْ يكون له مثيل أوشبيه أوكفو أوسمي أوند أو مضاد ، وينزه عن نقص صفة من صفاته التي هي أكمل الصفات وأعظمها وأوسعها ، ومن تمام تنزيهه عز وجل إثبات صفات الكبرياء والعظمة له ، وذلك لأنَّ التنزيه مرادٌ لغيره ، ومقصودٌ به حفظ كماله عز وجل عن الظنون السيئة(٢).

فَعُلم مما تقدم براءة أهل السنة من التشبيه والتمثيل ، بذكر أدلتهم على تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل ، وعن كل عيب ونقص يُضاد كماله عز وجل ، وأنهم من أعظم الناس تنزيها لخالقهم من كل ما يُضاد كماله ، ووصفا له بصفات الكمال وأنَّ من رماهم بالتشبيه من أعظم الناس كذبا وزورا وبهتانا ، وتحريفا وتعطيلا .

O O O O

---

(١) انظر : بدائع الفوائد٢/١٣٢-١٣٦و١٤١-١٤٧وراجع : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله الغنيمان ١/١٢٦-١٢٧ .

(٢) انظر كتابه : الحق الواضح المبين ص/٤٣ .

المبحث الثالث

ذكر بعض مقالات أهل السنة في تنزيه الله عن مقالة التشبيه الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه وبراءتهم منها

ومن أعظم الأمور الدالة على موقف أهل السنة من مقالة التشبيه وبراءتهم ممن وصمهم بها من أهل التحريف والتعطيل والبهتان ، مقالاتهم في إنكارمقالة التشبيه ، وتنزيه الله عنها واعتبارها مقالة سوء ممقوتة يجب نفيها عن الله عز وجل ، كما أعلنوا موقفهم ممن قال بها فبدعوه وهجروه وحكموا بكفره وسفك دمه ، حماية للتوحيد من أنْ يتطرق إليه مايُفسده من التشبيه والتمثيل ، وللمجتمع من أنْ تنتشر فيه مقالات كفرية فاسدة تؤثر في عقيدته في الله عز وجل وصفاته المبنية على وصف الله تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عن الشريك والشبيه والمثيل والنظير .

ولهم في ذلك مقالات كثيرة بعضها مروية بأسانيد يتناقلها العلماء في مصنفاتهم في مسائل الاعتقاد للاستدلال بها في تنزيه الله عن مقالة التشبيه ، وبراءة أهل السنة ممن وصمهم بذلك من أهل التحريف والتعطيل .

ومن أقوالهم في ذلك الدالة على براءتهم من التشبيه مارواه الإمام أحمد رحمه الله عن الحسن البصري رحمه الله ت١١٠هـ أنه سُئل هل تصف ربك ، فقال : « نعم أصفه بغير مثال »[١].

وبين الإمام أبو حنيفة رحمه الله ت١٥٠هـ أنَّ الله تعالى لايشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه ، وصفاته كلها في الأزل بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ، ويقدر لاكقدرتنا ، ويرى لا كرؤيتنا ، ويسمع لا كسمعنا ويتكلم لا ككلامنا[٢].

وذكر الإمام أبويوسف[٣]رحمه الله ت ١٨٢هـ أنه لاينبغي لأحد أنْ يقول في

---

(١) رواه الإمام عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة ١/٢٦٩رقم/٤٩٩والإمام الدارمي في رده على المريسي ص/٢٠٨ .

(٢) انظر : الفقه الأكبر لأبي حنيفة مع شرحه لملا علي القاري ص/١٥و٣١-٣٢ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ١/١٤٦ .

صفات الله وأفعاله كيف وَلِمَ ، ومن سُئل عن هذا فلا ينبغي له أنْ يخوض مع السائل في ذلك ، بل الواجب نهيه عن ذلك وترك مجالسته والمشي معه إنْ عاد[١].

لأنَّ السؤال بكيف أولِمَ في صفات الله وأفعاله يفضي إلى التمثيل ، أوالإنكار ، وكل وسيلة تفضي إلى ذلك منهي عنها عند أهل السنة والجماعة كما تقدم[٢].

كما ذكر رحمه الله أنه لا يجوز لأحد من أهل السنة والجماعة أنْ يُخالط أحدا من أهل الأهواء حتى لايستزله أويستزل غيره بصحبته[٣] .

ثم نهى رحمه الله عن الخوض في مقالات أهل الخصومات ومنهم الرافضة والمشبهة والمعتزلة[٤].

وَرُوي عن وكيع بن الجراح[٥]ت١٩٧هـ أنه قال : « وصف داود الجواربي يعني الرب عز وجل فكفر في صفته ، فرد عليه المريسي فكفر في رده عليه إذْ قال : هوفي كل شيء »[٦].

أي : أنه وصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه فشبهه بخلقه فكفر بذلك ، فرد عليه المريسي بالتعطيل فنفى الصفات ومنها صفة الاستواء فقال : إنَّ الله في كل شيء فكفر .

---

(١) ذكره شيخ الإسلام انظر كتابه : التفسير الكبير٦/٤٥٠ .

(٢) انظر : ١/٣٩٠ .

(٣) انظر : التفسير الكبير٦/٤٥٠-٢٥١ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ٦/٤٥٠-٤٥١ .

(٥) أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي الكوفي أحد الأئمة الأعلام ، قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة حافظ عابد » توفي سنة ١٩٧هـ انظر : ميزان الاعتدال ٤/٣٣٥-٣٣٦ .

(٦) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/٥٣٢رقم/٩٣٥وذكره شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المخطوط » ٣/٢٦٦ .

وأنكر عبد الرحمن بن مهدي[١] رحمه الله ت١٩٨هـ على من قال بمقالة التشبيه ، ونصحه أنْ لايتكلم في الرب تعالى بالتشبيه ، وضرب له مثلا في ذلك بين فيه عظمة الله عز وجل وتنزيهه عن التشبيه .

ومما قاله في ذلك ما رواه اللالكائي عن عبدالرحمن بن أبي حاتم رحمه الله أنه قال : « حدثنا عبد الرحمن بن عمر الأصفهاني[٢] قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول لفتى من ولد جعفر بن سليمان[٣] : مكانك فقعد حتى تفرق الناس ثم قال : تعرف مافي هذه الكورة[٤] من الأهواء والاختلاف ، وكل ذلك يجري مني على بالٍ ... إلا أمرك ومابلغني فإنَّ الأمر لا يزال هينا مالم يصر إليكم[٥] فإذا صار إليكم جَلَّ وَعَظُم !

فقال : يأبا سعيد وما ذاك ؟

قال : بلغني أنك تتكلم في الرب تبارك وتعالى وتصفه وتشبهه .

---

(١) أبوسعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري ، مولاهم البصري الإمام الحافظ قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث » توفي سنة ١٩٨هـ انظر : تقريب التهذيب ٥٩٢/١ .

(٢) أبوالحسن عبدالرحمن بن عمر بن يزيد بن كثير الزهري الأصفهاني الملقب بِرُسْتة ، قال عنه الحافظ بن حجر : « ثقة له غرائب وتصانيف » توفي سنة ٢٥٠هـ انظر : تقريب التهذيب ١/ ٥٨٤ .

(٣) أبو القاسم جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، الأمير ، سيد بني هاشم ، كان من النبلاء جودا وشجاعة وعلما ، وُلي في المدينة ثم مكة ثم البصرة ، مات عن ثمانين ولدا لصلبه سنة ١٧٣هـ انظر : سيرأعلام النبلاء ٢١٢/٨-٢١٤ . ولم أعرف اسم ولده الذي نصحه الإمام عبد الرحمن المهدي ! .

(٤) الكورة بضم الكاف المدينة انظر : القاموس المحيط ص/٦٠٧مادة « كور » .

(٥) يعني إلى السلطان .

قال الغلام : نعم . فأخذ يتكلم في الصفة .

فقال : رُويدك يابنيَّ حتى نتكلم ـ عن ـ أول شيء في المخلوق ، فإذا عجزنا عن المخلوقات فنحن عن الخالق أعجز وأعجز !!

ثم روى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِن آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٨] قال : « رأى جبريل له ستمائة جناح »(١).

فقال الغلام : نعم . وعرف الحديث . فقال عبد الرحمن : صف لي خلقا من خلق الله له ستمائة جناح ، فبقي الغلام ينظر إليه .

فقال عبد الرحمن : يابني فإني أهون عليك المسألة وأضع عنك خمسمائة وسبعة وتسعين ، صف لي خلقا بثلاثة أجنحة ركب الجناح الثالث منه موضعا غير الموضعين اللذين ركبهما الله حتى أعلم .

فقال : يا أبا سعيد ، نحن قد عجزنا عن صفة المخلوق ، ونحن عن صفة الخالق أعجز وأعجز ، فاشهدك أني قد رجعت عن ذلك ، واستغفر الله »(٢).

ويستفاد مما ذكره عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله مايلي :

١ ـ فقه الإمام عبد الرحمن المهدي في إنكاره المنكر بأسلوب إقناعي حيث ضرب للغلام الذي كان مصرا على تشبيه الباري تعالى مثلا استطاع من خلاله أنْ يرجعه إلى الصواب والحق ويستغفر الله تعالى .

٢ ـ إنَّ أهل السنة والجماعة كما ينكرون على المعطلة ينكرون أيضا على من يقول بالتشبيه ، إذْ كل من يصف الله عندهم بمالم يصف به عز وجل نفسه فهو من أهل البدع معطلا كان أو ممثلا ، يجب الإنكار عليه بأسلوب مناسب لتنزيه الله عز وجل

---

(١) هذا الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه رواه البخاري في كتاب التفسير٨/٤٧٧ح٤٨٥٧ .

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/٥٣١وذكره شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المخطوط » ٣/٢٦٤ـ٢٦٥ .

عن التشبيه أوالتعطيل المناقض لإثبات صفات الكمال ، فمن يصم أهل السنة بالتشبيه من أهل التحريف والتعطيل فهو من أهل الظلم والزور والعدوان .

٣ ـ إنَّ من يعجز عن وصف المخلوق وصفته وكيفيته ، فهو عن حقيقة صفات الله عز وجل وكيفيتها أعجز ، فيجب ألا يتكلم في ذات الله تعالى وصفاته إلا بالوحي .

وعن علي بن عاصم[١]رحمه الله ت٢٠١هـ أنه قال : « تكلم داود الجواربي[٢]، في التشبيه فاجتمع فقهاء أهل واسط منهم : محمد بن يزيد[٣]، وخالد الطحان[٤]، وهشيم[٥]وغيرهم ، فأتوا الأمير وأخبروه بمقالته ، فاجمعوا على سفك دمه ، فمات في أيامه فلم يصل عليه علماء أهل واسط[٦].

فمن شبه الله بخلقه عند أهل السنة فهو كافر مرتد مباح الدم !

---

(١) أبو الحسن علي بن عاصم بن صهيب الواسطي مولى آل أبي بكر الصديق « ، قال عنه يعقوب بن أبي شيبة : « كان من أهل الدين والصلاح والخير البارع » وكان شديد التوقي ، أُنكر عليه كثرة الغلط والخطأ . . . » وقال عنه وكيع : « مازلنا نعرفه بالخير ، فحذوا الصحاح من حديثه ودعوا الغلط » توفي سنة ٢٠١هـ انظر : ميزان الاعتدال ٣/١٣٥-١٣٨وتقريب التهذيب ١/٦٩٧ .

(٢) تقدم التعريف به وبطائفته انظر : ١/٢٥٤ .

(٣) محمد بن يزيد الكلاعي مولى حولان الواسطي ، ثقة ثبت عابد . توفي سنة ١٨٩هـ انظر : تقريب التهذيب ٢/١٤٨ .

(٤) خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد الطحان الواسطي ، المرني مولاهم ، ثقة ثبت . توفي سنة ١٨٢هـ انظر : تقريب التهذيب ١/٢٥٩ .

(٥) أبو معاوية هُشيم بن القاسم بن دينار السلمي الواسطي ، ثقة ثبت كثير الإرسال . توفي سنة ١٨٣هـ انظر : تقريب التهذيب ٢/٢٦٩ .

(٦) رواه اللالكائي عن عبدالرحمن بن أبي حاتم انظر : شرح أصول الاعتقاد ٢/٥٣١رقم/ ٩٣٣وذكره شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المخطوط » ٣/٢٦٥ .

وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أحمد بن سنان[١]قال : « سمعت شاذ بن يحي الواسطي[٢]يقول : كنت قاعدا عند يزيد بن هارون ت٢٠٦هـ رحمه الله ـ فجاء رجل فقال : يا أبا خالد ما تقول في الجهمية ، قال : يستتابون إنَّ الجهمية غلت ففرغت في غلوها إلى أنْ نفت إن المشبهة غلت فغرغت في غلوها حتى مثلت فالجهمية يستتابون والمشبهة ـ كذي ـ رماهم بأمر عظيم »[٣].

لعله الكفر ، ويدل على ذلك أنَّ الإمام اللالكائي ذكر هذا الأثر ضمن الآثار في سياق مارُوي عن السلف في تكفير المشبهة .

ويستفاد مما قاله يزيد بن هارون رحمه الله مايلي :

١ ـ إنَّ من أسباب القول بالتعطيل والتمثيل هوالغلو في النفي والإثبات .

٢ ـ إنَّ أهل السنة يمقتون المشبهة كما يمقتون المعطلة ، لأنَّ كلتا الطائفتين تصف الله بما يتنزه عنه الباري من التعطيل والتمثيل .

٣ ـ إنَّ من نفى صفات الله عز وجل كما فعلت الجهمية فهوملحدكافر ، ومن شبه صفاته بصفات خلقه فهو كذلك ملحد كافر ، فدل ذلك على براءة أهل السنة من مقالة التشبيه ، فكيف يرمون بذلك وهم يكفرون المشبهة وينزهون الله تعالى عن مقالاتهم . ؟!

وَرُوي عن يزيد بن هارون أيضا أنه حكم بكفرالجواربي المشبه ، والمريسي المعطل فقال : « الجواربي والمريسي كافران وذكر الجواربي فضربه مثلا فقال : إنما داود الجواربي عبرجسر واسط يريد العبادة فانقطع الجسر فغرق من كان عليه فخرج

---

(١) تقدمت ترجمته انظر : ٦٤/١ .

(٢) شاذ بن يحيى الواسطي ، مقبول . انظر : تقريب التهذيب٤١٠/١ولم أجد تاريخ وفاته .

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٣١/٢-٥٣٢وذكره شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المخطوط » ٢٦٣/٣ .

شيطان فقال : أنا داود الجواربي »[١]. ومراده بذلك ذم الجواربي المشبه ، وتشبيهه بالشيطان للتنفير منه ومن مقالته في التشبيه !

وَرُوي عن نعيم بن حماد الخزاعي ت٢٢٨هـ رحمه الله أنه قال : « من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن أنكر ماوصف الله به نفسه فقد كفر فليس مافيما وصف الله به نفسه ولارسوله تشبيها »[٢].

كما اعتبر إسحاق بن راهويه ت٢٣٢هـ رحمه الله من قال بمقالة التشبيه كافرا فقال في ذلك : « من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم »[٣].

وَرُوي عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال : « ونثبت هذه الصفات وينفي عنه التشبيه كما نفى هو عن نفسه التشبيه فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَّهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٤].

ونصح تلميذه الإمام المزني رحمه الله ألاَّ يتكلف علم الخالق بعقله إذا هجس في ضميره شيء من ذلك ، بل ينزه الله تعالى ، ويستدل بالمخلوق على الخالق[٥].

واعتبر الإمام أحمد ت٢١٤هـ رحمه الله مقالة التشبيه مقالة سوء منكرة ممقوتة

---

(١) رواه الخلال في كتاب السنة ٥/١٠٤رقم/١٧٣٣ونقله عنه شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المخطوط » ٣/٢٦٥-٢٦٦والذهبي في ميزان الإعتدال ٢/٢٣ .

(٢) تقدم عزوه انظر : ١/١١٠ .

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/٥٣٢رقم/٩٣٧وذكره شيخ الإسلام في نقض التأسيس « المخطوط » ٣/٢٦٦ .

(٤) ذكره ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ١/٨٣ وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٥٩وابن حجر في فتح الباري ١٣/٤١٨ .

(٥) ذكره الذهبي في سيرأعلام النبلاء ١٠/٧٩-٨٠ .

يجب النهي عنها ، وتنزيه الباري عنها ، ووصفه بصفات الكمال من غير تشبيه ولا تمثيل ، ومن أقواله في ذلك مارواه يوسف بن موسى[١] رحمه الله أنه قال : سمعت أبا عبد الله يقول : « لاتشبهوا الله بخلقه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢].

وسُئل الإمام أحمد عن المشبهة فقال : « من قال : بصر كبصرى ، ويد كيدي ، وقدم كقدمي ، فقد شبه الله سبحانه بخلقه ، وهذا يحد ، وهذا كلام سوء ، وهذا محدود ، والكلام في هذا لا أحبه »[٣].

وأنكر رحمه الله على من أشار إلى شيء من جوارحه عند ذكرنصوص الصفات قاصدا بذلك التشبيه فعن أبي نصر أحمد بن يعقوب بن زاذان[٤]أنه قال : « بلغني أنَّ أحمد بن حنبل رحمه الله قرأ عليه رجل : ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] قال : ثم أومأ بيده . فقال له أحمد : قطعها الله قطعها الله ، قطعها الله ، ثم حرد وقام »[٥].

وإنما غضب رحمه الله على الرجل ودعا عليه لأنه فهم من إشارته أنه يقصد التشبيه ولذا أنكر عليه ثم تحول من المجلس لشدة غضبه حرصا منه على تنزيه الله تعالى ووصفه بصفات الكمال ، والإشارة عند ذكر صفات الله عند أهل السنة ليست محذورة إذا لم يقصد فاعلها التشبيه وقصد منها تحقيق الصفة وإثباتها من

---

(١) يوسف بن موسى بن راشد الكوفي العلامة صاحب الإمام أحمد توفي سنة ٢٥٣هانظر : طبقات الحنابلة ٤١٢/١ .

(٢) رواه أ بويعلى في إبطال التأويلات ٤٣/١وأبوالقاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة ٤٣٦/١ .

(٣) تقدم عزوه انظر : ٨٠/١ .

(٤) لم أجد ترجمته فيما وقفت عليه !!

(٥) رواه أبو يعلى في إبطال التأويلات ٤٣/١واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٤٣٢/٢وأبوالقاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة ١٩٢/١ .

غير تأويل ولا تشبيه قال الإمام أبو يعلى رحمه الله معلقا على ماروي من منع الإمام أحمد عن الإشارة للرجل : « وهذا محمول على أنه قصد التشبيه والموضع الذي أجازه إذا لم يقصد ذلك »(١)!

وَرُوي عن أحمد بن سنان ت٢٥٨هـ رحمه الله أنه قال مبرءً أهل السنة من وصمة التشبيه : « ... المشبهة الذين غلوا فجاوزوا الحديث ، فأما الذين قالوا بالحديث فلم يزيدوا على ماسمعوا ... »(٢).

وعلق على كلامه الإمام أبو القاسم التيمي بقوله : « فهؤلاء أهل السنة والمتمسكون بالصواب وليس هم بالمشبهة ما شبهوا ... هؤلاء إنما آمنوا بما جاء به الحديث هؤلاء مؤمنون مصدقون بما جاء به النبي ﷺ والكتاب والسنة »(٣).

وَسُئل الإمام أبوزرعة الرازي ت٢٦٤هـ رحمه الله عن قول الله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة : ١١٦] فقال : « لا يُقال نفس كنفسٍ لأنه كفر ، وقال تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ سورة [ص : ٧٥] ... ولا يُقال : يد مثل يد ، ولايد كيد لأنه كفر ، ولكن نؤمن بهذا كله »(٤).

وقال الإمام المزني رحمه الله ت ٢٦٤هـ : « الحمد لله أحق مابدئ ، وأولى من شُكر وعليه أثني ، الواحد الصمد ليس له صاحبة ولا ولد جل عن المثل فلا شبيه له ولاعديل »(٥).

وذكر الإمام الدارمي ت٢٨٠هـ رحمه الله في معرض رده على المريسي الذي نبز

---

(١) إبطال التأويلات لأبي يعلى ٣٢٣/٢ .

(٢) رواه أبو القاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة ١٨٠/١ .

(٣) المرجع نفسه ١٨١/١ .

(٤) رواه الإمام ابن منده في كتاب التوحيد ٣٠٩/٣ .

(٥) ذكره الإمام الذهبي في كتابه العرش ٢٥٥/٢ .

أهل السنة بالتشبيه ، فرد عليه الدارمي مبينا براءة أهل السنة من ذلك وحكمهم على من يشبه الله بالكفر بقوله : « ... إنا لانقول : إنه خطأ بل هو عندنا كفر ، ونحن لتكييفها وتشبيهها بما هو موجود في الخلق أشد أنفا منكم ، غيرأنا كمالا نشبهها ولانكيفها لانكفر بها ولانكذب ولانبطلها بتأويل الضلال ... »[١].

فالتشبيه المذموم عند أهل السنة كما تقدم[٢]هو : إثبات شيء للخالق مما هو من خصائص المخلوقين وجعل صفاته تعالى مثل صفات المخلوق بخلاف التشبيه الذي يذمه الجهمية المعطلة ويصمون أهل السنة به فإنه إثبات الصفات لله تعالى التي فيها اشتراك مع صفات المخلوق في اللفظ والمعنى العام ، وهذا كما تقدم ليس وراء نفيه إلا التعطيل .

وفرق كبيركما بين شيخ الإسلام رحمه الله بين المعنيين فأهل السنة يذمون التشبيه المنفي عن الله تعالى في الكتاب والسنة الذي هو التمثيل ، ويذمون المشبهة بهذا المعنى ، ولذا صار لفظ المشبهة مذموما في كلام أهل السنة وكلام الجهمية المعطلة لكن بين المعنيين فرق عظيم جدا ، فليتفطن لهذا ، ولذا كان أهل السنة يفسرون مرادهم بذمهم للتشبيه والمشبهة[٣]. ويقولون : من أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات فهوجهمي معطل[٤].

ولذا فقد تفطن الإمام الدارمي رحمه الله في كلامه السابق في رده على بشر المريسي المعطل ، فبين أنَّ أهل السنة يقولون : إنَّ التشبيه كفر ، وهم لتكييفها

---

(١) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٢٢ .

(٢) انظر : ٧٩/١ .

(٣) انظر : ٨٢/١ و١٠٩ - ١١٠ .

(٤) انظر : نقض التأسيس « المخطوط » ٢٦٤/٣والفتوى الحموية الكبرى ص / ٦٤وضمن مجموع الفتاوى ١٠٩/٥-١١٠ .

وتشبيهها بما هو موجود بما يختص به المخلوق من الصفات أشد أنفا من الجهمية ، لكنهم كما لايشبهون صفات الله بصفات المخلوقين ، ولايكيفونها ، لايكفرون بها ولايكذبون بها ، ولايبطلونها كما فعل الجهمية المعطلة ، بل يثبتونها كما وردت ، وينزهون الله في ذلك عن التشبيه والتمثيل .

وقد كشف الإمام الدارمي رحمه الله تدليس الجهمية المعطلة على الجهال حين زعموا أنَّ تعطيلهم إنما هولنفي التشبيه واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فذكر الإمام الدارمي رحمه الله أنهم يعنون بهذا أنه تعالى ليس بشيء ، لأنهم لايثبتون في الأصل شيئا فكيف ينفون المثل وكذلك صفات الله تعالى ليست عندهم بشيء بل اتخذوا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ دلسة على الجهال ليروجوا عليهم بها الضلال كلمة حق يُبتغى بها باطل ، ولئن كان السفهاء الجهال في غلط من مذاهبهم ، فإنَّ الفقهاء منهم لعلى يقين[١]!!

وقد تقدم أنَّ منهج أهل السنة في صفات الله مبني على الجمع بين الإثبات والتنزيه ، على وفق قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فيستدلون بالآية كاملة ، ويردون بها على أهل البدع في صفات الله ، المشبهة الممثلة ، والمحرفة المعطلة[٢]تعالى الله عن قول الجميع علوا كبيرا .

وقال أبو العباس بن سريج ت٣٠٦هـ رحمه الله مبرء أهل السنة من مقالة أهل التعطيل والتشبيه : « ... لانقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية الملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية المكيفة[٣]بل نقبلها بلا تأويل ، ونؤمن بها بلا تمثيل

---

(١) انظر كتابه : الرد على المريسي ص/٢٠٨ .

(٢) انظر : ١/١٢٨ - ١٢٩ و٣٨٢ .

(٣) في الأصل والكرامية والمكيفة ، والأظهر ما أثبته وذلك لأنَّ المكيفة صفة للكرامية المشبهة ، وليست طائفة مستقلة .

ونقول : الإيمان بها واجب والقول بها سنة وابتغاء تأويلها بدعة »[١].

وقال الإمام الطحاوي ت٣٢١هـ رحمه الله منزها الباري تعالى عن التشبيه : « لا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام ، ولا يشبهه الأنام »[٢].

ومراده بذلك كما ذكر ابن أبي العز رحمه الله أنه لاينتهي إليه تعالى وهم ولا يحيط به علم لأنه تعالى لا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه ، وإنما يُعرف « بصفاته وقوله : « ولا يشبهه الأنام » رد لقول المشبهة الذين يشبهون الخالق بالمخلوق[٣]سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

وقال الإمام الطحاوي أيضا مبينا حكم من شبه الله بخلقه : « ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر ، فمن أبصر هذا اعتبر ، وعن مثل قول الكفار انزجر وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر »[٤].

فبين رحمه الله أنَّ الله منزه عن التشبيه والتمثيل ، ومن مثل الله بخلقه فجعل صفاته كصفات البشر ، أووصفه بمعنىً من المعاني الخاصة بالبشر ، كأنْ يُشبه كلامه بكلام البشر فقد كفر ، ومن أبصر بعقله توبيخ الله لمن قال من الكفار[٥]: ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٢٥] وسمع وعيد الله لمن قال بذلك بسقر

---

(١) ذكره الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٦٤والإمام الذهبي في كتابه العرش ٢/ ٢٧٥ .

(٢) العقيدة الطحاوية مع شرح ابن أبي العزص/١١٩-١٢٠ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ص/١٢٠ .

(٤) المرجع نفسه ص/٢٠٣ .

(٥) وهو الوليد بن المغيرة أحدرؤساء مشركي قريش المعاندين ، نفى أنْ يكون القرآن كلام الله وقال : « ما هوإلاقول البشر » فنزلت في شأنه الآيات [١١-٢٠] من سورة المدثر . انظر : تفسير ابن كثير٤/٤٧١-٤٧٣ .

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ انزجر عن مثل مقالة الكفار في كفرهم بالقرآن الكريم وتشبيههم له بكلام البشر ، وعلم أنَّ الله تعالى بصفاته ليس كالبشر ، بل هو متصف بصفات الكمال ، منزه عن صفات النقص والعيوب ، والشبيه والمثيل ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله في نهاية كتابه : « العقيدة الطحاوية » بعد بيان منهج أهل السنة في مسائل الاعتقاد ومنها صفات الله عز وجل : « ... فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا ، ونحن بُراء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه ، ونسأل الله تعالى أنْ يثبتنا على الإيمان ، وبختم لنا به ، ويعصمنا من الأهواء المختلفة ، والآراء المتفرقة ، والمذاهب الردية مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة ، وحالفوا الضلالة ، ونحن منهم بُراء ، وهم عندنا ضُلاَّل وأردياء . وبالله العصمة والتوفيق »[(١)]!

وقال الإمام البربهاري[(٢)] ت ٣٢٩هـ رحمه الله مبينا أنَّ الكلام في الله تعالى بغير صفاته الواردة في الوحي بدعة وضلالة ، منزها الله عن التمثيل : « واعلم رحمك الله : أنَّ الكلام في الرب تعالى مُحْدَث وبدعة وضلالة ، ولايتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه عز وجل في القرآن ، وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه ، فهو جل ثناؤه واحد : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ربنا أول بلا متى ، وآخر بلا منتهى ، يعلم السر وأخفى ... ولا يقول في صفات الرب تعالى لِمَ ، إلا شاك في الله تبارك وتعالى ... »[(٣)].

---

(١) العقيدة الطحاوية مع شرح ابن أبي العز ص/٥٨٨ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٣٧٧/١ .

(٣) شرح السنة للبربهاري ص/٢٤ .

وبين إسحاق بن شاقلا[١] ت٣٧٩هـ رحمه الله براءة أهل السنة من التشبيه فقال في صدد مناظرته لمن قال له : أنتم المشبهة : « ... حاشا لله ، المشبه الذي يقول : وجه كوجهي . فأما نحن نقول : له وجه كما أثبت لنفسه وجها ، وله يد كما أثبت لنفسه يدا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ومن قال هذا فقد سلم »[٢].

وبين الإمام ابن بطة العكبري[٣] ت٣٨٧هـ رحمه الله سوء مقالات أهل البدع ومنهم المشبهة في صفات الله وقولهم على الله بلا علم ، وافتراءهم على الله بالبهتان والكذب ، وكيف أنَّ المعطلة يعيبون أهل الحق ، ويتهمون الثقات في النقل ولا يتهمون آراءهم ومقالاتهم في التأويل ، قد عقدوا ألوية البدع ، وأقاموا سوق الفتنة ، وفتحوا باب البلية يفترون على الله البهتان ويتقولون في كتابه بالكذب !

ثم ذكر أصنافهم ورؤساءهم في الضلال فذكر من المعطلة الجهم بن صفوان وبشر المريسي ، وثمامة بن الأشرس[٤] وغيرهم .

ومن الرافضة المشبهة عبد الله بن سبأ ، والمغيرة بن شعبة[٥].[٦] .

ثم نهى عن مجالستهم وتبرأ من مقالاتهم الكفرية بقوله : « ... أعاذنا الله وإياك من مقالتهم ، وعافانا وإياك من شرور مذاهبهم ، وأحيانا على الإسلام والسنة ، وأماتنا

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البغدادي ، شيخ الحنابلة في زمانه ، كان رأسا في الأصول والفروع . مات سنة ٣٦٩هـ انظر : سيرأعلام النبلاء ٢٩٢/١٦ .

(٢) انظر : طبقات الحنابلة ١٢٨/٢-١٢٩ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ٦٧/٢ .

(٤) تقدمت ترجمتهم انظر : ٨٦/١ و٨١ و١٥٦ . .

(٥) تقدم التعريف بهما وبطائفتهما المشبهة انظر : ٣٥/١ و٢٤٤ .

(٦) انظر : الإبانة الصغرى لابن بطة ص/٣٤٧-٣٥٣ .

على ذلك ، وحشرنا عليه »[١]. وبين رحمه الله أنَّ من السنة وتمام الإيمان وكماله البراءة من كل اسم خالف السنة وخرج عن اجماع الأمة ، ومباينة أهله ، ومجانبة من اعتقده ، والتقرب إلى الله بمخالفته ، وذلك : مثل الرافضة والجهمية والمعتزلة والمغيرية والمنصورية[٢]وغيرهم ومن كل قول مبتدع ورأي مخترع وهوى مُتبع فهذه كلهاوما شاكلها وما تفرع منها أوقاربها أقوال رديئة ومذاهب سيئة تُخرج أهلها عن الدين ، ومن اعتقدها عن جملة المسلمين[٣].

وذكر الإمام أبو منصور معمربن أحمد ت٤١٨هـ رحمه الله في وصيته التي بين فيها منهج أهل السنة المبني على الإثبات والتنزيه ، أنَّ طلب السلامة في معرفة صفات الله عز وجل أوجب ، فإنه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ فليس كمثله شيء : ينفي كل تشبيه وتمثيل ، وهو السميع البصير : ينفي كل تعطيل وتأويل فهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة والأثر ، فمن فارق مذهبهم فارق السنة ، ومن اقتدى بهم وافق السنة ، ونحن بحمد الله من المقتدين بهم ، المنتحلين لمذهبهم ، القائلين بفضلهم ، جمع الله بيننا وبينهم في الدارين ، فالسنة طريقتنا ، وأهل الأثر أئمتنا ، فأحيانا الله عليها وأماتنا عليها ، برحمته إنه قريب مجيب[٤].

وقال يحيى بن عمار[٥]ت ٤٢٢هـ رحمه الله : « نحن وأئمتنا من أصحاب

---

(١) المرجع نفسه ص/٣٥٣ .

(٢) المغيرية والمنصورية من فرق غلاة الشيعة المشبهة وقد تقدم التعريف بهم وبمقالاتهم في التشبيه انظر : ٢٤٤/١ و٢٤٧ .

(٣) انظر : الابانة لابن بطة ص/٣٤٤-٣٤٧ .

(٤) رواه أبوالقاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة ٢٤٣/١-٢٤٤ .

(٥) أبو زكريا يحيى بن عمار بن العنبس الإمام المحدث الواعظ شيخ سجستان الشيباني =

الحديث ـ وذكر الأئمة وعد كثيرا منهم ومن قبلهم من الصحابة ومن بعدهم ـ لا يستحل أحد منا ممن تقدم أوتأخر أن يتكلف أويقصد إلى قول من عنده في الصفات أو تفسير كتاب الله عز وجل أو معاني حديث رسول الله ﷺ أو زيادة على ما في النص أو نقصان عنه ، ولانغلوا ولانشبه ولانزيد على مافي الكتاب والسنة »(١).

وبين الإمام ابن عبد البرت٤٦٣هـ رحمه الله براءة أهل السنة من التشبيه والقياس المفضي إلى التمثيل بقوله : « ... وما غاب عن العيون فلا يصفه ذو العقول إلا بخبر ، ولا خبرفي صفات الله عز وجل إلا بما وصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تنظير فإنه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٢).

وذكر الإمام ابن البنا الحنبلي ت٤٧١هـ رحمه الله بعض مقالات أهل البدع كالمعطلة والمشبهة لنقدها وإبطالها ثم قال مُبينا براءة أهل السنة منها : « والحمد لله الذي أعاذ أهل السنة وأئمتهم من هذه المقالات الفاسدة ، والاعتقادات الواهية ووهب لهم الاعتصام بحبله المتين وكتابه ، وسنن رسوله ﷺ النيرة الواضحة وجنبهم الأقوال الفظيعة الفاضحة فأقوالهم في أهل البدع مسموعة وأقوال غيرهم فيهم فبالحق مدفوعة »(٣).

و بين من هم المشبهة والمجسمة ، ثم حكم بكفرهم قائلا : « ... فهم الذين

= السجستاني نزيل هراة ذكر الإمام الذهبي أنه كان شديدا على المبتدعة والجهمية وكان جليل القدر ذا هيبة وإتباع توفي سنة ٤٢٢هـ انظر : سير أعلام النبلا ء ١٧/٤٨١-٤٨٣ .

(١) ذكره الإمام ابن قدامة في ذم التأويل ص/١٨ .

(٢) التمهيد لابن عبد البر٧/١٤٥ .

(٣) المختار في أصول السنة لابن البنا الحنبلي ص/٩٢ .

يجعلون صفات الله ـ تعالى ـ مثل صفات المخلوقين ، وهم كفار »[١]

وبين الإمام الصابوني ت٤٩٩هـ رحمه الله أنَّ أهل السنة بريئون من التشبيه ، منزهون لله تعالى عن ذلك ، مثبتون للصفات كما وردت ، معتقدون أنَّ صفاته تعالى لاتشبه صفات الخلق ، كما أنَّ ذاته لاتشبه ذوات الخلق ، ثم نزه الله تعالى عن مقالة المشبهة والمعطلة بقوله : « ... تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيرا ولعنهم لعنا كثيرا »[٢].

وذكر الإمام أبو القاسم التيمي ت ٥٣٥هـ رحمه الله منهج أهل السنة في صفات الله المبني على الإثبات والتنزيه وبراءتهم من التشبيه فقال : « قال أهل السنة : نصف الله بما وصف به نفسه ونؤمن بذلك إذ كان طريق الشرع الاتباع لا الابتداع مع تحقيقنا أن صفاته ـ تعالى ـ لا يشبهها صفات وذاته لا يشبهها ذات ، وقد نفى الله تعالى عن نفسه التشبيه بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ، وأثبت لنفسه صفات فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ وليس في إثبات الصفات ما يفضي إلى التشبيه كما أنه ليس في إثبات الذات ما يفضي إلى التشبيه وفي قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ دليل على أنه ليس كذاته ذوات ، ولا كصفاته صفات »[٣].

وحكم على من يشبه الله تعالى بخلقه بالكفر بقوله : « ... وقد نفى الله تعالى عن نفسه التشبيه بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ... »[٤].

وبين الإمام ابن قدامه رحمه الله ت ٦٠٠هـ منهج أهل السنة في نصوص

---

(١) المرجع نفسه ص/٨١ .

(٢) انظر : عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١١٧/١ .

(٣) الحجة في بيان المحجة١٨٥/١-١٨٦ .

(٤) المرجع نفسه ١٨٦/٢ .

الصفات المبني على الإثبات والتنزيه وبراءتهم من التشبيه فقال في ذلك بعد ذكره لبعض نصوص الصفات : « فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت روايته نؤمن به ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره ، ولا نشبهه بصفات المخلوقين وسمات المحدثين ، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه »[١]!

وبين رحمه الله براءة أهل السنة من وصمة التشبيه ومنهجهم في نصوص الصفات المبني على الإثبات والتنزيه ، فذكرأنهم يؤمنون بصفات الله كما وردت ، ويبتعدون عن تأويلها ، ولا يشبهون صفات الله تعالى بصفات المخلوقين وأن من تقدم أو تأخر من أهل السنة لايستحل أنْ يتكلف ، أو يقصد إلى قولٍ من عنده في صفات الله عز وجل ، أوفي تفسير كتاب الله أومعاني حديث رسول الله ﷺ أوزيادة على مافي النص ، أو نقصان ، ولانغلوا ولانشبه ، ولانزيد على مافي الكتاب والسنة[٢].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ت ٦٢٧هـ أنَّ الله تعالى نفى عن نفسه التشبيه فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ونفى عن نفسه السمي والكفو فقال : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ وقال : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ونهى عن اتخاذ الأنداد فقال : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ ثم بين شيخ الإسلام رحمه الله كيف يكون التشبيه وحكم من قال بذلك بقوله : « ... فمن قال : إنَّ علم الله كعلمي ، أو قدرته كقدرتي ، أوكلامه مثل كلامي ، أوإرادته ومحبته ورضاه وغضبه مثل إرادتي

---

(١) انظر كتابه : لمعة الاعتقاد مع شرح الشيخ ابن عثمين ص/٦١وعقيدة الإمام ابن قدامة المقدسي ص/٥٢ والاقتصاد في الاعتقاد ص/١٠٨و١٦٦ .

(٢) انظر : ذم التأويل لابن قدامة ص/١١-١٢ .

ومحبتي ورضائيي وغضبي ، أو إستواؤه على العرش كإستوائي ، أو نزوله كنزولي ، أو إتيانه كإتياني ونحو ذلك ، فهذا قد شبه الله ومثله بخلقه ، تعالى الله عما يقولون ، وهو ضال خبيث مبطل ، بل كافر »[١]!

وذكر رحمه الله حكم الأئمة في الجهمية والمشبهة بقوله : « والمحفوظ عن أحمد وأمثاله من الأئمة إنما هو تكفير الجهمية والمشبهة »[٢]!

وذكر الإمام الذهبي ت ٧٤٨هـ رحمه الله براءته من فرق المبتدعة ومنهم المعطلة والمشبهة فقال في ذلك : « ... غلاة المعتزلة ، وغلاة الشيعة ، وغلاة الحنابلة ، وغلاة الأشاعرة وغلاة المرجئة ، وغلاة الجهمية وغلاة الكرامية ، قد ماجت بهم الدنيا ، وكثروا وفيهم أذكياء وعباد[٣]وعلماء ، نسأل الله العفو والمغفرة لأهل التوحيد ونبرأ إلى الله من الهوى والبدع ، ونحب السنة وأهلها ، ونحب العالم على ما عليه من الاتباع والصفات الحميدة ، ولانحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن »[٤].

وذكر الإمام ابن القيم ت٧٥١هـ رحمه الله أنَّ توحيد الأسماء والصفات لايتم إلا بإثبات صفات الكمال لله تعالى ، وتنزيهه في ذلك عن التشبيه والتمثيل ، وعن جميع صفات النقص ، وضده التعطيل والتشبيه والتمثيل ، فمن نفى صفات الرب عز وجل وعطلها كَذَّب تعطيله توحيده ، ومن شبهه بخلقه ومثله بهم كَذَّب تشبيهه وتمثيله توحيده[٥].

---

(١) انظر : كتابه التصوف ضمن مجموع الفتاوى ٤٨٢/١١ .

(٢) كتاب الإيمان لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٥٠٧/٧ .

(٣) ولذلك إغتر بهم العوام ومن لامعرفة له بعقائدهم الفاسدة . !!

(٤) سير أعلام النبلاء ٤٥/٢٠-٤٦ .

(٥) انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٢٧ .

وبين رحمه الله تنزيه الله عن التشبيه والتمثيل والتعطيل وبراءة أهل السنة من ذلك في مواضع كثيرة من نونيته ، ومن ذلك قوله بعد بيانه لما يتنزه عنه الباري من النقائص والعيوب :

تنزيهُ أوصاف الكمال له عن التشبـ ـيه والتمثيل والنكران
لسنا نشبه وصفه بصفاتنا إنَّ المشبه عابد الأوثان
كلا ولانخليه من أوصافه إنَّ المعطل عابد البهتان
من مَثَّلَ الله العظيم بخلقه فهو النسيب لمشرك نصراني
أو عَطَّلَ الرحمن من أوصافه فهو الكفور وليس ذا إيمان[1]

وذكر رحمه الله في مقدمة كتابه « القصيدة النونية » عشرة أمثال حسان مضروبة للمعطل والمشبه والموحد دالة على براءة أهل السنة من مقالة أهل التعطيل والتمثيل ، سأذكر بعضها لبيان براءة أهل السنة من وصمة التشبيه ، وبهتان من رماهم بذلك :

المثال الأول : ثياب المعطل ملطخة بعذرة التحريف ، وشرابه متغير بنجاسة التعطيل وثياب المشبه متضمخة بدم التشبيه ، وشرابه متغير بدم التمثيل ، والموحد طاهر الثوب والقلب والبدن ، يخرج شرابه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين .

المثال الثاني : شجرة المعطل مغروسة على شفا جرف هار ، وشجرة المشبه قد أُجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، وشجرة الموحد أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

المثال الثالث : قلب المعطل متعلق بالعدم فهوأحقرالحقير ، وقلب المشبه عابد للصنم الذي قد نُحِت بالتصوير والتقدير ، والموحد قلبه متعبد لمن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

---

(١) القصيدة النونية لابن القيم مع شرح الهراس ٦٢/٢ .

المثال الرابع : المعطل قد أُعِدَّ قلبه لوقاية الحر والبر كبيت العنكبوت ، والمشبه قد خسف بعقله فهو يتجلجل في أرض التشبيه إلى البهموت[١]، وقلب الموحد يطوف حول العرش ناظرا إلى الحي الذي لا يموت .

المثال الخامس : المعطل قد تخلف عن سفينة النجاة ولم يركبها فأدركه الطوفان والمشبه قد انكسرت به اللجة فهو يُشاهد الغرق بالعيان ، والموحد قد ركب سفينة نوح وقد صاح به الربان : اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ، إنَّ ربي لغفور رحيم[٢].

وبين الإمام ابن أبي العزت٧٩٢هـ رحمه الله أنَّ النفي والتشبيه مرضان من أمراض القلوب وهما من نوع مرض الشبهة[٣]التي لاشفاء لها إنْ لم يتدارك الله صاحبها برحمته وشبهة النفي أردأ من شبهة التشبيه ، لأنها رد وتكذيب لما جاء به النبي ﷺ ، وتشبيه الله بخلقه غلو ومجاوزة للحد فيما جاء به الرسول ﷺ ، وتشبيه الله بخلقه كفر ، فإنَّ الله يقول : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وكذلك نفي الصفات كفر لأنَّ الله يقول : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٤].

وبين الشيخ حافظ الحكمي ت ١٣٧٧هـ رحمه الله براءة أهل السنة من مقالة

---

(١) البهموت لفظ دخيل في العربية من العبرية ، ومعناه فرس البحر انظر : سواء السبيل لما في العربية من الدخيل للدكتور : ف عبدالرحيم ص/٢٠٩-٢١٠ . وعلى هذا يكون معنى ماذكره الإمام ابن القيم رحمه الله أنَّ المشبه خُسف بعقله بتشبيهه ربه بخلقه ، فهوبهذا يتجلجل في الأرض التي فيها فرس البحر . أي : في قاع البحر !!

(٢) انظر : مقدمة الإمام ابن القيم على قصيدته النونية ١/١٣-١٥ .

(٣) أمراض القلوب نوعان : مرض شهوة ومرض شبهة انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص/٢٣٧ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ص/٢٣٧ .

التشبيه والتعطيل فقال في ذلك نظما ، بعد ما ذكر أقوال أهل السنة في صفات الله :

هذا مقال المؤمنين جميعهم وعصابة التوحيد أعلام الهدى
الكاشفين عوار كل مشبه والقامعين لك من قد ألحدا
زِنْ قولهم بالوحي وانظر هل ترى ميلا لهم عما إليه أرشد ،
حاشاهم عن أنْ يميلوا خطوة عما إليه الله إليهم هدى
بل أثبتوا لله ماقد أثبتت آيُ الكتاب وكل نصٍ أُسندا
ومن النفاة تبرؤوا وكذا من قول الممثل إذْ تغالى واعتدى
جعلوا إمامهم الكتاب وسنة المختار يا طوبى لمن بهما اهتدى
ولذاك أعلى الله جل منارهم والملحدون بناؤهم قد هددا
وأتم نورهم الإله وغيرهم في ظلمةٍ إذْ لم يكن بهم اقتدى
يارب ألحقنا بهم واجعل لنا نورا نُميز به الضلال من الهدى[1]

وذكر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ت١٣٩٣هـ رحمه الله أنَّ صفة رب السموات والأرض أعلى وأكمل من أنْ تشبه صفات المخلوقين ، فمن نفى عن الله وصفا أثبته لنفسه فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، ومن ظن أنَّ صفة ربه تشبه شيئا من صفة الخلق فهو مجنون ضال ملحد لاعقل له ، يدخل في قول الله تعالى : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٧ - ٩٨] ومن يسوي رب العالمين بغيره فهو مجنون ضال .

ومن آمن بصفات ربه عز وجل منزها ربه عن تشبيه صفاته بصفات خلقه فهو مؤمن منزه سالم من ورطة التشبيه والتعطيل . وهذا التحقيق هو مضمون قوله تعالى

---

(١) معارج القبول ١/٢٨٠ .

: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[١].

وبين الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله أنَّ الممثلة زائغون عن سبيل الرسل وأتباعهم في أسماء الله وصفاته لأنهم غلوا في ذلك حتى مثلوا الله بخلقه ، وقصروا في جانب التنزيه ، والقول بمقالاتهم يقتضي بطلان عبودية الله لأنه لا يخضع عاقل لأحد أويذل له على وجه التعظيم المطلق إلا أنْ يكون أعلى منه !

وقولهم كفر لأنَّ اعتقاد المماثلة والقول بذلك وصف لله تعالى بصفات النقص واعتقاد النقص في حق الله تعالى كفروضلال ، وتشبيه الله بخلقه كفر ، لأنه تكذيب لقول الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[٢].

وأهل السنة بريئون من مقالات أهل التعطيل والتمثيل ، مثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ إثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل[٣].

وما ذكره سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان وأقوالهم في براءتهم من التشبيه والتعطيل ، ووصفهم الله بصفات الكمال لاتنحصر ، وإنما ذكرت منها بالتسلسل التاريخي إلى يومنا هذا ، ليُعلم إجماعهم في كل زمان ومكان على تنزيه الله عن مقالة التشبيه والتعطيل وبراءتهم من ذلك ، وحكمهم على المشبه الممثل بالضلال والكفر ، ووصفهم الله تعالى بصفات الكمال الدالة على عظمته وجلاله ، وبهتان من رماهم بالتشبيه والتجسيم من أهل التعطيل والتحريف ، فإذا كان حالهم ماتبين من مقالاتهم الدالة على موقفهم من مقالة التشبيه ، فكيف يرمون بذلك وهم ينفونه وينزهون الله عنه ، ويتبرؤون من قائله ، ويحكمون عليه بالكفر والضلال ، سبحانك هذا بُهتان عظيم !!

---

(١) انظر : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص/٤ .

(٢) انظر : تقريب التدمرية ص/٢٣-٢٤ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ص/٢٥-٢٦و٥٠ .

الفصل الرابع

موقف اهل السنة من نصوص الصفات وممن يدَّعي فيها التشبيه

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : موقف أهل السنة من نصوص الصفات على سبيل الإجمال

المبحث الثاني : مقالة المعطلة ظواهر نصوص الصفات موهمة للتشبيه وموقف أهل السنة منها

المبحث الثالث : ذكر أمثلة من أحاديث الصفات التي فيها تحقيق الوصـــف وموقف أهل السنة ممن يدعي فيها التشبيه

مدخل

من أعظم الأمور الدالة على موقف أهل السنة من مقالة التشبيه وبراءتهم من ذلك موقفهم من نصوص الصفات المبني على الإيمان بها ، والتسليم لما تدل عليه من صفات الكمال لله تعالى ، مع فقه ودراية لمعانيها اللائقة بجلال الله وعظمته بلا تمثيل ولا تكييف وردهم على المعطلة الذين ادَّعوا أنَّ إثباتها على ظاهرها من غير تأويل يقتضي التشبيه والتجسيم !

وفي هذا الفصل سأبين موقف أهل السنة من نصوص الصفات على سبيل الإجمال وموقفهم ممن يدعي فيها التشبيه ، كما سأذكر أمثلة من أحاديث الصفات التي فيها تحقيق الوصف ، والتي اجتمعت فيها الإشارة مع القول لتحقيق إثباتها وتأكيد معانيها اللائقة به تعالى ، مع مناقشة وبيان موقف أهل السنة ممن يعتبر الإشارة في ذلك تشبيها وتجسيما .

المبحث الأول

موقف أهل السنة من نصوص الصفات على سبيل الإجمال

بين الله عز وجل في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ صفاته الدالة على تفرده بصفات الكمال وتنزهه في ذلك عن التشبيه والتمثيل وعن كل نقص يُضادها بيانا شافيا ، فآمن بها أهل السنة والجماعة ، وصدقوا المخبر بها ، وتحققوا وتيقنوا أنها صفات لله عز وجل يجب الإقرار بها ، والتسليم للنصوص الواردة فيها على سبيل الإثبات والتنزيه وإجراؤها على ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته ، ونفي كل مايُضادها من التشبيه والتمثيل والتعطيل ولم يفرقوا في قبولها والتصديق بها وإثباتها بين ماورد منها في الكتاب والسنة متواترها وآحادها بل أثبتوا كلها بلا تمثيل ، إذْ تقرر عندهم أنَّ كل ماجاء به النبي ﷺ وحي من عند الله يجب قبوله والإيمان به ، لاسيما مسائل الصفات التي لامجال لإثباتها إلا بالوحي وقد جاء بها الرسول ﷺ فيجب إثباتها كما وردت ؛ لأنَّ بها يعرف الله تعالى ، وقرروا في تلقي أحاديث الصفات أنْ تكون صحيحة الإسناد إلى النبي ﷺ منقولة عن العدول الثقات .

فمتى كانت كذلك وجب قبولها والإيمان بها وترك تكلف الكلام في كيفياتها المفضي إلى التمثيل ، ومما يبين موقفهم من نصوص الصفات الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول أقوالهم في ذلك ، لذا سأذكر منها ما يتبين به موقفهم من مقالة التشبيه وبراءتهم من ذلك على سبيل الإجمال .

فالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله قد اتفقوا على إثبات صفات الله عز وجل كما وردت على الوجه اللائق بجلاله وعظمته ، ولم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم لم يسوموها تأويلا ، ولم يحرفوها تبديلا ، ولم يبدوا لشيء منها إبطالا ، ولاضربوا لها أمثالا ، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها

بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالإيمان والتعظيم[١].

وقد سلك موقفهم هذا كل من اقتفى أثرهم ، ووسعه ما وسعهم من التابعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، قال الإمام الأوزاعي رحمه الله مبينا إجماع التابعين على الإيمان بنصوص الصفات كما وردت : « كنا والتابعون متوافرون نقول : إنَّ الله تعالى ذكره على عرشه ، ونؤمن بماوردت به السنة من الصفات »[٢].

وذكر الإمام محمد بن الحسن الشيباني ت١٨٩هـ إجماع أهل السنة في عصره على الإيمان بنصوص الصفات كما وردت من غير تشبيه فقال في ذلك : « اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسيرولاوصف ولا تشبيه ، فمن فسر شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا ، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه قد وصف ـ ربه ـ بصفة لاشيء »[٣].

والمراد بقوله « فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا » لم يصفوا الله بما لم يصف به نفسه ولم يفسروا صفاته تفسير أهل البدع من الجهمية المعطلة ، والمشبهة الممثلة ، يدل على ذلك قوله الأخير : « فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة » لأنَّ جهما حرَّف صفات الله تعالى وفسرها بما لم يصف به جل وعلا نفسه فعطل الله عن صفات الكمال ، فمن قال بقوله فقد فارق الجماعة . ويدل على ذلك أيضا قوله

---

(١) انظر : أعلام الموقعين لابن القيم ٤٩/١

(٢) تقدم عزوه انظر : ١٢٣/١ .

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٤٣٢/٢رقم/٧٤٠وذكره ابن قدامة في ذم التأويل ص/١٤وشيخ الإسلام في نقض المنطق ضمن مجموع الفتاوى ٤/٤ـ٥ والذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين ص/٨٣ . وفي العلو ص/١٥٣برقم٤١٤وفي كتاب العرش ١٩٦/٢برقم ١٩٦ .

« ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا » إذْ الإيمان لا يتأتى إلا بإثبات الصفات كما وردت من غير تشبيه ولا تعطيل وقد فعلوا .

وقوله : « ثم سكتوا » أي : عن طلب الكيفية المفضي إلى التمثيل ، وكذا عن مقالات المعطلة والمشبهة في صفات الله تعالى . ومما يدل على أنهم سكتوا عن الكيفية ولم يفسروها قول الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام[١] رحمه الله في نصوص الصفات : « ... هي عندنا حق لانشك فيها ، ولكن إذا قيل كيف وضع قدمه وكيف ضحك ، قلنا : لايُفسرهذا ، ولاسمعنا أحدا يفسره »[٢].

فقد بين رحمه الله مراد أهل السنة بقولهم : « لاتفسر » أي : تفسيرات الجهمية وكذا لاتفسر كيفيتها كما فعل أهل التشبيه ، لأنَّ هذا بدعة وغير معقول[٣]. ولذا من خاض في تفسيره من أهل البدع فقد وقع في التشبيه كما حصل للمشبهة ، أو التعطيل كما حصل للمعطلة !

وذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله إجماع أهل السنة والجماعة على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة وحملها على الحقيقة لاعلى المجاز ، إلا أنهم ابتعدوا فيها عن التكييف والتمثيل[٤].

والإقرار بها وحملها على الحقيقة لا يتأتى إلا بعد فهم معانيها على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ، ولذا ابتعدوا عن التكييف والتمثيل !

---

(١) تقدمت ترجمته انظر : ٢/١٥٥ .

(٢) أخرجه الدارقطني في كتاب الصفات ص/٦٩رقم/ ٥٧والبيهقي في الأسماء والصفات مختصرا ٢/١٩٨رقم/١٩٨والذهبي في العلوص/١٧٣رقم/٤٦٧وصحح الشيخ الألباني إسناده انظر : مختصر العلو ص/١٨٦رقم/ ٢١٩ .

(٣) تقدم ذكر قول الإمام مالك في ذلك وبيان أنه قول أهل السنة قاطبة انظر : ١/١٩٣و٤٢٠ .

(٤) انظر : التمهيد لابن عبد البر ٧/١٤٥ .

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان على إمرار نصوص الصفات وإثباتها كما وردت من غير تكييف ولا تمثيل رُوي عن الوليد بن مسلم[١] رحمه الله أنه قال : « سألت مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد والأوزاعي[٢] عن الأخبار الواردة في الصفات ، فقالوا : أمروها كما جاءت ، وفي رواية أنهم قالوا : أمروها كماجاءت بلا كيف »[٣].

وسأل رجل عبد الله بن المبارك رحمه الله عن أحاديث الصفات فقال : « تمر كما جاءت بلا كيف »[٤] وَرُوي عن وكيع بن الجراح[٥] رحمه الله أنه قال في أحاديث الصفات : « نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ، ولا نقول : كيف كذا ، ولم جاء كذا »[٦]؟ ثم ذكر بعض أحاديث الصفات فقال : « تمر كما جاءت بلا كيف »[٧]

---

(١) تقدمت ترجمته انظر : ١/١٢٩ .

(٢) تقدمت ترجمة سفيان الثوري والليث والأوزاعي انظر : ١/٤٦و١٢٣و٥٤ .

(٣) أخرجه الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٢٠والدارقطني في الصفات ص/٧٥رقم/٦٧والقاضي أبويعلى في إبطال التأويلات ١/٤٧رقم/ ١٦وذكره شيخ الإسلام في الفتوى الحموية الكبرى ص/٢٤وضمن مجموع الفتاوى٥/٣٩-٤٠وعزاه إلى كتاب السنة للخلال وقد بحثت عنه في المطبوع فلم أجده . ! وذكره الإمام الذهبي في العلو ص/ ١٣٧-١٣٨ومختصر العلوص/١٣٨وفي الأربعين في صفات رب العالمين ص/٨١-٨٢ .

(٤) أخرجه القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات ١/٥٣رقم/٣٠ .

(٥) تقدمت ترجمته انظر : ٢/٤٣٨ .

(٦) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة ١/٢٦٧رقم/٤٩٥والدارقطني في الصفات ص/٧١رقم/٦١ وأبو يعلى في إبطال التأويلات ١/٥٤رقم ٣٣وذكره الذهبي في العلو ص/ ١٥٨-١٥٩وصححه الألباني انظر : مختصر العلو ص/١٦٩ .

(٧) رواه أبو يعلى في إبطال التأويلات ١/٥٤رقم/٣٣ .

وَسُئل سفيان بن عيينة رحمه الله عن أحاديث الصفات فقال : « هي كما جاءت نقر بها ونحدث بها بلا كيف »[١].

وروي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال في أحاديث الصفات : « هذه الأحاديث نرويها كما جاءت »[٢].

فهذه الآثار كلها تدل على إقرار السلف بنصوص الصفات ، وإثبات ما تدل عليه من المعاني اللائقة بجلال الله وعظمته ، وابتعادهم في ذلك عن التكييف ، مع تنزيه الله عن التشبيه والتمثيل والتعطيل ! فقولهم : « أمروها كما جاءت » كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله رد على المعطلة وقولهم : « بلا كيف » رد على الممثلة[٣].

ولا يشترط أهل السنة في قبول أحاديث الصفات إلا الصحة فمتى صح سندها إلى الرسول ﷺ بنقل الثقات العدول وجب قبولها ، والتصديق بها وإثبات ما تدل عليه من صفات الكمال لله تعالى ، والبعد عن كيفياتها ، وتنزيه الله في ذلك عن التشبيه ، وعن كل نقص يُضادها .

ومن أقوالهم في ذلك قول الإمام محمد بن الحسن ت١٨٩هـ رحمه الله في أحاديث الصفات : « إنَّ هذه الأحاديث قد روتها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها »[٤]. أي : تفسير الجهمية المعطلة ، والمكيفة الممثلة .

---

(١) أخرجه الدارقطني في الصفات ص/٧٢برقم ٦٣والقاضي أبويعلى في إبطال التأويلات ١/ ٤٧رقم/١٤واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/٥٠٤رقم/٥٠٤وذكره الذهبي في العلو ص/ ١٥٦وصححه الألباني انظر : مختصر العلوص/١٦٥ .

(٢) ذكره الإمام ابن الجوزي في كتابه : مناقب الإمام أحمد ص/٢٠٤ .

(٣) انظر : الفتوى الحموية ص/٢٤وضمن مجموع الفتاوى ٥/٣٩ .

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/٤٣٣وابن قدامة في ذم التأويل ص/ ١٤وذكره الذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين ص/٧٠وفي العلو ص/١٥٢-١٥٣برقم ٤١٣وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٨٧ .

وَسُئل الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام ت٢٤١هـ عن بعض أحاديث الصفات فقال : « هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض وهي عندنا حق لانشك فيها ، ولكن إذا قيل : كيف وضع قدمه ، وكيف يضحك قلنا : لانفسر هذا ولاسمعنا أحدا يفسره »[١]!

وَرُوي عن الإمام أحمد ت ٢٤١هـ أنه قال في أحاديث الصفات ومنها حديث النزول : « نؤمن بها ونصدق بها ، ولانرد شيئا منها ، إذا كانت بأسانيد صحاح ولا نرد على رسول الله ﷺ قوله ، ونعلم أنَّ ماجاء به الرسول ﷺ حق »[٢].

وسأله أبو بكر المروزي ت ٢٧٥[٣]رحمه الله عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والأسماء وقصة العرش ، فصححها وقال : « تلقته العلماء بالقبول تسلم الأخبار كما جاءت »[٤].

وَرُوي عن سفيان بن عيينة ت٢٩٨هـ رحمه الله أنه قال في أحاديث الصفات والرؤية : « حق على ما سمعناها ممن نثق به ونرضاه »[٥].

---

(١) أخرجه الدار قطني في الصفات ص/٦٨-٦٩برقم/٥٧و الآجري في الشريعة مختصرا ص/ ٢٢٩وأبويعلى في إبطال التأويلات ٤٨/١ والبيهقي في الأسماء والصفات ١٩٨/٢برقم ٧٦ والذهبي في العلو ص/١٣٧برقم ٤٦٧وفي كتاب العرش ٢٣٦/٢برقم ٢٠٧ .

(٢) رواه أبو يعلى في إبطال التأويلات ١/ ٤٥رقم / ٩واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/ ٤٥٣ .

(٣) أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي كان من أجل أصحاب الإمام أحمد ، خصيصا بخدمته ، عالما بالفقه والحديث ، وروى عن الإمام أحمد مسائل كثيرة توفي سنة ٢٧٥هـ انظر : النجوم الزاهرة ٧٢/٣و الأعلام ٢٠٥/١ .

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة ص/٢٨٠وأبو يعلى في إبطال التأويلات ٤٤/١رقم٧ .

(٥) أخرجه الدارقطني في الصفات ص/٦٩-٧٠رقم/٥٩والآجري في الشريعة =

ولا يصف أهل السنة الله عز وجل بأكثر مما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ بل يقفون على ماورد في الكتاب والسنة ، ولا يتعدون ذلك إلى تعطيل أو زيادة أو تمثيل ولا يزيلون عنه تعالى صفة من صفاته لوهم التشبيه كما فعل المعطلة ، بل يُؤمنون بصفات الله عز وجل كما وردت ، ويسلمون للنصوص الواردة في ذلك اتباعا للرسول ﷺ ، ويكلون علم كيفيتها إلى الله عز وجل .

ذكر الإمام الحميدي[1] ت٢١٩هـ أصول السنة ومنها الإيمان والتصديق بما جاء في القرآن والحديث ، من صفات الله تعالى ، وعدم الزيادة فيه ، والوقوف على ماوقف عليه القرآن والسنة وعدم تفسيره[2]، فمن زعم غير هذا فهو مبطل جهمي[3].

وذكر الإمام ابن المديني ت ٢٣٤هـ رحمه الله الموقف السليم الذي يجب أنْ يسلكه كل مسلم في صفات الله تعالى ، وهو التصديق بما ورد في نصوص الصفات ، والإيمان بها ، والابتعاد عن البحث في الكيفية المفضي إلى التشبيه وعدم الاعتراض بِلِمَ ، والسؤال بكيف ، بل يجب التصديق والإيمان ، حتى ولولم يعلم تفسير حديث من أحاديث الصفات ، ولم يبلغه عقله فقد كفى ذلك واحكم عليه الإيمان به والتسليم[4].

= ص/٢٢٨-٢٢٩والقاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات ١/٥٤رقم/٣٤ورواه الذهبي في العلوص/١٥٦برقم ٤٢٢ وفي كتاب العرش ص/٢٣٤-٢٣٥برقم ٢٠٦وصححه الألباني انظر : مختصر العلو ص/١٦٥ .

(١) عبدالله بن الزبير الحميدي وقد تقدمت ترجمته انظر : ١/٤٧٧ .

(٢) تقدم أنَّ المراد بذلك تفسير الجهمية المعطلة والمشبهة الممثلة انظر : ٢/٤٦٩ .

(٣) انظر : أصول السنة للحميدي ص/٤٩وذكره الإمام الذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين ص/٤٨ .

(٤) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١/١٦٥ .

وقال الإمام أحمد ت٢٤١هـ رحمه الله في أحاديث الصفات : « ... نُؤمن بها ونصدق بها ولاكيف ولامعنى ، ولانرد شيئا منها ، ونعلم أنَّ ما جاء به الرسول ﷺ حق ، ولانرد على رسول الله ، ولانصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلاحد[١] ولاغاية : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ونقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه ، لانتعدى ذلك ، ولايبلغه وصف الواصفين ، نُؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ، ولانزيل عنه صفة من صفاته لشناعةٍ شنعت ، ولا نتعدى القرآن والحديث ، ولانعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ ، وتثبيت القرآن .. »[٢].

ويقصد رحمه الله بقوله : « ولانزيل صفة من صفاته لشناعةٍ شنعت » أي : لانؤول صفة من صفات الله تعالى فنعطلها ونزيلها عن الله تعالى لوهم التشبيه كما فعل المعطلة[٣]. بل نؤمن بها ونثبتها بلا تكييف ولا تمثيل ، ولا تحريف ولا تعطيل !!

وأما قوله : « ولامعنى » فإنَّ المعنى الذي نفاه رحمه الله كما ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين هو : المعنى الذي ابتدعه المعطلة من الجهمية وغيرهم ، وصرفوا به نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها إلى معانٍ تخالفها ، ويدل على ذلك أنه نفى المعنى ، ونفى قبله الكيفية ليتضمن كلامه الرد على كلتا الطائفتين : المعطلة والمشبهة[٤]!

وذكر إسحاق بن راهويه ت٢٥١هـ رحمه الله أنَّ الله تبارك وتعالى وصف نفسه

---

(١) تقدم بيان أنَّ من نفى الحد من أهل السنة إنما يريد بذلك نفي التشبيه انظر : ١/٤٤٥-٤٤٩ .

(٢) ذكره الإمام ابن قدامة في لمعة الاعتقاد مع شرح الشيخ ابن عثيمين ص/ ٣٥وفيذم التأويل ص/ ٢٢وشيخ الإسلام في نقض التأسيس « المطبوع » ١/٤٣١-٤٣٢ودرء التعارض ٢/٣١-٣٢ .

(٣) كما سيأتي انظر : ٢/٥٨٧و٥٩٨و٣/٢٨٠و٢٩٣و٣٠٥و٣٠٨و٣١٨ .

(٤) انظر كتابه : فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص/٦٣وشرح لمعة الاعتقاد ص/٣٦ .

من كتابه بصفات استغنى الخلق كلهم أنْ يصفوه بغيرما وصف به نفسه ، وكل ماوصف به نفسه في كتابه من الصفات إنما يلزم العباد الاستسلام لذلك والتعبد ، ولا نزيل صفة مما وصف به تعالى نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا بكلام ولا بإرادة وإنما يلزم المسلم الأداء ويوقن بقلبه أنَّ ما وصف الله به نفسه في القرآن إنما هي صفاته وإنما يلزم المسلم أن يثبت صفات الله بالاتباع والاستسلام كما جاء[١].

وروى الإمام الترمذي ٢٧٩هـ رحمه الله حديث أبي هريرة رضي الله عنه في فضل الصدقة وفيه « إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره ... »[٢]ثم قال الترمذي رحمه الله : « وقال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه هذا من الروايات في الصفات ، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا . قالوا : قد تثبت الروايات في هذا ويُؤمن بها ولا يتوهم ولا يُقال : كيف ، هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك قالوا في هذه الأحاديث : « أمروها بلا كيف » وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة »[٣].

والمراد بقولهم : « ولايتوهم فيها » أي : لايتوهم في نصوص الصفات التشبيه كما فعل المعطلة الذين اعتبروا إثباتها على ظاهرها كما وردت بدون تأويلها تشبيها[٤]!

وبين الإمام ابن سريج ت٣٠٦هـ رحمه الله منهج أهل السنة في نصوص الصفات

---

(١) ذكره شيخ الإسلام في الرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٤٢٠-٤٢١ .

(٢) سنن الترمذي كتاب الزكاة ٣/٤١ -٤٢رقم ٦٦٢ وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٣) انظر : سنن الترمذي ٣/٤١-٤٢وذكره الذهبي في كتاب العلو ص/٢٦٠-٢٦١برقم٢٣١ وفي كتاب العرش ٢/١٩٨برقم ٥١٨ وذكره الشيخ مرعي الكرمي في أقاويل الثقات ص/١٧٧ .

(٤) كما سيأتي ذكر أقوالهم ونقدها انظر : ٢/٤٨٧ - ٤٣٩ .

وبراءتهم من تأويل المعطلة وتشبيه الممثلة فمما قاله في ذلك : « ... صَحَّ وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين ، والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا : أنَّ جميع الآيات الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته ، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ في الله وفي صفاته التي صححها أهل النقل وقبلها النقاد الأثبات يجب على المرء المسلم المؤمن الموقن : الإيمان بكل واحد منه كما ورد وتسليم أمره إلى الله سبحانه وتعالى ـ ثم ذكر بعض نصوص الصفات ثم فقال : ـ اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابهة في القرآن : أنْ نقبلها ولا نردها ولا نتأولها بتأويل المخالفين ولا نحملها على تشبيه المشبهين ولا نزيد عليها ولا ننقص منها ولا نفسرها ولا نكيفها ... بل نطلق ما أطلقه الله عز وجل ونفسر ما فسره النبي ﷺ وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالديانة والأمانة ونجمع على ما أجمعوا عليه ، ونمسك عما أمسكوا عنه ، ونسلم الخبر الظاهروالآية الظاهرتنزيلها ، لانقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية المكيفة ، بل نقبلها بلا تأويل ، ونؤمن بها بلا تمثيل ، ونقول الإيمان بها واجب ، والقول بها سنة ، وابتغاء تأويلها بدعة »[1].

فبين رحمه الله موقف أهل السنة من نصوص الصفات وممن خالفهم من أهل البدع المعطلة والمشبهة بما يلي :

١ ـ وجوب الإيمان والقبول والتصديق بكل ماورد في كتاب الله تعالى ، وصح عن رسول الله ﷺ من الصفات ، وإجرائها على ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته .

---

(١) ذكره الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٦٢-٦٤وذكر بعضه الإمام الذهبي في العلو ص/٢٠٨والأربعين في صفات رب العالمين ص/٩٠وفي كتابه العرش ٢/٢٧٥ .

٢ ـ أنه لا يجوز ردها ولاتأويلها وتحريفها كما فعل المعطلة ، ولاحملها على تكييف وتشبيه الممثلة ، بل يجب إثباتها كما وردت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

٣ ـ البراءة من كل مقالة تخالف مقالة أهل السنة في صفات الله ، كمقالة أهل التعطيل والتشبيه . وذكر الإمام ابن خزيمة ت٣١١هـ رحمه الله أنَّ أهل السنة والجماعة يصفون الله بصفاته الواردة في كتابه ، أوعلى لسان نبيه ﷺ بنقل العدل عن العدل موصولا إليه ، ولا يحتجون بالأخبار الواهية ، كما لا يحتجون في صفات معبودهم بالآراء والمقاييس(١).

وبين الإمام أبو عبد الله بن خفيف(٢)ت ٣٧١هـ كيف أنَّ أهل السنة من صدر الأمة ومن سار على منهجهم قد قبلوا أخبار الصفات وأثبتوا بها صفات الله عز وجل من غير تشبيه ولا تعطيل ، حتى جاء أهل البدع فعارضوها بالتشبيه ، ودفعوها إلى أحكام المقاييس فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ، فقال في ذلك بعد أنْ ذكر بعض أحاديث الصفات : « ... فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة موافقة لقول النبي ﷺ ، متداولة في الأقوال ومحفوظة في الصدور ولاينكر عليهم أحد من نظرائهم ، نقلها الخاصة والعامة ، مدونة في كتبهم ، إلى أنْ حدث في آخر الأمة من قلل الله عددهم ممن حذرنا رسول الله ﷺ عن مجالستهم ومكالمتهم ، وأمرنا أنْ لانعود مرضاهم ولانشيع جنائزهم ، فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه ، وعمدوا إلى الأخبار فعملوا في دفعها إلى أحكام

---

(١) انظر : كتاب التوحيد لابن خزيمة ١٣٧/١ .

(٢) أبوعبد الله محمد بن خفيف بن اسفكشاش الضبي الفارسي الشيرازي ، الصوفي الشاعر المتوفى سنة ٣٧١هـ انظر : سير أعلام النبلاء ٣٤٢/١٦ .

المقاييس وكفر المتقدمين ، وأنكروا على الصحابة والتابعين ، وردوا على الأئمة الراشدين فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل »[١].

وبين القاضي أبو يعلى ت ٤٥٨هـ رحمه الله أنَّ الواجب حمل أخبار الصفات على ظاهرها من غير تشبيه ولاتأويل فقال في ذلك : « واعلم أنه لا يجوز رد هذه الأخبار على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة ، ولا التشاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشعرية والواجب حملها على ظاهرها ، وأنها صفات لله تعالى لاتشبه سائر الموصوفين بها من الخلق ، ولانعتقد التشبيه فيها لكن على ماروي عن شيخنا وإمامنا أبي عبد الله أحمد بن حنبل وغيره من أئمة أهل الحديث أنهم قالوا في هذه الأخبار : أمروها كما جاءت[٢]، فحملوها على ظاهرها في أنها صفات لله تعالى لاتشبه سائر الموصوفين »[٣].

وذكر الإمام الصابوني ت٤٩٩هـ رحمه الله أنَّ أصحاب الحديث يعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وشهد بها رسوله ﷺ على ما وردت به الأخبار الصحاح ، ونقلت العدول الثقات عنه ، فيثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ولايعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه ، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف ، وَمَنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم ، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه ، واتبعوا قول الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٤].

---

(١) ذكره شيخ الإسلام في الفتوى الحموية ص/٤٤-٤٥وضمن مجموع الفتاوى ٥ ، ٧٥ نقلا عن : اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات لابن خفيف . وقد بحثت عنه فلم أجده !

(٢) تقدم ذكر مقالاتهم في ذلك انظر : ١/١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) إبطال التأويلات لأبي يعلى ١/٤٣-٤٤ .

(٤) انظر : عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٠٦-١٠٧ .

وذكر رحمه الله منهج السلف في نصوص الصفات فمما قاله في ذلك : « ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ماجاء منصوصا في كتاب الله أوصح عن رسول الله ﷺ ، أو أجمعت عليه الأمة ، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أونحوه يسلم له ولا يناظر فيه »(١).

وذكر الإمام البغوي رحمه الله ت ٥١٦هـ بعض نصوص الصفات ثم بين منهج أهل السنة فيها وبراءتهم من التشبيه بقوله : « ... فهذه ونظائرها صفات لله تعالى ورد بها السمع يجب الإيمان بها ، وإمرارها على ظاهرها معرضا فيها عن التأويل مجتنبا عن التشبيه معتقدا أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق كما لاتشبه ذاته ذوات الخلق قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَّهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة تلقوها جميعا بالإيمان والقبول وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل ... »(٢).

وذكر الإمام ابن قدامة ت٦٢٠هـ مذهب السلف في صفات الله تعالى وموقفهم من نصوص الصفات فمما ذكره في ذلك أنَّ مذهب السلف في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى الإيمان بما وصف به تعالى نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله ﷺ من غير زيادة عليها ولا نقصان منها ولا تجاوز لها ولا تفسير لها ولا تأويلها بما يُخالف ظاهرها ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين بل أمروها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها(٣).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٦ .

(٢) شرح السنة للبغوي ١/١٧٠-١٧١ .

(٣) انظر : ذم التأويل لابن قدامة ص/١١ .

وذكر رحمه الله بعض أحاديث الصفات ثم قال : « ... فهذه وما أشبهها مما صح سنده ، وعُدِّلت روايته ، نؤمن به ولانرده ، ولانجحده ولانتأوله بتأويل يُخالف ظاهره ، ولانشبهه بصفات المخلوقين ، ولاسمات المُحْدَثين ، ونعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[١].

وَوَضَّحَ رحمه الله أنَّ أهل السنة يعلمون أنَّ ما قاله الله تعالى ، ورسوله ﷺ - في صفات الله تعالى - حق وصدق ، لا يشكون في ذلك ولا يرتابون ، ولا يتجاوزون ذلك - إلى التشبيه ، أو التعطيل - بل يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به نبيه في سنته ، ويقولون : آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ، يقولون ماقال الله ورسوله ، ويسكتون عما وراء ذلك ، ويتبعون ولايبتدعون ، ويتمسكون بقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣][٢].

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية ت٧٢٨هـ رحمه الله موقف أهل السنة من نصوص أسماء الله وصفاته بقوله : « فمن سبيلهم في الاعتقاد : الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه ، وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله ، أو على لسان رسوله ﷺ من غير زيادة عليها ، ولا نقصان منها ، ولا تجاوز لها ، ولا تفسير لها ، ولا تأويل لها بما يُخالف ظاهرها ، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين ، ولا سمات المحدثين ، بل أمروها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها ...

---

(١) لمعة الاعتقاد لابن قدامة مع شرح الشيخ ابن عثيمين ص/٦١وذكره الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص/١٩١ .

(٢) انظر كتابه : المناظرة في القرآن العظيم ص/٧٦وراجع كتابه : تحريم النظرفي كتب أهل الكلام ص/٥٩ .

وعلموا أنَّ المتكلم بها صادق لاشك في صدقه فصدقوه ، ولم يعلموا حقيقة معناها فسكتوا عما لم يعلموه ، وأخذ ذلك الآخر عن الأول ، وَوَصَّى بعضهم بعضا بحسن الاتباع ، والوقوف حيث وقف أولهم ، وحذروا من التجاوز لهم ، والعدول عن طريقتهم ، وبينوا سبيلهم ومذهبهم ، ونرجوا أنْ يجعلنا الله ممن اقتدى بهم في بيان مابينوه وسلوك الطريق الذي سلكوه »[١].

وبين رحمه الله أنه يجب في نصوص الصفات إثباتها كما جاءت ، وأنْ يُؤمن بها وتصدق ، وَتُصان عن أمرين مفضيين إلى التعطيل والتمثيل : التأويل والتكييف فإنَّ الأول مفضٍ إلى التعطيل ، والثاني مفضٍ إلى التمثيل[٢].

وذكر الإمام ابن كثيرت٧٤٧هـ رحمه الله أنَّ الظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله تعالى ، فإنَّ الله عز وجل لايشبهه شيء من خلقه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة ، والأخبار الصحيحة على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى[٣].

وَسُئل الشيخ حمد بن ناصر بن معمر[٤]ت١٢٢٥هـ ما قولكم أدام الله النفع بعلومكم في آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك ... ؟

فأجاب : « الحمد لله رب العالمين ، قولنا في آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك : ما قاله الله ورسوله ، وما قاله سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ، والأئمة الأربعة وغيرهم من المسلمين ، فنصف الله تعالى بما وصف به نفسه في

---

(١) نقض المنطق ص/ ٢وضمن ضمن مجموع الفتاوى ٤/٢-٣ .

(٢) انظر : الرسالة المدنية لابن تيمية ص/٢٩وضمن مجموع الفتاوى ٦/ ٣٥٥ .

(٣) انظر : تفسيرابن كثير ٢/٢٣٠ .

(٤) تقدمت ترجمته انظر : ص/٢٨٧ .

كتابه ، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل نُؤمن بأنَّ الله سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه ، ولانحرف الكلم عن مواضعه ، ولا نلحد في أسماء الله وآياته ولانكيف ولانمثل صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ، ولاند له ولا يُقاس بخلقه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فهو سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله بل يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تكييف ولا تمثيل خلافا للمشبهة ، ومن غير تحريف ولا تعطيل خلافا للمعطلة فمذهبنا مذهب السلف إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل ... »[1].

وَسُئل الشيخ عبد الله بن الإمام محمد بن عبد الوهاب[2] ت ١٢٤٢هـ عن آيات الصفات وأحاديثها الواردة في الكتاب والسنة ، وما ينبغي للمسلم أنْ يسلكه في ذلك فقال : « ... الذي نعتقد وندين الله به هو : مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من الأئمة الأربعة وأصحابهم رضي الله عنهم وهو : الإيمان بذلك والإقرار به وإمراره كما جاء من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] وقد شهد الله

---

(١) كتاب الأسماء والصفات ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٣/٥٣-٥٤ .

(٢) عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي الإمام العلامة الحبر الورع الحافظ الثقة الثبت الشجاع أحذ العلم عن والده وخلق كثير كان عارفا بالتفسير لايُجارى فيه وبأصول الدين وإليه المنتهى وفي الحديث والتفسير والفقه والعربية وغيرذلك من مصنفاته : « جواب أهل السنة في نقض كلام الشيعة الزيدية » و « الفصول النافعة في المكفرات الواقعة » توفي في مصر سنة ١٢٤٢هـ انظر : كتاب التراجم ضمن الدرر السنة ١٦/٣٧٦-٣٨٠ . الأعلام ٤/١٣١ .

تعالى لأصحاب نبيه ﷺ ومن تبعهم بإحسان بالإيمان فعلم قطعا أنهم المراد بالآية فقال : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ﴾ ... فثبت بالكتاب لهم أنَّ من اتبع سبيلهم فهو على الحق ، ومن خالفهم فهو على الباطل فمن سبيلهم في الاعتقاد : الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في كتابه وتنزيله أوعلى لسان رسوله ﷺ من غير زيادة عليها ، ولا نقصان منها ، ولا تجاوز لها ، ولا تفسير ولا تأويل لها بما يُخالف ظاهرها ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين ، بل أقروها كما جاءت وردوا علمها إلى القائل بها ... »[1].

وأقوال أهل السنة الدالة على موقفهم من نصوص الصفات أعظم من أنْ تحصر وإنما ذكرت منها بالتسلسل التاريخي ما يتبين به موقفهم من نصوص الصفات ، وكيف أنهم ارتضوا في ذلك الموقف السليم الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول ، المبني على الإيمان بها والتصديق بها ، وإثباتها كما وردت مع الابتعاد في ذلك عن تكييف مفضٍ إلى تمثيل وتأويل مؤدٍ إلى تعطيل ، كما نزهوا الله تعالى عن مقالة أهل التعطيل والتشبيه ، وأثبتوا صفاته عز وجل كما وردت على وفق قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

○ ○ ○ ○

(١) مجموعة الرسائل النجدية ٤٨/١وكتاب الأسماء والصفات ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١٨/٣-١٩ .

المبحث الثاني

مقالة المعطلة ظواهر نصوص الصفات موهمة للتشبيه وموقف أهل السنة منها

من أعظم الشبه التي اعتمد عليها المعطلة فيما نفوه من الصفات قولهم : إنَّ ظواهر نصوص الصفات موهمة للتشبيه ، وأنَّ ظاهرها غير مراد لله تعالى ، بل المراد منها شيء آخر غير ظواهرها ولا بُدَّ من صرفها عن ذلك وتأويلها لتنزيه الله عما سموه تشبيها[١]!

وتعتبر هذه المقالة من أشهر مقالاتهم التي عارضوا بها وحي الله تعالى وعطلوا الله بها عن صفات الكمال ، طلبا لتنزيه الله عز وجل عما توهموه تشبيها ، الذي حرفوا من أجله نصوص الصفات ، حتى أختار بعضهم أنْ يجعلها عنوانا لكتابه فسماه « تأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه »[٢]. وآثر بعضهم أنْ يعنون بها فصول

---

(١) انظر : مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص/١٢و٤٢و٥٤وأصول الدين للبغدادي ص/ ١٢و٢٣وديوان الأصول لأبي رشبيد النيسابوري المعتزلي ص/٥٧٨والمحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار ص/٢٠٠والاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامدالغزالي ص/٣٦ودفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص/١٠٠و١٠١وأساس التقديس للرازي ص/١٦و١٧٢والسيف الصقيل في الرد على ابن زفيل للسبكي ص/١١٤ودفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد لأبي بكر الحصني ق/١٤ب والبرهان في علوم القرآن للزركشي٢/٧٨ شرح المسايرة لابن أبي شريف ص/٣٥ وإشارات المرام للبياضي ص/١٠٧ونشر الطوالع لساجقلي زاده ص/ ٢٢٧-٢٢٩وشرح جوهرة التوحيد للباجوري ص/٩١ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢/٢٩٢وتعليقات الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي ص/٣١٤ ومقدمة وهبي غاوجي الألباني على إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة ص/ ٥١و٥٥والعقائد لحسن البنا ص/٧٦والمدرسة السلفية للدكتورمحمد عبد الستارنصار١/١٠٢ والتفكير الفلسفي في الإسلام للدكتور : عبد الحليم محمودص/١٧١و١٨٧والفرق الكلامية الإسلامية للدكتور : عبد الفتاح المغربي ص/٢٩١والباقلاني وآراؤه الكلامية للدكتور : محمد رمضان عبدالله ص/ ٥١٠وعلاقة صفات الله بذاته للدكتور : راجح الكردي ص/٧١و١٨٧واليقينيات الكونية للدكتور : البوطي ص/١٣٧و١٤٧ .

(٢) لجلال الدين السيوطي .

ومباحث كتابه كما فعل ابن فورك في كتابه « مشكل الحديث وبيانه » حيث ضمنه أحاديث الصفات الموهمة عنده التشبيه وقام بتأويلها وتحريف معناها ، وقد أختار أنْ يجعل عناوين مباحث كتابه بهذه المقالة : « ذكر خبر مما يقتضى التأويل ويوهم التشبيه »[١]. ليدلل بذلك أنَّ ظواهر النصوص تُوهم التشبيه فلا بُدَّ من صرفها عن ظاهرها بتأويلها طلبا لتنزيه الله عن التشبيه المزعوم !

وقد وضع أبو حامد الغزالي منهجا تجاه نصوص الصفات الموهمة عنده التشبيه حيث قسم الناس تجاه نصوص الصفات إلى عوام وعلماء .

فالعوام كما ذكر عليهم أنْ يؤمنوا بظواهر النصوص كما وردت ، ولايُخاض بهم في التأويلات ، بل ينزع من عقائدهم كل ما يوجب التشبيه ، وإنْ سألوا عن معاني هذه الآيات زُجروا وقيل لهم : هذا بعثكم فادرجوا فإنَّ لكل علم رجالا ! وأما العلماء فاللائق بهم تعريف ذلك وتفهمه ، وتنزيه الله تعالى عن كل مايشبهه بغيره .[٢]!

وهذا المنهج في الحقيقة منهج فلسفي ، فإنَّ المتفلسفة يقسمون نصوص الشريعة إلى ظاهر ومؤول ، فالأول كما زعموا من نصيب الجمهور ، والمؤول من نصيب علماء الفلاسفة ثم الجمهور فرضهم من الشريعة كما ذكر ابن رشد[٣]، أنْ يحملوها على ظاهرها ويتركوا التأويل ، وأنَّ العلماء عليهم أنْ يُؤولوا ولا يصرحوا بذلك للجمهور[٤]!

ولاغرو فإنَّ أبا حامد الغزلي قد كان في إحدى مراحله التي مَرَّ بها متفلسف

---

(١) انظر : مشكل الحديث وبيانه لابن فورك فالكتاب كله على هذا المنوال .

(٢) انظر كتابه : الاقتصاد في الاعتقاد ص/٣٦ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ١/١١٨ .

(٤) انظر : مناهج الأدلة في عقائد الملة ص/١٣٢-١٣٣ .

يخضع وحي الله تعالى لشبهات الفلاسفة[١].

أما ما أختاره لمن سماهم العوام تجاه ظواهر النصوص الموجبة للتشبيه على زعمه فهو منهج تفويض المعنى[٢]، والذي هو في الحقيقة التجهيل ، وعدم محاولة فهم معاني نصوص الصفات ، لأنَّ إثبات معانيها كما يزعمون مُوهم للتشبيه .

وَادَّعى أبو بكر الحصني ت٨٢٩هـ أنَّ الأخذ بظواهر نصوص الصفات عين التشبيه وكفرٌ بالقرآن ، ولا يفعل ذلك إلا جهلة الناقلين على زعمه لأحاديث الصفات الذين ليس لهم علم بالمعقولات التي بها يعرف ما يجوز وما يستحيل على الله[٣].

فجعل الأخذ بظواهر نصوص الصفات دون تأويلها تشبيها وكفرا ، ونبز المحدثين الناقلين لأحاديث الصفات بالجهل ، وعلل ذلك لعدم معرفتهم بالمعقولات التي هي أدلة الكلام المذموم ، والتي كما زعم تُعرض عليها ظواهر نصوص الصفات لمعرفة مايجوز وما يستحيل على الله تعالى ، وهذه المعقولات ماهي في الحقيقة إلاجهالات وخيالات وهمية صرفت أهل الكلام عن اتباع الوحي ، ووصف الله عز وجل بصفات الكمال !

وبناءً على مقالتهم : إنَّ ظاهر نصوص الصفات موهمة للتشبيه التي حرفوا معانيها وعطلوا الله تعالى عن صفات الكمال ، حكموا على من أثبت مانفوه من الصفات بالكفر أو الابتداع ، كما ذكر السنوسي[٤]ت٨٩٥هـ أنَّ من اعتقد بظواهر نصوص

---

(١) انظر كتابه : المنقذ من الضلال ص/٨ .

(٢) سيأتي نقده و بيان موقف أهل السنة منه انظر : ص/٧٠٣

(٣) انظر كتابه : دفع شبه من شبه وتمرد ق١٤/ب .

(٤) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني المتكلم ، له تصانيف كثيرة منها « شرح جمل الخونجي » في المنطق ، و « عقيدة أهل التوحيد » و « شرح أم البراهين » مات سنة ٨٩٥هـ انظر : الأعلام ١٥٤/٧ .

الصفات الموهمة للتشبيه فقد كفر عند جماعة ، وابتدع عند جماعة أُخرى[١]!

واعتبر القول بظواهر نصوص الصفات من أصول الكفر فقال في ذلك : « أصول الكفر ستة ـ ثم عدد منها خمسة ـ ثم قال : ... التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على بصيرة في العقل ، وهو أصل ضلال الحشوية ، فقالوا : بالتشبيه والتجسيم والجهة عملا بظواهر قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك : ١٦] ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ سورة [ص : ٧٥] ونحوها »[٢]!

ونَظَّمَ إبراهيم اللقاني[٣]ت ١٠٤١هـ هذه المقالة بقوله :

وكل نصٍ أوهم التشبيها أَوِّله أوفَوِّض ورم تنزيها[٤].

قال شارح منظومته إبراهيم الباجوري[٥]ت١٢٧٧هـ : « والمراد بالنص هو : ما قابل القياس ، والاستنباط ، والإجماع ، وهو الدليل من الكتاب أوالسنة ، سواء كان صريحا أو ظاهرا »[٦]. وذكر أن قوله : « أوهم التشبيها » أوقع في الوهم صحة القول به بحسب ظاهره !وقوله : « أَوِّله » احمله على خلاف ظاهره مع بيان

---

(١) انظر : شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى للسنوسي ص/٥٠٢ .

(٢) شرح أم البراهين للسنوسي المطبوع مع حاشية الدسوقي ص/٢١٧-٢١٩ .

(٣) أبوالإمداد إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني ، المتصوف المتكلم ، نسبة إلى « لقانة » من البحيرة بمصر ، من مصنفاته : « جوهرة التوحيد » منظومة في العقيدة و « حاشية على مختصر خليل » في الفقه المالكي . مات سنة ١٠٤١هـ انظر : الأعلام ٩١/١ .

(٤) جوهرة التوحيد للقاني المطبوعة مع شرحها تحفة المريد للباجوري ص/٩١ .

(٥) إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري ، شيخ الجامع الأزهر في زمانه ، نسبته إلى « الباجور » من قرى المنوفية في مصر ، المتكلم الشافعي الأشعري من مصنفاته : « حاشية على مختصر السنوسي » و « تحفة المريد على جوهرة التوحيد » مات سنة ١٢٧٧هـ انظر : الأعلام ٧١/١ .

(٦) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص/٩١ .

المعنى المراد ، فَيُؤول تأويلا تفصيليا كما هو مذهب الخلف أو يفوض المراد من النص الموهم إليه تعالى على طريقة السلف !

وقوله : « ورم تنزيها » أي : واقصد تنزيها له تعالى عما لا يليق به ، مع تفويض علم المعنى المراد ، أو تأويله !

فظهر مما قررناه اتفاق السلف والخلف على التأويل الإجمالي ، لأنهم يصرفون النص الموهم للتشبيه عن ظاهره المحال لله تعالى(١)!

فاعتبر ظاهر نصوص الصفات موهما للتشبيه ، ثم ادَّعى اتفاق السلف مع الخلف المتكلمين في صرف هذا الظاهر الموهم للتشبيه بالتأويل ، الذي هو تفويض المعنى عند السلف كما يدعي المعطلة وتأويله إلى معنى آخر يخالف ظاهره بغرض التنزيه المزعوم عند الخلف الذي هو في الحقيقة تحريف وتعطيل !

والتأويل الإجمالي الذي يقصده هؤلاء المعطلة هو : اعتقاد أن للنص معنى آخر خلاف المعنى الظاهر الذي يفوضون العلم به إلى الله .

فالمفوض اجتمع عنده التشبيه والتعطيل والتأويل الفاسد حيث أنه لم يفهم من نصوص الصفات إلا التشبيه ، ثم عطل الله تعالى ، وأول الصفات تأويلا فاسدا بصرفها عن ظاهرها اللائق بالله تعالى بالتأويل المذموم الذي هو التجهيل وتعطيل الله بذلك عن صفات الكمال !

فالسلف والخلف عند هؤلاء المتكلمين متفقون في صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الموهم للتشبيه على حد سواء ، بيد أن السلف اكتفوا بتفويض المعنى الذي هو التأويل الإجمالي كما زعموا ، والذي وصفوه بأنه المنهج الأسلم !

والخلف سلكوا منهج تأويل النصوص إلى معنى آخر مطابقا لأدلة العقول الكلامية

---

(١) انظر : المرجع نفسه ص/٩١ .

وهذا المنهج كما زعموا أنه الأعلم الأحكم ، لما فيه من تعيين المعنى المراد كما ادَّعوا !

ولذا قالوا مقالتهم المشهورة التي فضلوا فيها منهجهم ووصفوا فيها منهج السلف بالجهل بقولهم : « منهج السلف أسلم ومنهج الخلف أعلم وأحكم »[١].

وزعم الزرقاني[٢] ت١٣٦٧هـ أنَّ حمل النصوص على ظاهرها مع القول بأنها باقية على حقيقتها ليس رأيا لأحدٍ من المسلمين ، وإنما هو رأيٌ لبعض أصحاب الديانات الأخرى كاليهود والنصارى ، وأهل النحل الضالة كالمشبهة والمجسمة وليس للمسلمين عمدة في أمور العقائد إلا الأدلة العقلية ، كالقول بأنَّ الله ليس بجسم ولامتحيز ولا في جهة ونحوها[٣].

وادَّعى الكوثري ت١٣٧١هـ أنَّ السلف والخلف متفقون على صرف نصوص الصفات الموهمة للتشبيه ، وتنزيه الله في ذلك عن التشبيه بالتفويض أوالتأويل ، وأنه ليس هناك إلا التنزيه مع التفويض ، أوالتنزيه مع التأويل عند أهل الحق سلفا وخلفا ومن سَدَّس القسمة لترويج بدعته فقد راوغ وجعل القسمة قسيما[٤].

---

(١) انظر : إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة ص/٩٢-٩٣وشرح الخريدة البهية لأحمد الدردير ص/٤٢-٤٣ورسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة لمحمد بن درويش البيروتي ص/٣٠-٣١وشرح جوهرة التوحيد للباجوري ص/٩١-٩٢واتحاف الكائنات في بيان مذهب السلف والخلف في المتشابها ت لمحمود خطاب السبكي ص/٢٥ . وراجع : مذهب التفويض في نصوص الصفات عرض ونقد : لأحمد بن عبدالرحمن القاضي ص/٤٤١-٤٤٣ .

(٢) محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر تخرج بكلية أصول الدين ، وعمل بها مدرسا ، لعلوم القرآن والحديث من كتبه « مناهل العرفان في علوم القرآن » مات سنة ١٣٦٧هـ انظر : الأعلام ٦/٢١٠ .

(٣) انظر كتابه : مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/١٨٨ .

(٤) انظر تعليقاته : على الأسماء والصفات للبيهقي ص/٣١٤وراجع : مقدمة وهبي سليمان غاوجي الألباني على كتاب إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة ص/٥١و٥٥ =

ويقصد بقوله الأخير شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله الذي ذكر أنَّ جِماع الأقسام الممكنة في نصوص الصفات ستة أقسام ومنهم : أهل السنة الذين يقولون تجري على ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته من غير تشبيه ولا تعطيل[١]، وهذا المنهج عند الكوثري وأضرابه المتكلمين تشبيه وتجسيم !

فالكوثري يدعي اتفاق السلف مع المتكلمين المعطلة في صرف نصوص الصفات الموهمة للتشبيه على زعمه إما بالتفويض الذي هو مذهب السلف ، أو التأويل الذي هو مذهب الخلف ، ويصف من خالف هذا المنهج فسلك منهج الإثبات مع التنزيه بالمراوغة . وزعم الكوثري أيضا أنَّ من حمل نصوص الصفات على ظاهرها فقد شبه الله بخلقه لأنه استعمل المعنى المراد استعماله في الخلق من غير تأويل ، وهذا تشبيه صريح[٢]!

فهؤلاء المعطلة بسبب تأثرهم بالكلام المذموم جعلوا معقولاتهم التي استنبطوها من فلسفة اليونان هي المعول عليها في مسائل الصفات ، وجعلوا اعتقاد ما تدل عليه ظواهر نصوص الصفات بدون تأويلها تشبيها وكفرا ، فعكسوا الأمر فاعتبروا تأويلهم وتعطيلهم تنزيها ، وإثبات الصفات تشبيها وكفرا !

وزادوا على ذلك بهتانهم على السلف حيث زعموا أنَّ مذهبهم في نصوص الصفات هو : صرفها عن ظواهرها الموهم للتشبيه بتفويض المعنى !

= فإنه ادَّعى اتفاق السلف والخلف على وجوب تأويل الصفات وصرف ظواهر نصوصها الموهمة للتشبيه بالتأويل !!

(١) ومنها مذهب المشبهة كما تقدم انظر : ١/ ٣٥٣ ـ ٣٥٥ وقسمان يقولون : تجري نصوص الصفات على غير ظواهرها وهم المتكلمون وغيرهم ، وقسمان يسكتون وهم : المفوضة والواقفة . انظر : الفتوى الحموية ص/٦٦-٦٧وضمن مجموع الفتاوى٥/١١٣-١١٧ .

(٢) انظر كتابه : تكملة الرد على نونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل للسبكي ص/١٣٣ .

موقف أهل السنة من مقالات المعطلة في نصوص الصفات

أما موقف أهل السنة من مقالات المعطلة في نصوص الصفات ، وقولهم إنَّ ظواهر نصوص الصفات موهمة للتشبيه ، وأنها غيرمراد ، وأنَّ مذهب السلف تفويض المعنى ، وأنهم متفقون مع الخلف في صرف نصوص الصفات عن ظاهرها وأنَّ مذهب الخلف أعلم وأحكم لما فيه من تعيين المعنى المراد بالنصوص بالتأويلات إنَّ هذه المقالات عند أهل السنة مشتملة على أمور باطلة ، وقضايا وهمية كاذبة وقد ناقشوهم في هذه المقالات ، وفندوا ما تضمنته من التحريف والبهتان والتعطيل ، والقول على الله بلا علم ، ويتبين موقفهم من ذلك بعدة وقفات .

الوقفة الأولى : إنَّ مقالتهم ظواهر نصوص الصفات موهمة للتشبيه

وأنها غير مرادة وإنما المراد منها شيء آخر يتعين بالتأويل مقالة منكرة باطلة ، مخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول ، وفيها كلام مجمل أدرجوا فيه باطلهم ، كما أنَّ فيها قولا على الله بلا علم ، وجناية على النصوص وعلى من جاء بها ، وعلى المسلمين وأهل السنة بريئون من مقالتهم هذه غاية البراءة ، ويتبين ذلك بوجوه :

الوجه الأول : أما مخالفتها لصحيح المنقول فإنَّ الله تعالى أنزل كتابه على رسوله ﷺ بلسانٍ عربي مبين ، ليعقله الناس ويتبعوا ما أُنزل إليهم من ربهم ، وليس فيه شيء موهم للباطل قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥] وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : ٣] وقال تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٣] .

ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله أن الله تعالى قد أنزل القرآن باللسان العربي من أجل عقله وفهمه وأمرنا باتباعه فوجب علينا إجراؤه على ظاهره

بمقتضى ذلك اللسان العربي إلا أنْ يمنع منه دليل شرعي ولافرق في هذا بين نصوص الصفات وغيرها بل قد يكون وجوب التزام الظاهر في نصوص الصفات آكد وأوجب ، لأنَّ مدلولها توقيفي محض لامجال للعقول في تفاصيله(١).

فوجب إجراؤها على ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته بلا تحريف ولا تعطيل ولاتكيف ولا تمثيل ، ولافرق في ذلك بين آيات الصفات وأحاديثها لأنَّ الكل وحي من عند الله جل وعلا قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣ - ٤] وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] فبين الرسول ﷺ ما أنزل إليه من ربه أتم بيان ، لا فرق في ذلك بين نصوص الصفات وغيرها ، بل ما يتعلق منها بذات الله كإثبات مايجب له من صفات الكمال ، ومايتنزه عنه من صفات النقص والعيوب والتشبيه والتمثيل أوجب ، لذا بينه عليه السلام أتم بيان ، ولوكانت نصوص الصفات موهمة للتشبيه لنزه رسول الله ﷺ عنها ربه غاية التنزيه ، لأنَّ ذلك مما يُضاد وصفه تعالى بصفات الكمال الثابتة له عز وجل .

ولو كان لها معانٍ آخرغير ظاهرها لبينه النبي ﷺ ولهدى الناس إليه ، لأنه ﷺ مرشدٌ للناس إلى صراط مستقيم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] لكن لما لم يكن لها معنى آخرغير ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته بينه المصطفى ﷺ أتم بيان بالقول تارة ، أوبه مع الإشارة الدالة على تقرير معاني نصوص الصفات وتوكيدها وتحقيق الصفات(٢)وبيان أنَّ المراد منها ظاهرها اللائق به تعالى ، لامعنىآخريتعين بالتأويل كما يزعم المعطلة الذين انحرفوا عن

---

(١) انظر كتابه : تقريب التدمرية ص/٥٥والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص/٤٢ .

(٢) سيأتي ذكر أمثلة من أحاديث الصفات الدالة على تحقيق الصفة والرد على من ادَّعى فيها التشبيه انظر : ٢/٥٤٥ .

منهج الرسول ﷺ وأتباعه ، وسلكوا مناهج اليهود[١] وفلاسفة اليونان أهل الشرك والإلحاد[٢]! .

فالقول بأنَّ ظاهر نصوص الصفات غيرمراد وأنَّ المراد به معنى آخريتعين بالتأويل ما هو إلا تحريف لما أنزل الله علىرسوله وهومن صَنيع الذين ذمهم الله على تحريفهم وبين أنهم بذلك من أبعد الناس عن الإيمان فقال : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٧٥] وقال تعالى : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [النساء : ٤٦] .

الوجه الثاني : أما مخالفة مقالتهم لصريح المعقول الموافق لصحيح المنقول فإنَّ العقل السليم كما ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين يدل على أنَّ المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره ، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين فوجب قبوله وإثباته على ظاهره بلا تأويل وإلا لتفرقت الأمة واختلفت الآراء[٣]!

والظاهر المتبادر إلى الذهن من معاني نصوص الصفات إلى العقل الصريح الموافق للنقل الصحيح هو الحق الذي يجب إثباته عند ذوي العقول الصريحة بشرط نفي المماثلة مع إثبات الصفات على وفق قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : « والحق الذي لايشك فيه أدنى

---

(١) ذكر شيخ الإسلام أنَّ سند مقالة المعطلة هم اليهود والمشركون انظر : الفتوى الحموية ص/ ١٣وضمن مجموع الفتاوى ٥/ ٢٠ .

(٢) تقدم أنَّ مصدر علم الكلام المذموم الذي سلكه هؤلاء المتكلمون المعطلة هم فلاسفة اليونان ، الذين ترجمت كتبهم أيام الخليفة المأمون انظر : ١/ ١٩٩ .

(٣) انظر : القواعد المثلى ص/٤٢ .

عاقل أنَّ كل وصف وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ والظاهر المتبادر المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث ، فمجرد إضافة الصفة إليه جل وعلا يتبادر إلى الفهم أنه لامناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق وبين شيء من صفات المخلوقين .

وهل ينكر عاقل أنَّ السابق إلى الفهم المتبادر لكل عاقل هو منافاة الخالق للمخلوق بذاته وجميع صفاته ؟! .

لا والله لاينكر ذلك إلا مكابر ، والجاهل المفتري الذي يزعم أنَّ ظاهر آيات الصفات لايليق بالله لأنه كفر(١)وتشبيه إنما جرَّ إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق ، فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله عز وجل وعدم الإيمان بها ، مع أنه ﷺ هوالذي وصف نفسه بها ، فكان هذا الجاهل مشبها لله أولا ، ثم معطلا ثانيا فارتكب مالا يليق بالله ابتداءً وانتهاءً ولوكان قلبه عارفا بالله كما ينبغي ومعظما لله كما ينبغي لَطَهُرمن أقذار التشبيه ، ولكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه أنَّ وصف الله تعالى بالغ في الكمال مايقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين ، ولكان قلبه مستعدا للإيمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق على نحو قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٢).

الوجه الثالث : إنَّ أهل السنة والجماعة الذين ينبزهم هؤلاء المعطلة بالتشبيه والكفر لإجرائهم نصوص الصفات على ظاهرها بريئون من ذلك غاية البراءة

---

(١) كما قال السنوسي والزرقاني والكوثري انظر : ٢/٤٩٠ و٤٩٢ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢ /٣١٩-٣٢٠ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص/١٩-٢٠وراجع كتابه : الإقليد للأسماء والصفات والإجتهاد والتقليد ص/٤٢-٤٣ .

وليسوا مشبهة ، بل إنما أثبتوا صفات الله عز وجل كما وردت من غير تشبيه ولا تمثيل ، وكان إجراؤهم لنصوص الصفات على ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته مقتضى الأدلة الشرعية التي خاطب الله بها عباده وأراد منهم أنْ يثبتوها كما وردت فاتبعوا في ذلك وحي الله تعالى .

حيث ذكر الله عز وجل في كتابه التنزيه والإثبات بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٣ - ٤] .

وقال في الإثبات : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة : ٦٤] ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ونحوها . فأخذ أهل السنة بهذه النصوص مجتمعة فأثبتوا صفات الله تعالى كماوردت مع تنزيه الله عن التشبيه والتمثيل ، ولم يأخذوا بأحدهما كما فعل المعطلة والمشبهة[١] فكان إجراؤهم لنصوص الصفات على ظاهرها إنما كان على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته من غير تمثيل[٢] ، فكان هذا القيد دليلا على براءتهم من مقالة التشبيه ، كما أنَّ قولهم في نصوص الصفات « أمروها كما وردت »[٣] دليل على براءتهم من مقالة التعطيل !

ونصوص الصفات إنما أُنزلت ليُفهم معناها ، وَيُثبت ماتدل عليه من صفات الكمال لله تعالى على الوجه اللائق به جل وعلا ، ولوكان كما يقول المعطلة

---

(١) تقدم بيان ذلك انظر : ١/١٢٨ .

(٢) انظر : الفتوى الحموية٥/١١٣وضمن مجموع الفتاوى ٥/١١٣والصواعق المرسلة ٢/ ٤٢٥-٤٢٦ومختصر الصواعق المرسلة١/٣٦والقواعد المثلى ص/٤٢و٤٥-٤٦وتقريب التدمرية ص/١٩و٤٦و٥٥والقول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص/٣٥٩ .

(٣) انظر : ١/١٢٩ - ١٣٠ .

لامعنى لها ، أوأنَّ معناهاغير مراد ويتعين بالتأويل لما كان لنزولها فائدة ، وحاشا كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ أن يدلا الناس على تشبيه وكفر ، بل لايفهم منها ذلك إلا أهل البدع ممن ضَلَّ بالكلام المذموم !

وقد تقرر عند أهل السنة أنَّ ما وصف الله به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ حق يجب إثباته على ظاهره وحقيقته بدون تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، ولا يمكن أنْ يُخاطب الله عباده بما يريد منهم خلاف ظاهره بدون بيان ، كيف وقد قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [النساء : ٢٦] وقال : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ﴾ [النساء : ١٧٦] ويقول عن رسوله ﷺ : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] ويقول : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] ومن خاطب غيره بما يريد بيان خلافه بدون بيان فإنه لم يبين له ولم يهده !

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان على أنَّ نصوص الصفات تجري على ظاهرها اللائق بالله تعالى من غير تحريف ، وأنَّ ظاهرها لا يقتضي تمثيل الخالق بالمخلوق(١).

فذكر الإمامان الخطابي والخطيب البغدادي وغيرهما أنَّ منهج السلف في نصوص الصفات إجراء آيات الصفات وأحاديث الصفات على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها(٢).

قال شيخ الإسلام معلقا على ذلك : « فقد أخبرك الخطابي والخطيب وهما إمامان

---

(١) انظر : تقريب التدمرية ص/٥٥ .

(٢) ذكره ابن قدامه في ذم التأويل ص/٢٢وابن تيمية في الرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٤٧٢-٤٧٣وفي الفتوى الحموية ص/٣٤-٣٥وضمن مجموع الفتاوى ٥/٥٨و٦/ ٣٥٥والذهبي في سيرأعلام النبلاء ١٨/٢٨٤ .

من أصحاب الشافعي رحمه الله متفق على علمهما بالنقل ، وعلم الخطابي بالمعاني أنَّ مذهب السلف إجراؤها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها والله تعالى يعلم أنِّي قد بالغت في البحث عن مذاهب السلف فما علمت أحدا منهم خالف ذلك ... »[(١)].

وذكر رحمه الله أنه بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف مارأى كلام أحد منهم يدل لانصا ولاظاهرا ولابالقرائن على نفي الصفات الخبرية بل الذي رآه أن كثيرا من كلامهم يدل إما نصا أوظاهرا على تقريرجنس الصفات وما رأى أحدا ينفيها وإنما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة والمعطلة كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري : « من شبه الله بخلقه فقدكفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها » وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرف في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا عنه : جهمي معطل لأن الجهمية والمعتزلة يسمون من أثبت الصفات مشبها[(٢)]!

وإجراء النصوص على ظاهرهاكما يليق بجلال الله وعظمته على ماذهب إليه السلف ليس تشبيها كما يزعم أهل التعطيل ، بل هوكما بين الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله المذهب الصحيح والطريق القويم وذلك لأمرين :

الأمرالأول : إنه تطبيق تام لما دلَّ عليه الكتاب والسنة من وجوب الأخذ بما جاء فيهما من أسماء الله وصفاته كما يعلم ذلك من تتبعه بعلم وإنصاف .

والثاني أنْ يُقال : إنَّ الحق إما أنْ يكون فيما قاله السلف ، أوفيما قاله غيرهم والثاني باطل لأنه يلزم منه أنْ يكون السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان

---

(١) الرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٤٧٢/٦-٤٧٣ .

(٢) انظر : الفتوى الحموية ص/٦٤وضمن مجموع الفتاوى ١٠٩/٥-١١٠ .

تكلموا بالباطل تصريحا أوظاهرا ، ولم يتكلموا مرة واحدة لاتصريحا ولاظاهرابالحق الذي يجب اعتقاده وهذا يستلزم أنْ يكونوا إما جاهلين بالحق وإماغيرعالمين به لكن كتموه وكلاهما باطل ، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم ، فتعين أنْ يكون الحق فيما قاله السلف رضوان الله عليهم دون غيرهم[١].

وقد تقدم بيان موقفهم من نصوص الصفات المبني على إمرارها وإثباتها كما وردت بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل[٢]، كما تقدم موقفهم من مقالة المشبهة إنَّ ظواهر نصوص الصفات لايعقل منها إلا التشبيه[٣].

الوجه الرابع : إنَّ مقالة هؤلاء المعطلة إنَّ ظاهر نصوص الصفات غيرمراد لأنه تشبيه كلام مجمل أدرجوا فيه باطلهم ليصرفوا الناس عن قبول الحق الذي سار عليه أهل السنة والذي اعتبروه تشبيها وشركا ، وتوضيح ذلك كا بين شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ لفظ الظاهرفيه إجمال واشتراك ، فإنْ كان القائل يعتقد أنَّ ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين أوما هو من خصائصهم فلا ريب أنَّ هذا غير مراد ، ولكنَّ السلف والأئمة لم يكونوا يُسمون هذا ظاهرها ، ولا يرتضون أنْ يكون ظاهر القرآن والحديث كفرا وباطلا ، والله أعلم وأحكم من أنْ يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هوكفر أو ضلال .

والذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون من وجهين :

تارة يجعلون المعنىالفاسد ظاهر اللفظ حتى يجعلوه محتاجا إلى تأويل يُخالف الظاهر ولا يكون كذلك ، مثال ذلك قوله تعالى في الحديث القدسي : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : ياابن آدم مرضت فلم تعدني . قال : ياربي : كيف أعودك

---

(١) انظر : القواعد المثلى ص/٤٦ .

(٢) انظر : ٤٦٧/٢ .

(٣) انظر : ٤٩٤/٢ .

وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أنَّ عبدي فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده ، يا ابن آدم : استطعمتك فلم تطعمني . قال : ياربي! وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلانٌفلم تطعمه ، أما علمت أنك لوأطعمته لوجدت ذلك عندي ، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني . قال : يارب ! كيف أسقيك وأنت رب العالمين ، قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما إنك لوسقيته وجدت ذلك عندي »[1]!

فقال هؤلاء المبتدعة : ظاهرالحديث إنَّ الله يمرض ويجوع ويعطش ، وهذا معنى فاسد فيكون غيرمراد ! فَيُقال لهم : لوأعطيتم النص حقه لتبين لكم أنَّ هذا المعنى الفاسد ليس ظاهرالنص لأنَّ سياق الحديث يمنع ذلك ، فقدجاء مفسرا بقول الله تعالى في الحديث نفسه : « أما علمت أنَّ عبدي فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنه استطعمك عبدي فلانا فلم تطعمه ، واستسقاك عبدي فلانا فلم تسقه »! .

وهذا صريح في أنَّ الله سبحانه لم يمرض ولم يجع ولم يعطش ، وإنما حصل المرض والجوع والعطش من عبدٍ من عباده ، فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج إلى تأويل !

وتارة يريدون المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ لاعتقادهم أنه باطل ، كما فعلوا في نصوص الصفات حيث زعموا أنَّ ظاهرها موهم للتشبيه ، وأنها غير مرادة بل المراد منها معنى آخر غير ظاهرها يتعين بالتأويل ، كما فعلوا في قول الله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] حيث قالوا : ظاهرالآية إنَّ الله على العرش ، والعرش محدود متحيز ، وهذا معنى فاسد ، لأنه تشبيه فيكون معنى آخر وهو الاستيلاء[2].

---

(١) رواه مسلم في كتاب البروالصلة ٤/١٩٩٠ح٢٥٦٩ .

(٢) ستأتي مقالات المعطلة في ذلك عند ذكر وقوعهم في مقالة التشبيه ونقده انظر : ٢/٢٨٠ .

فيقال لهم : إنَّ علوالله على خلقه واستوائه على عرشه لايستلزم معنى فاسدا فإنَّ الله تعالى قد علا على عرشه ، علوا يليق به تعالى ، ولايماثل علو المخلوق على المخلوق ولا يلزم منه أنْ يكون الله محدودا ، بل هو علوّواستواء يختص بالعرش ويليق بالباري عز وجل والعرش أعلى المخلوقات ، فيكون الله باستوائه على عرشه عاليًا على كل شيء ، وهذا من كماله وكمال صفاته ، فكيف يكون معنى فاسدا غير مراد ؟!!

وإنْ كان القائل يعتقد أنَّ ظاهرالنصوص المتنازع في معناها من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها ، والظاهرهو المراد من الجميع ، فإنَّ الله لما أخبر أنه بكل شيء عليم ، وأنه على كل شيء قدير ، واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على أنَّ هذا على ظاهره كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أنْ يكون علمه كعلمنا وقدرته كقدرتنا فكذلك إذًا في قوله تعالى : ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] و ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [البينة : ٨] وقوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] أنه على ظاهره لم يقتضِ أنْ يكون ظاهره استواءً كاستواء المخلوق ، ولاحبًا كحبه ، ولارضًا كرضاه .

فإنْ كان المستمع يظن أنَّ ظاهر الصفات تماثل صفات المخلوقين ، لزمه أنْ لايكون شيء من ذلك مرادًا ، وإنْ كان يعتقد أنَّ ظاهرها مايليق بالخالق ويختص به لم يكن له نفي هذا الظاهر ، ونفي أنْ يكون مرادا إلا بدليل يدل على النفي ، وليس في العقل ولا في السمع مايُنافي هذا إلامن جنس ماينفي به سائر الصفات ، فيكون الكلام في الجميع واحدا .

وبيان هذا أنَّ صفاتنا منها ماهي أعيان وأجسام ، وهي أبعاض لنا كالوجه واليدين ومنها ماهو معانٍ قائمة بنا كالحياة والعلم والقدرة .

ومن المعلوم أنَّ الله لما وصف نفسه بأنه حي عليم قديرلم يقل المسلمون : إنَّ

المفهوم من حياته تعالى وعلمه وقدرته ، كالمفهوم من حياتنا وعلمنا وقدرتنا .

فكذلك لما وصف نفسه بأنَّ له وجها ويدين ، لم يكن المفهوم من وجهه تعالى ويديه كالمفهوم من وجوهنا وأيدينا .

وإنما قال المسلمون : إنَّ المفهوم من صفات الله في هذا وهذا لايماثل المفهوم منا في صفاتنا ، بل كل صفة تُناسب الموصوف وتليق به ، فلما كانت ذات الخالق لاتماثل ذات المخلوق ، فكذلك صفاته لاتماثل صفات المخلوقين(١).

فتبين بذلك أنَّ من قال : إنَّ ظاهرنصوص الصفات غيرمراد فقد أخطأ على كل تقدير ، لأنه إنْ فهم معنىً فاسداوهوالتمثيل فقد أخطأ في فهمه وأصاب في قوله غير مراد وإنْ فهم من ظاهرها معنىً صحيحا وهو المعنى اللائق بالله تعالى فقد أصاب في فهمه وأخطأَ في قوله « غير مراد » فهوإنْ أصاب في معنى ظاهرها أخطأ في نفي كونه مرادا ، وإنْ أخطأ في معنى ظاهرها أصاب في نفي كونه مرادا فيكون خطّأ على كل تقدير .

والصواب الذي لاخطأ فيه أنَّ ظاهر نصوص الصفات مراد ، وأنه ليس إلامعنىً يليق بالله عز وجل(٢).

فالظاهر كما ذكر الإمام الذهبي رحمه الله صارله معنيان : أحدهما حق ، والثاني : باطل

فالحق : أن يقول : ـ الفائل ـ إنه تعالى سميع بصير مريد متكلم حي عليم ، كل شيء هالك إلا وجهه ، خلق الله آدم بيده ، وكلم موسى تكليما ، واتخذ إبراهيم خليلا وأمثال ذلك فنمره على ماجاء ، ونفهم منه دلالة الخطاب كما يليق به تعالى ولانقول له تأويل يُخالف ذلك !

---

(١) انظر : الرسالة التدمرية ص/٢٣-٢٥وضمن مجموع الفتاوى ٣/٤٣-٤٧وراجع : تقريب التدمرية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص/٥٧-٦٤ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص/٥٧ .

والظاهر الآخر وهو : الباطل والضلال : اعتقاد قياس الغائب على الشاهد[١] وتمثيل الباري بخلقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، بل صفاته كذاته فلاعدل له ولاضد له ولانظيرله ولا مثيل له ولا شبيه له وليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ، وهذا أمر يستوى فيه الفقيه والعامي والله أعلم[٢].

ويقصد بقوله : أمر يستوي فيه الفقيه والعامي الرد على من جعل للعوام عقيدة وزعم أنهم يجب أن يسلكوا في الصفات منهج التسليم وتفويض المعنى المفضي إلى التعطيل ، وللفقهاء عقيدة وزعم أنه يجب عليهم تأويل نصوص الصفات للتنزيه عن التشبيه المزعوم كما تقدم[٣]!

ويجب أنْ يُعلم كما ذكرالإمام ابن أبي العز رحمه الله أنَّ المعنى الفاسد الكفري ليس هوظاهرالنص ولامقتضاه ، وأنَّ من فهم ذلك منه فهو لقصور فهمه ونقص علمه !

وإذا كان قد قيل في قول بعض الناس :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم[٤].

فكيف يُقال في قول الله الذي هو أصدق الكلام وأحسن الحديث ، وهو الكتاب الذي ﴿ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] أنَّ ظاهره تشبيه ولايفيد إلا الكفر ؟!

وهذه هي حقيقة قولهم[٥] والحق أنَّ مادل عليه القرآن فهو حق ، وما كان باطلا

---

(١) تقدم موقف أهل السنة من هذا القياس انظر : ٢/ ١٢٣ .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ٤٤٩/١٩ .

(٣) انظر : ماذكره أبو حامد الغزالي في ذلك في ٤٨٨/٢ .

(٤) قائل ذلك المتنبي انظر : ديوانه مع شرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ٢٦٤/٤

(٥) بل قد صرحوا بذلك لاسيما المتأخرين كالسنوسي والزرقاني انظر : ٤٩٠/٢و٤٩٢ .

لم يدل عليه[١].

بل نصوص الصفات لاتدل إلا على وصف الله تعالى بصفات الكمال ، وتنزيهه في ذلك عن الشبيه والمثيل ، وعن كل نقص وعيب يُضاد كماله ، ومن عافاه الله تعالى من شبه الكلام المذموم يعلم ذلك جليا ، ويعلم أنَّ الله عز وجل لايصف نفسه إلا بوصف بالغ في الكمال والعظمة والجلال غايته ، سبحانه وتعالى عمايقول الظالمون علوا كبيرا .

الوجه الخامس : إنَّ القول بأنَّ ظواهر النصوص موهمة للتشبيه ، وأنَّ المراد بها معنىً آخريتعين بالتأويل قول على الله بلا علم ، وجناية على النصوص الواردة في ذلك وعلى المسلمين .

أما كونه قولا على الله بلا علم فإنَّ الأصل في ذلك إبقاؤها على دلالتها حتى يرد دليل شرعي يصرفها عن ظاهرها إلى معنى آخر ، ولادليل مع هؤلاء المعطلة سوى القول على الله بلا علم والتخرص والظن المبني على توهم المشابهة ، ولوكانت موهمة للتشبيه كما يزعمون لنزه الله عنها نفسه غاية التنزيه ، بل أثبتها لنفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ كما وردت على الوجه اللائق به تعالى فمن قال : إنها موهمة للتشبيه وأنَّ المراد بها معنى آخريتعين بالتأويل فقد قال على الله بلا علم الذي هو أعظم المحرمات بعدالشرك بالله تعالى قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٢] ولقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص/٢٣٥-٢٣٦ .

فالصارف لكلام الله وكلام رسوله ﷺ عن ظاهره إلى معنى يخالفه قائل على الله لاعلم كما بين الشيخ محمد بن صالح العثيمين من وجهين :

الوجه الأول : أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله تعالىورسوله ﷺ كذا مع أنه ظاهر الكلام .

والوجه الثاني : أنه زعم أنَّ المراد به كذا لمعنى آخر ـ ابتدعه هو ـ لايدل عليه ظاهر الكلام .

وإذا كان من المعلوم أنَّ تعيين أحد المعنيين المتساويين في الاحتمال قول بلا علم ، فما ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام ؟!

مثال ذلك : قوله تعالى لإبليس لعنه الله : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ سورة [ص : ٧٥] فإذا صرف الكلام عن ظاهره وقال : لم يرد الله اليدين ، وإنما أراد كذا وكذا . قلنا له : ما دليلك على ما نفيت ، وما دليلك على ما أثبت ؟!فإنْ أتى بدليل ـ وأنى له ذلك ـ وإلا كان قائلا على الله في نفيه وإثباته[1].

وأما جنايتهم على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية فإنهم جعلوها دالة على معنىً باطل غير لائق بالله تعالى ولامُراد لها ، وأنَّ الله وصف نفسه بما ظاهره كفر وشرك !

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله جناية هؤلاء المتكلمين المعطلة على نصوص الصفات وكيف أنهم زعموا أنها لاتدل إلا على المعاني الفاسدة التي لا يجوز وصف الله بها ، ثم أخرجوها عن معانيها الحق المرادة منها إلى معنى آخر غير مراد بالتأويل الفاسد ، فأساءوا الظن بها وبالمتكلم بها وعطلوها عن حقائقها الدالة عليها التي هي عين كمال الموصوف بها .

---

(١) انظركتابه : القواعد المثلى ص/٤٨ .

حتى ذكر أحدهم[١] أنه قد ورد في القرآن ذكر الوجه والأعين وذكر العين الواحدة والجنب الواحد والساق الواحد والأيدي واليدين واليد الواحدة ، فلو أخذنا بالظاهر ـ على زعمه ـ يلزمنا إثبات شخص له وجه وعلى ذلك الوجه أعين كثيرة وله جنب واحد عليه أيدٍ كثيرة ، وله ساق واحدة ولايُرى في الدنيا أقبح صورة من هذه الصورة المتخيلة ولا يظن أنَّ عاقلا يرى بأنْ يصف ربه بهذه الصفة .

فَيُقال له : قد ادَّعيت أيها الجهمي أن ظاهر القرآن الذي هو حجة الله على عباده والذى هو خير الكلام وأصدقه وأحسنه وأفصحه ، وهو الذي هدى الله به عباده وجعله شفاء لما في الصدوروهدى ورحمة للمؤمنين ، ولم ينزل كتابا من السماء أهدى منه ، ولاأحسن ولاأكمل ، فانتهكت حرمته وَعَضَهْتُه[٢]، ونسبته إلى أقبح النقص والعيب ، فادَّعيت أنَّ ظاهره ومدلوله إثبات شخص له وجه وفيه أعين كثيرة وله جنب واحد وعليه أيدي كثيرة ، وله ساق واحد ، فادَّعيت أنَّ ظاهر ما وصف الله به نفسه في كتابه يدل على هذه الصفة الشنيعة المستقبحة ، فيكون سبحانه على زعمك قد وصف نفسه بأشنع الصفات في ظاهر كلامه ، فأيُّ طعن في القرآن أعظم من طعنِ من يجعل هذا ظاهره ومدلوله ؟!وهل هذا إلامن جنس قول الذين جعلوا القرآن عضين[٣]فعضهوه بالباطل ، وقالوا : هوسحر أو شعر أو كذب مفترى ، بل هذا أقبح من وجه : فإنَّ أولئك أقروا بعظمة الكلام ، وشرف قدره وعلوه

---

(١) يقصد بذلك الرازي انظر كتابه : أساس التقديس ص/٧٩ .

(٢) العَضَه في اللغة : الإفك والبهتان ، والعضيهة كما قال الأصمعي : « القالة القبيحة » انظر : لسان العرب ١٣/٥١٥ مادة « عَضَه » .

(٣) يشير إلى الذين نزلت فيهم قول الله تعالى ﴿ كما أنزلنا على المقتسمين * الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ [الحجر : ٩١] ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : هم أهل الكتاب جزؤوه أجزاءً فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه . وهو مروي عن جماعة من =

وجلالته ، حتى قال فيه رأس الكفر[١]: « والله إنَّ لكلامه لحلاوة ، وإنَّ عليه لطلاوة ، وإنَّ أسفله لمغدق ، وإنَّ أعلاه لجنى ، وإنه ليعلو وما يُعلى ، وما يشبه كلام البشر » .

ولم يَدَّعِ أعداء الرسول الذين جاهروه بالمحاربة والعداوة أنَّ ظاهر كلامه أبطل الباطل وأبين المحال ، وهو وصف الخالق سبحانه بأقبح الهيئات والصور ، ولوكان ذلك ظاهر القرآن لكان من أقرب الطرق لهم إلى الطعن فيه ، ولقالوا كيف يدعونا إلى عبادة رب له وجه عليه أعين كثيرة وجنب واحد ، وساق واحد ، وأيد كثيرة ، فكيف كانوا يسكتون له على ذلك وهم يوردون عليه ما هو أقل من ذلك بكثير[٢]؟! .

ثم بين الإمام ابن القيم رحمه الله بطلان ما فهمه الرازي من التشبيه القبيح من إثبات ظاهر آيات القرآن الواردة في إثبات صفات الله عز وجل ، وذكر أن هذه صفات لله تعالى وصف بها نفسه وأنَّ السني المعظم لله تعالى يفهمها حسب سياقها ومواردها في الآيات على لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم ، على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته من غير تكييف ، وبين رحمه الله أنَّ ما أورده الرازي من

= السلف منهم : مجاهد والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم . وقال مجاهد : عضوه أعضاءً قالوا : ساحروقالوا كاهن وقالوا أساطير الأولين . وقيل هم كفار قريش ومنهم الوليد بن المغيرة وهذا مروي أيضا عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره من السلف . انظر : تفسير ابن كثير ٢/٥٨٧-٥٧٩ . ولامانع أنْ يجتمع أهل الكتاب ومشركوا قريش على القول بذلك . !!

(١) وهو الوليد بن المغيرة المخزومي ، وقوله هذا ذكره ابن جرير في تفسير سورة المدثر بروايات متعددة عند تفسير قول الله تعالى حكاية عن مقالة الوليد بن المغيرة : ﴿ فقال إنْ هذا إلا سحر يُؤثر * إنْ هذا إلا قول البشر ﴾ [المدثر : ٢٥-٢٦] ومابعدها . انظر : تفسير ابن جرير١٢/ ٣٠٩-٣١٠وراجع : تفسيرابن كثير٤/ ٤١٧-٤٧٣ . ورواه الحاكم في المستدرك ٢/٥٥٠وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه » .

(٢) انظر : الصواعق المرسلة ١/٢٣٨-٢٤١ .

الشبهات ما هي إلا شبهات فاسدة يجب تنزيه الله عنها ووصفه بصفات الكمال عز وجل[١]!

فهؤلاء المتكلمون قد جنوا على نصوص الصفات فجعلوها لاتدل إلا على تشبيه وكفر بسبب فساد عقولهم بالكلام المذموم ، مع أنها لمن يقدر الله حق قدره ، ويؤمن بوحيه لاتدل إلا على وصف الله بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص والمثل والعيوب !

أما جنايتهم على المسلمين فإنَّ العلم بأسماء الله وصفاته من أعظم الطرق الموصلة إلى معرفة الله عز وجل ومحبته وخوفه ورجائه وإخلاص العبادة له تعالى وتجنب مايُضاد ذلك من الشرك والتمثيل ، وليس أمام العباد للتعرف على الله تعالى إلا بالنصوص الواصفة له والمصرحة بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وكذا آياته الكونية الدالة على عظمته وجلاله ، وذلك لأنَّ الله غيبٌ لايُرى إلا في الآخرة ، انظر مثلا إلى قوله تعالى معرفا نفسه لعباده : ﴿ ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وقول الله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ * لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى * ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه : ٥ - ٨] .

وانظر إلى قوله تعالى معرفا نفسه لعباده بأسمائه الحسنى المتضمنة لأوصاف الكمال له عز وجل : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ

---

(١) انظر : المرجع نفسه ١/٢٤٣-٢٨٧ .

ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢ - ٢٤] .

وهذا التعريف يشمل جميع أسماء الله تعالى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة لأنها لموصوف واحد أنزلها الله تعالى ليعرف بها عباده ، فيعبدوه حق عبادته ، ولا يمكن إدراك حقيقة العبودية قولا وعملا إذا لم يعرفوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا الدالة على إثبات الكمالات له عز وجل وتنزيهه عما يُناقض ذلك من العيوب والنقائص والشبيه والشريك والمثيل !

ومن هنا نعرف عظم جناية الذين يزعمون أنَّ نصوص الصفات ظاهرها التشبيه وأنَّ المراد منها معان أُخرى يتعين بالتأويل الفاسد ليتوصلوا بذلك إلى نفي صفات الله أو شيء منها ، كيف أنهم بذلك يغلقون باب المعرفة بالله عز وجل ، لأنه تعالى إذا جُهلت صفاته وأفعاله أو أسمائه أصبح فكرة لاتعرف خارج الذهن !

وهؤلاء الذين انحرف بهم المسار كما ذكر الدكتور عمر بن سليمان الأشقر فنفوا عن الله صفاته بحجة نفي التشبيه قد أغلقوا باب المعرفة الإلهية على الناس بمقدار ما نفوه من الأسماء والصفات(١).

فإنه يمتنع كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله معرفة ذات الله عز وجل بدون معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله الدالة عليه تعالى ، ولو قُدِّر إمكان ذلك أوفَرَض العبد في نفسه ذاتا مجردة عن جميع القيود السلبية والثبوتية ، فليس ذلك معرفة بالله ألبتة ولا هو رب العالمين ليس ذات مجردة عن كل أمر سلبي أو ثبوتي ، ولهذا لم يقل به

---

(١) انظر : أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة للدكتور : عمر سليمان الأشقر ص/ ١٩-٢٠ .

أحد من العقلاء إلا القرامطة الباطنية[١]، الذين سلبوا عن الله النقيضين الثبوتي والعدمي فقالوا : لا يُقال هو موجود ولا معدوم ، ولا عالم ولا ليس بعالم ، ولا قادر ولا ليس بقادر[٢]ونحو ذلك من المقالات الفاسدة المعلوم بطلانها بضرورة العقل ، التي تجعل القائل بها لايؤمن إلا برب هو مجرد فكرة ذهنية لاوجود له خارج الذهن ، فلاهو متصف بأسمائه وصفاته ولاهو فاعل ولاخالق لمخلوقاته ، ومن كانت هذه صفته فهو عدم ! تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا !

وصنيعهم مع نصوص الصفات بتوهم التشبيه فيها وتأويلها فيه كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله إساءة الظن بالله وبكتابه وبنبيه وبأتباعه !

أما إساءة الظن بالرب تعالى : فإنهم عطلوه جل وعلا عن صفات كماله ونسبوه إلى أنه أنزل كتابا مشتملا على ماظاهره تشبيه وكفر وباطل ، وأنَّ ظاهره وحقائقه غير مرادة !

وأما إساءة الظن بالنبي ﷺ فلأنه تكلم بذلك وقرره وأكده ، ولم يبين للأمة أنَّ الحق في خلافه وتأويله !

وأما إساءة الظن بأتباع النبي ﷺ فبنسبتهم إلى التشبيه والتمثيل ، والجهل والحشو[٣]!

وهم بريئون من ذلك إذْلم يثبتوا إلا ما أثبته الله تعالى ورسوله ﷺ من صفات الكمال ونعوت الجلال كما تقدم !

الوجه السادس : إنَّ هؤلاء المعطلة الذين ادَّعوا أنَّ ظواهر نصوص الصفات

---

(١) تقدم التعريف بهم انظر : ٩٥/١ .

(٢) انظر : تفسير سورة الإخلاص ضمن مجموع الفتاوى ١٠٥/١٧ .

(٣) انظر : مدارج السالكين ٣٦٠/٣ .

موهمة للتشبيه ، وزعموا أنه لابُدَّ من صرفها عن ظاهرها إلى معنى آخر يتعين بالتأويل متناقضون في مقالتهم هذه غاية التناقض ، لأنهم على اختلافهم في الإثبات لا يقولون بهذا فيما أثبتوه من الأسماء والصفات ، فالمعتزلة لا يقولون بهذا في أسماء الله تعالى ، لأنهم يثبتونها كما تقدم[١]. والأشاعرة والماتريدية لايقولون بذلك في أسماء الله الحسنى والصفات التي أثبتوها كما تقدم[٢]، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا التفريق بين المتماثلين في الحكم الواحد ، أليست كلها لموصوف واحد ، وهو الله عز وجل !!

وهل هذا إلا تفريق بين المتماثلين في الحكم الممتنع في بدائه العقول ، المفضي إلى التناقض ؟! وقد أبطل شيخ الإسلام شبهة التشبيه التي توهمها المعطلة فيما نفوه من الصفات ، فرد على من يثبت بعض الصفات وينفي البعض الآخر بزعم نفي التشبيه ، فبين رحمه الله أنَّ القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر[٣]، فمن يثبت بعض الصفات وجب عليه إثبات البعض الآخربلا تشبيه ولا تعطيل ، لأنَّ شبهة التشبيه التي توهمها فيما نفاه من الصفات سيقول له منازعه : هي أيضا موجودة فيما أثبته من الصفات ، لأنَّ الشبه لاتنتهي ، ولامخرج من ذلك إلا بإثبات جميع الصفات كما وردت ، وإجراء النصوص الواردة في ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل !

وكذا يُقال لمن أثبت الأسماء ونفى الصفات كالمعتزلة ، إنَّ القول في الصفات كالقول في الأسماء ، فإذا كان إثبات الأسماء كما وردت لايدل على التشبيه ،

---

(١) وينفون الصفات كما تقدم انظر : ٢/٣٩٧- ٣٩٨ .

(٢) انظر : ٢/٣٩٨ .

(٣) انظر : الرسالة التدمرية ص/١١-١٢وضمن مجموع الفتاوى ٣/٢٥-٢٧ .

فكذا الصفات لأنَّ أسماء الله وصفاته كلها لمسمىً واحد ، وهو الله رب العالمين الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصيروالنصوص الواردة في ذلك كلها من عند الله عز وجل سَمَّى بها ووصف بها نفسه ، ولو كان ظاهر مانفاه هؤلاء المعطلة من الصفات موهما للتشبيه كمايزعمون لنزه تعالىعنها نفسه غاية التنزيه ، لأنه جل وعلا لايصف نفسه إلا بوصفٍ بالغ في الكمال غايته ، فيجب إجراؤها على ظاهرها كما وردت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

الوجه السابع : أنْ يُقال لهذا المعطل الذي يدعي أنَّ « ظواهر نصوص الصفات تُوهم التشبيه » كما ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله هل أنت أعلم بالله من نفسه ؟ فسيقول : لا .

ثم يُقال له : هل ماأخبرالله به عن نفسه صدق وحق ، فسيقول : نعم صدق وحق .

ثم يُقال له : هل تعلم كلاما أفصح وأبين من كلام الله تعالى ، فسيقول : لا .

ثم يُقال له : هل تظن أنَّ الله سبحانه وتعالى أراد أنْ يُعمي الحق على الخلق في هذه النصوص ليستخرجوه بعقولهم ، فسيقول : لا . هذا مايُقال له باعتبار ماجاء في القرآن .

أماباعتبارماجاء في السنة فيقال له : هل تعلم أعلم بالله من رسول الله ﷺ ، فسيقول : لا .

ثم يُقال له : هل ماأخبربه رسول الله ﷺ صدق وحق ، فسيقول : نعم صدق وحق .

ثم يُقال له : هل تعلم أنَّ أحدا من الناس أفصح كلاما وأبين من رسول الله ﷺ ، فسيقول : لا .

فَيُقال له : إذا كنت تقربذلك ، فلماذا لايكون عندك الإقدام والشجاعة في إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ على حقيقته وظاهره اللائق بالله تعالى ؟! وكيف يكون عندك الإقدام والشجاعة في نفي حقيقة تلك الصفات أوصرفها إلى

معانٍ يُخالف ظاهرها بغيرعلم ؟!

وماذا يُضيرك إذا أثبت لله ما أثبته لنفسه في كتابه ، أوسنة رسوله ﷺ على الوجه اللائق به تعالى ، فأخذت بما جاء في كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله عليه السلام إثباتا ونفيا ؟!

أفليس هذا أسلم لك وأقوم لجوابك إذا سُئلت يوم القيامة ، أوليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها وتعيين معنى آخرمخاطرة منك ، فلعل المراد يكون ـ على تقدير جواز صرفها ـ غير ما صرفتها إليه[1]!

فَعُلم مما تقدم بطلان مقالة المعطلة « إنَّ ظواهر نصوص الصفات موهمة للتشبيه ، وأنها غيرمرادة ، وإنما المراد منها معنىً آخريتعين بالدليل » وأنَّ هذه المقالة عند أهل السنة مشتملة على كلام مجمل أدرج فيه المعطلة باطلهم الذي عاضوا به وحي الله تعالى ، وأنها مقالة مُضادة لوحي الله معارضة لصحيح المنقول وصريح المعقول ، وقد أُريدبها تعطيل الله عن صفات الكمال ، وهي قول على الله بلاعلم ، وجناية على النصوص الواردة فيها ، وعلى المسلمين ، وأنَّ الواجب في نصوص الصفات إثباتها وإجراؤها علىظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته ، بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل على وفق قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

الوقفة الثانية : أما ما ادَّعاءه المعطلة إنَّ تفويض معاني نصوص الصفات هو المذهب الذي كان عليه السلف ، وأنَّ السلف والخلف متفقون على صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الموهم للتشبيه إلى التأويل الإجمالي الذي هو التفويض عند السلف ، والتأويل التفصيلي الذي هو تعيين المعنى المراد بالتأويل عند الخلف إنَّ هذه المقالة باطلة عند أهل السنة مخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول وقد تضمنت

---

(١) انظر : القواعد المثلى ص/٤٩ـ٥٠ .

الكذب على السلف بنسبة مذهب تجهيلي إليهم هم براء منه ، وسبب ذلك سوء فهم المعطلة لمنهج السلف في نصوص الصفات ، أوسوء قصدٍ من بعضهم ، ويتبين بطلان نسبتهم مذهب تفويض المعنى إلى السلف باختصار من وجوه :

الوجه الأول : إنَّ تفويض معاني نصوص الصفات عند أهل السنة مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول :

١ ـ أما مخالفته لصحيح المنقول فإنَّ الله تعالى أنزل القرآن ليتدبره الناس ، وليعقلوا معانيه وإنَّ أوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول هو معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وفهم معانيها من أعظم الأمور الدالة على عظمة الله تعالى ووجوب إخلاص العبادة له تعالى ، وقد أمر الله عباده أنْ يتدبروا كتابه في كثير من الآيات منها قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ سورة [ص : ٢٩] وقال تعالى موبخا الكفار لعدم تدبرهم القرآن بقوله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « فإذا كان قد حَضَّ الكفار والمنافقين على تدبره : عُلِم أنَّ معانيه مما يمكن الكفار والمنافقين فهمها ومعرفتها ، فكيف لايكون ذلك ممكنا للمؤمنين ، وهذا يبين أنَّ معانيه كانت معروفة بينة لهم »[1].

وذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين أنَّ الله عز وجل قدحَثَّ على تدبرالقرآن كله ولم يستثنِ شيئا منه ، ووبخ من لم يتدبره ، وبين أنَّ الحكمة من إنزاله أنْ يتدبره الذي أُنزل إليهم ، ويتعظ به أصحاب العقول ، ولولا أنَّ له معنىً يُعلم بالتدبر لكان

---

(١) انظر : القاعدة المراكشية ضمن مجموع الفتاوى ٥/ ١٥٧-١٥٨ .

الحث على تدبره من لغوالقول ، ولكان الاشتغال بتدبره من إضاعة الوقت ، ولفاتت الحكمة من إنزاله ، ولما حسن التوبيخ على تركه !

والحث على تدبرالقرآن شامل لتدبر جميع آياته الخبرية العلمية ، والحكمية العملية ، فكما أننا مأمورون بتدبر آيات الأحكام لفهم معانيها والعمل بمقتضاها ، إذْ لا يمكن العمل بها بدون فهم معناها ، فكذلك نحن مأمورون بتدبر آيات الأخبار لفهم معناها واعتقاد مقتضاها ، والثناء على الله بها ، إذْلايمكن اعتقاد مالم نفهمه ، أو الثناء علىالله تعالى به إلا بها(١).

ومن الآيات الدالة على أنَّ لنصوص الصفات معانٍ لائقة بجلال الله وعظمته قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : ٣] فجعل تعالى كونه عربيا سببا لفهمه وتعقله .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « فبين أنه أنزله عربيا لأنْ يعقلوا ، والعقل لايكون إلا مع العلم بمعانيه »(٢).

وبين الشيخ محمد بن صالح العثيمين أنَّ كون القرآن عربيا ليعقله من يفهم العربية وهذا يدل على أنَّ معناه معلوم ، وإلا لما كان فرق بين أنْ يكون باللغة العربية أو بغيرها(٣).

وآيات الصفات التي يزعم هؤلاء المعطلة أنَّ مذهب السلف فيها التفويض من أعظم آيات القرآن التي يفقه معناها أهل السنة والجماعة بلا تكييف ولا تمثيل لتعلقها بذات الله تعالى ، والتي بها يُعرف الله عز وجل !

ومن رحمة الله بعباده أنْ يسر القرآن الكريم للذكر والتذكر قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ

---

(١) انظر : تقريب التدمرية ص/٦٩والقواعد المثلى ص/٤٣ .

(٢) القاعدة المراكشية ضمن مجموع الفتاوى ١٥٨/٥ .

(٣) انظر : القواعد المثلى ص/٤٣ .

يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٧] ولو كانت آيات الصفات التي هي أعظم آياته لايُدرك معناها كما يزعم المعطلة ، لما كان القرآن مُيسرا للذكر ، ولما حصل به التذكر والاتعاظ ، وتيسير القرآن للذكر كما ذكرالإمام ابن القيم رحمه الله يُنافي حمله على التأويل المخالف لحقيقته وظاهره ، وقد أخبر الله تعالى أنه يسره للذكر ، وهذا يتضمن أنواعا من التيسير : إحداها : تيسير ألفاظه للحفظ . والثاني : تيسير معانيه للفهم . والثالث : تيسير أوامره ونواهيه للامتثال .

ومعلوم أنه لو كان بألفاظ لايفهمها المخاطب لم يكن مُيسرًا له ، بل كان مُعسرا عليه فهذا من أشد التعسير ، وهو منافٍ للتيسير[١]!

ومن أشدِّ أنواع التعسير أنْ يُكلف المسلم صرف نصوص الصفات عن ظاهرها وحقيقتها إلى تأويلات فاسدة ابتدعها المعطلة ، وزعموا أنَّ بها يتم تعيين المعنى المراد ، وتنزيه الله عن التشبيه المزعوم !فيصرف المسلم بهذه الشبهة الفاسدة عن فهم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ !

انظر مثلا إلى قول الله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] فقد فهم منها المؤمنون المتبعون للنبي ﷺ أنَّ فيها إثبات صفة الاستواء لله تعالى على عرشه كمايليق بجلاله وعظمته .

فجاء أهل الكلام المذموم فتوهموا من إثبات صفة الاستواء المنصوص عليها في هذه الآية التشبيه ، فقالوا : ظاهرها موهم للتشبيه وغيرمراد ، بل المراد منها معنىً آخر يتعين بالتأويل وهو : الاستيلاء[٢]!

فلما نفوا استواء الله على عرشه وقفوا متحيرين فيما يكون عليه معبودهم فانقسموا إلى طائفتين :

---

(١) انظر : الصواعق المرسلة ١/٣٣١-٣٣٢ .

(٢) سيأتي تأويلهم هذا وبيان وقوعهم بذلك في مقالة التشبيه انظر : ٣/٢٨٠ .

طائفة منهم قالوا : إنَّ الله في كل مكان[١]، فجعلوا الأمكنة التي يُستحى من ذكرها مكانا له ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

وأكثرهم وصفوه بالمعدومات حيث ادَّعوا أنَّ الله ليس في جهة وأنه موجود بلا مكان لافوق ولاتحت ولاأمام ولاخلف ولايمين ولاشمال[٢]، فأصبح فَهْمُ ذلك من أعظم الأمور صعوبة ومشقة حتى عند من خَبِرَ الكلام المذموم ، فضلا عن العوام ، فإذا كُلِّف المسلم بفهم هذا المعنى الذي لايُقره عقل سليم ولافطرة مستقيمة ، فقد طُلب منه فهم مالاطاقة له به ، ولا يحتمله عقله ، وهذا يُنافي تيسير فهم معاني القرآن ، الذي قال الله في شأنه : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ !!

وكان النبي ﷺ يُفسرلأصحابه نصوص الصفات ، وَيُؤكد ذلك تارة بالإشارة تحقيقا لإثبات الصفة وتوكيدا لمعناها ، وأنَّ المراد بذلك حقيقة الصفة على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ، ولولم يكن لها معانٍ لما فعل ذلك ، وإذا كان النبي ﷺ عَلَّمَ أمته كما ذكر شيخ الإسلام جميع ما يحتاجون إليه من أمور الدين والدنيا حتى آداب الأكل والشرب والجلوس والنوم وغير ذلك وبين لهم ما يحتاجون إليه من ذلك ، فمحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين أنْ يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب بل هذا

---

(١) انظر ما ذكره البغدادي في كتابه أصول الدين عن المعتزلة ص/٧٨وراجع : المعتزلة لزهدي جار الله ص/٨٤ .

(٢) انظر : الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ص/٢٩-٣٠والمواقف في علم الكلام للإيجي ص/٢٧٠-٢٧١ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص/٧٧وشرح إحياء علوم الدين للزبيدي ٢/ ١٠٣والمسامرة بشرح المسايرة لابن أبي شريف ص/٢٩-٣٠وجامع زبد العقائد التوحيدية لولد عدلان ص/١١وراجع : جلاء العينين للنعمان الألوسي ص/٣٨٧-٣٨٨ .

خلاصة دعوة النبوة وزبدة الرسالة الإلهية فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أنْ لايكون بيان صفات الله تعالى قد وقع من الرسول ﷺ على غير التمام[١].

وقد تقدم أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يتلقون نصوص الصفات بالقبول ، ويثبتون ماتدل عليه من صفات الكمال كما وردت ، عن علم وفهم ودراية ، ولم يكونوا يسألون رسول الله ﷺ عن معانيها كما يسألونه في مسائل الحلال والحرام ، لمعرفتهم بها ولكونهم فهموا معانيها على سليقتهم العربية على الوجه اللائق به تعالى ، ولم تطرأ في أذهانهم وحاشاهم توهم المشابهة التي يدعيها هؤلاء المعطلة ، بل أثبتوها كما وردت بلا تمثيل ولا تعطيل ، وردوا علم كيفياتها على الموصوف بها[٢]!

أمامخالفة قولهم إنَّ تفويض معاني نصوص الصفات هو مذهب السلف لصريح المعقول ودلالة العقل على فهم ومعرفة ما أخبر الله به عن نفسه من صفات الكمال كما بين الشيخ محمد بن صالح العثيمين فمن وجهين :

أحدهما : إنَّ ما أخبر الله به عن نفسه أعلى مراتب الأخبار ، وأعلى مطالب الأخبار فمن المحال أنْ يكون ما أخبر الله به عن نفسه مجهول المعنى ، وما أخبربه عن فرعون وهامان وقارون ، وعن قوم نوح وثمود والذين من بعدهم معلوم المعنى ، مع أنَّ ضرورة الخلق لفهم ماأ خبر الله به عن نفسه أعظم وأشد !

الثاني : أنه من المحال أنْ ينزل الله تعالى على عباده كتابا يعرفهم به بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ويصف القرآن بأنه لديه علي حكيم فيقول : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ

---

(١) انظر : الفتوى الحموية ص/٥ وضمن مجموع الفتاوى ٥/٦-٧ .

(٢) انظر : ١/٣٩٠ .

ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف : ٤] ويصفه بأنه كريم فيقول : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة : ٧٧] ويصفه بأنه عظيم فيقول : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْآنَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : ٨٧] ويصفه بأنه مجيد فيقول : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ [البروج : ٢١] ويصفه بأنه أنزل بلسان عربي مبين فيقول : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٥] ويذكر جل وعلا بأنه إنما أنزله قرآنا عربيا ليعقل ويفهم فيقول : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢] . فكيف يكون مع هذه الأوصاف غير معلوم المعنى .

وكيف تكون كلماته وهي في أعظم المطالب غير معلومة المعنى بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يعلمها الناس إلا أمانيَّ ، ولا يخرجون بعلمها عن صفة الأمية كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾[1] [البقرة : ٧٨] .

ومن المحال عقلا أنْ ينزل الله كتابا ، أو يتكلم رسوله ﷺ بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أنْ يكون هداية للخلق ، ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى إنَّ هذا الحكم من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى وقد قال عز وجل : ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله مبينا بطلان نسبة التفويض إلى السلف ، وبراءتهم من ذلك ، ومخالفة ذلك للشرع والعقل ، وجناية من يقول به على الشرع قال : « وأما التفويض فإنَّ من المعلوم أنَّ الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه ، فكيف يجوز مع ذلك أن يُراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله ... فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا الملائكة ولا السابقون الأولونوحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في

---

(١) انظر كتابه : تقريب التدمرية ص/ ٦٩-٧٠ .

القرآن أو كثير مما وصف به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه بل يقولون كلاما لايعقلون معناه ... ومعلوم أنَّ هذا قدح في القرآن والأنبياء ، إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبيانا للناس ، وأمر الرسول ﷺ أن يبلغه البلاغ المبين ، وأنْ يبين للناس مانُزِّل إليهم ، وأمر بتدبر القرآن وعقله ، ومع هذا فأشرف مافيه هوما أخبربه الرب عن صفاته ... أوعن كونه أمر ونهي ، ووعد ووعيد ، وما أخبربه عن اليوم الآخر لايعلم أحد معناه فلا يعقل ولايتدبر ، ولايكون الرسول بين للناس مانُزِّل إليهم ، ولابَلَّغَ البلاغ المبين ، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع : الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي ، وليس في النصوص ما يناقض ذلك ، لأنَّ تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها ، ومالا يعلم أحد معناه لايجوز أنْ يُستدل به ، فيبقى هذا الكلام سدًا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء ، وفتحا لباب من يعارضهم ويقول إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء لأننا نحن نعلم مانقول ونبينه بالأدلة العقلية ، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون ، فضلاعن أنْ يبينوا مرادهم ، فتبين أنَّ قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد »[1]!

الوجه الثاني : أما مقالتهم إنَّ السلف متفقون معهم على صرف النصوص عن ظاهرها بالتأويل وأنَّ تأويل السلف هو : الإمساك بتفويض المعنى ، وتأويل الخلف هوتعيين المعنى بالتأويل إنَّ هذه المقالة قد تضمنت الكذب على السلف ، وهم بريئون من ذلك لعدة أمور :

الأمر الأول : إنَّ سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان ليسوا مفوضة ولامؤولة كمايزعم المعطلة ، بل هم مثبتة لصفات الله كما وردت مع فقه لمعانيها بلا تكييف

---

(١) انظر : درء تعارض العقل ١/٢٠١و٢٠٤-٢٠٥ .

ولا تمثيل ، وقد تقدم في منهجهم في صفات الله أنهم قد اتفقوا على القول في نصوص الصفات : « أمروها كما جاءت بلا كيف »[١]ومقالتهم هذه قاضية بكذب من ينسب إليهم التأويل والتفويض بل هي رد على المعطلة الذين يزعمون اتفاق السلف معهم في صرف نصوص الصفات عن ظاهرها بالتأويل !

فقولهم : « أمروها كما جاءت » رد على المعطلة . كما أنَّ قولهم : « بلا كيف » رد على الممثلة . وهو دال على الإثبات وتقرير المعانى بلا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، فإنهم كما ذكر شيخ الإسلام إنما نفوا علم الكيفية ، ولم ينفوا حقيقة الصفة !

ولوكان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناها لما قالوا : « الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول »[٢]ولما قالوا : « أمروها كما جاءت بلاكيف » فإنَّ الاستواء حينئذ لايكون مجهولا بمنزلة حروف المعجم ! وأيضا : فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى ، وإنما يُحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أُثبتت الصفات . وأيضا : فإنَّ من ينفي الصفات لا يحتاج إلى أنْ يقول بلا كيف فلوكان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا : بلا كيف .

وأيضا فقولهم : « أمروها كما جاءت » يقتضي إبقاء دلالتها علىماهي عليه فإنها جاءت ألفاظا دالة على معاني ، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أنْ يُقال : أمروا لفظها مع اعتقاد أنَّ المفهوم منها غير مراد ، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أنَّ الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة ، وحينئذٍ فلاتكون قد أُمرت كما جاءت ولا يُقال حينئذٍ بلا كيف ، إذْ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول[٣]!

الأمر الثاني : إنَّ السبب الذي أفضى بالمعطلة إلى القول : بأنَّ السلف متفقون

---

(١) انظر : ١/١٢٩ - ١٣٠ .

(٢) تقدم قول الإمام مالك في ذلك ، وبيان أنه قول أهل السنة قاطبة انظر : ص/٢٦٤ .

(٣) انظر : الفتوى الحموية ص/٢٥وضمن مجموع الفتاوى ٥/٤١-٤٢ .

معهم في صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الموهم للتشبيه كما زعموا ، وأنَّ مذهبهم في ذلك تفويض المعنى هو : سوء الفهم لمنهج أهل السنة في نصوص الصفات وقد وجدوا عبارات عن الأئمة قالوها في تقرير منهجهم في نصوص الصفات ، والرد على المعطلة والمشبهة ، ففهم منها المعطلة تفويض المعنى ، وادَّعوا أنهم متفقون معهم في صرف النصوص الموهمة للتشبيه بهذا التفويض ، ومن الأمثلة على ذلك قول الإمام أحمد رحمه الله في أحاديث الصفات كحديث النزول والقَدَم : « نؤمن بها وَنُصدق بها ، ولاكيف ولامعنى ولانرد منها شيئا ، ونعلم أنَّ ما جاء به الرسول حق إذا كانت بأسانيد صحيحة »(١).

فظن الكوثري بسبب سوء فهمه أنَّ الإمام أحمد رحمه الله يريد بقوله : « ولا معنى » نفي معاني الصفات ، فاستدل بقوله ليدلل بذلك على أنَّ مذهب السلف في نصوص الصفات صرفها عن ظاهرها الموهم للتشبيه كما ادعى إنما هو بالتفويض ، ولا خلاف بينهم وبين أهل الكلام في ذلك فقال : « ... وأنت ترى هؤلاء وغير هؤلاء من السلف يأبون الخوض في معاني أحاديث الصفات ، وذلك هو مذهب السلف الصالح ، وأما من خاض وسلك مسلك المشبهة فليس في مذهب السلف الصالح على شيء ، واتفق السلف والخلف على تنزيه الله عن مشابهة صفات الخلق ، وليس هناك إلا التنزيه مع التفويض أوالتنزيه مع التأويل عند أهل الحق سلفا وخلفا ... »(٢).

---

(١) رواه الإمام أبو يعلى في إبطال التأويلات ١/٤٥و الإمام ابن قدامة في ذم التأويل ص/٢٢وشيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٣٨٦-٣٨٧عن حنبل بن إسحاق عن أبي عبد الله رحمه الله .

(٢) تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي ص/٣١٤وراجع : مقدمة السقاف على كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص/٢١ .

فالكوثري بسبب سوء فهمه وقصده جعل قول الإمام أحمد : « ولامعنى » دليلا لنفي معاني الصفات وزعم اتفاق السلف والخلف على تنزيه الله بالتفويض عند السلف والتأويل عند الخلف ، ومن أثبت الصفات على ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته بدون تأويل ـ الذي سماه تنزيها ـ فهو خارج على زعمه عن منهج السلف ، سالك لمنهج المشبهة في الصفات !!وكلامه هذا باطل لا أساس له من الصحة ، ودليله الذي استدل به لترويج بدعته في الصفات دليل عليه لاله ، فإنَّ الإمام أحمد رحمه الله لم يكن مفوضا لمعاني نصوص الصفات ، ولامتفقا مع المعطلة في صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الذي زعموا أنه موهم للتشبيه ، وحاشاه من ذلك ، بل كان رحمه الله مثبتا لصفات الله بلا تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل !

وكلامه الذي استدل به الكوثري إنما قصد به نفي المعاني الباطلة التي ابتدعها الجهمية المعطلة ويدل على ذلك :

١ ـ إنه رحمه الله قد بين موقف أهل السنة من نصوص الصفات ، وأنه مبنيٌ على الإثبات والتنزيه بقوله : « نُؤمن بها ونصدق بها » وقوله : « ونعلم أنَّ ماجاء به الرسول حق إذا كانت بأسانيد صحيحة » والإيمان والتصديق وإثبات الصفات لايكون بمجاهيل وألفاظ لاتُعرف معانيها ، وكذلك العلم بما جاء به الرسول ﷺ والشهادة بأنه حق لا يكون بألفاظ لاتُفهم معانيها ، بل لايتأتى ذلك إلا بفهم ماجاء به عليه السلام بعد التأكد من صحة أسانيده رواية !

٢ ـ إنَّ الإمام أحمد رحمه الله بعد أنْ بين موقف أهل السنة من نصوص الصفات وأنه مبني على الإيمان والتصديق والإثبات ، ذكر مقابله مايدل على مناهج المبتدعة المعطلة والمشبهة ، لبيان براءة أهل السنة من ذلك وتجنب مقالة أهل البدع ، وضح ذلك بقوله : « ... ولاكيف ولامعنى ، ولانرد منها شيئا . . » !

فقوله : « ولاكيف » ردٌعلى المشبهة الذين خاضوا في كيفيات الصفات فأفضى

بهم ذلك إلى التمثيل كما تقدم[١]، وفيه أيضا ردعلى المعطلة لأنهم ماوقعوا في التعطيل إلابعد خوضهم في كيفيات الصفات ووقوعهم في التشبيه كما سيأتي[٢]!

وقوله : « ولامعنى ولانرد منها شيئًا » رد على المعطلة النفاة الذين ردوا معاني نصوص الصفات لزعمهم أنها موهمة للتشبيه ، وأولوها إلى معان باطلة تضمنت تعطيل الله عن صفات الكمال .

فكان كلامه رحمه الله جامعا للإثبات والتنزيه الذي هو منهج السلف في صفات الله كما تقدم[٣]، وردا على طائفتي أهل التعطيل والتمثيل ، وليس فيه نفيٌ لمعاني الصفات ولاصرفها عن ظاهرها الموهم للتشبيه كما يزعم الكوثري !

ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله أنَّ المعنى الذي نفاه الإمام أحمد رحمه الله بقوله : « ولامعنى » هو المعنى الذي ابتدعه المعطلة من الجهمية وغيرهم وحرفوا به نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها إلى معاني تخالفها ، ويدل على ذلك أنه نفى المعنى ، ونفى الكيفية ليتضمن كلامه الرد على كلتا الطائفتين طائفة المعطلة وطائفة المشبهة[٤].

ومن الأمثلة على سوء فهم المتكلمين لقول أئمة السلف في نصوص الصفات واستدلالهم به لتقرير مقالتهم بنسبة تفويض معاني نصوص الصفات ، واتفاق السلف معهم في صرفها عن ظاهرها الموهم للتشبيه كمازعموا استدلال حسن السقاف بقول الإمام الترمذي رحمه الله في نصوص الصفات : « والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وابن المبارك ، وابن

---

(١) انظر : ٣٥٤/١ ـ ٣٥٥ و٤١٦ ـ ٤١٨ .

(٢) انظر : ٢٧٨/٣ ـ ٣٨٠ و٩٢٣و٣٠٤ ـ ٣٠٥و٣١٨ .

(٣) انظر : ١٢١/١و١٢٨ .

(٤) انظر : فتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن رسائل في العقيدة ص/٦٣ـ٦٤ .

عيينة ، ووكيع ، وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء[١]ثم قالوا : تُروى هذه الأحاديث ، ونؤمن بها ، ولا يُقال كيف ، وهذا الذي اختاره أهل الحديث أنْ تُروى هذه الأشياء كما جاءت ويُؤمن بها ولاتفسرولاتتوهم ولا يُقال : كيف وهذا أمرأهل العلم الذي أختاروه وذهبوا إليه »[٢].

فتعلق حسن السقاف بقول الإمام الترمذي : « ولاتفسر » فاستدل بها على زعمه اتفاق السلف مع الخلف على صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الموهم للتشبيه وأنَّ مذهب السلف تفويض المعنى ، فذكر أن قول الترمذي « ولاتفسر » هي نفس قول الأئمة « قراءتها تفسيرها »[٣]. وهذا على زعمه دال على تفويض المعنى ، وأنَّ قولهم « ولاتتوهم » معناها كما ادَّعى : يُصرف ظاهرها الموهم مشابهة الله لخلقه ، مع تفويض المعنى الحقيقي لله تعالى[٤]!

وما ذكره السقاف باطل لأساس له من الصحة ، وهو دليل عليه لاله ، فالأئمة رحمهم الله لايريدون بقولهم « لاتفسر » أوقولهم « قراءتها تفسيرها » تفويض المعنى ، ولابقولهم « ولاتتوهم » صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الموهم للتشبيه كمايزعم السقاف ، بل هم يثبتون نصوص الصفات على ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته ، وينفون علمهم بالكيفية ، كما ينكرون تفاسيرالجهمية المعطلة لنصوص الصفات ، وينفون توهم مشابهة صفات الله لصفات المخلوقين لأنَّ الله لا شبيه له ولا مثيل ويدل على ذلك :

---

(١) يقصد الصفات . !

(٢) سنن الترمذي ٤/٦٩٢ .

(٣) كما ذكرسفيان الثوري انظر : شرح أصول الاعتقاد للالكائي ٢/٤٣١رقم/٧٣٦وكما ذكرابن قدامة في لمعة الاعتقاد انظر : ص/٥-٦ .

(٤) انظر : مقدمة حسن السقاف على كتاب : دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص/٢١-٢٢ .

١ ـ بيانُهم موقفهم من نصوص الصفات وأنهم يروون أحاديث الصفات ، ويثبتون ماورد فيهامن صفات الله تعالى بلا تكييف ولا تمثيل ، وأنه لا يُقال فيها كيف لأنَّ هذامفضٍ إلى التمثيل ، والإيمان بنصوص الصفات كما وردت لايكون إلابعد فهم معانيها كما وردت على الوجه اللائق بالله تعالى ، إذْ كيف يتم الإيمان بمجاهيل وألغاظ لاتُفسرولايُفهم معانيها ، وحاشا أنْ تُوصف نصوص الصفات بهذا الوصف ، وأنْ يكون حظ المؤمنين منها مجرد قراءتها دون تفسير وفقه لمعانيها ، إنَّ هذا لايقول به من له أدنى مسكة من عقل وعلم وإيمان !

فالسقاف أخذ من الأثر الذي نقله عن الترمذي « لاتفسر » فقط ، ومن قول الأئمة من نصوص الصفات « فقرآءتها تفسيرها » ولورجع إلى أقوالهم مجتمعة ، أورجع إلى كلامهم الذي ذكره الإمام الترمذي لعلم أنَّ ماقاله باطل ، وأنَّهم يؤمنون بنصوص الصفات ويثبتونها كما وردت عن فهمٍ لمعانيها ، وإنما المنفي عندهم الذي لايفسركيفياتها ، وليست معانيها ، ويدل على تفسيرمعانيها بلاكيف ماذكره الإمام الترمذي نفسه من أنَّ الجهمية تأولت نصوص الصفات وفسروها على غير ما فسر أهل العلم[1]. وهذا يدل على أنَّ نصوص الصفات لها معانٍ تفسر عند أهل العلم ، ولكنْ تثبت بلاكيف ولا تشبيه !

ولكن صنيع أهل الأهواء كالسقاف وأضرابه يبترون من أقوال السلف ليجعلوه دليلا لهم على أنَّ مذهب السلف التفويض ، وعلى أنهم متفقون معهم على صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الموهم للتشبيه كما زعموا !!

٢ ـ إنَّ سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان الذين قالوا في نصوص الصفات « لا تفسر » إنما أرادوا بذلك تفاسير أهل البدع المشبهة والمعطلة ، ويدل على ذلك

---

(١) انظر : سنن الترمذي ٣/٤٣ .

قول الإمام سفيان ابن عيينة رحمه الله : « كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقرآءته تفسيره لا كيف ولا مثل »[١]فبين رحمه الله أنَّ قرآءة ماوصف الله به نفسه في القرآن ، والإيمان به وإثباته كما ورد فهوتفسيره ، ولاكيف في ذلك ولا مثل !

ولايريد بذلك أنه لايفسرولايثبت معناه ، لأنَّ من لم يثبت المعنى لاينفي الكيف والمثل لأنَّ نفي ذلك فرع فهم المعنى ، ولايكون ذلك إلا بتفسير النصوص ، إذْ نفي الكيفية كما ذكرشيخ الإسلام عما ليس بثابت لغوٌ من القول[٢].

وتضمن كلام سفيان الثوري السابق الرد على الممثلة الذين يفسرون الكيفية المفضية إلى التمثيل كما تقدم[٣].

فالتفسير المنفي عند أهل السنة هوتفسيرالكيفية ، لأنَّ الله عز وجل لايكيف لأنه لا شبيه له ولا مثيل !

ومما يدل على أنَّ التفسير المنفي عند أهل السنة هو تفسير الكيفية لا تفسيرالمعنى ماذكره الإمام أبوعبيد القاسم ابن سلام رحمه الله عقب ذكره لبعض أحاديث الصفات : « ... هذه الأحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم على بعض ، وهي عندنا حق لانشك فيها ، ولكن إذا قيل : كيف وضع قدمه ، وكيف ضحك ، قلنا : لايُفسر هذا ولاسمعنا أحدا يفسره »[٤].

---

(١) رواه الدارقطني في الصفات ص/٧٠رقم/٦١واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة ٢/٤٣١رقم/ ٧٣٦ .

(٢) انظر : الفتوى الحموية ص/٢٥وضمن مجموع الفتاوى ٥/٤١-٤٢ .

(٣) انظر : ١/٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٤) رواه الدارقطني في الصفات ص/٦٨-٦٩رقم/٥٧و أبو يعلى في إبطال التأويلات ١/٤٨رقم ١٧واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/٤٣١رقم/٧٣٦ والذهبي في كتاب العرش ٢/ ٢٣١برقم / ٢٠٧ .

فقد بين رحمه الله أنَّ مراد السلف بقولهم « لايفسر » أي : لايفسر كيفياتها ، لأنَّ ذلك مفضٍ إلى التشبيه والتعطيل !

ذكر شيخ الإسلام أنَّ أبا عبيد رحمه الله قد أخبر أنه ما أدرك أحدا من العلماء يفسرها تفسير الجهمية(١).

وكلامه السابق يتضمن الرد على طائفتي أهل التمثيل والتعطيل ، فإنَّ كلتا الطائفتين ماوقع مَن وقع منهم في التشبيه كماحصل للممثلة ، ولا ما وقع في التعطيل كما حصل للمعطلة إلابعد أنْ خاضوا في كيفيات الصفات وفسروها بعقولهم الفاسدة !

ومما يدل أيضا أنهم يريدون بقولهم « لاتفسر » تفاسيرأهل البدع المعطلة وغيرهم قول الإمام الدارمي رحمه الله في صدد رده على بشر المريسي الذي حرف معنى صفة النزول : « ... ومن يلتفت إلى تفسيرك(٢)، وتفسير صاحبك ، مع تفسير نبي الرحمة ورسول رب العزة ، إذْ فسر نزوله مشروحا منصوصا ... »(٣).

ويعني بذلك رحمه الله : أنَّ الرسول ﷺ قد بين في الحديث نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخيرفيقول من يدعوني فاستجب له ، من يستغفرني فاغفرله(٤)، والمريسي حَرَّف صفة النزول ، وفسرها بتفاسير مبتدعة مُخالفة لتفسير النبي عليه السلام ، فزعم أنَّ النزول يلزم منه النقلة والحركة وهذا تشبيه لايتصف الله به .

---

(١) انظر : الفتوى الحموية الكبرى ص/٣٠وضمن مجموع الفتاوى ٥/٥١ .

(٢) رَدَّ الإمام الدارمي بكتابه : « النقض على المريسي » على أحد المعتزلة أتباع بشر المريسي ، فجعل الكتاب ردا على إمامه المريسي لينقض بذلك مذهب المريسية الإعتزالي . !

(٣) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٢٠ .

(٤) تقدم عزو حديث النزول انظر : ١/٤٧٥ .

وبهذا التفسيرالمبتدع نفى النزول[١]، فبين الدارمي رحمه الله أنه لايُلتفت إلى هذا التفسير المبتدع ، مع تفسير نبي الرحمة لصفة النزول !

ثم أنكرالإمام الدارمي رحمه الله تفاسير المعطلة لصفات الله تعالى ، وبين براءة أهل السنة من التكييف والتعطيل بقوله : « فكما نحن لانكيف هذه الصفات لانكذب بها كتكذيبكم ، ولانفسرها كتفسيركم »[٢].

فالتفسير المنفي عند أهل السنة هو تفاسير أهل البدع من المشبهة والمعطلة المحرفة المخالف لتفسير السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لذا ذكر شيخ الإسلام رحمه الله عقب حكاية الإمام محمد بن الحسن[٣]رحمه الله إجماع أهل السنة على الإيمان بنصوص الصفات من غيرتفسير ولاوصف ولا تشبيه[٤]فذكر شيخ الإسلام أنَّ محمد بن الحسن إنما أراد بقوله « بلاتفسير » تفسيرالجهمية المعطلة الذين ابتدعوا نفي الصفات ، بخلاف ماكان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات[٥].

٣ ـ أما قول الإمام الترمذي السابق فيما حكاه عن الأئمة بأنهم قالوا في نصوص الصفات « ولاتتوهم » فلا يدل على أنهم كانوا يصرفون نصوص الصفات الموهمة للتشبيه كما يدعي المعطلة ، ولم يكونوا يريدون بذلك أيضا تفويض المعنى الذي ينسبه إليهم أهل التعطيل بل أرادوا بذلك أنه لايُتوهم من إثبات نصوص الصفات وإجرائها على ظاهرها كماوردت من غيرتشبيه لأنَّ الله لا شبيه له ولا مثيل فيجب

---

(١) انظر ما ذكره الدارمي عن المريسي في ذلك ورده عليه في كتابه : الرد على الدارمي ص/٢٠و٥٥ .

(٢) المرجع نفسه ص/٢٣ .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) تقدم ذكره انظر : ٤٦٨/٢ .

(٥) انظر : الفتوى الحموية ص/٣٠وضمن مجموع الفتاوى ٥٠/٥ .

إثباتها كماوردت من دون توهم المشابهة ، ولاخوض في الكيفية ، وأرادوا به أيضا كراهية تأويلها عن ظاهرها ، ويدل على ذلك قول الإمام أبي داود رحمه الله عقب إيراده حديث النزول : « كان سفيان الثوري يكره التوهم في هذا الحديث وما أشبهه »[١].

والتوهم الذي يكرهه سفيان الثوري رحمه الله في أحاديث الصفات كما ذكر زميلي الدكتورجيلاني العروسي يحتمل معنيين :

أ ـ توهم شبهة المثلية ، وتوهم أنَّ صفات الله عز وجل تشبه صفات المخلوقين ، وَيُؤيد هذا المعنى أنَّ أبا داود رحمه الله ساق هذا الأثر عقب إخراجه لحديث نزول الله تعالى للدلالة على أنَّ نزول الله عز وجل لايُتوهم فيه تشبيه بنزول المخلوق ، لأنَّ صفات الله عز وجل لاتُشابه ولاتُماثل صفات المخلوقين ، ويُؤيده قول سفيان الثوري وغيره من الأئمة في نصوص الصفات « أمروها كما جاءت بلا كيف »[٢]فقول سفيان الثوري « بلا كيف » يفيد نفي البحث عن الكيفية ، كما يفيده قوله هنا « أنه يكره التوهم » أي : توهم التشبيه والكيفية وتخيل ذلك والبحث عنه !

ب ـ إنَّ المراد بالتوهم الذي كان يكرهه سفيان معناه الشك والتردد في صفات الله تعالى المفضي إلى تأويلها ، وعدم إجرائها على ظاهرها ، فيكون قول أبي دود رحمه الله : « كان سفيان الثوري يكره التوهم . . » أي : التردد والشك المؤدي إلى تأويله وإخراجه عن ظاهره اللائق بالله تعالى ، وَيُؤيد هذا المعنى أنَّ أبا داود رحمه الله أخرج حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « ليس منا

---

(١) المراسيل : للإمام أبي داود السجستاني تحقيق عبد الله بن مساعد الزهراني ص/٢٣١رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية ـ شعبة السنة ـ عام « ١٤٠٨هـ » . غير منشورة .

(٢) تقدم عزوه انظر : ١/١٢٩ ـ ١٣٠ .

من غَشَّ »[١]ثم أورد أبو داود عن سفيان الثوري من طريق يحيى القطان[٢]رحمه الله أنه قال : « كان سفيان يكره هذا التفسير ليس منا : ليس مثلنا »[٣]. فسفيان هنا هو سفيان الثوري وقد كره أنْ يُفسر « ليس منا » إلى ليس مثلنا ، فهذا التفسير هو التأويل من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح ، والأثر وإنْ كان في غير الصفات إلا أنَّ المراد إجراء النصوص الشرعية على ظاهرها دون تأويلها وعلى رأسها نصوص الصفات ! ويمكن أنْ يشمل كراهية سفيان الثوري التوهم في نصوص الصفات المعنيين[٤]فيكون معناه كان يكره تأويلها وصرفها عن ظاهرها إلى معنًى آخرمفضٍ إلى تعطيل الله عن صفات الكمال ، ويكره تفسيركيفيتها المفضي إلى التشبيه !

فقول أهل السنة « ولاتتوهم » ليس من معانيه كما زعم السقاف صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الموهم للتشبيه ، بل يدل على وجوب إجراء نصوص الصفات على ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته دون توهم التشبيه فيها ودون تأويلها وتعطيلها .

الوقفة الثالثة : إنَّ منهج السلف ومنهج هؤلاء المتكلمين الذين يَدَّ عون اتفاق السلف معهم في صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الموهم للتشبيه منهجان مختلفان متضادان تماما .

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم في كتاب الإيمان بلفظ « من غشنا فليس منا » وفي حديث آخر : « من غش فليس مني » انظر : صحيح مسلم ١/٩٩ح١٠١و١٠٢ورواه أبوداود في سننه في كتاب البيوع ٣/٧٣٢ ح٣٤٥٢واللفظ له . كلاهما عن أبي هريرة « .

(٢) أبوسعيد يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي القطان البصري الإمام الحافظ قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة متقن حافظ إمام قدوة » توفي سنة ١٩٨هـ انظر : تقريب التهذيب ٢/ ٣٠٣والأعلام ٨/١٤٧ .

(٣) رواه أبوداود في سننه في كتاب البيوع والإجارات ٣/٧٣٢رقم/٣٤٥٣ .

(٤) انظر : جهود الإمام أبي داود السجستاني في تقرير مسائل الاعتقاد للدكتور : جيلاني خضرعروسي ص/٤٠٣-٤٠٦ .

فمنهج السلف مستنبط من وحي الله تعالى مبني على الإثبات والتنزيه كما تقدم[١].

ومنهج المتكلمين مستنبط من فلسفة اليونان مبني على تحريف نصوص الصفات وتعطيل الله تعالى عن صفات الكمال بحجة نفي التشبيه الموهوم ، فكيف يكون سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان متفقين مع أهل الكلام المذموم كما يزعم هؤلاء المعطلة المتكلمة سبحانك هذا بهتان عظيم !

ثم إنَّ هؤلاء المتكلمين الذين يزعمون اتفاق السلف معهم في صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مذمومون عند السلف ، وهم أهل أهواء وبدع لاتقبل شهادتهم ، بل يُؤدبون ويستتابون ويجتنبون ، ومن أقوالهم في ذلك مارواه الإمام ابن عبدالبررحمه الله عن فقيه المالكية بالمشرق ابن خويذ منداد[٢]أنه قال في كتاب الشهادات شارحا قول الإمام مالك رحمه الله « لاتجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء ـ قال ـ : أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريا كان أوغيرأشعري ، ولاتقبل له شهادة في الإسلام أبدا ، ويهجر ويؤدب على بدعته فإنْ تمادى عليها أُستتيب منها »[٣].

وَرُوي عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال : « لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ، والله ماظننت مسلما يقول به ، ولئن يُبتلى العبد بكل مانهى الله عنه خلا الشرك خيرله من أنْ يُبتلى بالكلام »[٤].

---

(١) انظر : ١٢١/١و١٢٨ .

(٢) تقدمت ترجمته انظر : ٩١/٢ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر٩٦/٢وذكره ابن قدامة في كتابه تحريم النظر في كتب أهل الكلام ص/٤٢ .

(٤) رواه البيهقي في مناقب الإمام الشافعي ٤٥٤/١وروى جزءا منه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٤٦/١ورواه أبوالقاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة ١٠٤/١ . والسيوطي في =

وكان الإمام أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة رحمه الله يقول : « مَن طلب الدين بالكلام تزندق »[١] وكان سفيان الثوري ينهى عن مجالسة أهل الأهواء أشد النهي ويقول : « عليكم بالأثر وإياكم والكلام في ذات الله »[٢].

وقد تبرأ الإمام أحمد رحمه الله من الكلام المذموم فقال : « ... ولست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلاماكان في كتاب الله عز وجل أو في حديث عن النبي أو عن أصحابه أو التابعين ، فأما غيرذلك فإن الكلام فيه غير محمود »[٣]. وكلام الأئمة في ذم الكلام وأهله والنهي عنه ، وبراءتهم من أهله والنهي عن مجالستهم كثير جدا ، وإنما المقصود هنا أنَّ هؤلاء المتكلمين الذين يزعمون اتفاق السلف معهم في صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الذي ادَّعوا فيه التشبيه كاذبون في ذلك والسلف بريئون منهم ، ومن مقالاتهم الفاسدة ، لأنه لا يجتمع صاحب سنة مع صاحب كلام مذموم يُعارض وحي الله بعقله ويحرف نصوص الصفات ويُعطل الله عن صفات الكمال . ولايعقل أنْ يتفق السلف معهم وهم يذمونهم ويعتبرونهم أهل بدع وأهواء ويحذرون الناس عن مجالستهم حتى لاتفسد عقائدهم بالكلام المذموم !

وإنما غرض كثير من هؤلاء المعطلة[٤] لاسيما المتأخرين منهم التلبيس على من

= الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع/٣٠ .

(١) رواه أبوالقاسم التيمي في كتابه الحجة في بيان المحجة١٠٦/١وذكره ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ص/٩٢٩وملاعلي القاري في شرح الفقه الأكبر ص/٤ .

(٢) ذكره السيوطي في صون المنطق ص/٥٨ .

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة ١٤٠/١برقم/١٠٨ .

(٤) وإنما قلت كثيرا من المعطلة لأنَّ بعضهم قد يحصل منه ذلك بسبب سوء فهمهم لمنهج أهل السنة لنصوص الصفات .

لايعرف منهج السلف في نصوص الصفات كي يصرفوا الناس عن منهج السلف في صفات الله المبني على الإثبات والتنزيه إلى صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الذي اعتبروه تشبيها ، بتحريف نصوصها وتأويلها الذي سموه تنزيها ، أوتفويض معناها الذي اعتبروه منهج السلف زورا وبهتانا ، والمُهم عندهم كيف يصدون الناس عن اتباع المنهج الحق الذي وصفوه بالكفر والتشبيه ، ووصموا أهله بأنهم مجسمة مشبهة حشوية ظلما وعدوانا ، ولايُهمهم بعد ذلك سلكوا منهج التفويض التجهيلي ، أوالتأويل المبني على التحريف والتعطيل !

وإذا كان السلف متفقين معهم في صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الموهم للتشبيه كما زعموا فلماذا يصمونهم بالتشبيه والتجسيم ؟!

ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله أنَّ مما يدل على إثبات السلف للصفات وأنهم ليسوا على وِفَاقٍ مع أولئك المتأولة هم خصوم السلف ، وهم يرمونهم بالتشبيه والتجسيم لإثباتهم الصفات ، ولو كان السلف يُوافقونهم في عدم دلالة النصوص على صفات الله لم يجعلوهم خصوما لهم ، ولم يرموهم بالتشبيه والتجسيم وهذا ظاهر ولله الحمد[1]!

الوقفة الرابعة : أما مقالتهم إنَّ مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم فمقالة اختلط فيها الحق بالباطل

وقد تضمنت تفضيل منهجهم الكلامي المذموم المبني على التحريف والتعطيل على مذهب السلف ، وتجهيل السابقين الأولين من الصحابة والتابعين ومن اتبعهم بإحسان ، ومنشأ هذه المقالة كما ذكر شيخ الإسلام من أمرين :

أحدهما : اعتقاد من قال بذلك من الخلف أنَّ طريقة السلف هي : الإيمان بمجرد

---

(١) انظر كتابه : فتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن مجموعة رسائل له ص/٦٢ .

ألفاظ من غير إثبات معنى لها ، فيبقى الأمر دائرا بين الإيمان بألفاظٍ جوفاء لامعنى لها ، وهذه طريقة السلف على زعمهم ، وبين إثبات معانٍ تُخالف ظاهرها الدال على إثبات الصفات لله تعالى وهذه طريقة الخلف ، ولاريب أنَّ إثبات معاني النصوص أبلغ في العلم والحكمة من إثبات ألفاظٍ جوفاء ليس لها معنىً ، ومن ثَمَّ فَضَّلَ هؤلاء الأغبياء القائلين بهذه المقالة طريقة الخلف في العلم والحكمة على طريقة السلف !

الثاني : اعتقاد من قال بهذه المقالة بسبب شبهاتهم الكلامية الفاسدة أنَّ الله تعالى ليس له في نفس الأمر صفة حقيقية دلت عليها نصوص الصفات[1].

ومقالتهم : مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم قد اختلط فيها الحق بالباطل ، فمذهب السلف أسلم حق ومذهب الخلف أعلم وأحكم باطل وبيان بطلانه من وجوه :

الوجه الأول : إنَّ كون طريقة السلف أسلم من لوازم كونها أعلم وأحكم ، إذْ لاسلامة إلا بالعلم والحكمة ، العلم بأسباب السلامة ، والحكمة في سلوك تلك الأسباب ، إذْ لاتتصور هذه السلامة عقلا إلا بالعلم والحكمة ، ولايمكن أنْ تُكتسب هذه السلامة إلابفهم كتاب الله وسنة رسوله مراد الله ، ومراد رسوله ﷺ وقد حقق السلف رضوان الله عليهم هذا المقصد فبهذا كان منهجهم أسلم وأعلم وأحكم .

الوجه الثاني : إنَّ اعتقاد هؤلاء المعطلة أنَّ الله ليس له صفة حقيقية دلت عليها هذه النصوص ، والذي أفضى بهم إلى القول بأنَّ مذهبهم أعلم وأحكم ، اعتقاد باطل لأنه مبني على شبهات كلامية فاسدة عارضوا بها وحي الله تعالى ، وعطلوا الله

---

(١) انظر : الفتوى الحموية ص/٦وضمن مجموع الفتاوى ٥/٩-١٠ .

بها عن صفات الكمال ، وقد تقدم أنَّ الله عز وجل موصوف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص والعيوب والشبيه والمثيل ، كما تقدم أنَّ نصوص الصفات دالة على إثبات صفاتٍ حقيقية لله تعالى كما يليق بالله عز وجل(١).

الوجه الثالث : أما اعتقادهم إنَّ طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظِ النصوص من غير إثباتٍ لمعانيها ، والذي أفضى بهم إلى القول بأنَّ مذهب الخلف أعلم وأحكم فإنه اعتقاد باطل كذب على السلف ، فإنَّ السلف أعلم الأمة بنصوص الصفات لفظا ومعنى وأبلغهم في إثبات معانيها اللائقة بالله تعالى على حسب مراد الله ومراد رسوله ﷺ(٢).

وقد تقدم منهج السلف في نصوص الصفات الدال على إثباتهم لصفات الله عز وجل كما وردت ، وفهمهم لمعانيها اللائقة بالله عز وجل ، وتنزيههم الله تعالى في ذلك عن التشبيه والتمثيل والتعطيل(٣).

الوجه الرابع : إنَّ مقالة هؤلاء المعطلة كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله إذا تدبرها المسلم وجدها في غاية الجهالة ، بل في غاية الضلال ، إذْ كيف تكون طريقة هؤلاء المتأخرين المتكلمين أعلم وأحكم وهم الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبرالواقف على نهاية إقدامهم(٤)، بما انتهى إليه أمرهم :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

---

(١) انظر : ٢/٤٦٧ وما بعدها .

(٢) انظر : فتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن مجموعة رسائل للشيخ ابن عثيمين ص/٥٨

(٣) انظر : ٢/ ٤٦٧ ومابعدها .

(٤) وهو الشهرستاني الذي ألف كتابه في ذلك : « نهاية الإقدام في علم الكلام » .

فلم أرَ إلا واضعا كف حائر على ذَقَن أوقارعا سِنَّ نادم[١]

وقد أقروا على أنفسهم بالحيرة والاضطراب بسبب إعراضهم عن وحي الله والتماسهم علم معرفة الله وصفاته بالكلام المذموم حتى قال أبوعبد الله الرازي وكان من رؤسائهم مبينا ماينتهي إليه أمرهم :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أنْ جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ، ولاتروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الإثبات ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ و ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ واقرأ في النفي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ﴿ ولايحيطون به علما ﴾ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي[٢]!

وهذا إمام الحرمين أبوالمعالي الجويني ينظر إلىحصيلته من الكلام المذموم ، الذي يعتبرمنهجه هؤلاء المعطلة أعلم وأحكم ، فإذا بها تصبح بوارا وحسرة عليه ، فيبكي بكاء الثكلى بإضاعته عمره في ذلك نادما ، حتى عَبَّرَ عن ذلك بقوله : « لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت فيما نهوني عنه والآن إنْ لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني ، وها أنذا أموت على

---

(١) نهاية الاقدام ص/٣وراجع : الفتوى الحموية ص/٧وضمن مجموع الفتاوى٥/١٠-١١ .

(٢) ذكره شيخ الإسلام في درء التعارض ١/١٦٠ونقض المنطق ضمن مجموع الفتاوى ٤/ ٧٢والفتوى الحموية ص/٧وضمن مجموع الفتاوى ٥/١٠-١١والإمام ابن القيم في الصواعق المرسلة ١/١٦٧و٢/٥٦٧وذكر الدكتور : محمد رشاد سالم أنَّ هذا الكلام ذكره الرازي في كتابه : أقسام اللذات انظر : حاشيته في درء التعارض ١/١٦٠وقد بحثت عنه فلم أجده ، وأخبرني أحد الأخوة الباحثين أنه مخطوط وتوجد منه نسخة في الهند !

عقيدة أمي ، ـ أوقال ـ على عقيدة عجائز نيسابور »[١]!

وإذا كان أئمة هؤلاء المتكلمين القائلين إنَّ مذهب الخلف أعلم وأحكم قد شهدوا على أنفسهم بالحيرة وفساد الاعتقاد ، وقد ندموا على إضاعة أعمارهم في الكلام المذموم إذا كان الأمركذلك فكيف تكون طريقة من كانت هذه حاله موصوفة بالعلم والحكمة وطريقة السلف الذين هم أعلم الأمة بنصوص الصفات لفظا ومعنىخالية عن العلم والحكمة . ؟! وكيف يُفضل من كان عنده أدنى مسكة من علم وإيمان طريقة هؤلاء المتكلمين الحيارى المتهوكين المعارضين لوحي الله بشبهاتهم الكلامية ، وخيالاتهم الفلسفية على طريقة خيار الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان ، الذين اتبعوا وحي الله عز وجل ، وفهموا معانيه ، وعملوا بمقتضاه ؟!! وكيف تكون طريقة من كان سنده إلى اليهود والمشركين[٢]، أعلم وأحكم ومن كان سنده إلى رسول الله ﷺ خالية من العلم والحكمة ؟!سبحانك هذا بهتان عظيم !!

فَعُلم مما تقدم بطلان مقالة المعطلة إنَّ ظواهر نصوص الصفات موهمة للتشبيه وأنها غير مرادة ، وأنّ المراد منها معنىً آخر يتعين بالتأويل ، وأنَّ هذه المقالة عند أهل السنة باطلة منكرة مخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول وأنها قول على الله بلا علم وجناية على نصوص الصفات وعلى المسلمين ، كما عُلِم بطلان اعتبارهم منهج السلف في نصوص الصفات تفويض المعنى ، وكذب مقالتهم اتفاق السلف معهم في صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الموهم للتشبيه كما زعموا وأنَّ هذه المقالة كذب على السلف وهم بريئون منها ومن قائلها ، وأنَّ منهجهم في الصفات

---

(١) ذكره شيخ الإسلام في نقض المنطق ضمن مجموع الفتاوى ٤/٧٣والفتوى الحموية ص/ ٧وضمن مجموع الفتاوى ٥/١١والإمام ابن القيم في الصواعق المرسلة ٢/٦٦٤ .

(٢) ذكر شيخ الإسلام سند مقالة المعطلة وتقدم الإشارة إلى ذلك انظر : ص/ ٦٨٩حاشية رقم (٢) .

مبني على الإثبات والتنزيه عن فهم وعلم ودراية ، لاَعلى التجهيل والتأويل التعطيلي كما يزعم المعطلة ، كما عُلِم بطلان تفضيلهم لمنهجهم الكلامي المذموم على مذهب السلف ، ووصفهم لمنهجهم بالعلم والحكمة ، وبيان أنَّ منهج السلف أسلم وأعلم وأحكم ، وما خالفه من مذاهب أهل البدع في الصفات ومنها منهج أهل التعطيل مبني على الجهل والخيالات والشبه الفاسدة ، وقد شهد أهله على أنفسهم بالحيرة وفساد الاعتقاد ، وندموا على خوضهم في الكلام المذموم ، وابتعادهم عن منهج أهل السنة المستنبط من وحي الله الذي فيه العلم والحكمة والطمأنينة وصلاح الاعتقاد !

○ ○ ○ ○

المبحث الثالث

موقف أهل السنة من الأحاديث التي فيها تحقيق الوصف والرد على من يَدَّعي فيها التشبيه

مدخل

تقدم في المبحثين السابقين بيان موقف أهل السنة من نصوص الصفات ، وممن يَدَّعي أنها موهمة للتشبيه ، يجب صرفها عن ظاهرها بالتفويض أو التأويل ، وفي هذا المبحث سأذكر أمثلة من أحاديث الصفات التي فيها تحقيق الوصف والتي اجتمع فيها الإشارة مع القول لبيان موقف أهل السنة منها الدال على موقفهم من مقالة التشبيه ، وبراءتهم من وصمة التشبيه ، والرد على من يدَّعى فيها التشبيه ووجه اختياري لهذه الأحاديث يرجع إلى ثلاثة أمور :

الأمر الأول : إنَّ هذه الأحاديث قد اجتمع فيها الفعل المتمثل في الإشارة مع القول فشنع بها المعطلة على أهل السنة وادَّعوا أنَّ من أثبتها كما وردت وأشار إلى أحد أعضائه عند ذكرها فقد شبه الله بخلقه فهو مشبه مجسم !

الأمر الثانى : ورد عن بعض الأئمة النهي عن الإشارة عند ذكر هذه الأحاديث لبعض الناس ، وفي بعض الأوقات ، فجعل المعطلة ذلك دليلا للقول بأنَّ إجراء هذه الأحاديث على ظاهرها وإثبات مافيها من الصفات بدون تأويلها ، فضلا عن الإشارة عند ذكرها تجسيم وتشبيه !

الأمر الثالث : التبس على بعض الناس ممن ليس لهم معرفة بمنهج السلف في أحاديث الصفات ، لاسيما وقد يسمعون نهي الأئمة لبعض الناس عند ذكرها ، فظنوا أنَّ الإشارة عند ذكر صفة من صفات الله ممنوعة مطلقا ، لأنَّ ذلك تشبيه وتجسيم .

لهذه الأمور ، ولبيان موقف أهل السنة منها ، وبراءتهم من مقالة التشبيه ، ولبيان من منع الإشارة فيها من الأئمة ، والرد على المعطلة الذين ادَّعوا فيها التشبيه سَأُورد بعض الأحاديث التي اجتمعت فيها الإشارة مع القول ، وسيكون ذلك على أمثلة :

المثال الأول : من الأحاديث التي اجتمع فيها الإشارة مع القول لإثبات صفة

السمع والبصر على سبيل تحقيق الصفة وتأكيدها ، ومعرفة معناها وتفهيمه وتقرير إثباته بلا تكييف ولا تمثيل مارواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَانَاتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] قال أبو هريرة : رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أُذنه والتي تليها على عينه »[١] وأشار أبو هريرة كما فعل رسول الله[٢]. قال ابن يونس[٣] قال المقري[٤]: يعني : « إنَّ الله سميع بصير » يعني : « إنَّ لله تعالى سمعا وبصرا »[٥].

وقد احتج بهذا الحديث سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان على إثبات صفة السمع والبصر كماوردت ، والرد على الجهمية الذين نفوا ذلك وادَّعوا أنَّ إثباتهما

---

(١) رواه أبوداود في كتاب السنة ٥/٩٦-٩٧ح٤٧٨والبيهقي في الأسماء والصفات١/ ٦٤٨ح٣٩٠وابن خزيمة في كتاب التوحيد ١/٩٧ح٤٦و٤٧واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/٤١١وقال : « وهو إسناد صحيح على شرط مسلم . . » والحاكم في المستدرك ١/ ٧٥-٧٦وقال : « صحيح ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي على شرط مسلم . وقال الحافظ ابن حجر : « أخرجه أبوداود بسند قوي على شرط مسلم » انظر : فتح الباري ١٣/٣٨٥ .

(٢) رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ١/٩٨ح٤٧وابن منده في كتاب التوحيد ٣/٤٤ح٤٠١وأبو يعلى في إبطال التأويلات ٢/٣٣٧رقم/٣١٨ .

(٣) محمد بن يونس النسائي ، ثقة ، أخرج له أبوداود ، انظر : ميزان الاعتدال ٤/٧٤وتقريب التهذيب ٢/١٥٠ولم أجد تاريخ وفاته . !

(٤) أبوعبد الرحمن عبدالله بن يزيد المكي المقري ، ثقة فاضل ، أقرأ القرآن نيفا وسبعين سنة ، من كبار شيوخ الإمام البخاري توفي سنة ٢١٣هـ وقد قارب المائة عام . انظر : تقريب التهذيب ١/ ٥٤٨ .

(٥) ذكره أبوداود في سننه ٥/٩٧ .

تشبيه فأوردوا هذا الحديث في كتبهم[١] التي صنفوها في إثبات الصفات والرد على الجهمية والمعطلة وغيرهم من أهل البدع والأهواء ، للدلالة على أنَّ نصوص الصفات تمر كما جاءت بلا تأويل ، وأنَّ الإشارة في هذا الحديث وغيره إنما هو لتحقيق الصفة وإثباتها كما وردت وعدم صرفها عن ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته بالتأويل كما فعل الجهمية المعطلة !

لذا قال أبو داود رحمه الله عقب إيراده هذا الحديث : « وهذا رَدٌّ على الجهمية »[٢].

ويستفاد من وضع رسول الله ﷺ إبهامه على أذنه وخنصره على عينه عند قراءته ﴿ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ بيان ثبوت حقيقة صفتي السمع والبصر وتأكيدهما وعدم إرادة صفة أخرى كصفة العلم[٣] تقريبا للمعنى العام الذي تشترك فيه صفات الخالق والمخلوق وتأكيده على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته بلا تكييف ولا تمثيل[٤].

قال الإمام البيهقي رحمه الله : « والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع والبصر ، فأشار ـ ﷺ ـ إلى محلي السمع والبصر لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى ... وأفاد هذا الخبر أنه ـ تعالى ـ سميع بصير له

---

(١) انظر على سبيل المثال : كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/٩٧-٩٨ و١١٤ وكتاب التوحيد لابن منده ١/٤٤ و٥٦ وإبطال التأويلات لأبي يعلى ٢/ ٣٣٧ والأربعين في دلائل التوحيد لأبي إسماعيل الهروي ص/٦٦ وشرح أصول الاعتقاد ٢/٤٠٧ و٤١١ وشرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/٨٤-٨٥ .

(٢) سنن أبي داود ٥/٩٧ .

(٣) كما صنع المعتزلة حيث فسروا كونه تعالى سميعا بصيرا بأنه مدرك للمدركات ، كما فعل المعتزلة البصريون ، وفسر ذلك المعتزلة الكوفيون بالعلم . انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص/١٦٨-١٦٩ .

(٤) تقدم بيان أنَّ الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق لا يقتضي التشبيه انظر : ١/٣٥٨ ومابعدها .

سمع وبصر ، لاعلى معنى أنه عليم ، إذْ لوكان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب ، لأنه محل العلوم منا ... »[١].

وقال الإمام أبو يعلى رحمه الله « وهذا الخبر دلالة على جواز الإشارة إلى صفات نفسه عند ذكر صفات الله تعالى ، لاعلى طريق التشبيه »[٢].

وهذا الاشتراك العام في مفهوم الصفة بين الخالق والمخلوق لابُدَّ منه ، وليس هو التشبيه والتمثيل المنفي عن الله تعالى كما زعم المعطلة[٣]، بل لايُوجد وراء نفيه كما تقدم إلا التعطيل[٤]!

وقد قرن الرسول عليه السلام الإشارة مع القول لكي تُعلم حقيقة صفة السمع والبصر وَتُثبت كما وردت على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ، لكن هذا الاشتراك كما تقدم[٥]لا يُوجد إلا في الأذهان ولولا هذا الاشتراك لما فُهم الخطاب ، ذكر الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله أنَّ الرسول ﷺ بين الأمور الشرعية[٦]بذكر المعاني الشهودية التي كان الناس يعرفونها فذكر الألفاظ والمعاني المشتركة بينهما وكان يقرن ذلك مع الإشارة ونحوها ليُعلم به حقيقة المراد وأما مايخبر به الرسول ﷺ من الأمور الغائبة فقد يكون مما أدركوا نظيره بحسهم وعقولهم كإخبارهم بأن الريح قد أهلكت عادا فإن عادا من جنسهم والريح من

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ٤٦٢/١-٤٦٣وذكر الإمام أبو يعلى قريبا مما ذكره الإمام البيهقي انظر : إبطال التأويلات٣٣٨/٢ .

(٢) إبطال التأويلات ٣٣٩/٢ .

(٣) تقدم مفهوم التشبيه عند المتكلمين ونقده انظر : ٨٦/١ .

(٤) انظر : ٩١/١و٩٦و٣٦٥/٢ - ٣٦٨ .

(٥) انظر : ٣٦٠ .

(٦) أي : الأحكام الفقهية كالصلاة والصيام والزكاة والحج !

جنس ريحهم وإن كانت أشد .

وقد يكون الذي أخبربه الرسول ﷺ يدركون مثله الموافق له في الحقيقة من كل وجه لكن في مفرداته مايشبه مفرداتهم من بعض الوجوه كما إذا أخبرهم عن الأمور الغيبية المتعلقة بالله واليوم الآخرفلا بُدَّ أنْ يعلموا معنى مشتركا وَشَبَهًا بين تلك الألفاظ ، وبين مفردات ماعلموه في الدنيا بحسبهم وعقولهم ، وإذا أراد أنْ يبين لهم ذلك ويقربه إلى أفهامهم أشارلهم على ما يشاهدونه ، وفعل قولايكون حكاية له وشبها به يعلم المستمعون أنَّ معرفتهم بالحقائق المشهودة هي الطريق التي يعرفون بها الأمور الغيبية[1]. فحصول فعل مع قول في إثبات صفة من صفات الله عز وجل قاطع في إرادة حقيقة معنى تلك الصفة وتوكيده بلا تكييف ولا تمثيل مانع من تأويل تلك الصفة وصرف معناها إلى معنى آخر لايدل عليه ظاهر تلك الصفة وقد فهم سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان أنَّ تلك الإشارة إنما قصد بها النبي ﷺ إثبات صفة السمع والبصرقطعا بدون تشبيه ولا تمثيل ولم تطرأ في أذهانهم شبهة التشبيه التي عطل بها المتكلمون الله تعالى عن صفات الكمال لذا اتبع أهل السنة رسول الله ﷺ في تحقيق صفة من صفات الله عز وجل وإثباتها كما وردت بالإشارة مع القول كما فعل النبي عليه السلام عندما تدعوا الحاجة إلى ذلك لتحقيق الصفة والرد على الجهمية المعطلة الذين نفوا صفات الله عز وجل ، وزعموا أنَّ إجراء نصوص الصفات على ظاهرها موهم للتشبيه كما تقدم[2]!

لذا وضع أبو هريرة رضي الله عنه إبهامه على أذنه وخنصره على عينه لإثبات صفة السمع والبصركما فعل رسول الله ﷺ[3].

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص/١٠٦-١٠٧ .

(٢) انظر : ٤٨٧/٢ ومابعدها .

(٣) كما تقدم انظر : ٥٤٦/٢ .

وفسر الإمام المقري رحمه الله تلك الإشارة من رسول الله ﷺ وأبوهريرة بأنَّ المراد بها إثبات صفة السمع والبصركما وردت[١].

وذكر الإمام أبوداود رحمه الله أنَّ هذا الحديث ردٌّعلى الجهمية ويعني بذلك إجراء نصوص الصفات على ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته ، وتأكيد ذلك بالإشارة مع القول لتحقيق الصفة وتأكيد إثباتها ، والرد على من يتوهم التشبيه في ذلك فيحرف نصوص الصفات ، ويعطل الله بذلك عن صفات الكمال كما فعل الجهمية !

وذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله أنَّ من ينفي صفات الله عز وجل ويصرف معاني نصوص الصفات إلى غير حقيقتها بالتأويل ، فحينئذٍ نفعل كما فعل رسول الله ﷺ فنؤكد الصفة التي نفاها بالإشارة مع القول ، فلو قال قائل : إنَّ الله سميع بصير ، لكن أقول : سميع بلاسمع بصير بلابصر ، نردعليه بالحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ السابق[٢]، والذي وضع رسول الله ﷺ عند قراءة قوله تعالى : ﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ، وكذا أبوهريرة رضي الله عنه حين حَدَّث به عن رسول الله ﷺ ونضع كما وضع رسول الله عليه السلام وأبوهريرة إثباتا للصفة كما وردت ، وأنها على حقيقتها ، وأنه لا يجوز تحريف معناها إلى معنى آخر مخالف لحقيقتها[٣]!

وقد أقر أهل السنة والجماعة بمثل هذا الحديث الذي فيه الإشارة مع القول على

---

(١) تقدم انظر : ٥٤٦/٢ .

(٢) انظر : ٥٤٦/٢ .

(٣) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين ٣٧١/٣ .

مختلف العصور فآمنوا وصدقوا به ، وعلموا وتيقنوا أنَّ الإشارة الواردة فيه إنما هي لتحقيق الصفة وإثباتها بلا تكييف ولا تشبيه ، فأثبتوا ماورد فيه من الصفات بلا تكييف ولا تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل(١).

وقد قالوا في أحاديث الصفات ومنها الحديث السابق الذي فيه الإشارة : « هي كما جاءت نقربها ونحدث بها بلاكيف »(٢). وقالوا : « أمروها كما جاءت بلاكيف »(٣)وقد تقدم أنهم يريدون إثبات الصفات الواردة في تلك النصوص كما وردت ، من غيرتكييف ولا تمثيل والرد على المعطلة والمشبهة(٤).

بخلاف أهل الكلام المذموم فإنهم قد ادَّعوا التشبيه في نصوص الصفات وزعموا أنَّ الإشارة عند ذكرأيِّ صفة من صفات الله ومنها صفة السمع والبصر يشعر بإثبات الجوارح لله تعالى وهذا تشبيه وتجسيم(٥)!

وقد استدل بعضهم(٦)في تقرير منهجهم في صرف نصوص الصفات عن ظاهرها

---

(١) انظرعلى سبيل المثال كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/٩٧-٩٨ورد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٤٧وشرح أصول الاعتقاد ٢/٤٠٧و٤١١وإبطال التأويلات لأبي يعلى٢/٣٣٨ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم اختصارمحمد الموصلي ٢/٤٠١-٤٠٢والقول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين ٣/٣٧١ .

(٢) قائل ذلك سفيان بن عيينة وقد تقدم عزوه انظر : ٢/٤٧١ .

(٣) قاله مجموعة من الأئمة منهم الأوزاعي ، والسفيانان ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد . قد تقدم عزوه انظر : ١/١٢٩ - ١٣٠ .

(٤) انظر : ١/ ١٢٩ - ١٣٠ و٣٩٣ و٤٧٠ .

(٥) انظر : مشكل الحديث وبيانه لا بن فورك ص/٩٩-١٠٠وأساس التقديس للرازي ص/ ١٢١وتأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه للسيوطي ص/١٥٨-١٥٩وبراءة الأشعريين من عقائد المخالفين لأبي حامد بن مرزوق ص/٤٨ .

(٦) كما فعل أبوبكر الحصني في كتابه : دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد =

الموهم للتشبيه كما زعموا ، واعتبارهم الإشارة عند ذكر صفة من صفات الله تشبيها وتجسيما استدلوا بما رُوي عن الإمام مالك رحمه الله أنه نهى عن التمثيل بالإشارة عند ذكر شيء من صفات الله الذاتية ، كمن يذكر صفة اليد ويشير بيده ، أو صفة السمع ويشيرإلى أذنه ، أوصفة البصرويشير إلى عينه ، وأغلظ القول على من فعل ذلك ، واعتبره مشبها لصفات الله بصفات خلقه .

كما نقل ذلك الإمام ابن عبد البر عن حرملة بن يحيى التجيبي[١]، قال سمعت عبد الله بن وهب[٢]يقول : سمعت مالك بن أنس يقول : « من وصف شيئا من ذات الله ، مثل قوله : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة : ٦٤] وأشار بيده إلى عنقه ومثل قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] فأشار إلى عينه أوأذنه أوشيئا من بدنه قُطع ذلك منه لأنه شبه الله بنفسه ثم قال مالك : أما سمعت قول البراء[٣]حين حَدَّث أنَّ النبي ﷺ قال : « لايُضحي بأربع من الضحايا » وأشار البراء بيده كما أشار النبي ﷺ بيده قال البراء : ويدي أقصر من

= ق/١٦ أـ ب والكوثري في تكملة الرد على نونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل للسبكي ص/٥١ .

(١) أبو حفص حرملة بن يحيى بن حرملة بن عمران التجيبي المصري ، صاحب الإمام الشافعي ، صدوق ، توفي سنة ٢٤٣هـ انظر : ميزان الاعتدال١/٤٧٢وتقريب التهذيب ١/١٩٥ .

(٢) أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم المصري أحد الأثبات والأئمة الأعلام وصاحب التصانيف ، ثقة حافظ عابد توفي سنة ٢٩٧ هـ انظر : ميزان الاعتدال ٢/ ٥٢١-٥٢٣وتقريب التهذيب ١/٥٤٥ .

(٣) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي ، أبوعمارة ويُقال أبوعمرو ، استصغره رسول الله ﷺ يوم بدر ، وأول مشاهده أحد وقيل الخندق ، وحضرمع رسول الله أربع عشرة غزوة ، وافتتح الري سنة ٢٤هـ ونزل الكوفة وابتنى بها دارا وتوفي في إمارة مصعب بن عمير عام ٧١هـ انظر : الإصابة ١/٢٣٤والأعلام ٢/٤٦ .

يدي رسول الله ﷺ[١]. فكره البراء أنْ يصف رسول الله ﷺ إجلالا له وهومخلوق فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء »[٢].

ويرد على استدلال المتكلمين بهذا الأثر المروي عن مالك في اعتبارهم نصوص الصفات والإشارة عند ذكر صفة منها تشبيها وتجسيما بعدة وجوه :

الوجه الأول : إنَّ ثبوت ذلك عن الإمام مالك رحمه الله مختلف فيه بين أهل العلم حيث لم يذكر الإمام ابن عبد البر رحمه الله ذلك بسند متصل بينه وبين حرملة التجيبي الذي روى ذلك عن عبد الله بن وهب عن مالك رحمه الله ، فصار السند منقطعا !

ولو ذكرهم لَعُرِف صحة السند إلى مالك ، وحرملة التجيبي مختلف فيه فمنهم من ضعفه حتى قال أبو حاتم في شأنه : « لايحتج بحديثه »[٣]وذكر عبد الله الفرهاذاني[٤]أنه ضعيف[٥]. ومنهم من وثقه فذكرابن عدي[٦]أنه لم يجد في حديث حرملة مايوجب أنْ يضعف من أجله[٧]، وذكر الإمام الذهبي أنه أحد

---

(١) جزء من حديث رواه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الضحايا ٢/٤٨١ح١ .

(٢) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ٧/١٤٥-١٤٦ .

(٣) ذكره عبد الرحمن بن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣/٢٧٤والذهبي في ميزان الاعتدال ١/٤٧٢ .

(٤) أبو محمد عبد الله بن محمد بن سيار الفَرْهذاني ويُقال : الفرهياني ، الإمام الحافظ الناقد الثبت توفي سنة نَيِّفٍ وثلاثمائة . انظر : الكامل لابن عدي ٣/٨٦٣ وميزان الاعتدال للذهبي١/٤٧٢ .

(٥) ذكره ابن عدي في الكامل ٣/٨٦٣والذهبي في ميزان الاعتدال ١/٤٧٢ .

(٦) أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن المبارك الجرجاني الإمام علامة الحديث ورجاله . من مؤلفاته : « علل الحديث » و « الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة » توفي سنة ٣٦٥هـ انظر : الأعلام ٤/١٠٣ .

(٧) انظر : الكامل لابن عدي ٢/ ٨٦٦ وميزان الاعتدال ١/٤٧٣ .

الأئمة الثقات[١]. وذكر الحافظ ابن حجرأنه صدوق[٢]. وأما عبد الله بن وهب فهو من الحفاظ الأثبات المتفق على توثيقهم[٣]، حتى قال عنه الإمام أحمد رحمه الله : « ابن وهب صحيح الحديث ، ما أصح حديثه وأثبته ... »[٤].

ولذا فإنَّ ثبوت هذا الأثر عن مالك رحمه الله فيه نظر لانقطاع السند بين ابن عبد البر وبين عبد الله بن وهب ، ولاختلاف العلماء في حرملة الذي روى عنه الإمام ابن عبد البر ، لذا ذكر الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ[٥]رحمه الله أنَّ ما ذُكر عن الإمام مالك في أحاديث الصفات ما أظنه يثبت عن مالك ، وهل أحاديث الصفات أكثرمن آيات الصفات التي في القرآن[٦]؟ .

الوجه الثاني : ثم إنه على فرضِ صحة ثبوته عن الإمام مالك رحمه الله فإنَّ مقصوده من النهي عن الإشارة عند ذكرصفة من صفات الله ، إنما هو من يريد التكييف والتشبيه أما من يريد بالإشارة إثبات الصفة كماوردت وتحقيق ذلك وتأكيده مع الامتناع عن الخوض في الكيفية وتنزيه الله عن التشبيه والتمثيل فلامانع

---

(١) انظر : المرجع نفسه ٤٧٢/١ .

(٢) انظر : تقريب التهذيب ٩٥/١ .

(٣) انظر : ميزان الاعتدال ٥٢١/٢- ٥٢٣وتقريب التهذيب ٥٤٥/٢ .

(٤) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٥٢٣/٢ .

(٥) سليمان بن عبد الله بن الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي الحافظ المحدث الفقيه المجتهد الثقة ، كان رحمه الله آية في العلم والحلم والحفظ والذكاء ، من مصنفاته : « تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد » و « الدلائل في حكم موالاة أهل الشرك » أكرمه الله بالموت في سبيل الله سنة ١٢٣٣هـ على يد إبراهيم باشا وجنده في الدرعية انظر : كتاب التراجم ضمن الدرر السنية لابن القاسم ٣٨٤/١٣ومقدمة تيسير العزيز الحميد ص/١٢-١٣ .

(٦) انظر : تيسير العزيز الحميد ص/٥٧٧ .

من ذلك ، وقد فهم الإمام ابن عبدالبر رحمه الله الذي أورد الأثر عن الإمام مالك هذا المراد ، ولذا أورده عقب ذكره لمنهج السلف في الصفات ، وبيان أنهم يؤمنون بها ويحملونها على الحقيقة لاعلى المجازإلا أنهم لايكيفون شيئا من ذلك ولايشبهون ، بخلاف أهل البدع المعطلة فإنهم ينكرون الصفات ، ولايحملونها على حقيقتها اللائقة بجلال الله وعظمته ، بل يزعمون أنَّ من أقربها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود(١).

فاستشهد الإمام ابن عبد البرعلى ذلك بكلام الإمام مالك السابق ، ردا على هؤلاء المعطلة نفات الصفات ، ليبين أنَّ الممتنع عند أهل السنة الخوض في كيفيات الصفات ، وتشبيهها بصفات المخلوقين ونعوت المحدثين ، ونفيها وحملها على المجاز كما يفعل أهل التعطيل لاإثباتها كما وردت بلا تكييف ولا تمثيل .

ومما يدل على ذلك تعقيب الإمام ابن عبدالبررحمه الله فيما رُوي أيضا عن الإمام مالك رحمه الله أنه كان ينكر إنكارا شديدا على من يحدث ببعض أحاديث الصفات وينهى عن ذلك(٢)!

فبين الإمام ابن عبد البر إنكاره هذا بقوله : « وإنما أنكر ذلك مالك خشية الخوض في التشبيه بكيف ها هنا »(٣).

فكذا نهيه عن الإشارة عند ذكر صفة من صفات الذات ، واعتباره ذلك تشبيها يحمل على خشيته الخوض في التشبيه عند الإشارة من بعض الناس ، لاسيما إذا كانوا ممن يخاف عليهم أنْ لاتقبل عقولهم ذلك ، فسدا للذريعة منع الإشارة ، وربما

---

(١) انظر كتابه : التمهيد ١٤٥/٧ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ١٥٠/٧ .

(٣) المرجع نفسه ١٥٠/٧ .

علم أنَّ بعض الناس يقصدون بالإشارة تفسير الكيفية أوالتشبيه ، فمنع من ذلك سدًا للذريعة !

الوجه الثالث : إنَّ الإمام مالك رحمه الله من كبار أئمة أهل السنة والجماعة وحاشاه أنْ ينفي الصفات ويعتبر إثباتها كما يزعم المعطلة تشبيها ، بل يثبت الصفات كماوردت من غيرتكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ، ويثبت معاني نصوص الصفات كماوردت بلا تكييف ، ولايصرفها عن ظاهرها بل يثبتها على حقيقتها وظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته ، ومما يدل على ذلك مقالته العظيمة : « الاستواء معلوم والكيف غيرمعقول والسؤال عنه بدعة »[١]فبين رحمه الله أنَّ استواء الله عز وجل معلوم في اللغة وهو : العلو والصعود والارتفاع والاستقرار كما تقدم[٢]، وأنَّ الله عز وجل عالٍ علىخلقه مستوٍ على عرشه وأنَّ كيفية الاستواء غير معقولة لأنَّ ذلك لم يرد في الكتاب والسنة ، فكان السؤال عنه بدعة !!وقد أصبحت هذه المقالة كما تقدم[٣]قاعدة أهل السنة في إثبات الصفات كما وردت والرد على من يبحث عن كيفية صفات الله من أهل التعطيل والتمثيل ، ويرد به أيضا على من يصرف نصوص الصفات عن ظاهرها ويؤولها زاعما أنها موهمة للتشبيه ، كما يرد به على من زعم أنَّ مذهب السلف في نصوص الصفات تفويض المعنى . ومما يدل على إثبات الإمام مالك للصفات ونفيه التشبيه في ذلك ، ونهيه عن الخوض في كيفياتها المفضي إلى التمثيل ، وأنه أراد بنهيه عن الإشارة عند ذكر صفة من صفات الله خشية الوقوع في التشبيه لاصرف نصوص الصفات عن

---

(١) تقدم عزوه انظر : ٣٩٣/١ .

(٢) انظر : ٣٣٤/١ .

(٣) انظر : ٣٩٤/١ .

ظاهرها واعتبارها تشبيها كما يزعم المعطلة مما يدل على ذلك استدلاله رحمه الله بقول البراء بن عازب رضي الله عنه حين حَدَّثَ بقول رسول الله ﷺ : « لا يُضحي بأربع من الضحايا » وأشار البراء بيده كما أشار النبي ﷺ بيده[1] ثم قال : « ويدي أقصرمن يد رسول الله ﷺ » فقد أثبت البراء يد رسول الله عليه السلام لكن كره أنْ يمثلها بيده توقيرا له ، وهذا مافهمه الإمام مالك فاستدل به على أنَّ الصفات ثابتة لكن المحذور فيها التكييف والتمثيل ، ولذا ذكر أنَّ البراء كره أنْ يشبه يده بيد رسول الله ﷺ إجلالا له وهو مخلوق ، فكيف بالخالق الذي ليس كمثله شيء[2] !

ولا يعقل أنْ يثبت الإمام مالك يد رسول الله ﷺ وينفي عنها التشبيه ويجعل ذلك كما يزعم المعطلة دليلا على صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الموهم للتشبيه !!

فلايستقيم لهؤلاء المعطلة أنْ يستدلوا بمنع الإمام مالك الإشارة عند ذكر صفة من صفات الله لأنهم معطلة نفاة ، والإمام مالك مثبت للصفات منزه الله تعالى عن التكييف والتمثيل ، وهم من أهل الكلام المذموم المعتبرون عند سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان ومنهم الإمام مالك من أهل البدع والأهواء الذين يجب اجتنابهم والتحذير منهم ومن كلامهم المذموم كما تقدم[3] !

الوجه الرابع : إنَّ منع الإمام مالك رحمه الله الإشارة باليد عند ذكر صفة من صفات الله الذي تعلق به المعطلة لاعتبارهم إثبات نصوص الصفات كما وردت

---

(١) تقدم عزوه انظر : ٥٥٢/٢ .

(٢) انظر ما ذكره الإمام ابن عبد البرعن الإمام مالك في ذلك في كتابه التمهيد ١٤٥/٧-١٤٦ .

(٣) انظر : ١٣/٢- ١٦ و٨٨ - ٩٧ .

بدون تأويل تشبيها مُعارضٌ بأحاديث صحيحة دالة على جواز الإشارة باليد عند ذكر صفة اليد لله تعالى أو الأصابع كما سيأتي[١]أو الإشارة عند ذكر صفة السمع والبصر إلى الأذن والعين كما تقدم[٢].

وَمُعارض أيضا بما رُوي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال : ذُكرالدجال عند النبي ﷺ فقال : « إن الله لايخفى عليكم ، إنَّ الله ليس بأعور ، وأشاربيده إلى عينه وأنَّ المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأنَّ عينه عنبة طافية »[٣].

فقد أشار النبي علسه السلام بيده إلى عينه لتنزيه الله عز وجل عن صفات النقص والعيوب ومنها العور ، وتحقيقا لإثبات صفة العين لله تعالى وأنها كاملة لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه ، ولاتشبه عين المخلوق !

وما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله في هذا الحديث مجانب للصواب حين قال : « ... ولم أرَ في كلام أحد من الشراح حمل هذا الحديث على معنىً خطر لي فيه إثبات التنزيه وحسم مادة التشبيه عنه ، وهوأنَّ الإشارة إلى عينه ﷺ إنما هي بالنسبة إلى عين الدجال فإنها كانت صحيحة مثل هذه ثم طرأ عليها العور لزيادة كذبه في دعوى الإلهية وهوأنه كان صحيحَ العين مثل هذه فطرأَ عليها النقص ، ولايستطيع دفع ذلك عن نفسه »[٤].

فما ذكره هُنا من تأويلٍ لهذا الحديث كما ذكر شيخي الدكتور : أحمد عطية الغامدي يصرف الإشارة عن مقصدها السديد ، وهو تحقيق اتصافه سبحانه وتعالى

---

(١) انظر : ٢/ ٥٤٦ و٥٥٦ و٥٦٤ و٥٧٢ - ٥٧٣ . .

(٢) انظر : ٥٤٦/٢ .

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد ٤٠١/١٣ ح ٧٤٠٧ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ٤/ ٢٢٤٧ح ١٦٩ .

(٤) فتح الباري لابن حجر ٤٠٢/١٣ .

بصفة العين حقيقة لاتأويل فيها ، وليس في هذا المعنى تشبيه ، لأنَّ المقصد تحقيق الوجود على ما يليق بالله تعالى[١].

وأيضا فإنَّ سياق الحديث مُبطل لما ذكره الحافظ رحمه الله لأنَّ الرسول ﷺ ذكر ما يتضمن إثبات صفات الكمال وتنزيهه عن النقص بقوله : « إنَّ الله لايخفى عليكم » أي : إنكم تعرفونه بأنه موصوف بصفات الكمال ومنها صفة العين وتنزهونه عن صفات النقص ومنها العور الخاص بالمخلوقين ، ولا يلتبس أمر الدجال وصفته بصفات الخالق على المؤمنين حين يخرج !

ومنع الإمام مالك الإشارة عند ذكرصفة من صفات الله إنْ صح عنه كماتقدم معارض أيضا بمارواه عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله قال : حدثني أبي ، حدثنا معاذ بن معاذ[٢]حدثنا حماد بن سلمة[٣]حدثنا ثابت البناني[٤]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] قال قال : « هكذا . يعني : أخرج طرف الخنصر[٥].

---

(١) انظركتابه : البيهقي وموقفه من الإلهيات ص/٢٤٣ .

(٢) أبو المثنى معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري البصري القاضي « ثقة عابد » توفي توفي سنة ١٩٦هـ انظر : تقريب التهذيب ١٩٣/٢ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ٤٤٩/١ .

(٤) أبو محمد ثابت بن أسلم البناني البستاني « ثقة عابد » توفي سنة بضع وعشرين ومائة انظر : تقريب التهذيب ١٤٥/١ .

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٢٥/٣وابنه عبد الله في كتاب السنة ٢٦٩/١ح٥٠٠وابن أبي عاصم في السنة ٢١٠/١-٢١١ح٤٨٠وقال محققه الشيخ الألباني : « إسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ورواه الترمذي في كتاب التفسير انظر : سنن الترمذي ٥/ ٢٤٨ح٣٠٧٣وقال : « حديث حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة » ورواه الحاكم في المستدرك ٣٥١/٢وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم » =

قال أبي : أراناه معاذ ، فقال له حميد الطويل[1]: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد قال : فضرب صدره ضربة شديدة وقال : من أنت يا حميد وما أنت يا حميد ، حدثني به أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه سلم تقول أنت : ما تريد إليه ، حدثني أبي قال : حدثني مَنْ سمع معاذا يقول : وددت أنه حبسه شهرين . يعني : لحميد » .

فالسلف يتقبلون ماورد عن رسول الله ﷺ من الإشارة عند ذكر صفة من صفات الله عز وجل ومنها صفة التجلي الواردة في الآية ، لتحقيق الصفة وتقرير معناها على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته بلا تكييف ولا تمثيل ، بل إنهم كما في هذا الأثر يُبالغون في النكيرعلى من يحصل منه نوع نفرة ، وَيُبْدي رغبة في عدم التحدث بها ، نتيجة سبقِ معنىً من معاني التشبيه إلى ذهنه يحمله على استنكار ماروي عن النبي ﷺ منكرا الإشارة عند ذكر صفة من صفات الله لتحقيق إثباتها وبيانها فينكرون عليه بالفعل ضربا كما ضرب ثابت البناني حميد الطويل حين قال له : « ما تريد إلى هذا يا أبا محمد » فضرب صدره لأنه فهم منه الاستنكار ، وأقام عليه الحجة بقوله : « حدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ تقول أنت : ما تريد إليه » ؟!

والإمام مالك رحمه الله لا يخالف حديث رسول الله ﷺ بل قَرَّرَ أنْ يُؤخذ ما يقول به إذا وافق الكتاب والسنة ، وأنْ يترك إذا كان مُخالفا لهما ، فقال في ذلك : « إنما أنا بشر أُخطئ وَأُصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ،

= ووافقه الذهبي ، ورواه ابن جرير في تفسيره ٦/٥٤ورواه أبو يعلى في إبطال التأويلات ٢ / ٣٣٢رقم ٣١٣و٣١٤ .

(١) أبو عبيدة حميد بن أبي حميد الطويل ، الخزرجي من ثقات التابعين ، اختلفوا في اسم أبيه فرجح الذهبي أنه « تيرويه » توفي سنة ١٤٢هـ انظر : ميزان الاعتدال ١/٦١٠والأعلام ٢/٢٣٨ .

وكل مالم يُوافق الكتاب والسنة فاتركوه »[١].

فمارُوي عن الإمام مالك في المنع عن الإشارة إنْ صَحَّ عنه إنما كان يريد به الإنكار على من يخوض في البحث عن معرفة كيفية صفات الله تعالى ، وتشبيهها بصفات المخلوقين ، ولايظن بالإمام مالك رحمه الله أنْ يجعل ذلك منهجًا عاماًلجميع الناس بحيث يُقررأنه لايُحدث بأحاديث الصفات خشية التشبيه ، أو لا تجوز الإشارة عند ذكرالصفات لكل الناس ، وفي كل الأوقات ، فإنَّ هذا لايقول به من هو أدنى من مالك علما وعملا وإيمانا !!

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنه نُقل عن بعض السلف أنه امتنع من رواية بعض أحاديث الصفات في بعض الأوقات ، وهذا كما قدكان يمتنع عن رواية بعض الأحاديث في الفقه والأحكام ، وبعض أحاديث القدروالأسماء والأحكام والوعيد وغير ذلك في بعض الأوقات ، وليس ذلك عنده مخصوصا بباب الصفات ، وهذا كان يفعله بعضهم ويُخالفه فيه غيره ، وذلك لأنه قد يرى أنَّ روايتها تضربعض الناس في بعض الأوقات ، ويرى الآخرأنَّ ذلك لايضربل ينفع ، فكان هذا مما قد يتنازعون فيه في بعض الأوقات ، فأما المنع من تبليغ عموم أحاديث الصفات لعموم الأمة فهذا ماذهب إليه من يُؤمن بالله واليوم الآخر[٢]!

فلعل الإمام مالك رحمه الله قد رأى بعض الناس يشيرعند ذكربعض نصوص الصفات ويريد بذلك البحث عن الكيفية المفضي إلى التشبيه ، فمنع من ذلك خشية الوقوع في التشبيه ، أوالتأويل نتيجة توهم التشبيه كما فعل الجهمية المعطلة

---

(١) ذكره أبو شامة في مختصر المؤمل للرد إلى الأمر الأول المطبوع ضمن مجموعة رسائل ص/٣١ وابن القيم في إعلام الموقعين ١/٧٥ .

(٢) انظر : الرد على الطوائف الملحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٣٣٢ .

فاستخدم مع هؤلاء قاعدة سد الذريعةحماية للتوحيد ، وسدا لكل طريق يفضي إلى ما يُناقضه من التشبيه والتعطيل ، مع تقرير جواز الإشارة كماورد في السنة لتحقيق الصفة وتأكيد معناها على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ، كما قرره سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان قولا وفعلا ، إثباتا وتنزيها ، وتأصيلا وردا على أهل التحريف والتعطيل ! وَمَنْعُ الإشارة لمن عُرف أنه يريد بذلك التشبيه واجب لتنزيه الله عن ذلك ووصفه بصفات الكمال كما فعل الإمام أحمد فإنه رحمه الله ـ كما تقدم ـ غضب عندما أومأ رجل عند قراءة قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ وقال له : قطعها الله وغضب وقام[١]!

قال الإمام أبو يعلى رحمه الله تعقيبا على هذه الرواية : « وهذا محمول على أنه قصد التشبيه والمنع الذي أجازه إذالم يقصد ذلك »[٢].

على أنَّ الذي ينبغي أنْ يُعلم أنَّ الإشارة عند ذكر صفة من صفات الله ليست واجبة فقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أنه سُئل هل يجوز لقارئ هذا الحديث[٣]أن يصنع كما صنع رسول الله ﷺ ؟

فأجاب : « ... إنه إذا حضر عنده من يُوافقه في معتقده وكان يعتقد تنزيه الله تعالى عن صفات الحدوث ، أوأراد التأسي محضا جاز والأولى به الترك خشية أن يدخل على من يراه التشبيه تعالى الله عن ذلك »[٤].

---

(١) تقدم عزوه انظر : ٤٤٤/٢ .

(٢) إبطال التأويلات لأبي يعلى ٣٢٣/٢ .

(٣) أي : الذي فيه الإشارة . !

(٤) انظر : فتح الباري ٤٠٢/١٣ .

وذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين أن الإشارة تختلف بحسب مايترتب عليه من المفاسدة والمصالح فليس كل من شاهد أو سمع يتقبل ذهنه ذلك بغير أنْ يشعر بالتمثيل ، فينبغي أنْ نكف ـ إذا علمنا أنَّ ذلك يضربعض الناس ، فَيفضي بهم إلى التشبيه ـ لأنَّ الإشارة ليست بواجبة حتى نقول : يجب علينا أنْ نبلغ بالقول والفعل ، أما إذاكنا مع طلبة علم ، أو مع إنسان مُكابر ينفي ذلك ، ويريد أنْ يُحول المعنى إلى غير الحقيقة ، فحينئذ نفعل كما فعل الرسول ﷺ !!

فالمقام ليس بالأمر السهل بل هو أمر صعب ودقيق للغاية ، فإنه يُخشى من أنْ يقع أحد في محذور ، كان بالإمكان الإمساك عنه ، وهذا هوفعل الرسول ﷺ في جميع تصرفاته إذا تأملتها حتى الأمور العملية كان يُؤجلها إذا خاف من فتنةٍ أومن أشد ضررا ، كما أخر بناء الكعبة على قواعد إبراهم خوفا من أنْ يكون فتنة لقريش الذين أسلموا حديثا[1] .[2]!

فَعُلم مما تقدم بطلان استدلال المعطلة لتقرير منهجهم في صرف نصوص الصفات بالتأويل الفاسدبما رُوي عن الإمام مالك من أنه كان يمنع الإشارة عند ذكرصفة من صفات الله وأنَّ ذلك إنْ صح عنه فإنما أراد به نفي التمثيل مع إثبات الصفات لاصرف نصوص الصفات عن ظاهرها ، واعتبار إثباتها تشبيها كما زعم المعطلة ، والإمام مالك رحمه الله بريء منهم ومن مقالاتهم المنكرة المبنية على التحريف والتعطيل ، لأنه رحمه الله مثبت للصفات كما وردت بلا تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تشبيه على وفق قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

---

(١) كما ورد بذلك حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه البخاري في كتاب الحج ٣/ ٥١٣ح١٥٨٣ ومسلم في كتاب الحج ٢/٩٦٨ح ١٣٣٣ .

(٢) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين ٣/٣٦٩-٣٧١ .

المثال الثاني : ومن الأحاديث التي اجتمع فيها الإشارة مع القول لإثبات صفة الأصابع على سبيل تحقيق الصفة ، وإثباتها بلا تكييف ولا تمثيل ؛ مارواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « جاء حبر[١] من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إنا نجد[٢] أنَّ الله يجعل السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجرعلى إصبع ، والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع ، فيقول : أنا الملك . فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه . تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٣] [الزمر : ٦٧] .

وقد احتج سلف الأمة وأئمتها بهذا الحديث على إثبات صفة الأصابع لله تعالى كما وردت ، وبيان عظمة الله عز وجل الدالة على إخلاص العبادة له تعالى ، والرد على المعطلة الذين اعتبروا إثبات الصفات ومنها صفة الأصابع تشبيها[٤] !

وممن احتج بهذا الحديث من الأئمة الإمام أحمد[٥] ، والدارمي[٦] ،

---

(١) الحبربكسر الحاء أوالفتح مع سكون الباء والكسر أفصح كما قال الفراء . والمراد به : العالم وجمعه أحبار ومنه أحبار اليهود أي : علماؤهم انظر : لسان العرب ٤/١٥٧ـ١٥٨مادة « حبر » .

(٢) أي : في التوراة .

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير ٨/٤١٢-٤١٣ح٤٨١١وفي كتاب التوحيد١٣/ ٤٠٤و٤٤٧و٤٨٢ح٧٤١٤ و٧٤١٥و٧٤٥١و٧٥١٣ورواه مسلم في كتاب صلاة المنافقين وأحكامهم ٤/٢١٤٧ـ٢١٤٨ح٢٧٨٦ .

(٤) سيأتي ذكر بعض مقالاتهم في ذلك قريبا .

(٥) في مسنده ١/٤٢٩و٤٥٧ورواه عنه ابنه عبدالله في كتاب السنة ١/٢٦٤ح٢٨٨ .

(٦) في رده على بشر المريسي ص/٦١ .

وابن أبي عاصم[١]وابن خزيمة[٢]، والآجري[٣]، والدارقطني[٤]، وابن منده[٥]، واللالكائي[٦]، والشيخ محمد بن عبد الوهاب[٧]، وغيرهم فأقروا لله تعالى بأنَّ له أصابع وأنها من صفات ذاته الثابتة له جل وعلا حقيقة بلا تكييف ولا تشبيه ، وعلموا وتيقنوا أنَّالنبي ﷺ أقر الحبر اليهودي على ذكره صفة الأصابع لله تعالى ، وأشار بأصابعه لإثبات ذلك ، وتحقيق الصفة ، وبيان عظمة الله تعالى وانفراده بصفات الكمال حتى ضحك النبي عليه وسلم واستشهد بالآية تقريرا لقول الحبر وتصديقا له .

كما ذكرعبد الله بن مسعود رضي الله عنه فأمروا هذا الحديث كغيره من أحاديث الصفات كما وردت بلا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل[٨]!

قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله مبينا موقف أهل السنة من هذا الحديث المبني على الإثبات والتنزيه : « ولانقول : إصبع كأصابعنا ، ولايدكأيدينا ، ولاقبضة كقبضاتنا لأنَّ كل شيء منه عز وجل لايشبه شيء منا »[٩].

وذكر الإمام أبويعلى رحمه الله أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر علىظاهره اللائق به

---

(١) في كتاب السنة ١/٢٣٨-٢٤٠ح٥٤١و٥٤٢و٥٤٣و٥٤٥ .

(٢) في كتاب التوحيد ١/١٧٩-١٨٤ .

(٣) في كتاب الشريعة ص/٢٨٣-٢٨٤ .

(٤) في كتاب الصفات ص/٣٩-٤٥ .

(٥) في كتاب التوحيد٣/٢١و٢٢ .

(٦) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/٤٢٠-٤٢١و٦٠٨و٧٠٦ .

(٧) في كتاب التوحيد ص/١٥٧-١٥٨ .

(٨) وقد تقدمت أقوالهم في ذلك عند ذكر منهجهم في نصوص الصفات انظر : ٢/٤٦٨ - ٤٧٧ .

(٩) تأويل مختلف الحديث ص/١٩ .

تعالى وأنَّ الأصابع صفة لله تعالى ترجع إلى الذات ، وأنه تجوز الإشارة فيها باليد[١].

وذلك لتحقيق الصفة وأنه لا يجوز صرفها عن ظاهرها اللائق به تعالى ، وأنها صفة حقيقية لله عز وجل ، تثبت كماوردت من غيرتحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

وقد قرر أهل السنة أنَّ الإشارة عند ذكر هذا الحديث وغيره غيرممتنعة بل هي جائزة عند الحاجة لذلك ، لتحقيق الصفة وإثباتها ، بلا تكييف ولا تشبيه لأنَّ رسول الله ﷺ أقر الحبرعلى ذلك ، ولوكانت ممتنعة لما أقره ، ولما ضحك ﷺ تصديقًا لقوله وفعله كما ذكرعبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

فكان الأئمة رحمهم الله يشيرون بأصابعهم عند ذكر هذا الحديث لبيان عظمة الله تعالى واتصافه بصفات الكمال ومنها صفة الأصابع ، وردهم على الجهمية المعطلة ومن الأمثلة على ذلك مارواه عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله عن أبيه أنه قال في حديث « الحبر » ، قال أبي رحمه الله : « جعل يحيى - بن معين - يشيربأصابعه وأراني أبي كيف جعل يشير بأصابعه أصبعا أصبعا حتى أتى على آخرها[٢].

وذكر الإمام أبو يعلى رحمه الله أنَّ الإمام أحمد سُئل عن حديث الحبر فقال : « رأيت يحيى - بن معين - يحدث بهذا الحديث ويضع إصبعا إصبعا ووضع أبوعبد الله الإبهام على إصبعه الرابعة من أسفل إلى فوق على رأس كل إصبع »[٣].

فآمنوا وصدقوا وأقروا بما أقره رسول الله ﷺ وصدق به ، دون أنْ يوجب لهم

---

(١) انظر : إبطال التأويلات ٣٢٢/٢ .

(٢) انظر : كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ٢٦٤/١برقم ٤٨٩ .

(٣) إبطال التأويلات ٣٢٢/٢برقم ٣٠٦ .

ذلك وحاشاهم شبهة التشبيه ، بل كان ذلك زيادةً في تحقيق الإثبات ، ومنعا للإلحاد فيها بالتحريف والتعطيل .

بخلاف من تأثر بالكلام المذموم فقد اعترضوا على ذلك ، وعارضوا الحديث بشبهات وخيالات وهمية مبناها على توهم التشبيه المزعوم ، فذكروا أنَّ الحديث خبر آحاد لا يجوز به إثبات الصفات ، كما ادَّعوا أنَّ الإشارة الواردة فيه من يهودي مشبه مجسم ، وأنَّ ضحك الرسول ﷺ دليل على الإنكار عليه والاستخفاف به[1]وأنَّ الآية التي قرأها : ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ تدل على إنكاره على اليهودي ، وتنزيه الله عن تشبيهه لأنَّ معناها : ماعرفوا الله حق معرفته إذْ شبهوه بخلقه[2]!

ولهم في ذلك مقالات كثيرة سأذكر منها ما ذكره الإمام الخطابي لأنَّ غالب من يَدَّعى التشبيه في هذا الحديث يذكرلتقريرمقالته ما ذكره الخطابي ، فمناقشة ما ذكره ، والردعليه ، وبيان موقف أهل السنة من ذلك ، رَدٌّ على جميع من أنكر ماورد في هذا الحديث وادَّعى فيه التشبيه !

فمما ذكره الخطابي في ذلك أنَّ الأصل فيما ورد في حديث الحبروما أشبهه من أحاديث الأسماء والصفات أنه لا يجوز إثبات ذلك إلا أنْ يكون بكتاب ناطق

---

(١) انظر : مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص/٩٥-٩٧ودفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص/٢٠٦-٢٠٧ودفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد لأبي بكر الحصني ق١٢/ب وأساس التقديس للرازي ص/٣٨وتكملة الرد على نونية ابن القيم للكوثري المطبوع مع السيف الصقيل للسبكي ص/٣٣٦وتعليقات الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي ص/٣٣٦والبراهين الساطعة في الرد على بعض البدع الشائعة لسلامة القضاعي ص/ ٢٣٤-٢٣٥والمدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام للدكتور محمد عبد الستار نصار ١/٦١٤وتعليقات حسن السقاف على دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص/٢٠٥ .

(٢) انظر : أساس التقديس للرازي ص/١٣٨ودفع شبه من شبه وتمرد للحصني ق/١٢ .

أوخبرمقطوع بصحته فإنْ لم يكونا فيما يثبت من أخبار الآحاد المستندة إلى أصل في الكتاب أوالسنة المقطوع[١]بصحتها ، أوبموافقة معانيها وماكان بخلاف ذلك فالتوقف عن اطلاق الاسم به واجب ويتأول حينئذ على مايليق بمعاني الأصول المتفق عليها من أقوال أهل الدين والعلم مع نفي التشبيه فيه !هذا هو الأصل الذي نبني عليه الكلام ونعتمده في هذا الباب !

وذكر الأصابع لم يُوجد في شيء من الكتاب ولامن السنة التي شرطها في الثبوت ما وصفناه وليست معنى اليد في الصفات بمعنى الجارحةحتى يُتوهم بثبوتها ثبوت الأصابع ، لأنَّ إثباتها توقيفي فلا يكيف ولا يشبه ، فخرج بذلك عن أنْ يكون له أصل في الكتاب أوفي السنة ، أوأنْ يكون على شيء من معانيها .

ثم ذكر أنَّ هذا الحديث قد رواه غير واحد من أصحاب عبد الله بن مسعود من غير طريق عَبيدة[٢]فلم يذكروا فيه قوله « تصديقا لقول الحبر » .

واليهود مشبهة وفيما يَدَّعونه منزلا في التوراة ألفاظا تدخل في باب التشبيه ليس القول بها من مذاهب المسلمين ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بما أنزل الله من كتاب » والنبي ﷺ أولى الخلق بأنْ يكون قد استعمله مع هذا الحبروالدليل على صحة ذلك أنه لم ينطق فيه بحرف تصديقا له أوتكذيبا وإنما ظهرمنه في ذلك الضحك المخيل للرضا مرة وللتعجب والإنكار مرة أخرى ثم تلا الآية وذكرأنها محتملة للوجهين معا وليس فيها للأصبع ذكر !

---

(١) يقصد الأحاديث المتواترة .

(٢) أبوعمرو عَبِيدة بن عمرو السلماني الكوفي المرادي تابعي كبير ، ثقة ثبت ، روى عنه الجماعة . توفي سنة٧٢هـ أوغيرها . انظر : سيرأعلام النبلاء ٤/٤٠-٤٤وتقريب التهذيب١/٦٤٩-٦٥٠ .

وقول من قال من الرواة « تصديقا لقول الحبر » ظن وحسبان ، والأمر فيه ضعيف والاستدلال بالتبسم والضحك في مثل هذا الأمرالجسيم قدره الجليل خطره غير سائغ !

ثم ذكرأنه حتى لو صح الحديث من طريق الرواية كان الظاهرمنه مُتأولا ، وقام بتأويل ماورد في الحديث بأنه من قبيل المجاز الوارد في اللغة كما يُقال للرجل القوي إذا أُضيف إليه الأمر الشاق إنه ليأتي عليه بإصبع واحدة ، أوأنه يحمله بخنصره ، أويقلبه بصغرى أصابعه ، وهذا كناية عن القدرة عليه ، كماأوَّل صفة « اليمين » الواردة في الآية ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ بالقدرة أي : قدرته على طيها وسهولة الأمرفي جمعها[1]!

وهكذا تكلف الإمام الخطابي عفا الله عنا وعنه مع جلالته في الحديث نتيجة تأثره بالكلام المذموم تكلف في رَدِّ ماورد في الحديث ، فقرر عدم الأخذ بأخبار الآحاد في أحاديث الصفات ، وذكر أنه من فعل يهودي مشبه ، وطعن في الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بأن ما ذكره ظنا وحسباناكما ذكر أنَّ ضحك النبي ﷺ على اليهودي لايدل على التصديق بل محتمل للتعجب والإنكار ، وأنَّ الآية التي تلاها رسول الله عقب قول الحبرلاتدل على الرضا بل محتملة للإنكار ، ثم قرر صرف الحديث عن ظاهره بالتأويل فعطل الله بذلك عماورد في الحديث والآية من إثبات صفة الأصابع واليمين الدالة على إثبات صفات الكمال لله تعالى وما ذكره رحمه الله باطل من وجوه :

الوجه الأول : إنَّ ماذكره من أنَّ مسائل الصفات لاتثبت بخبرالواحد

---

(١) انظر : أعلام الحديث للخطابي ١٨٩٨/٣-١٩٠٢وذكره البيهقي في الأسماء والصفات مستشهدا به على إنكاره لما ورد في الحديث ١٦٨/٢-١٧١

منفردا[١] فقول مخالف لمذهب أهل السنة في إثبات صفات الله تعالى بخبرالواحد إذا كان صحيح الإسناد إلى النبي ﷺ[٢] لأنَّ معظم أمور الشريعة عقائدها وأحكامها قد ثبتت بأخبار الآحاد ، بل التفريق في إثبات ذلك بين العقائد والأحكام بدعة لم يقل به إلا أهل الكلام المذموم ، لأنَّ نصوص الشرع والدين كلها واحدة في وجوب قبولها والإيمان والعمل بها اعتقادية كانت أوعملية ، وإنما العبرة بأحاديث الصفات وغيرها الصحة لاغير ، وإنما قال بهذا التفريق بعض متأخري المتكلمين الذين فُتنوا بالكلام المذموم ، ودعواهم في ذلك باطلة عند أهل السنة قال الإمام ابن القيم رحمه الله : « وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة ، فإنهالم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات ، كما تحتج بها في الطلبيات العمليات ، ولاسيما والأحكام العملية تتضمن الخبر عن الله بأنه شرع كذا وأوجبه ورضيه دينا ، فشرعه ودينه راجع إلى أسمائه وصفاته ، ولم يزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبارفي مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام ، ولم ينقل عن أحدٍ منهم ألبتة أنه جَوَّز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته ! فأين سلف المفرقين بين البابين ؟

نعم سلفهم بعض متأخري المتكلمين الذين لاعناية لهم بما جاء عن الله ورسوله وأصحابه ، بل يصدون القلوب عن الاهتداء في هذا الباب بالكتاب والسنة

---

(١) أي : من غير وروده في القرآن والسنة المتواترة !

(٢) انظر موقف أهل السنة من الاستدلال بأخبار الآحاد في مسائل الاعتقاد في التمهيد لابن عبد البر٧/١٤٥ و١٥٨والانتصار للسمعاني ضمن صون المنطق للسيوطي ص/١٦٠والمسودة في أصول الفقه لآل تيمية ص/٢٤٥ ومختصرالصواعق المرسلة لابن القيم اختصارمحمد الموصلي ٦١٣/٢ .

وأقوال الصحابة ويحيلون على آراء المتكلمين وقواعد المتكلفين ، فهم الذين يعرف عنهم التفريق بين الأمرين ... وهذا التقسيم أصلٌ من أصول ضلال القوم ، فإنهم فرقوا بين ماسموه أصولا ، وماسموه فروعا ... وادَّعوا الإجماع على هذا التفريق ولا يحفظ ماجعلوه إجماعا عن إمامٍ من أئمة المسلمين ، ولاعن أحد من الصحابة والتابعين ، وهذا عادة أهل الكلام يحكون الإجماع على مالم يقله أحد من أئمة المسلمين ، بل أئمة المسلمين على خلافه ... »[1]!!

على أنَّ ما ذكره الإمام الخطابي من أنَّ ذكر الأصابع لم يُوجد في سنة متواترة إلا في أخبار الآحاد ، غير صحيح بل قدورد في أحاديث كثيرة ومتواترة كما في الوجه الثاني .

الوجه الثاني : أما ما ذكره من أنَّ الأصابع لم يُوجد في شيء من الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة فغير صحيح ، فإنَّ الرسول ﷺ قد أخبر بذلك في أحاديث كثيرة متواترة وعلى المسلم أنْ يُصدق بكل ماأخبر به عليه السلام ويأخذ بكل ماجاء به ، لأنَّ ذلك من الإيمان به عليه السلام الذي هو من مقتضيات الشهادة له بالرسالة بعد الشهادة لله تعالى بالربوبية والألوهية ، وقد أمرالله عباده أنْ يُؤمنوا ويأخذوا ما جاء به الرسول ﷺ بقوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] ومن أعظم ما أتى به الرسول عليه السلام عن ربه الإخبار عنه تعالى بأسمائه وصفاته ، ومن ذلك صفة الأصابع ، فيجب الإيمان بذلك كما يجب الإيمان بما ورد في القرآن من صفات الله سواءً بسواء ، لأنَّ الكل وحي من عند الله تعالى قال الله عز وجل مخبرا وشاهدا لرسوله ﷺ بذلك : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣ - ٤] .

وقد تواترت الأحاديث في ذلك عن النبي ﷺ فعن عبد الله بن عمروبن العاص

---

(١) المرجع نفسه ٢/٦١٣-٦١٤ .

رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفه حيث يشاء ـ ثم قال : رسول الله ﷺ ـ : اللهم مصرف القلوب صَرِّف قلوبنا على طاعتك »(١).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ كان يكثر أنْ يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك . فقالت له عائشة رضي الله عنها : إنك تكثر أن تقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك . فقال : وما يُؤمنني ، وإنما القلوب بين إصبعين من إصبعي الرحمن ، إنه إذا أراد أنْ يُقلب قلب عبدٍ قلبه ... »(٢).

وعن النواس بن سمعان(٣) رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مامن قلبٍ إلا وهو بين إصبعين من أصابع رب العالمين إذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاغه . . »(٤).

---

(١) رواه مسلم في كتاب القدر٤/٢٠٤٥ح ٢٦٥٤ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٢٥٥ورواه الإمام أبويعلى في إبطال التأويلات بلفظ قريب مما ذكر ٢/٣١٢ح٣٠٠ وذكر محققه الشيخ أبو عبد الله محمد بن حمد النجدي أنه صحيح لغيره . وروى الإمام ابن خزيمة نحوه عن أم سلمة رضي الله عنها في كتاب التوحيد١/١٩١ح١٠٩وروى الإمام الدارقطني نحوه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في كتاب الصفات ص/٥٤ح٤٦ ورواه الإمام ابن منده في كتاب التوحيد عن جابر بن عبدالله ٣/١٢ح٥١٤و٤١٦و١٣٣ح٥١٩ .

(٣) النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن فرط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب العامري الكلابي ، له ولأبيه صحبة انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٥٤٦ .

(٤) رواه الدارقطني في كتاب الصفات ص/٥٥ح٤٣وابن أبي عاصم في السنة١/ ٩٨ح٢١٩وذكرمحققه الشيخ الألباني أنَّ إسناده صحيح على شرط الشيخين . ورواه أبو يعلى في إبطال التأويلات ٢/٣١٥ح ٣٠٤ورواه الحاكم في المستدرك ٢/٣١٧وقال : « صحيح على شرطهما » .

والأحاديث الواردة في إثبات صفة الأصابع كثيرة ، ومروية من طرق متعددة وليس ورود الأصابع من طريق الآحاد كما ذكر الخطابي !!

الوجه الثالث : أما ما ذكره الخطابي من أنَّ اليد ليست جارحة حتى يتوهم من ثبوتها ثبوت الأصابع فحقيقة هذا الكلام كما ذكر الشيخ عبد الله الغنيمان أنَّ اليد ليست يدا حتى يلزم ثبوت الأصابع ، ومعلوم أنَّ الله خاطبنا باللغة العربية ، وبألفاظٍ معلومة المعاني للمخاطبين ، والمخاطبون بهذه النصوص علموا أنَّ المراد بها مادلت عليه بظاهرها ، وكذلك المُخاطب أراد منهم ذلك !

ولهذا لم يأتِ عنه ﷺ ولا من طريق ضعيف أنه قال : لا تعتقدوا ظاهرها ولاسيما وظاهرها عند الخطابي وفريقه تشبيه وكفر !!

فهل يعقل أنَّ الله تعالى ورسوله ﷺ يخاطبان العباد بما ظاهره تشبيه وكفر ، ثم لايُبين ذلك لهم ، ولا يحذرهم من اعتقاده ؟!!

ولوكان لهذه النصوص معنى عند رسول الله ﷺ غير ظاهرها لبينه غاية البيان لأنه واجب عليه بمقتضى البيان ، ولسأل عنه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بل سكتوا لعلمهم أنَّ المراد بها هو الظاهرعلى الوجه اللائق به عز وجل .

فوجب علينا أنْ نسكت كما سكتوا ، ونقبل ونسلم كما قبلوا وسلموا بدون تأويل ! ونحن نسأل هؤلاء مَن مِن المسلمين الذين يعتد بقولهم ، قال : إنَّ يد الله جارحة ، وهل جاء ذلك ولو بحديث ضعيف ؟!

إنَّ هذا لاوجود له ، ولكنها الأوهام والتخيلات والشبه والاتجاهات الفاسدة وإرادة التشنيع على أتباع الرسول ﷺ ورميهم بالتشبيه !

ونحن بحمد الله وله الفضل والمنة ، وكل من تلقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبول والتسليم وفهم المراد نقول مطمئنين : إنَّ لله تعالى يدين حقيقيتين لهما أصابع يضع عليها السموات والأرض وما شاء يوم القيامة وإمامنا في ذلك

رسول الله ﷺ وأتباعه وهو ﷺ معلم الخير الهدى[١].

فتوهم التشبيه هو الذي جعل الخطابي يقول : إنَّ اليد ليست بجارحة حتى يتوهم من ثبوتها ثبوت الأصابع !مع أنَّ إطلاق الجارحة في صفة اليد وغيرها من الصفات الذاتية إثباتا ونفيا من الكلام المبتدع المذموم الذي لم يرد في الكتاب والسنة !

فتوهم المتكلمين لزوم التشبيه والتمثيل من إثبات صفة الأصابع وغيرها كما ذكر الإمام ابن القيم وهم باطل لأنه ليس في المخلوقات يد تمسك السموات والأرض وتطويها ، ويد تقبض الأرضين السبع ، ولاأصبع توضع عليها الأرض ، وأصبع توضع عليها الجبال فلو كان في المخلوقات يد وأصبع هذا شأنها لكان لهم عذر فيما توهموه من التشبيه والتمثيل من إثبات اليد والأصابع لله تعالى حقيقة وإنما هذا تلبيس منهم على ضعفاء العقول[٢]؟! .

لأنَّ من لامعرفة لهم بمنهجهم إذا سمعوا تلبيسهم وادعاءهم التنزيه اغتروا بذلك فظنوا أنهم ينزهون الله عن التشبيه وهم في غاية التعطيل !

وأين التشبيه والتمثيل الذي يتوهمه أهل التعطيل ، لقد اضمحل كل موجود سوى الله تعالى عند وضعه ﷺ ماذكرعلى أصابعه تعالى فضلا عن أنْ يكون له مايماثله في ذلك الكمال أويُشابهه فيه ، فسبحان مَن حجب عقول المعطلة عن معرفته[٣]!

الوجه الرابع : أما ماذكره من أنَّ إثبات ذلك توقيفي أطلقه الشارع فلايكيف ولايشبه فهو يريد بذلك كما ذكر الشيخ عبد الله الغنيمان أنَّ لفظ اليدالثابت بالكتاب والسنة توقيفي أطلقه الشارع فلايُوقف له على معنى[٤]فهو عنده لايدل

---

(١) انظر كتابه : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ١/٣٢٠-٣٢١ .

(٢) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ٢/٤٠٩ .

(٣) انظر : مدارج السالكين ٣/٣٦٠ .

(٤) تقدم بطلان مقالة التفويض ونسبتها إلى السلف انظر : ٢/٥١٦ .

على ماوضعت له كلمة « يد » في اللغة العربية ، ومضمون كلامه أنَّ آيات الصفات وأحاديثها لايُعلم لها معاني تُطابق ألفاظها وتُؤخذ منها ، وهذا يلزم منه أنَّ الشارع قد خاطب العباد بما ظاهره غير مقصود ، ولامطلوب منهم الإيمان بظاهره ، بل قد يكون ظاهره باطلا وكفرا !!

ومعنى قوله : « لايكيف ولايشبه » أي : لايثبت لها معنىً مطابقا للفظها في وضع اللغة ، فلايُوصف الله تعالى بأنَّ له يدًا حقيقية أثبتها لنفسه ، وأثبتها له رسوله ﷺ لأن هذا تشبيه ولهذا صارتأويلها متعينا[١]!!

لذا تأولها الخطابي وادَّعى كما تقدم[٢]أنَّ ظاهرها مُتأولٌ وأنها ليست على حقيقتها بل هي من قبيل المجاز وأنَّ ذلك كناية عن قدرة الله على طي السموات والأرض وسهولة الأمر فى جمعها !!

هكذا حَرَّف معنى الآية بدل أنْ يثبت الصفة كما وردت في الآية ، والسبب في ذلك كله توهم التشبيه المزعوم ، ولوسلك مذهب السلف فأثبت اليد والأصابع كماوردت من غيرتكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل لاستراح من هذه التأويلات المفضية إلى تعطيل الله عن صفات الكمال .

الوجه الخامس : أما ما ذكره من أنَّ اليهود مشبهة وفيما يدعونه منزلافي التوراة ألفاظ تدخل في باب التشبيه ليس القول بها من مذاهب المسلمين ، فإننا لانبرئ اليهود من ذلك ، لكنْ كما أنَّ فيهم مشبهة[٣]ففيهم معطلة أيضا[٤]ولايمنع ذلك أنْ

---

(١) انظر : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٣٢٤/١ .

(٢) انظر : ٥٦٨/٢ ـ ٥٦٩ .

(٣) تقدم ذكر مقالات اليهود في التشبيه انظر : ١/ ٢٠١ ـ ٢٠٨ .

(٤) ذكر شيخ الإسلام أنَّ سند أهل التعطيل مصدره المشركون واليهود والصابئة انظر : الفتوى الحموية ص/١٤ .

يتكلموا بالحق فيما وجدوه في التوراة التي لم تحرف ، وهي كما بين شيخ الإسلام رحمه الله مملوءة بإثبات الصفات التي يُسميها نفاةالصفات تجسيما وتشبيها ، ولهذا لما ذكرالحبرمن ذلك صفة الأصابع لم ينكرعليه النبي ﷺ بل أقره على ذلك ، ولم يقل ﷺ إنهم مجسمة مشبهة ، ولاأنَّ في التوراة تشبيها وتجسيما[١]. كما يقوله النفاة بل أقره عليه السلام بدلالة ضحكه الدال على الرضا والسرور ، تصديقا له كما ذكر الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ولو كان ما ذكره اليهودي تشبيهاالأنكره ﷺ غاية الإنكار ، ولتمعر وجهه ولبين كذبه ونزه الله عن ذلك غاية التنزيه .

فضحكه ﷺ يدل على السرور والرضا والإقرار والتصديق لاعلى الإنكار كما يزعم أهل الكلام المذموم وحاشا رسول الله ﷺ أن يضحك على الباطل والكفر الذي هوتشبيه رب العالمين بالمخلوقين ، كما هو مقتضى مقالة المعطلة ، بل لايقول بهذا مُؤمن يُصدق برسالة النبي ﷺ قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله مبينا شناعة مقالة أهل الكلام أنَّ ضحكه يدل على الإنكار : « ... وقد أجَلَّ الله قدر نبيه ـ عليه السلام ـ أنْ يُوصف الخالق بحضرته بماليس من صفاته فيسمعه فيضحك عنده ويجعل ذلك بدل وجوب النكيروالغضب على المتكلم به ضحكا تبدو نواجذه تصديقا وتعجبا لقائله ، لايصف النبي ـ عليه السلام ـ بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته »[٢]!

فقد تكلف الإمام الخطابي غفر الله لنا وله في رَدِّ هذا الحديث فأتى بمقالات

---

(١) انظر : منهاج السنة النبوية ٥٦٢/٢والفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموع الفتاوى ١٣/ ١٦٧ورجع : مختصر الصواعق المرسلة ١٦٣/١-١٦٤ .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ١٧٨/١ .

منكرة وتأويلات متعسفة لحظها عليه بعض العلماء ومنهم ابن التيني[١] حيث قال منكرا عليه : « ... تكلف الخطابي في تأويل الإصبع ، وبالغ حتى جعل ضحكه ﷺ تعجبا وإنكارا لما قال الحبر ، ورد ماوقع في الرواية الأخرى : « فضحك ﷺ تعجبا وتصديقا » بأنه على قدر مافهم الراوي »[٢].

ورد مقالته الحافظ ابن حجر مستنكرا بأنَّ فيها طعنا على ثقات الرواة ، وردا للأخبار الثابتة ، ولوكان الأمر على خلاف ما فهمه الراوي بالظن للزم منه تقرير النبي ﷺ على الباطل وسكوته على الإنكار وحاشا لله من ذلك[٣]!

ثم ذكر قول الإمام ابن خزيمة السابق الذكر ، الذي أنكر به على الخطابي وأضرابه وجعل أنَّ مثل هذا الوصف يُنافي الإيمان والتصديق برسالة النبي ﷺ !!

ويدل على تصديق النبي ﷺ لقول الحبر قراءته للآية : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... ﴾ فهذا كما ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين يدل على أنه عليه السلام أقره واستشهد لقوله بآية من كتاب الله فضحكه واستشهاده تقريرا لقول الحبر ، وسبب الضحك هوسروره حيث وجد في القرآن مايُصدق ماوجد هذا الحبر في كتبه ، لأنه لاشك أنه إذا جاء ما يُصدق القرآن فإن الرسول ﷺ سيسر به وإنْ كان الرسول ﷺ يعلم علمَ اليقين أنَّ القرآن من عندالله ، لكن تضافرت البينات على مايُقوي ذلك[٤].

---

(١) أبو محمد عبد الواحد بن التيني السفاقسي المغربي المالكي المحدث الفقيه المحدث المفسر ، توفي سنة ٦١١هـ انظر : كشف الظنون ٥٤٦/١وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن مخلوف ١٦٨/١ .

(٢) ذكره الحافظ بن حجر في فتح الباري ٤١٣/٨ .

(٣) انظر : المرجع نفسه٤١٠/١٣ .

(٤) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين ٣٦٢/٣-٣٦٣ .

فليس في الآية مايدل على الإنكار وتنزيه الله عن التشبيه الذي تفوه به اليهودي كما ادَّعى الخطابي وأضرابه ، بل هي دالة على الإثبات والتعظيم وتنزيه الله عن الشريك والمثيل والشبيه كماسيأتي(١).

ثم ماذا يقول الإمام الخطابي في حديث عائشة ، والنواس بن سمعان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم الواردة في إثبات صفة الأصابع(٢)، وليس فيهم ولا في إسناد أحاديثهم يهوديٌّ واحد !

الوجه السادس : وأما اعتباره قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر » ظنا وحسبانا وأنَّ الاستدلال بذلك في هذا الأمر الجسيم غير سائغ ، فهذه مقالة منكرة كان الواجب على الإمام الخطابي أنْ يربأ عنها لما تضمنته من الطعن على هذا الصحابي الجليل باعتبارقوله مجرد ظن وحسبان لاحقيقة له في ذلك ، وما كان لصحابي كما ذكر الدكتور أحمد عطية الغامدي أنْ يقول مثل هذا القول بمجرد الظن والصحابة أحرص الناس على إيضاح العقيدة الحقة فعنهم جاءنا الإيمان عن رسول الله ﷺ حقيقة بروايتهم لأقواله وأفعاله وتقريراته ، التي تمثل الرافد الثاني من روافد الإيمان بعد كتاب الله عز وجل(٣).

فأيهما أولى بالفهم عند الله والمؤمنين صحابته الذين عايشوا التنزيل ، ونقلوا لنا ديننا عنه ﷺ ، أم الخطابي وأضرابه ؟!

ولوسُلِّم ما يقوله الخطابي كما ذكر الشيخ عبد الله الغنيمان لأمكن لكل مبطل أنْ

---

(١) انظر : ٢/٥٨٠ - ٥٨٢ .

(٢) تقدم ذكر هذه الأحاديث انظر : ٢/٥٧٢ . .

(٣) انظر كتابه : البيهقي وموقفه من الإلهيات ص/٢٦٤ .

يقول في أَيِّ نصٍ جاء عن النبي ﷺ وصحابته مثل هذه المقالة الجائرة ، إنه ظن وحسبان والصواب خلافه ، وحينئذٍ تبطل الشريعة كلها[١]!!

وأما ما ذكره من أنَّ ما قاله عبد الله بن مسعود « تصديقا لقول الحبر ... » قد انفرد به عَبِيْدَة عن ابن مسعود فقول أُريد به الإنكار والرد لماورد في الحديث من إثبات صفة الأصابع لله تعالى ، ولايضر انفراد عَبيدة بذلك لأنه ثقة ، وقد قال عنه الإمام يحيى بن معين رحمه الله : « ثقة لايُسأل عنه »[٢]وكان القاضي شريح[٣] رحمه الله إذا أشكل عليه شيء سأله[٤]لثقته به وبعلمه وقال عنه الحافظ ابن حجر رحمه الله : « تابعي كبير مخضرم فقيه ثبت »[٥].

فانفراده بذلك لايُرد به ما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لأنَّ العبرة بصحة النقل وقد حصل ولايضرأنْ يكون آحادا ، لأنَّ كثيرا من أمور الدين عقيدة وشريعة قد ثبتت عن طريق الآحاد ، ولايُفرق بين الأمرين إلامن تأثر بالكلام المذموم !!

الوجه السابع : أما استدلاله بنهي النبي ﷺ عن أهل الكتاب أوتكذيبهم فيما قالوا لِردِّ ماذكره الحبر ، فإنَّ هذا الاستدلال غير صحيح لأنَّ هذا إنما يكون كذلك بالنسبة لغيرالنبي ﷺ من أمته فيما لم يرد فيه وحي من كتاب أوسنة ، فالموقف فيه حينئذٍماذكره النبي ﷺ والتوقف فيه ، فلايُصدق لأنه قد يكون باطلا ، ولايكذب لأنه قد يكون حقا !

أما فيما ورد فيه وحي من كتاب وسنة كهذا الحديث الذي ثبت بإقرار النبى ﷺ

---

(١) انظر كتابه : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٣٢٦/١ .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩١/٦ .

(٣) تقدمت ترجمته انظر : ٥٧٥/٢ .

(٤) انظر : تقريب التهذيب ٦٥٠/١ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ٦٥٠/١ .

وورد ماتضمنه من إثبات صفة الأصابع أحاديث كثيرة متواترة كما تقدم ، فإنه بعد ذلك صار التصديق به وقبوله وإثبات ماورد فيه من غير تكييف ولا تشبيه واجبا مُؤكدا ، لأنه من العلم الموروث عن الأنبياء المتلقى من وحي الله تعالى ، ولذا أقره ﷺ وأعجبه وسربه وضحك حتى بدت نواجذه تصديقا له ، لكونه جاء بما يُصدق ماجاء به ﷺ من الوحي في صفات الله عز وجل .

والنبي ﷺ كما ذكر الدكتورأحمدبن عطية الغامدي إذا كان ماسمعه من أهل الكتاب حقا جاء الوحي بإقراره ، وإنْ كان باطلا جاءه بتكذيبه ، ولا مجال في العقيدة لعدم التصديق أوالتكذيب ، بل لابد من واحد منهما ، لأنها واضحة وهذه القصة وقعت مع سيد البشر وتمس العقيدة في صميمها ، فاليهودي صادق فيما قال ، وإلالبادر إلى إنكاره بالرد والزجر ، وبيان الواضح الصحيح في القضية[1].

الوجه الثامن : أما قراءة النبي ﷺ لقول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... ﴾ عقب ماقاله اليهودي وضحكه ﷺ تصديقا له فإنها لاتدل على نفي ماقاله اليهودي واعتبار ماذكره تشبيها كما زعم أهل الكلام بل فيها مزيد إقرار منه ﷺ لما قاله الحبر ، ووصف الله بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص والشرك والتمثيل وبيان ذلك :

إنَّ الآية تضمنت بيان عظمة الله تعالى ، ووصفه بصفات الكمال التي لايماثله فيها أحد من خلقه ، حتى إنه جل وعلا من عظمته يضع يوم القيامة كل خلق من خلقه على إصبع من أصابعه تعالى التي هي من صفات ذاته عز وجل ، ويقبض الأرض كلها يوم القيامة ويطوى السموات بيمينه ، ومع اتصافه بهذه الصفات

---

(١) انظر : البيهقي وموقفه من الإلهيات ص/٢٦٣-٢٦٤ .

العظيمة ، ما قدره المشركون حق قدره ولاعظموه حق تعظيمه ، ولاعبدوه حق عبادته ، بل أشركوا معه غيره من المخلوقات الضعيفة العاجزة التي لاتملك لنفسها ضرا ولانفعا ، ولو علموا صفاته الجليلة جل وعلا لقدروه حق قدره ، ولما أشركوا معه أحدا من خلقه فشبهوه به ، تنزه تعالى وتقدس عن إشراك المشركين وتشبيههم علوا كبيرا(١)!

فأصل عبادة الله كما بين شيخ الإسلام رحمه الله معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ في سنته ولهذا كان مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

والذين انحرفوا عن مذهب السلف فأنكروا مذهبهم ، وانحرفوا عنه إلى تعطيل أوتشبيه ما قدروا الله حق قدره ، ولاعرفوه حق معرفته ، ولاوصفوه حق وصفه ولاعبدوه حق عبادته ، والله تعالى قد ذكرقوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ في ثلاثة مواضع من كتابه(٢)، ليثبت عظمته في نفسه ، ومايستحقه من الصفات وليثبت وحدانيته وأنه لايستحق العبادة إلا هو وحده عز وجل .

وفي المواضع الثلاثة ذم الذين ما قدروه حق قدره من الكفار ، فدل ذلك على أنه يجب على المؤمن أنْ يقدرالله حق قدره ، كما يجب أنْ يتقه حق تقواه ولايخوض في تأويل بفضي إلى تعطيل ، ولا تكييف يفضي إلى تمثيل !

وقوله : ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ كل من جعل مخلوقا مثلا للخالق في شيء من الأشياء فأحبه مثل مايحب الخالق ، أووصفه بمثل مايُوصف به الخالق فهو مشرك

---

(١) انظر : تفسيرالطبري ١١/٢٤-٢٨وتفسيرابن كثير٤/٦٧-٦٩ .

(٢) في سورة [الأنعام الآية : ٩١] و[الحج : ٧٣-٧٤] و[الزمر : ٦٧] .

سوى بينه وبين المخلوق في شيء فعدله به ، والرب تعالى لاكفوله ، ولا سمي له ، ولا مثيل له ، ومن جعله مثل المعدوم والممتنع بتعطيله عن صفاته فهو شرمن هؤلاء المشركين والممثلة ، فإنه معطل ممثل[١] والمعطل شر من المشرك !

وليس لله صفة يماثله فيها غيره ، بل له المثل الأعلى في السموات والأرض ، فهوجل وعلا أحق من غيره بصفات الكمال ، وأحق من غيره بالتنزيه عن صفات النقص[٢].

فهؤلاء المتكلمون جاهلون بالتشبيه ، لأنَّ إثبات الصفات ليس تشبيها ولاتجسيما ولايقول بذلك من يُقدر الله حق قدره ، ويعظمه حق تعظيمه ، وجاهلون أيضا بالشرك الذي هو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى ، وتشبيه المخلوق بالخالق[٣] بإعطائه بعض خصائص الألوهية ، فإنَّ هذا لاذكر له عندهم ، ولاوجود له في مصنفاتهم ، لأنهم قد أغفلوا توحيد العبادة وما يُضاده من الشرك والتمثيل !

وشغلوا أنفسهم بما ظنوه تشبيها ، الذي هو إثبات صفات الكمال لله تعالى ، فأرادوا أنْ ينزهوا الله عما توهموه تشبيها ، فعطلوه عن صفاته ، ووصفوه بصفات المعدوم ، فصارت أقوالهم شر من المشرك ، الذي يعبد ربا موجودا أشرك معه غيره !!

الوجه التاسع : ومن العجب أنَّ هؤلاء المعطلة بعد اعتراضهم على حديث « الحبر » بالشبهات الواهية ، والخيالات الفاسدة ، قد اضطربت أقوالهم فيما يؤول إليه معنى صفة « الأصابع » الواردة في الأحاديث الذي اعتبروه تشبيها ، فمن قائل إنها

---

(١) سيأتي بيان وقوع المعطلة في مقالة التشبيه انظر : ٣/٢٧٥ .

(٢) انظر : التفسير الكبير لابن تيمية ٦/٢٧٠-٢٧١و٢٧٣-٢٧٤ .

(٣) تقدم بيان أنواع التشبيه انظر : ١/١٦٣ .

القدرة[١]، أوالملك والقدرة[٢]، أوالمراد بذلك : بعض خلقه[٣]!

وهذا الاضطراب سببه الخوض في الكلام المذموم ، وانحرافهم عن منهج السلف في صفات الله ، ولايتصورمن كان عنده أدنى مسكة من عقل وعلم أنْ تكون الأصابع الواردة في الحديث الملك أوالقدرة أوالإرادة ، أوإصبع بعض خلقه ، لأنَّ السياق لايدل على ذلك ، بل يدل دلالة صريحة على أنها أصابع الله عز وجل لاسيما وقدجاءت مضافة إلى الله تعالى في أحاديث كثيرة تقدم ذكر بعضها[٤].

ذكر الإمام أبو يعلى رحمه الله أنَّ من يقول بأنَّ المراد إصبع بعض خلقه لأنَّ النبي ﷺ لم يقل في حديث الحبر على إصبعه بل أطلق ذلك منكرا[٥]، قيل له هذا غلط لوجهين :

أحدها : إنَّ في الخبرمايسقط ذلك وهو قوله : « وسائر الخلق على هذه » فاقتضى ذلك بأنه لم يبق مخلوق إلاوهوعلى الإصبع ، فلو كان المراد به إصبع بعض خلقه لخرج بعض خلقه عن أنْ يكون على الإصبع ، وهذا خلاف الخبر .

الثاني : إنَّ المفسرين قالوا : إنما يكون ذلك عند فناء خلقه وإماتتهم ، فلا يكون له مجيب غيرنفسه فيقول ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر : ١٦] فدل بهذا على أنه لم يبق هناك خلق يضع السموات على إصبعه .

فإنْ قيل : ففي الخبرمايدل على القدرة[٦]وهو قوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ

---

(١) انظر : أعلام الحديث للخطابي ٣/١٩٠١-١٩٠٢ ومشكل الحديث لابن فورك ص/٩٢و٩٧والأسماء والصفات للبيهقي ٢/١٧٠وأساس التقديس للرازي ص/١٣٧-١٣٨ .

(٢) انظر : مشكل الحديث لابن فورك ص/٩٢و٩٦-٩٧ودفع شبه من شبه وتمرد للحصني ق/١٢ - ب .

(٣) انظر : مشكل الحديث ص/٩٥وتحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للباجوري ص/٩٣ .

(٤) انظر : ص/٧٤١-٧٤٢ .

(٥) قائل ذلك ابن فورك انظركتابه : مشكل الحديث ص/٩٥ .

(٦) قائل ذلك ابن فورك انظر : مشكل الحديث ص/٩٦ .

قَدْرِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] قيل معناه : ماعرفوا الله حق معرفته ، وإذا كان هذا معناه لم يكن المراد به القدرة[١]. فَعُلم مما تقدم بطلان مقالات المعطلة في حديث الحبر ، وأنه ليس فيه تشبيه ولا تجسيم وإنما فيه إثباتٌ لصفة الأصابع لله تعالى التي هي من صفات الكمال الثابتة له جل وعلا على مايليق به ، وبيانٌ لعظمة الله تعالى وانفراده بصفات الكمال التي لا شبيه له فيها ولا مثيل ، وبيانٌ بأنَّ الرسول ﷺ أقر الحبر على ذلك ، وضحك عليه السلام تصديقا له على ما قال ، ولوكان تشبيها كما يزعم أهل الكلام لنزه الله عنه نفسه غاية التنزيه ، وتقدم بيان أنَّ أهل السنة قد أقروا بذلك وصدقوا ماورد فيه ، وأثبتوا به صفة الأصابع على ماوردت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل على وفق قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

المثال الثالث : ومن الأحاديث التي اجتمع فيها القول مع الإشارة الدالة علىتحقيق الصفة وتأكيد معناها اللائق بجلال الله وعظمته ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : كان رسول الله ﷺ يكثر أنْ يقول : « اللهم ثبت قلبي على دينك . فقال له بعض أصحابه : يارسول الله أتخاف علينا وقد آمنا بك وصدقنا ماجئت به ، فقال : نعم ، إنَّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبها وقال رسول الله ﷺ هكذا وأشار بأصبعيه »[٢].

وفي رواية لجابر بن عبد الله رضي الله عنه : « إنَّ القلب بين إصبعين من أصابع

---

(١) انظر : إبطال التأويلات ٣٢٤/٢ .

(٢) رواه الدارقطني في كتاب الصفات ص/٤٥ح٤٢وقال محققه الدكتور : علي ناصر فقيهي : « وفيه الرقاشي وهو ضعيف ، ولكن الحديث صحيح بشواهده . . . » وقد تقدم بعض هذه الشواهد للرد بها على من يدعي أنَّ ذكر الأصابع الواردة في حديث « الحبر » إنما هي من أحاديث الآحاد التي لاتثبت بها كمايزعمون مسائل الاعتقاد انظر : ص/٧٣٣ .

الرحمن عز وجل يقلبها يقول بهما هكذا »[١] وحرك أبوأحمد[٢] إصبعه[٣]!

وفي رواية لابن منده : « ووصف سفيان الثوري بالسبابة والوسطى يحركهما »[٤].

ففي هذا الحديث أمران انفرد بهما عن حديث « الحبر » السابق الذى رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أوردته من أجلهما :

الأمر الأول : فيه الإشارة من الرسول ﷺ نفسه للدلالة على تحقيق صفة الأصابع وتوكيد معناها ، على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته .

الأمر الثانى : إنَّ المعطلة كما سيأتي ادَّعوا أنَّ إثبات هذا الحديث كما ورد بدون تأويل يلزم منه المماسة والحلول ، لأنه لايعقل أنْ تكون قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن كما زعموا !

وقد آمن أهل السنة بهذا الحديث كغيره من نصوص الصفات ، وقرروا أنَّ الإشارة الواردة فيه تدل على تحقيق الصفة وتأكيد معناها لإثباتها كماوردت على مايليق بجلال الله وعظمته ، فأثبتوه كما ورد ، دون أنْ يُوجب لهم ذلك شبهة

---

(١) رواه الدارقطني في الصفات ص/٥٤ح٤١واللفظ له . ورواه ابن منده في كتاب التوحيد ٣/ ١١٢ح٥١٤ كلاهما عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديث أبي سفيان عن أنس أصح . ورواه أبو يعلى في إبطال التأويلات ٢/ ٣١٤ح٣٠٣وذكر المحقق الشيخ أبوعبد الله محمد بن حمد النجدي أنه صحيح لغيره ، ورواه الحاكم في المستدرك ٣١٧/٢وقال « صحيح على شرط مسلم » ووافقه الذهبي .

(٢) أبوأحمد محمد بن عبد الله بن الزَبيربن عمروبن درهم الأسدي الكوفي قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة ثبت إلاأنه كان يخطئ في حديث الثوري » توفي سنة ٢٠٣هـ انظر : تقريب التهذيب ٥٩/٢ .

(٣) انظر : كتاب الصفات للدارقطني ص/٥٤ .

(٤) انظر : الردعلى الجهمية لابن منده ص/٨٧-٨٨ وكتاب التوحيد له ١١٢/٣ . وذكر أنَّ هذا الحديث ثابت باتفاق .

التشبيه ، بل أمروه كما جاء بلا تكييف ولا تمثيل .

سُئل الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله عن هذا الحديث وغيره من أحاديث الصفات فقال : « هي كما جاءت نقر بها ونحدث بها بلا كيف »(١).

وقد أقروا بما ورد فيه من إشارة النبي ﷺ بأصبعيه حينما قال : « إنَّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن » وأشار لتحقيق ذلك ، فعلموا وتيقنوا أنَّ ذلك حق على حقيقته اللائقة به تعالى لذا أشار سفيان بن عيينة بأصبعيه السبابة والوسطى وحركهما كما فعل رسول الله ﷺ وكذا فعل مثله أبو أحمد الزبيري رحمه الله للدلالة على إثبات ما أخبر به عليه السلام من صفات الله تعالى ، وأنه يجعل تبارك وتعالى قلوب العباد بين إصبعين من أصابعه جل وعلا فيجب إثباته كماورد وعدم صرفه عن ظاهره إلى التعطيل ، بل يجب إثباته بلا تكيف ولا تمثيل !

بخلاف من خاض في الكلام المذموم فإنه اعتبر إثبات ماورد في الحديث تجسيما وتشبيها وحلولا(٢) .

ومن مقالاتهم في ذلك :

ما ذكره أبو عبد الله الرازي من أنه لابُد من تأويل هذا الحديث وصرفه عن ظاهره لأنا لانعلم بالضرورة أنه ليس في صدورنا إصبعان بينهما قلوبنا ، وأنَّ إثبات هذا الحديث بدون تأويل يلزم منه أنْ يكون ـ تعالى ـ إصبعاه في أجوافنا ، مع أنه تعالى

---

(١) رواه الدارقطني في كتاب الصفات ص/٧١-٧٢ح٦٣وأبويعلى في إبطال التأويلات ١/ ٤٧ح١٤وابن عبد البرفي التمهيد ٧/١٤٧ .

(٢) انظر : مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص/٩٣-٩٤وأساس التقديس للرازي ص/ ٨٢و١٣٦-١٣٧ودفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص/٢٠٦ودفع شبه من شبه وتمرد لأبي بكر الحصني ق ١٣/ أ . وتعليقات الكوثري على الأسماءوالصفات للبيهقي ص/٣٣٧وتحفة المريد على شرح جوهرة التوحيد للباجوري ص/٩٣ .

على العرش عند المجسمة[١]، وذلك أيضا محال[٢]!

وذكرالكوثري مشنعا على أهل السنة بإثباتهم الحديث كماورد من غيرتأويل أنَّ من يحمله على أنَّ هناك إصبعين حسيين تخترقان الضلوع وتكتنفان القلب الحسي تقلبانه تقليبا حسيا فهو بمنزلة البهيم[٣]!

فهؤلاء المعطلة لايفهمون من نصوص الصفات إلاما يُشاهدونه من المعاني الخاصة بالمخلوقين ثم يشنعون بما فهموه على أهل السنة والجماعة الذين أثبتوا نصوص الصفات كماوردت من غيرتحريف ولا تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل !

وبعد اتفاق المعطلة على صرف هذا الحديث الموهم للتشبيه - كمازعموا - إلى التأويل الفاسد ، اضطربوا فيما يؤول إليه ظاهره الذي سموه تشبيها فمن قائل : إنَّ المراد بالإصبعين الواردة في الحديث الملك والقدرة[٤]ومن قائل إنَّ المراد بذلك نعمته أو نعمتاه[٥] ومن قائل إنَّ المراد بهما القدرة والإرادة[٦]، ومن قائل إنَّ المراد بذلك الفعل والترك[٧].

---

(١) يقصد أهل السنة وقد تقدم براءتهم من ذلك انظر : ٢/٢٠٥ .

(٢) انظر : أساس التقديس للرازي ص/١٣٧ .

(٣) انظر : تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي ص/٣٣٧ .

(٤) انظر : مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص/٩٢وأساس التقديس للرازي ص/١٢٥و١٣٧ .

(٥) انظر : أساس التقديس ص/١٢٥و١٢٦و١٢٧ . وحاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية ص/٥٨وإشارات المرام للبياضي ص/١٨٩واتحاف الكائنات لمحمود خطاب السبكي ص/٨٢ ونشر الطوالع لساجقلي زاده ص/٨٢ . وراجع : ماذكره الإمام الدارمي عن بشر المريسي في كتابه : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص ، ٥٩-٦١ .

(٦) انظر : تحفة المريد للباجوري ص/ ١٣٨ .

(٧) انظر : أساس التقديس للرازي ص/١٣٨ .

وهذا من أعظم الأمور الدالة على بطلان مذهبهم في الصفات ، إذْ الحق ليس فيه اضطراب ولااختلاف ولاتناقض !!

وما ذكروه في هذا الحديث من اللوازم والمقالات التي حرفوه بها نتيجة توهمهم ماسموه تشبيها باطل من وجوه :

الوجه الأول : إنَّ اللوازم التي ذكروها كقولهم إنه يلزم من إثبات ماورد في الحديث أنْ يكون إصبعاه ـ تعالى ـ في أجوافنا مبناه على قياس الخالق على المخلوق والله عز وجل لا يُقاس بخلقه[١]، لأنه جل وعلا لا شبيه له ولا نظير ، ولايلزم من إثبات ماورد في الحديث بلا تكييف ولا تمثيل ماذكروه من اللوازم الفاسدة ، فليس في ظاهر الحديث كما ذكرشيخ الإسلام أنَّ القلب متصل بالأصابع ، ولا مماس لهما ، ولا أنه في جوفه ، لأنَّ قائلا لوقال : « هذا بين يدي » لما اقتضى مباشرته ليديه ، ولايفهم من قول الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ١٦٤] أنْ يكون السحاب مماسا للسماء والأرض[٢]. فلايلزم من إثبات ماورد في الحديث من أنَّ قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن أنْ تكون أصابع الرحمن عز وجل في أجوافنا كما يتوهم المعطلة !

ولو قال قائل : « سترة المصلي بين يديه » لفهم منه من كان له أدنى مسكة من عقل إنها ليست مباشرة له ولامماسة له !

كما لو قال قائل : « بدر بين مكة والمدينة » لما فهم العقلاء من كلامه أنه يقول : إنهما مماستان !! وكما لوقال قائل : « شعبان بين صفر وذي العقدة » لايلزم أنْ

---

(١) تقدم موقف أهل السنة من قياس الخالق على المخلوق انظر : ١/٤٠٦ ـ ٤٠٩ و٢/١٢٣ ـ ١٢٨ و ١٣٢ ـ ١٣٥ .

(٢) انظر : الرسالة التدمرية ص/ ٢٤وضمن مجموع الفتاوى ٣/٤٥وراجع : مختصر الصواعق المرسلة ٢/٤٠٤ـ٤٠٥ .

يكون مواليا له متصلا به . فالبينونة كما ذكرالشيخ محمد بن صالح العثيمين لاتستلزم الاتصال في الزمان أوالمكان ، ولايلزم من البينية المُمماسة[١]!

وإذا كانت البينية لاتستلزم المباشرة والمماسة فيمابين المخلوقات ، فكيف بالبينية فيما بين المخلوق والخالق الذي وسع كرسيه السموات والأرض ، وهوبكل شيء محيط !

وقد دل السمع والعقل على أنَّ الله تعالى بائن من خلقه ، ولايحل في شيء من خلقه ولايحل فيه شيء من خلقه ، وقد أجمع السلف على ذلك[٢]!

وقد تقدم موقف أهل السنة ممن يقول : إنَّ الله حال في خلقه مماس لهم ، كما تقدم بيان استواء الله على عرشه ومباينته لهم بالأدلة السمعية والعقلية[٣].

الوجه الثاني : أما تأويلاتهم لقول الرسول ﷺ الوارد في الحديث : « بين إصبعين من أصابع الرحمن » بأنه بين صفتين من صفات الرحمن الملك أوالقدرة أوالإرادة والقدرة ، أوبين نعمتين ، أوالفعل والترك فإنَّ هذه التأويلات كلها باطلة لايدل عليهاسياق الحديث ، لأنه جاء مُوَضّحا من النبي ﷺ بأنَّ الإصبعين إنما هي من أصابع الرحمن !

فصار ما ذكروه باطلا لايدل عليه الحديث ، ولامعنى له عند من له أدنى مسكة من علم وعقل ، بل هو تحريف لمعنى الحديث مبناه توهم التشبيه الباطل !

فَيُقال لهم كما ذكر الإمام الدارمي رحمه الله في أيِّ لغة من لغات العرب وجدتم أنَّ إصبعي الرحمن الواردة في الحديث بمعنى ما ذكرتم ، فإنا قد وجدنا ماذكرتموه خارجا من جميع اللغات !وهل من شيء ليس تحت نِعم الله وقدرته ، وملكه

---

(١) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين ٣٦٧/٣ .

(٢) انظر : الرسالة التدمرية ص/٢٣وضمن مجموع الفتاوى ٤٢/٣ . والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ١٥٣/١وتقريب التدمرية ص/٦٧والقواعد المثلى ص/٥٦ .

(٣) انظر : ٤٢٣/١ و٤٣١ - ٤٣٦ و ٢/ ٥٩ و٦٣ - ٦٥ و٧٦ - ٧٩ .

وإرادته حتى خَصَّ رسول الله ﷺ القلوب من بين الأشياء أنْ تكون بين صفتي القدرة والملك ، أوالقدرة والإرادة ، أوالنعمتين ، ولورجعتم إلى أنفسكم لعلمتم أنَّ ما أولتموه ضلالا وباطلا[١]!

ورد الإمام ابن قتيبة رحمه الله على ابن فورك الذي أَوَّل الإصبعين الواردتين في الحديث بالنعم رَدَّ عليه بقوله : « ونحن نقول : إنَّ هذا الحديث صحيح وإنَّ الذين ذهبوا إليه في تأويل الأصبع لايشبه الحديث لأنه عليه السلام قال في دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » فقالت له إحدى أزواجه[٢]: أو تخاف يا رسول الله على نفسك ، فقال : « إنَّ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله عز وجل » !

فإن كان القلب عندهم بين نعمتين من نِعَم الله تعالى ، فهومحفوظ بتلك النعمتين فلأي شيء دعا بالتثبيت ، وَلِمَ احتج على المرأة التي قالت له : « أتخاف على نفسك » بمايؤكد قولها ، وكان ينبغي أَلاَّ يخاف إذا كان القلب محروسا بنعمتين !!

فإنْ قال لنا : ما الأصبع عندكم هاهنا ، قلنا : هو مثل قوله في الحديث الآخر : « يحمل الأرض على إصبع » وكذا على أصبعين[٣]، ولا يجوز أنْ تكون الأصبع ههنا نعمة ... ولم يجز ذلك ، ولانقول أصبع كأصابعنا ، ولايد كأيدينا ، ولاقبضة كقبضاتنا ، لأنَّ كل شيء منه عز وجل لايشبه شيئا منا »[٤].

ومعنى الأصابع عند العرب مفهوم ، فليس معناه ماذكروه ، ولكن لجؤوا إلى هذه

---

(١) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٥٩-٦١ .

(٢) أم المؤمنين عائشة وكذا أم سلمة رضي الله عنهن ، وقد تقدم عزوه انظر : ٥٧٢/٢ .

(٣) لم أجد حديثا بهذا اللفظ !

(٤) تأويل مختلف الحديث ص/١٨٩-١٩٠وراجع كتابه : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص/٣٨-٣٩ .

التأويلات الفاسدة المخالفة للنقل والعقل واللغة خشية الوقوع في التشبيه المتوهم[١]، ولو أثبتوا ماورد في الحديث بلا تكييف ولاتمثيل ، ولا تحريف ولا تعطيل ، كما فعل أهل السنة لاستراحوا من تصور اللوازم الباطلة والتأويلات الفاسدة التي اضطربوا فيها غاية الاضطراب ولكنهم اتبعوا الكلام المذموم ، فقالوا بمقالات فاسدة لايقول بها من يُقدر الله حق قدره ويعظمه حق تعظيمه ، تعالى الله عن مقالاتهم علوا كبيرا .

المثال الرابع : ومن الأحاديث التي اجتمع فيها القول مع الإشارة لتحقيق إثبات صفة اليد واليمين والقبض والبسط وتأكيد معانيها اللائقة بجلال الله تعالى وعظمته مارواه عبد الله بن عمرأنه قال : قال رسول الله : « يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك . أين الجبارون ، أين المتكبرون ، ثم يطوي الأرضين بشماله[٢]. وفي رواية قال ابن العلاء[٣]: « بيده الأخرى » . ثم يقول : أنا الملك . أين الجبارون أين المتكبرون »[٤].

تفريع : ذكر الإمام البيهقي رحمه الله أن هذا الحديث رواه الإمام مسلم في

---

(١) سيأتي بيان وقوع المعطلة في مقالة التشبيه انظر : ٢/٢٧٥ .

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٣/٤٠٤ح٧٤١٣ ومسلم في كتاب صلاة المنافقين وأحكامهم ٤/٢١٤٨ح٢٧٨٧وفيه لفظة « بشماله » .

(٣) أبو كريب محمد بن العلاء بن كريب الهمداني الكوفي مشهور بكنيته ، الإمام الثقة الحافظ شيخ المحدثين في زمانه . توفي سنة ٢٤٨هـ انظر : سير أعلام النبلاء ١١/٣٩٤-٣٩٧وتقريب التهذيب ٢/٢٢١ .

(٤) رواها أبو داود في كتاب السنة ٥/١٠٠ح٤٧٣٢والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ١٣٩ح٧٠٥ وذكرمحققه الشيخ : عبد الله الحاشدي أن الحديث صحيح ، وسنده هنا ضعيف لأن فيه عمر بن حمزة العمري وهو ضعيف ، وبقية رجاله كلهم ثقات معروفون والحديث أخرجه البخاري تعليقا ومسلم وغيرهما .

صحيحه عن أبي بكر بن أبي شيبة وفيه : « ثم يطوي الأرضين بشماله » وذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم وقد روى هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر ولم يذكرا فيه الشمال ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وغيره عن النبي ﷺ فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال ، وروي ذكر الشمال في غيرهذه القصة إلا أنه ضعيف بمرة لأن فيه راويين متروكين جعفر بن الزبير ، ويزيد الرقاشي وكيف يصح ذلك وقد صح عن النبي ﷺ أنه سمى كلتا يديه جل وعلا يمينا ؟[١]!

قلت : ولفظ الشمال تدل عليه رواية ابن العلاء السابقة : « بيده الأخرى » أي : المقابلة لليمين وإذا كانت لفظة « الشمال » محفوظة كما ذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين فهي لاتنافي « كلتا يديه يمين » لأن المعنى أن اليد الأخرى ليست كيد الشمال بالنسبة للمخلوق الناقصة عن اليد اليمنى ، ولذا قال ﷺ عن يدي ربه « كلتا يديه يمين » أي : ليس فيها نقص ويؤيد هذا قوله في حديث آدم : « اعتبرت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة »[٢]ويؤيده أيضا قوله ﷺ : « المقسطون يوم القيامة على منابر من نور من يمين الرحمن وكلتا يديه يمين »[٣]. فإن المقصود بيان فضلهم ومرتبتهم وأنهم على يمين الرحمن سبحانه . وعلى كل فإن يديه ـ سبحانه ـ اثنتان بلا شك ، وكل واحدة غير الأخرى بل كلتا يديه يمين فالواجب علينا أن نقول : إن ثبتت عن رسول الله ﷺ فنحن نؤمن بها ولا منافاة بينها وبين قوله : « كلتا يديه يمين » كما سبق ، وإن لم تثبت فلن نقول بها[٤].

---

(١) انظر كتابه : الأسماء والصفات ١٣٩/٢-١٤٠ .

(٢) أخرجه الترمذي مطولا في كتاب التفسير ٨٨/٩ وقال : « حسن غريب » وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ٢٦٣/٤ .

(٣) رواه الإمام مسلم في كتاب الإمارة ٤٥٨/٣ح١٨٣٧ .

(٤) انظر كتابه : القول المفيد على كتاب التوحيد ٣٧٥/٣-٣٧٦ .

وعن عبيد الله بن مقسم[١] رحمه الله أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله : قال : « يأخذ الله عز وجل سمواته وأرضيه بيده . فيقول : أنا الله ـ ويقبض أصابعه ويبسطها ـ أنا الملك . حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني لأقول : أساقط هو برسول الله ﷺ »[٢].

ففي هذا الحديث والحديث السابق[٣] إثبات صفة اليدين لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته وأنه جل وعلا يأخذ بيده اليمنى سمواته التي هي صفة من صفات ذاته ، كما يأخذ بيده الأخرى أراضيه يوم القيامة ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون أين المتكبرون ، .

وهذا دال على عظمة الله تعالى ، وتفرده بصفات العظمة والجلال ، وأنه مالك الملك الواحد القهار .

وقد انفردت الرواية الثانية بإثبات القبض والبسط بالإشارة من رسول الله ﷺ الدالة على تحقيق اتصاف الله بهما ، وتأكيد معناهما كما يليق بجلال الله وعظمته .

وتحرك المنبر عند إشارة رسول الله ﷺ وذكر قول الله عز وجل يوم القيامة : أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ، يدل على أن النبي ﷺ كان يتكلم بهذا الحديث ويشير وقلبه مملوء بتعظيم الله عز وجل وإجلاله لبيان تفرده تعالى بصفات العظمة والجلال .

وما صرح به هذا الحديث من إثبات صفة القبض والبسط واليمين ونحوها قد جاء

---

(١) عبد الله بن مقسم المدني ثقة مشهور . انظر : تقريب التهذيب ١/٦٤٠ولم أجد تاريخ وفاته . !

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المنافقين ٤/٢١٤٨-٢١٤٩وابن جرير الطبري في تفسيره ١١/ ٢٥ح٣٠٢١ .

(٣) الذي رواه ابن عمر والذي غيه « يطوي الله عزوجل السموات يوم القيامة . . . » وقد تقدم ذكره قريبا .

مصرحا به في نصوص أُخرى مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] . وقول الله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ وقول الرسول : « إنَّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »(١).

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات صفة اليدين لله تعالى حقيقة كما وردت وعلى أنهما من صفات ذاته الثابتة له جل وعلا على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ، كما أثبتوا أفعاله الاختيارية المتعلقة بقدرته ومشيئته من الطي والقبض والبسط ونحوها من الصفات الفعلية الاختيارية الدالة على عظمته تعالى ، وتفرده بصفات الكمال(٢).

كما علموا وتيقنوا أنَّ إشارة رسول ﷺ كما حكى عنه عبد الله بن عمر : « يقبض أصابعه ويبسطهما » إنما فعل ذلك عليه السلام لتحقيق صفة القبض والبسط لله تعالى وتأكيد معناهما اللائق بجلال الله وعظمته ، لذا تلقى ذلك الصحابة ومن اتبعهم باحسان دون أنْ يُوجب لهم ذلك وحاشاهم شبهة التشبيه ، فأثبتوا ماورد في

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المنافقين ٤/٢١٥١ح٢٧٩٢ .

(٢) انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٥٩-٦٠وكتاب التوحيد لابن خزيمة ١/ ١٩٣-١٩٨و الابانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص/١٣١ورسالته إلى أهل الثغرص/ ٢٢٥وكتاب التوحيد لابن منده ٣/٨٨-١٠١والأربعين في دلائل التوحيد للهروي ص/ ٦٧-٧٤وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/٤١٣-٤٢١والعقيدة الواسطية لابن تيمية بشرح الهراس ص/٦١والأربعين في صفات رب العالمين للذهبي ص/٧٣ومختصر الصواعق المرسلة ٢/٤٠١-٤١٩وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص/١٥٧-١٥٨ والقول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين ٣/٣٧٣-٣٧٦ .

الحديث من صفة الطي واليمين والقبض والبسط بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله مبينا مراد رسول الله ﷺ بما فعله من قبض يديه وبسطهما عند ذكر صفة القبض والبسط : « ولما أخبرهم رسول الله جعل يقبض يديه ويبسطهما تحقيقا للصفة لا تشبيها لها كما قرأ : ﴿ وكان الله سميعا بصير ﴾ ووضع يديه على عينه وأذنه تحقيقا لصفة السمع والبصر وأنهما حقيقتان لا مجازا »[١].[٢].

وقد أورد أئمة السنة والحديث الحديثين السابقين في مقام إثبات الصفات الواردة فيهما وتوكيد وتحقيق معانيها على الوجه اللائق بالله تعالى ، والرد على الجهمية المعطلة الذين اعتبروا إثبات ذلك بدون تأويل تشبيها كما سيأتي !

ذكر الإمام ابن خزيمة رحمه الله أنَّ لله تعالى يدين كما أعلمنا في محكم تنزيله خلق بهما آدم فقال عز وجل : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ سورة [ص : ٧٥] وأعلمنا أنَّ : ﴿ ... وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] ثم ذكررحمه الله الأحاديث الدالة على إثبات صفة اليدين لله تعالى ، وماورد من طي الله تعالى سمواته يوم القيامة بيده اليمنى ، والأرضين بيده الأخرى ، وتحريك النبي وبسطه يده وقبضها عند قراءة قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ الدال على تعظيم الرب تعالى وتمجيده[٣].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢/٤٠١-٤٠٢ .

(٢) وقد تقدم بيان ذلك انظر : ٢/ ٥٤٧ .

(٣) انظر : كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/١١٨و١٩-٢٠ .

وبين أنَّ ماورد في السنة موافق لما ورد في القرآن الكريم لأنَّ الكل وحي من الله تعالى وقد نزه الله نبيه عليه السلام ، وأعلى درجته ، ورفع قدره عن أنْ يقول في ربه إلا ماهو موافق لما أنزل الله عليه من وحيه عز وجل .

وبين أنَّ لله جل وعلا يدين كما أعلمهم ربهم تعالى في محكم تنزيله وعلى لسان رسوله وكلتا يدي ربنا عز وجل يمين كما أخبر النبي بذلك[١] وأن الله عز وجل يقبض الأرض جميعا بإحدى يديه ، ويطوي السموات بيده الأخرى[٢].[٣]

ثم بين عظمة الله تعالى وقدرته في اتصافه بصفة قبض الأرض بيديه ، وطي السموات بيمينه الدال على عظمته ، وانفراده بصفات الكمال والجلال ، وعجز المخلوقات وتنزيه الله تعالى عن ذلك ، فذكر أنَّ جميع من خلقهم الله من بني آدم لو اجتمعوا على معونة بعضهم بعضا وحاولوا على قبض أرضٍ واحدة من الأرضين السبع بأيديهم ، كانوا عاجزين غيرمستطيعين له ، كما أنهم لو اجتمعوا جميعا على طي جزء من أجزاء سماء واحدة لم يقدروا على ذلك ، وكانوا عاجزين ، فكيف يكون من وصف يد خالقه بما بينا ووصف يد المخلوقين بالضعف والعجز مشبها يد خالقه بيد المخلوقين وكيف يكون مشبها من يثبت أصابع على مابينه النبي المصطفى عليه السلام للخالق الباري جل وعلا[٤]؟!

وذكر الإمام البغوي رحمه الله أن الأصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عز وجل ، وكذلك كل ماجاء به الكتاب أوالسنة من هذا القبيل في صفات الله

---

(١) كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في كتاب الإمارة ٣/١٤٥٨ح١٨٢٧عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه .

(٢) كما ورد في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر ، وقد تقدم عزوه انظر : ٢/٥٩١ .

(٣) انظر : كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/١٥٩و١٧٠ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ١/١٩٣-١٩٤ .

تعالى ثم ذكر بعض الصفات والنصوص الواردة فيها وبين أن هذه ونظائرها صفات لله تعالى ورد بها السمع فيجب الإيمان بها وإمرارها على ظاهرها معرضا فيها عن التأويل مجتنبا عن التشبيه معتقدا أن الباري سبحانه وتعالى لايشبه شيء من صفاته صفات الخلق كما أن ذاته لاتشبه ذوات الخلق قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة تلقوها جميعا بالإيمان والقبول وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل(١).

بخلاف أهل الكلام المذموم فإنهم قد توهموا أنَّ إثبات ماورد في النصوص في صفة اليدين واليمين والقبض والبسط وإشارة الرسول ﷺ في ذلك اعتبروا إثبات ذلك كماورد في النصوص وإمراره على ظاهره من غير تأويل تشبيها وتجسيما ، وقد اتفقوا على تأويل ذلك ، وتكلفوا في تأويلاتهم أنواعا من المجازات ، وغرائب اللغات ، ولهم في ذلك مقالات مضطربة عارضوا بها وحي الله تعالى ، وعطلوه بها عن صفات الكمال ، فأولوا صفة اليدين إلى النعمة ، أو الملك أو القدرة(٢)، ذكر ابن فورك في تأويل صفة اليد بما ذُكرأنه ليس يُنكراستعمال اليد على معنى النعمة ، وكذا استعماله على معنى الملك والقدرة(٣).

---

(١) انظر : شرح السنة للبغوي ١/١٦٨و١٧٠-١٧١ .

(٢) انظر : متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار١/٢٣٠و٢/٦٢٠وشرح الأصول الخمسة له ص/٢٢٨والكشاف للزمخشري ٣/٣٣٥وأصول الدين للبغدادي ص/١١١ومشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص/٢٠٣-٢٠٤ والإرشاد للجويني ص/٤٦ودفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص/١١٤-١١٥وأساس التقديس للرازي ص/١٢٥-١٢٧وحاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية ص/٥٨ونشر الطوالع لساجقلي زاده ص/٢٦٣ وشرح جوهرة التوحيد للباجوري ص/٩٣واتحاف الكائنات لمحمود خطاب السبكي ص/٨٢ .

(٣) انظر : مشكل الحديث لابن فورك ص/١٠١ .

وأولوا اليمين بالملك والقدرة[١]، أوالقدرة[٢]، أوالقسم[٣]، أوالنعمة[٤]، وأولوا القبض بالقدرة وجريان السلطان فيهما[٥]، أو الملك[٦]، أو الإفناء كقول القائل : قبض الله روح فلان إليه إذا أفناها ، ثم بسطها إذا أعادها على الوجه والهيئة التي يريدها[٧]!

وهكذا اضطربت تأويلاتهم فيما يُصرف إليه ظاهر النصوص الواردة في إثبات صفة اليد واليمين والقبض والبسط ، وتباينت آراؤهم في ذلك فقالوا بمقالات حرفوا بها وحي الله تعالى ، وعطلوا الله بها عن صفات الكمال !

أما إشارة النبي وقبضه وبسطه عند ذكر صفة القبض والبسط لله تعالى الدالة على عظمته وجلاله فقد ادَّ عوا فيها التشبيه ، وزعموا أنَّ من فعل ذلك ، أوقال به فهو مشبه حيث ادَّعى الكوثري أنَّ من قال : « جعل يقبضهما ويبسطهما » فقد شبه تشبيها صريحا[٨].

فابن عمر رضي الله عنه الذي حكى ذلك عن النبي على دعواه وحاشاه مشبها !! كما ذكر بوهمه الفاسد أنَّ القبض إنماهومن قبيل احتواء الأنامل على الشيء

---

(١) انظر : أساس التقديس للرازي ص/١٣٤ودفع شبه من شبه وتمرد للحصني ق١٢/ ب .

(٢) انظر : مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص/٩٧وتكملة الرد على نونية ابن القيم للكوثري ص/ ٤٩ .

(٣) انظر : مشكل الحديث وبيانه ص/٩٧ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ص/٢٠٥ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ص/٩٧ .

(٦) انظر : دفع شبه التشبيه ص/٢١٠ .

(٧) انظر : مشكل الحديث وبيانه ص/٩٦ .

(٨) انظركتابه : تكملة الرد على نونية ابن القيم ص/٥٠ .

وحاشا أنْ يكون قبض الله من قبيل ذلك[١]. فتصور أنَّ قبض الله للأرض كما ورد في النصوص والعياذ بالله كقبض المخلوق ، الذي هو من قبيل احتواء الأنامل على الشيء !

كما تصورالتشبيه من إثبات صفة القبض فذكر أنَّ الأرض تحتوي على الأنجاس والأرجاس . فكيف يتصورمن كان عنده أدنى مسكة من عقل أنَّ قبض الله تعالى كقبض أحد من خلقه بحيث يستلزم ذلك القبض على الأنجاس والأرواث !! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

كما أنكر الإشارة الواردة في الحديث بدعواه أنَّ الخطيب كثيرا ماتصدر منه حركات وإشارات أثناء الخطبة وحملها على معانٍ لم ينطق بها تقويل للخطيب بمالم يقله[٢].

أما المدعو حسن السقاف فقد طعن على رواة الحديث انتصارا للمذهب الكلامي المذموم ، فزعم أنَّ قبض النبي أصابعه وبسطهما الوارد في حديث ابن عمر رضي الله عنه من زيادات أحد الرواة وآفة الأخبار رواتها[٣]!

وماذكره هؤلاء المبتدعة من مقالات وتأويلات فاسدة لما ورد في حديث ابن عمر من إثبات صفة اليد واليمين والقبض والبسط باطل مبناه على توهم التشبيه ، وقياس الخالق على المخلوق ويتبين بطلانه من وجوه :

الوجه الأول : إنَّ مقالاتهم التي عطلوا بها الخالق عن صفات الكمال مبنية على قياس الخالق المتصف بصفات الكمال على المخلوق الناقص المتصف بصفات النقص

---

(١) انظر : المرجع نفسه ص/٤٩ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص/٥٠ .

(٣) انظر : تعليقات السقاف على دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص/٢١٠ .

والعجز ، الذي النقصان من لوازم ذاته ، إذْ كيف يتصور من له أدنى مسكة من عقل وإيمان أنْ يعتقد أنه يلزم من إثبات قبض الله الأرض يوم القيامة الدال على عظمته وجلاله أنْ يكون كقبض أحد من خلقه ، وأنْ يتصور أنَّ ذلك يلزم منه أنْ يكون من قبيل احتواء الأنامل على الشيء ، وكيف يقبض الله الأرض وهي محتوية على الأرجاس والأنجاس ، فهل يوجد تصور فاسد ، وقياس للخالق على المخلوق وتشبيه أعظم من هذا ؟!

إنَّ الكوثري وأضرابه يقيسون الخالق على المخلوق ، فيفسرون قبض الله للأرض يوم القيامة بما يعرفونه من شبه أنفسهم ، ثم يرمون بما يتصورونه من التشبيه الفاسد أهل السنة والجماعة كذبا وبهتانا !!

ومن له أدنى مسكة من عقل وإيمان لايقيس الخالق على المخلوق ، لأنَّ الله تعالى لا شبيه له ولا نظير ولا مثيل فكيف يُقاس بهم ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

الوجه الثاني : كما أنَّ مقالاتهم في إنكارهم لما ورد في الحديث مبنية على المغالطات والكذب والبهتان بقصد الانتصار للمذهب الكلامي الذي عارضوا به وحي الله تعالى ، وأدَّى بهم إلى القول بمقالات مخالفة لأمور بديهية لاتخفى على من له أدنى مسكة من عقل إذْ كيف يتصور من له عقل أنْ تكون إشارات الخطيب كمازعم الكوثري بلا معنى وأنْ يكون حملها على معانٍ لم ينطق بها تقويلا له بما لم يقله إنَّ كل العقلاء يعرفون أنَّ الخطيب إذا أشار أثناء الخطبة إنما يريد بذلك تأكيد مايقوله أثناء الخطبة لإفهام السامعين وتقريب المعاني في أذهانهم وتوكيدها وتقريرها ، وهذا أبلغ في الإفهام ، وآكد في تقرير المعاني التي يتكلم بها !

وكلام الكوثري السابق قد تضمن جناية على الرسول ﷺ حيث جعل قبضه وبسطه الوارد في الحديث لامعنى له ، فالرسول عليه السلام عند الكوثري يشير في خطبه بإشارات لامعنى لها ، وحاشا رسول الله ﷺ أن تكون إشاراته من هذا

القبيل ، بل لايشيرعليه السلام إلا لتأكيد المعنى ، وتقريبه إلى الأذهان ، فكان قبضه وبسطه ليده عند بيان صفة القبض والبسط الثابتة لله تعالى تحقيقا لإثبات ذلك على الوجه اللائق به جل وعلا وإثباتا لعظمة الله تعالى ، وبيان إنفراده بصفات الكمال ، ولاينكرذلك إلا من لايُقدر الله حق قدره ولايُعظمه حق تعظيمه كالكوثري وأضرابه !!

أما ماذكره حسن السقاف من أنَّ قبض النبي وبسط يده الوارد في حديث ابن عمر من زيادات أحد الرواة ، وآفة الأخبار رواتها ، فهذا كذب صريح وطعن في رواة الحديث ، ومنهم الصحابي الجليل عبد الله بن عمر ، والحديث كما تقدم رواته كلهم ثقات أخرجه الإمام مسلم في صحيحه[1] وليس فيه مطعن عند العلماء ولا يطعن فيه وفي رواته إلا مبتدع ضال منتصر للكلام المذموم كالسقاف وأضرابه !

والطعن في رواة الأحاديث ولاسيما الصحابة الأجلاء الذين نقلوا أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته في جميع أمور الدين إبطالٌ لما جاء به الرسول ، لأنَّ الصحابة ومن روى عنهم من الرواة الثقات هم حملة الدين وشهوده ، فالطعن فيهم ونفي الثقة عنهم طعن فيما حملوه إلينا من ديننا الحنيف الذي جاء به الرسول الأمين ولا يطعن فيهم إلا مبتدع ضال وصاحب هوى يريد أنْ يُبطل الشريعة جملة وتفصيلا !

وما حمل السقاف على الطعن في رواة الحديث إلا انتصارا للمذهب الكلامي الفاسد كيفما اتفق ، ولوأدَّى ذلك إلى الطعن في أحاديث رسول الله ﷺ ورواتها وعلى رأسهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

الوجه الثالث : أما ماذكروه من أنَّ إثبات ماورد في نصوص الصفات من إثبات اليد واليمين والقبض والبسط على ظاهره بدون تأويل تشبيها وتجسيما باطل

---

(١) تقدم عزوه انظر : ٢/٥٩١ .

مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول :

وبيان ذلك أنَّ الله تعالى قد أخبر في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بأن له يدين يقبض بهما أرضه ، ويطوي بيمينه سمواته وأنه جل وعلا يبسط يده وأنَّ المقسطين على منابرمن نور عن يمين الرحمن ، وقد أكد رسول الله صفة القبض والبسط بقبض أصابعه وبسطها ، تحقيقا للصفة وإثباتا لها على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ، ومعلوم بصحيح المنقول وصريح المعقول أنَّ الله تعالى أعلم بنفسه وبصفاته من غيره ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ١٤٠] وكذلك رسول الله ﷺ أعلم بصفات مرسله من غيره ، فلوكان إثبات الصفات يُؤدي إلى محذور المشابهة كما يزعم المعطلة لنزه الله عنه نفسه غاية التنزيه ، فدل ذلك على أنَّ هذه الصفات ثابتة لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته !

وهؤلاء المعطلة بتصورهم الخاطئ للتشبيه وصفوا الله تعالى بصفات العجز والمعدوم وقد بين الإمام ابن خزيمة رحمه الله جهلهم بالتشبيه ، ومخالفتهم للعقل وكذبهم في نبزهم أهل السنة بالتشبيه ومما ذكره في ذلك أنَّ هؤلاء الجهمية المعطلة جاهلون بالتشبيه إذْ كيف يتصور من له عقل أنْ تكون يد المخلوق العاجز الضعيف مماثلة ليد الخالق المتصف بصفات الكمال المنزه عن صفات النقص والعيوب !

ولو أنَّ جميع الخلق منذ خلقهم الله إلى يوم القيامة حاولوا قبض أرضٍ واحدة من الأرضين السبع بأيديهم لعجزوا عن ذلك غاية العجز !

فكيف يكون من وصف يد خالقه بما ورد في النصوص من صفات الكمال والجلال ووصف يد المخلوقين بالعجز والضعف مشبها يد الخالق بيد المخلوقين[1]؟!

ولو قيل لأحدهم : يدك شبيهة بيد قرد أودب أوكلب أو غيرها من السباع ، لقال

---

(١) انظر : كتاب التوحيد ١/١٩٤ .

له من يسمع هذه المقالة إنْ كان من ذوي الحجا : أخطأت يا جاهلا بالتمثيل ، نكست التشبيه ونطقت بالمحال من المقال ، ليس كل ماوقع عليه اسم اليد جاز أنْ يشبه أويمثل إحدى اليدين بالآخر وكل عالم بلغة العرب يعلم أنَّ الاسم الواحد قد يقع على شيئين مختلفي الصفة متباييني المعاني !

وإذا لم يجز أن يقع اسم التشبيه على ما ذكرنا بين المخلوقات ، فكيف يجوز أنْ يُسمى مشبها من يقول : لله يدان على ماأعلم الله في كتابه وعلى لسان نبيه عليه السلام[1]!

الوجه الرابع : أما تأويلاتهم صفة اليدين واليمين والقبض بالنعمة أوالنعمتين أوالملك والقدرةواليمين بالقسم ، والقبض والبسط بالإفناء وإعادة الأرواح ونحو ذلك من التأويلات المتعسفة والمقالات الفاسدة فمخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول ، واللغة العربية التي نزل بها القرآن وبيان ذلك :

أولا : أما مخالفة تأويلاتهم لصحيح المنقول وصريح المعقول فإنه لايقول من له أدنى مسكة من عقل إنَّ نِعم الله محصورة في نعمة أونعمتين ، لأنَّ نِعَم الله عز وجل كثيرة لا تحصى قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [ابراهيم : ٣٤] قال الإمام الدارمي رحمه الله في صدد مناقشته للمريسي : « وقد ادَّعى المريسي أيضا وأصحابه أنَّ يد الله نعمته ، فقلت لبعضهم : إذْ يستحيل في دعواكم أنْ يُقال : خلق الله آدم بنعمته ، أَقوله : « مَبْسُوطَتَانِ » أنعمتان من أنعمه فقط مبسوطتان فإنَّ نعمه أكثر من أنْ تُحصى ، أَفلم يبسط منها على عباده إلا اثنتين ، وقبض عنهم ما سواهما في دعواكم ، فحين رأينا كثرة نِعَم الله المبسوطات على عباده ثم قال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ علمنا أنهما بخلاف ماادعيتم ووجدنا أهل العلم ممن

---

(١) انظر : المرجع نفسه ١٩٦/١ .

مضى يتأولونها على خلاف ما تأولتم ، ومحبتهم أرضى وقولهم أشفى »[١].

فحجهم الإمام الدارمي رحمه الله بحجة القرآن ودلالة العقل وإجماع أهل العلم بأنَّ من كان عنده عقل لايفسر صفة اليدين الثابتة لله بالكتاب والسنة ، بالنعمة أو النعمتين ومن فعل ذلك فقد خرج من المعقول ، ونبذ الشرع والدين ، وخالف إجماع أهل العلم على إثبات صفة اليدين لله تعالى كما وردت من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، وأنَّ نِعَم الله أكثرمن أن تُحصى !

ثم إنَّ نِعم الله مخلوقة حادثة ، فكيف يفسر من له عقل وعلم وإيمان يد الله التي هي من صفات ذاته بأمرٍحادث مخلوق ، ولا يجوز أنْ يُراد باليدين النعمتان لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق ، لأنَّ نِعم الله مخلوقة !!

وهؤلاء المعطلة في دعواهم أنَّ يد الله نعمتاه كما ذكر الإمام ابن خزيمة رحمه الله مبدلون محرفون ، والدليل على نقض دعواهم هذه : أنَّ نِعم الله كثيرة لايحصيها إلا الخالق الباري جل وعلا والله تعالى له يدان لاأكثرمنهما ، كما قال تعالى لإبليس لعنه الله : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ سورة [ص : ٧٥] فأعلمنا جل وعلا أنه خلق آدم بيديه ، فمن زعم أنه خلق آدم بنعمته كان مُبدلا محرفا لكلام الله ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ أفلا يعقل أهل الإيمان : أنَّ الأرض جميعا لاتكون قبضة إحدى نعمتيه يوم القيامة ، ولاأنَّ السموات مطويات بالنعمة الأُخرى !!

أَلآيعقل ذوي الحجا من المؤمنين : أنَّ هذه الدعوى التي يدعيها الجهمية جهل أم تجاهل شرمن الجهل ، بل الأرض جميعا قبضة ربنا جل وعلا بإحدى يديه يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وهي اليد الأخرى ، وكلتا يدي ربنا جل وعلا يمين[٢]!

---

(١) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٣٨ .

ثانيا : أما تأويلهم صفة اليدين بالقدرة فباطل مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول ومُؤدٍ بقائله إلى التناقض ، وفي بيان ذلك قال الإمام أبو بكر الباقلاني الأشعري[١] رحمه الله : « قوله تعالى : ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ يقتضي إثبات يدين هما صفة له ، فلوكان المراد بهما القدرة ، لوجب أنْ يكون له قدرتان ، وأنتم فلاتزعمون أنَّ للباري سبحانه قدرة واحدة ، فكيف يجوزأنْ تثبتوا له قدرتين ، وقد أجمع المسلمون من مثبتي الصفات والنافين لها ، على أنه لا يجوز أنْ تكون له تعالى قدرتان ، فبطل ما قلتم »[٢]!

ولو كان معنى اليد القدرة كما يقول هؤلاء المعطلة لما كان هناك مزية بين خلق آدم عليه السلام وإبليس اللعين ولقال إبليس : وَأَيُّ فضيلة له عليَّ وأنا خلقتني بقدرتك ، فلماقال إبليس كما حكى الله عنه : ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ دَلَّ على اختصاص آدم عليه السلام بأنَّ الله خلقه بيده[٣]!

ثالثا : أما مخالفتهم للغة العربية التي نزل بها القرآن فإنَّ معنى اليد واليمين والقبض والبسط معلوم في اللغة العربية ، ولا يجوز صرفه إلى ما ذكروه من المعاني إلا بقرينة ودليل شرعي يدل على ذلك ، وليس معهم من ذلك سوى زعمهم أنَّ إثبات هذه الصفات موهم للتشبيه ، وهل الوهم يصلح أنْ يكون دليلا لصرف معاني نصوص الصفات عن ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته ؟!

ومن تأمل سياق النصوص الذي وردت فيه هذه الصفات يتبين له بطلان

---

(١) انظر : كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/١٩٧ .

(٢) كان أبو بكر الباقلاني من أئمة الأشاعرة وفضلائهم ، وكان يثبت بعض الصفات الخبرية التي نفاها متأخرو الأشاعرة انظر : ٢/٢١٠ - ٢١١ .

(٣) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني ص/٢٩٧ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ص/٢٩٧-٢٩٨ وفتح الباري لابن حجر١٣/٤٠٥ .

تأويلاتهم فإنها جاءت مقيدة بالإضافة أو الوصف أونحو ذلك من الأمور التي تمنع صرفها عن ظاهرها اللائق بعظمة الله تعالى إلى معنى آخر يتعين بالتأويل !

وبيان ذلك أنَّ اليد جاءت مضافة بضمير راجع إلى الله تعالى ، وجاءت معرفة موصوفة في مثل قوله ﷺ في الحديث السابق : « ثم يأخذهن بيده اليمنى ... ثم يطوي الأرضين يأخذهن »[١] أي : بيده الأخرى[٢]. وكذا قوله ﷺ : « يأخذ الله عز وجل سمواته وأراضيه بيديه »[٣]!

وكذا القبض واليمين جاءا مضافين إلى الله جل وعلا في قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ وتأكيد رسول الله ﷺ لصفة القبض والبسط ، بقبض يده وبسطها لتحقيق الصفة وتأكيدها أبلغ في إثبات صفة القبض والبسط ، وعدم صرف معناهما بالتأويل الفاسد إلى معنى آخرلايدل عليه ظاهر اللفظ !

فسياق وُرُود هذه الصفات في النصوص تمنع تأويلات هؤلاء المعطلة ، فلا يصح أنْ يُقال في اللغة : « ثم يأخذهن بنعمته أوبقدرته » ولايصح أنْ يُقال : « بقدرته الأخرى » أو « يأخذ الله سمواته وأراضيه بقدرته أونعمته » ولايصح أنْ يُقال : « والسموات مطويات بقسمه الذي هو يمينه ، ومطويات بنعمته ، أو الأرض جميعا مقبوضة بقدرته » ونحو ذلك من التأويلات الفاسدة التي هي في الحقيقة تحريفات لوحي الله تعالى ، ولايقول بها من له أدنى معرفة باللغة العربية ، أوبغيرها من اللغات !

فضلا عن أنْ يكون له علم باللغة والشرع ، ولكنه الكلام المذموم الذي مَن خاض فيه فسد عقله وعلمه ودينه ولغته ، بالتأويلات الفاسدة ، والتحريفات الباطلة

---

(١) تقدم عزو هذا الحديث انظر : ٢/٥٩١ .

(٢) كما قال ابن العلاء وقدتقدم انظر : ٢/٥٩١ .

(٣) تقدم عزوه انظر : ٢/٥٩١ - ٥٩٢ .

المفضية إلى تعطيل الله تعالى عن صفات الكمال !

وقد بين الإمام أبوالحسن الأشعري رحمه الله مخالفة من يُؤول صفة اليدين بالنعمة للغة العربية بقوله : « وليس يجوز في لسان العرب ، ولا في عادة أهل الخطاب أنْ يقول القائل « عملت كذا بيديَّ » ويعني به النعمة ، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوما في كلامها ، ومعقولا في خطابها وكان لا يجوز في لسان أهل البيان أنْ يقول القائل : « فعلت بيدي » ويعني النعمة فبطل أنْ يكون معنى قوله عز وجل : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ النعمة ، وذلك أنه لا يجوز أنْ يقول القائل : « لي عليه يد » بمعنى : لي عليه نعمة !

ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع إلى أهل اللسان فيها دُفع عن أنْ تكون اليد بمعنى : النعمة ، إذْ كان لا يمكنه أنْ يتعلق في أنَّ اليد النعمة إلا من جهة اللغة فإذا دفع اللغة لزمه أنْ لايفسر القرآن من جهتها ، وأنْ لا يثبت اليد نعمة من قبلها لأنه إنْ رجع في تفسير قول الله عز وجل : ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ نعمتي إلى الإجماع فليس المسلمون على ما ادَّعى متفقين وإنْ رجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل : بيدي يعني نعمتي وإنْ لجأ إلى وجه ثالث سألناه عنه ولن يجد إليه سبيلا »[1].

على أنَّ التأويلات التي ذكروها بعضها تفسيرات باللازم التي يُصار إليها بعد إثبات الصفة أولا ، فَيُقال مثلا في قول الله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌۢ بِيَمِينِهِ ﴾ إنَّ الله تعالى يطوي بيده اليمنى سمواته يوم القيامة ، ويقبض باليد الأخرى أرضه ، كما ورد في الحديث السابق ومن لازم هذا القبض وهذا الطي بيان عظمة الله وقدرته التامة وانفراده بالملك عز وجل !

فنثبت الصفات أولا ثم نذكر لازمها ، أما بدون إثبات الصفات كما وردت ، فلا

---

(١) الإبانة في أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص/١٣٢-١٣٣ .

يكفي ذكر اللازم ، بل لايُصار إليه إلا بعد إثبات الصفات ، وبدون ذلك تعطيل لله تعالى عن صفات الكمال !

وبعض التأويلات التي ذكروها خارجة عن أيِّ معنىحتى عن المعنى اللازم مثل تأويلهم صفة اليمين بالقسم ، فلامعنى لهذا التأويل وإنما قالوا به لما رأوا الاشتراك في المعنى العام عند الاطلاق فقالوا به ليصرفوا معاني النصوص الواردة في ذلك عن ظاهرها الموهم عندهم التشبيه كيفما اتفق ونسوا أو تناسوا ماورد في سياق النصوص « ثم يأخذهن بيده اليمنى » و« بيده الأخرى » أي : المقابلة لليمين !!

ففي الحديث يدٌ يمنى ، ويد أخرى تُقابلها ، مما يدل على أنَّ لله يدين ، كما ورد في قول الله تعالى لإبليس : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ !

وكذلك تأويل بعضهم لصفة القبض والبسط بقبض الروح وإفنائها ، وبسطها وإعادتها لامعنى له ، ولايدل عليه سياق النصوص الواردة في ذلك ، فقد جاء مبينا بأنَّ الله تعالى يقبض أرضه يوم القيامة ، وأنَّ يديه مبسوطتان ، فالقبض والبسط من أفعال الله الاختيارية المتعلقة بقدرته ومشيئته ، وقد بينه رسول الله كما تقدم في حديث ابن عمر بالقول مع الفعل ، فقبض أصابعه وبسطها عند ذكر صفة القبض والبسط لتحقيق الصفة وتأكيد معناها ، وأنَّ ذلك حقيقة ثابتة لله تعالى كما ورد على الوجه اللائق به تعالى الدال على عظمته تعالى وجلاله وتفرده بصفات الكمال .

فسياق النصوص وموارد استعمالها هو الذي يحدد المعنى المراد ، واطراد اليد في موارد الاستعمال وتنوع ذلك وتصريفه كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله يمنع ما يدعيه هؤلاء المتكلمون ، ألاترى إلى قوله تعالى : ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ وقوله : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ فلو كانت اليد والقبض والبسط والطي مجازا في القدرة والنعمة كما يزعم المعطلة ، لم يستعمل منه لفظ يمين ، فلا يُقال :

هذا يدُ النعمة والقدرة ، ولا يُقال : كلتا يديه يمين[١].

بل لا يتصور من كان له عقل أنْ يقبض الله سمواته وأرضيه بنعمته ، أو ملكه أو قدرته أو يطوي سمواته بنعمتيه وقدرته !

فاقتران لفظ الطي والقبض والإمساك باليد يصير المجموع حقيقة هذا في الفعل وهذا في الصفة بخلاف اليد المجازية فإنها إذا أُريدت لم يقترن بها ما يدل على اليد حقيقة بل ما يدل على المجاز كقولهم : « له عندي يد » و « أنا تحت أيديهم » ونحو ذلك .

وأما إذا قيل : قبض بيديه ، وأمسك بيده ، أوقبض بإحدى يديه ، وبالأخرى كذا فهذا لا يكون إلا حقيقة فلا يجوز تأويله إلى معانٍ أُخرى تُعطل معناه !

وإنما أُتي هؤلاء من جهة أنهم رأوا اليد تطلق على النعمة والقدرة في بعض المواضع[٢]فظنوا أنَّ كل تركيب وسياق صالح لذلك فوهموا وأوهموا ، فَهَبْ أنَّ هذا يصلح في قول القائل : « لولا يد لك لم أجزك بها » أَفَيصلح في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾[٣][العنكبوت : ٤٨] .

وهل يصلح في مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِ ﴾ أي : بنعمته أو قدرته أو ملكه ؟! لايقول بهذا من له أدنى إلمام باللغة العربية ، بل بغيرها من اللغات !!

الوجه الخامس : أنْ يُقال لهؤلاء المعطلة : ما الذي يضيركم من إثبات صفة اليدين لله تعالى حقيقة كما وردت ، وأنَّ الله يقبض بهما ويبسط ، ويطوي ويأخذ بهما ، وليس معكم ماينفي ذلك من الأدلة لانقليها ولاعقليها سوى توهم التشبيه

---

(١) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ٢/٤٠١-٤٠٢ .

(٢) وقد استدل الرازي بذلك لتأويل صفة اليد انظر : أساس التقديس ص/١٢٥ .

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ٢/٤٠٢-٤٠٣ .

المزعوم ، فإنْ فررتم من إثبات هذه الصفات الثابتة لله على حقيقتها كما وردت خشية التشبيه والتجسيم ففروا أيضا من إثبات صفة السمع والبصر والحياة والعلم والإرادة والكلام خشية هذا المحذور[١]. وتوهمكم التشبيه من إثبات الصفات التي نفيتموها باطل لأنه ليس في المخلوقات يدٌ تمسك السموات والأرض وتطويها ويد تقبض الأرضين السبع ولاأصبع توضع عليها الأرض ، وأصبع توضع عليها الجبال فلوكانت في المخلوقات يدٌ هذا شأنها لكان لكم عذر فيما توهمتموه من التشبيه والتجسيم من إثبات اليد والأصبع لله حقيقة وإنما هذا تلبيس منكم على ضعفاء العقول ، فإنْ ادَّعيتم أنَّ التشبيه والتجسيم يلزم من إثبات الصفات التي نفيتموها دون ما أثبتموها ، ظهر بطلان دعواكم للعقلاء قاطبة لأنَّ هذه الصفات أعراض لاتقوم بنفسها ، وقيامها بمحلها مستلزم لما تَدَّعون أنه تشبيه وتجسيم !

فما فررتم منه إنْ كان محذورا فهو غير لازم لإثبات الصفات ومنها صفة اليدين واليمين والقبض والبسط والسمع والبصروسائر الصفات ، وإنْ لم يكن محذورا فلا وجه للفرار ، بل هو لازمُ إثباتِ الصفات جميعها ، الذي هو حق ، ولازم الحق حق[٢].

ولأنَّ ما أثبتموه ونفيتموه من الصفات ، كله لموصف واحد وهو الله رب العالمين فإما أنْ تنفوا كلها ، أو تثبتوا كلها كما وردت ، فتستريحوا من عَناء التفريق بين المتماثلين في الحكم الممتنع عند ذوي العقول الصريحة والفطر المستقيمة !

ولن تستريحوا من الاضطراب والتناقض إلا بإثبات صفات الله تعالى كما وردت من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل !

فَعُلم مما تقدم بطلان مقالات المعطلة في صفة اليدين واليمين والقبض والبسط

---

(١) انظر : المرجع نفسه ٢/٤٠٨-٤٠٩ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ٢/٤٠٩-٤١٠ .

وأنَّ مقالاتهم في هذه الصفات وغيرها مبنية على توهم التشبيه المبني على قياس الخالق على المخلوق الممتنع عند ذوي العقول الصريحة والفطر المستقيمة ، وأنَّ تأويلاتهم لهذه الصفات مُخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول واللغة العربية التي نزل بها القرآن ، وأهل السنة والجماعة آمنوا بهذه الصفات كغيرها من صفات الله تعالى ، وأثبتوها كما وردت على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ، وعلموا وتيقنوا أنَّ قبض النبي ﷺ وبسطه ليده عند ذكر صفة القبض والبسط إنما هو تحقيقا لإثبات ذلك ، وتأكيدا لمعانيها اللائقة بالله تعالى ولم تطرأ في أذهانهم وحاشاهم شبهة التشبيه التي توهمها المعطلة ، لأنَّ الله عز وجل لا شبيه له ولا مثيل بل هو تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

O O O O

فهرس موضوعات المجلد الثاني

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني : مقالة المشبهة إنَّ الله جسم ، وذكربعض أدلتهم وشبهاتهم وموقف أهل السنة من ذلك وفيه ثلاثة مباحث	٥
المبحث الأول : بيان مقالة المشبهة إنَّ الله جسم وموقف أهل السنة من ذلك	٧
بيان أنَّ من المشبهة مَن أطلق على الله تعالى أنه جسم كالأجسام ، ومنهم من قال إنَّ الله جسم لاكالأجسام	٩
نفيُ المعطلة لفظ الجسم عن الله تعالى ، وتضمينهم ذلك التعطيل	١٠
موقف أهل السنة من إطلاق لفظ الجسم على الله أونفيه ، واعتبارهم ذلك بدعة في الدين لأصل له في شرع الله	١٢
بيان أنَّ الأئمة المتقدمين سلكوا منهج الاكتفاء بالإنكارمع من يتكلم بالألفاظ المجملة في حق الله تعالى ومنها لفظ الجسم ، واعتبار ذلك بدعة يجب تنزيه الله عنه ، وذكر بعض مقالاتهم في ذلك	١٢
موقف الإمام أحمد من إطلاق لفظ الجسم علي الله أونفيه في مناظرته أيام محنة القول في خلق القرآن ، وتنزيهه الله تعالى بسورة الإخلاص	١٣
بيان أنَّ الأئمة المتأخرين سلكوا منهج المناقشة والاستفصال مع من يطلق الألفاظ المجملة في حق الله تعالى إثباتا ونفيا ومنها لفظ الجسم لبيان الحق وإبطال الباطل	١٨
ذكر أمثلة من منهجهم في ذلك مع من أطلق لفظ الجسم على الله تعالى	١٩
ذكر بعض الأسباب التي جعلت من سلك من السلف طريق المناقشة مع من أطلق الألفاظ المجملة في حق الله تعالى ومنها لفظ الجسم	٢٠
بيان أهل السنة أنَّ من قال من المشبهة إنَّ الله جسم كالأجسام كافر لأنه مشبه	٢٩
بيان أهل السنة أنَّ من قال من المشبهة إنَّ الله جسم لاكالأجسام ضال مبتدع	٢٩
ادِّعاء منصور عويس أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية يجيزمقالة بعض المشبهة إنَّ الله	

جسم لاكالأجسام ، وبيان كذبه وبراءة شيخ الإسلام من ذلك ٣٠
المبحث الثاني : ذكربعض أدلة المشبهة النقلية وموقف أهل السنة منها . . ٣٥
ذكر نماذج من استدلال المشبهة ببعض الآيات القرآنية لتقرير مقالتهم في التشبيه وموقف أهل السنة منها ٣٧
استدلال المشبهة بقول الله تعالى :﴿ الله الصمد ﴾ لتقرير مقالتهم في التشبيه وموقف أهل السنة منها ، وبيان أنَّ الآية دليل عليهم وأنها دالة على التنزيه ٣٨
معنى قول الله تعالى﴿ الله الصمد ﴾ عند السلف وبيان دلالته على التنزيه ٣٨
مناقشة شيخ الإسلام ابن تيمية من استدل بذلك ، وبيانه بطلان استدلال المشبهة بها من وجوه ٣٧-٤٧
استدلالهم بقول الله تعالى :﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ لتقرير مقالتهم في التشبيه ، وبيان بطلان الاستدلال بذلك ٤٧
استدلالهم بقول الله تعالى :﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ لتقرير مقالتهم في التشبيه ، وبيان بطلان الاستدلال بذلك ٥٢
استدلال الحلولية المشبهة بآيات المعية لتقرير مقالاتهم في التشبيه بأنَّ الله معهم كمايزعمون ، وبيان بطلان الاستدلال بذلك ٥٦
إنكار أهل السنة مقالات الحلولية المشبهة ، وبيان بطلان استدلال المشبهة بآيات المعية ٥٧
بيان أهل السنة إنَّ الله مستوٍ على عرشه بائن من خلقه لإبطال مقالة الحلولية واستدلالهم بآيات المعية ، وبيان مخالفة ذلك لصحيح المنقول وصريح المعقول ٥٨
ذكربعض الأحاديث الموضوعة التي استدل بها المشبهة وموقف أهل السنة منها ٧٠
إنكار أهل السنة علىاستدلال المشبهة بأحاديث موضوعة لتقرير مقالتهم في التشبيه وبيان افترائهم على الله ورسوله ٧١
بيانُ مناقضة استدلال المشبهة للنصوص الواردة في إثبات الصفات ومنها إثبات صفة علوالله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه ٧٦
بيان معارضة المشبهة باستدلالهم بالأحاديث الموضوعة لتقرير مقالتهم في

التشبيه لصحيح لمنقول وصريح المعقول والفطر المستقيمة ٧٦
تنزيه الله تعالى عما تضمنه استدلال المشبهة من سمات المخلوقين وخصائصهم
الدالة على نقصهم وعجزهم ٨٠
المبحث الثالث : ذكر بعض شبهات المشبهة العقلية وموقف أهل السنة منها ٨٣
استدلال المشبهة بدليل الأعراض وحدوث الأجسام على وجود الله وأثر ذلك
في قولهم بمقالة التشبيه. ٨٥
اتفاق المشبهة مع المعطلة في الاستدلال ببعض الأدلة الكلامية ووقوع المشبهة
بذلك في التشبيه ، والمعطلة في التعطيل. ٨٦
بيان أنَّ مقالة المشبهة بامتناع حوادث لا أول لها أفضت بهم إلى اعتاربعض
صفات الله تعالى حادثة النوع ٨٦
موقف أهل السنة من طريقة الاستدلال بدليل الأعراض وحدوث الأجسام
واعتبارهم ذلك بدعة في الدين وذكر بعض مقالاتهم في ذلك ٨٧
بيانهم أنَّ الاستدلال بدليل الأعراض وحدوث الأجسام يفضي إلى مقالات
فاسدة مؤدية إلى القول بالتعطيل والتشبيه ٩٧
بيان أنَّ أصل المقالات الفاسدة في الصفات هي شبهة أنَّ ما لا يخلو من
الحوادث فهو حادث واتباع المشبهة المعتزلة في ذلك ٩٩
مناقشة شيخ الاسلام ابن تيمية هذه الشبهة ، وتفنيده لباطل أهل التعطيل
والتشبيه في ذلك وتقريره الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة ١٠٢
بيان أنَّ القول بامتناع حوادث لا أول لها أدَّى بالمشبهة إلى التمثيل ، وبالمعطلة
إلى التعطيل ١٠١
شبهة المعطلة والمشبهة أنَّ ما لا يخلو من الحوادث فهوحادث مبنية على قولهم
بامتناع حوادث لا أول لها. ١٠٦
بيان أنَّ عمدة القائلين بامتناع حوادث لا أول لها مبني على دليل التطبيق
ومناقشة شيخ الإسلام ابن تيمية لذلك ١٠٦
بيان أنَّ شبهة امتناع حوادث لا أول لها مبنية على امتناع التسلسل في الماضي
في حق الله تعالى الذي قال به المشبهة ١٠٨

توضيح أنَّ التسلسل الممنوع عند أهل السنة هو التسلسل في العلل والفاعلين ١٠٩
بيان أنَّ التسلسل في الماضي غيرممنوع عندأهل السنة لأنَّ فيه إثبات دوام فاعلية
الرب تعالى أزلا ، ومن منعه فقد قال بالتشبيه والتعطيل ١١١
اتهام بعض المعطلة شيخ الإسلام ابن تيمية بالقول بقدم العالم وبطلانه وبراءة
شيخ الإسلام من القول بذلك ١١٤
اسندلال المشبهة ببعض الأقيسة الفاسدة وموقف أهل السنة منها. ١١٧
استدلال المشبهة بقياس الغيب على الشاهد وموقف أهل السنة من ذلك. ١١٨
ذكر بعض الأمثلة على استدلال المشبهة بقياس الغيب على الشاهد
لتقريرمقالتهم في التشبيه ، وموقف أهل السنة من ذلك. ١٢٠
إنكارأهل السنة الاستدلال بقياس الغيب على الشاهد ، وبيانهم أنَّ الله
لايُقاس بخلقه ، وتنزيه الله عن التشبيه وذكربعض مقالاتهم في ذلك . . ١٢٣
استدلال المشبهة بقياس التمثيل والشمول لتقرير مقالتهم في التشبيه . . . ١٢٩
التعريف بقياس التمثيل. ١٢٩
ذكر بعض الأمثلة على استدلال المشبهة بقياس التمثيل لتقريرمقالتهم في
التشبيه ١٢٩
التعريف بقياس الشمول . . . . . .
ذكر بعض الأمثلة على استدلال المشبهة بقياس الشمول لتقريرمقالتهم في
التشبيه ١٣٠
موقف أهل السنة من الاستدلال بقياس التمثيل والشمول ١٣٢
بيانهم فساد الاستدلال بقياس التمثيل والشمول ومايفضي إليه من القول
بالتشبيه ، وتنزيه الله عن ذلك ١٣٢
إرشادهم إلى الاستدلال بقياس الأولى المستنبط من القرآن الكريم لإثبات
صفات الكمال وتنزيه الله عن التشبيه والتمثيل. ١٣٣
الاحتمالات الفاسدة على الاستدلال بقياس الشمول الدالة على بطلانه . ١٣٤
الباب الثالث : براءة أهل السنة من وصمة التشبيه ، وبيان موقفهم من
نصوص الصفات وممن يدَّعى فيها التشبيه وفيه أربعة فصول. ١٣٧

الفصل الأول : مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتشبيه والحشو والتجسيم وبيان براءتهم من ذلك على سبيل الإجمال ١٣٩
المبحث الأول : مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتشبيه ١٤٣
اتفاق أهل التعطيل على مدى العصورعلى وصم أهل السنة بالتشبيه لتنفير
الناس عن منهج أهل السنة في الصفات الذي اعتبروه تشبيها ١٤٥
بيان أنه ما من أحد من نفاة الأسماء والصفات إلا ويسمي المثبت لها مشبها ١٤٥
ذكر بعض مقالات المعطلة في نبز أهل السنة بالتشبيه ونقدها ١٤٦
يعتبر الجهمية المعطلة أول من رمى أهل السنة بالتشبيه ومقالتهم في ذلك. ١٤٧
ذكر نماذج من مقالات المعتزلة في نبزأهل السنة بالتشبيه ١٤٧
رمي الزمخشري أهل السنة بالتشبيه بأبيات من الشعر ورد بعض العلماء عليه ١٥٠
ذكر نماذج من مقالات الخوارج في نبزأهل السنة بالتشبيه ١٥٦
ذكر نماذج من مقالات الرافضة الإمامية والزيدية في نبزهم أهل السنة بالتشبيه ١٥٧
مناقشة ابن الوزيراليماني لأحد من وصم الإمام أحمد بالتشبيه من الزيدية
وبيانه براءته و جميع أهل الحديث من ذلك ١٦١
ذكر نماذج من مقالات الأشاعرة والماتريدية في نبزهم أهل السنة بالتشبيه. ١٦٣
المبحث الثاني : مقالات المعطلة في نبزأهل السنة بالتجسيم ونقدها . . .
بيان مفهوم المجسمة عند المعطلة ونقده. ١٧٥
ذكر نماذج من مقالات المعطلة في نبزهم أهل السنة بالتجسيم. ١٧٩
المبحث الثالث : مقالات المعطلة في نبزأهل السنة بأنهم حشوية ١٨٩
المراد بالحشوية عند أهل التعطيل ونقده ١٩١
أول من نبز أهل السنة بأنهم حشوية ١٩٤
ذكر نماذج من مقالات المعطلة في نبزهم أهل السنة بأنهم حشوية. . . . ١٩٦
المبحث الرابع : براءة أهل السنة من وصمة التشبيه والحشووالتجسيم . . ٢٠٣
بيان أنَّ أهل التعطيل في نبزهم أهل السنة بالألقاب الشنيعة ومنها التشبيه
مقلدون لكفار قريش في نبزهم رسول الله ﷺ بماهوبريئ منه من الألقاب
الشنيعة بغية التنفير ٢٠٥

براءة أهل السنة من وصمة التشبيه والحشو من وجوه ٢٠٧
بيان أنَّ ذم المعطلة لأهل السنة بالتشبيه والحشو والتجسيم ذم لهم بألفاظ ماأنزل الله بها من سلطان ٢٠٧
الأمور التي يحتاج إليها من يذم أويمدح بأمورلم يدل عليها الشرع ، وعجز المعطلة عن الإتيان بذلك ٢٠٨
بيان دخول المعطلة النابزين لأهل السنة فيماذموهم به من التشبيه والتجسيم والحشو ٢٠٩
بيان كذب المعطلة في نبزهم أهل السنة بأنهم حشوية ، وأنَّ ذلك من صنيع الزنادقة ٢١٣
مقارنة بين أئمة النابزين والمنبوزين يعلم بها أنَّ المعطلة أحق بكل لقب مذموم ٢١٤
بيان اعتماد المعطلة على كتاب ابن الجوزي دفع شبه التشبيه ... لرمي الحنابلة بالتشبيه والتجسيم وبطلان ذلك من وجوه ٢٢٠
بيان أنَّ ابن الجوزي لم يصنف كتابه في الرد على جميع الحنابلة ٢٢٠
بيان براءة مَن رماهم ابن الجوزي من الحنابلة بالتشبيه والتجسيم ١٢١
بيان اضطراب ابن الجوزي في توحيد الصفات المبطل لمقالة من يجعل كلامه حجة لرمي الحنابلة بالتشبيه ٢٢٥
ذكربعض أقوال علماء الحنابلة الذين عاصروا ابن الجوزي في ردهم عليه بسبب تأويلاته الصفات ونبزه لمن أثبتها بالتشبيه ٢٢٧
ذكر بعض مقالات العلماء في تبرئتهم الحنابلة من وصمة التشبيه والتجسيم ٢٣٢
الفصل الثاني : أمثلة ونماذج ممن وُصموا من أهل السنة بالتشبيه وبراءتهم من ذلك ، وبيان أسباب نبز أهل السنة بالتشبيه ونقدها ، وفيه مباحث ٢٣٥
المبحث الأول : براءة الإمام ابن قتيبة من وصمة التشبيه ٢٣٧
رميُ سبط ابن الجوزي ابن قتيبة بالتشبيه ونقل ذلك بعض العلماء ٢٣٩
بطلان هذه التهمة لعدة أمورداله على براءة الإمام ابن قتيبة من وصمة التشبيه ٢٤٠
المبحث الثاني : براءة الإمام الدارمي من وصمة التشبيه ٢٤٩
ذكر بعض مقالات المعطلة في نبزهم الإمام الدارمي بالتشبيه ونقدها . . . ٢٥١

ذكربعض الوجوه الدالة على براءة الإمام الدارمي من وصمة التشبيه . . . ٢٥٢
المبحث الثالث : براءة الإمام ابن خزيمة من وصمة التشبيه ٢٦٧
ذكر بعض مقالات المعطلة في نبزهم الإمام ابن خزيمة بالتشبيه ونقدها.... ٢٦٩
ذكربعض الوجوه الدالة على براءة الإمام ابن خزيمة من وصمة التشبيه . . ٢٧٠
المبحث الرابع : براءة الإمام أبي يعلى من وصمة التشبيه ٢٧٩
اعتماد المعطلة في نبز أبي يعلى بالتشبيه على مقالة منسوبة إلى أبي يعلى نقلها
ابن العربي ، وبراءته منها من وجوه. ٢٨١
المبحث الخامس : براءة شيخ الإسلام الأنصاري الهروي من وصمة التشبيه
ذكر بعض مقالات المعطلة في نبزهم لشيخ الإسلام الأنصاري بالتشبيه
والتجسيم ونقدها ٢٩٧
ذكربعض الأمور الدالة على براءة شيخ الإسلام الأنصاري من وصمة التشبيه
والتجسيم. ٢٩٨
وشاية الأشعرية بشيخ الإسلام الأنصاري إلى السلطان ألب أرسلان وزعمهم
أنه يعبد صنما يزعم أنَّ الله على صورته وتبرئة السلطان له وتعزيره الوشاة. ٣٠٢
بطلان زعم الدكتور النشار أنَّ شيخ الإسلام الأنصاري كان صورة من
الكرامية ، وبيان براءته من الحلول والإتحاد. ٣٠٥
المبحث السادس : براءة شيخ الإسلام ابن تيمية من وصمة التشبيه . . . ٣١٥
ذكربعض مقالات المعطلة في نبزهم شيخ الإسلام ابن تيمية بالتشبيه والتجسيم
وتأليف بعضهم في ذلك كتبا مستقلة تشنيعا وتنفيرا ٣١٧
مقالة ابن بطوطة في رميه شيخ الإسلام بالتشبيه ، وتناقل المعطلة لها لنبزه
بالتشبيه ، وبيان براءته منها من وجوه. ٣١٩
مقالة أبي بكر الحصني في رميه شيخ الإسلام بالتشبيه ، ونبز بعض المعطلة
شيخ الإسلام بها ، وبيان براءته من ذلك بعدة أمور ٣٢٥
المبحث السابع : ذكربعض الأسباب التي اتخذها المعطلة لنبزأهل السنة
بالتشبيه والتجسيم ونقدها ٣٣٩
وجود بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة في بعض كتب أهل السنة . . ٣٤٢

ذكرأمثلة من ذلك وبيان تشنيع المعطلة بها على أهل السنة ورميهم بالتشبيه ٣٤٣
ذكر بعض الوجوه الدالة على بطلان استدلال المعطلة بوجود بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة في كتب بعض أهل السنة في الصفات ، وبراءة أهل السنة من ذلك ٣٤٦
بيان تغافل المعطلة عن منهج أهل السنة المبني على اشتراط الصحة في أحاديث الصفات ، وعن منهج المعطلة المبني على معارضة الوحي ٣٥١
اعتماد المعطلة في نبزهم أهل السنة بالتشبيه على مقالتهم الاشتراك في اللفظ والمعنى العام يقتضي التشبيه ، وشبهة تماثل الأجسام ونقدها ٣٦٢
بيان مخالفة قول المعطلة بتماثل الأجسام لصحيح المنقول وصريح المعقول واللغة العربية التي نزل بها القرآن ٣٦٥
اعتبار المعطلة لازم المذهب هو المذهب لنبز أهل السنة بالتشبيه والتجسيم ونقده. ٣٧٠
بيان أنَّ لازم الحق حق ، ولوازم الكتاب والسنة يقول بها أهل السنة ولاتدل على التشبيه والتجسيم كما يزعم أهل التعطيل. ٣٧٦
بيان أنَّ لازم المذهب إذا كان فاسدا لايلتزمه أهل السنة ، ولازم المذهب في هذه الحالة ليس مذهبا لأهل السنة ٣٧٣و٣٧٦
بيان أنَّ سوء القصد وسوء الفهم من أعظم الأسباب في نبزالمعطلة لأهل السنة بالتشبيه وذكر بعض الأمثلة على ذلك. ٣٧٨
الفصل الثالث : وسطية أهل السنة في صفات الله الدالة على براءتهم من التشبيه وذكر بعض أدلتهم السمعية ومقالاتهم في إبطال التشبيه. . . . ٣٨٥
المبحث الأول : وسطية أهل السنة في صفات الله الدالة على براءتهم من التشبيه ٣٨٩
ذكربعض مقالات السلف في بيان وسطية منهجهم في صفات الله عز وجل ٣٩٢
ذكر بعض الصور من وسطية أهل السنة في صفات الله الدالة على براءتهم من التشبيه ٣٩٧
المبحث الثاني : ذكر بعض النصوص التي يستدل بها أهل السنة لتنزيه الله

عن التشبيه الدالة على براءتهم من وصمة التشبيه. ٤٠٥
بيان دلالة أسماء الله الحسنى على تنزيه الله تعالى عن التشبيه وصفات النقص
وذكر أمثلة من ذلك. ٤١٩
المبحث الثالث : ذكر بعض مقالات أهل السنة في تنزيه الله عن مقالة التشبيه
الدالة على براءتهم من وصمة التشبيه ٤٣٥
**الفصل الرابع : موقف أهل السنة من نصوص الصفات وممن يدعي فيها
التشبيه وفيه ثلاثة مباحث** ٤٦١
المبحث الأول : موقف أهل السنة من نصوص الصفات على سبيل الإجمال ٤٦٥
بيان أنَّ منهج أهل السنة في نصوص الصفات مبني على الإيمان والقبول
والإثبات والتنزيه. ٤٦٧
ذكر بعض مقالات أهل السنة في بيان منهجهم في نصوص الصفات
المتضمنة لموقفهم من مقالة التشبيه والتعطيل ، وبراءتهم من وصمة التشبيه ٤٦٨
المبحث الثاني : مقالة المعطلة ظواهر نصوص الصفات موهمة للتشبيه وموقف
أهل السنة منها ٤٨٥
ذكربعض مقالات المعطلة في ذلك ، وبيان اعتبارهم ظاهرنصوص الصفات
تشبيها وكفرا ٤٨٧
موقف أهل السنة من موقف المعطلة في نصوص الصفات ٤٩٤
اعتبار أهل السنة مقالة المعطلة ظواهرنصوص الصفات موهمة للتشبيه مقالة
منكرة مخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول ، مشتملة على كلام مجمل
وبيان ذلك من وجوه ٤٩٤
بيان أنَّ مقالة المعطلة ظواهر النصوص موهمة للتشبيه قول على الله بلا علم ٥٠٦
بيان جناية المعطلة على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في جعلهم إياها
دالة على معانٍ باطلة غير لائقة بالله ، وأنها تشبيه وكفر ٥٠٧
بيان جنايتهم على المسلمين في جعلهم نصوص الصفات دالة على التشبيه
والكفر ٥١٠
بيان تناقض المعطلة في مقالتهم ظواهر النصوص موهمة للتشبيه ٥١٣

بيان بطلان نسبة المعطلة مذهب التفويض إلى السلف من وجوه. ٥٢٢
بيان مخالفة قولهم إنَّ تفويض معاني نصوص الصفات هو مذهب السلف لصحيح المنقول وصريح المعقول ٥١٦
بطلان زعم المعطلة اتفاق السلف معهم في صرف نصوص الصفات عن ظاهرها الموهم للتشبيه لعدة أمور ٥٣٣
استدلال بعض المعطلة ببعض أقوال الأئمة لاعتبار مذهبهم في الصفات التفويض ونقده ٥٢٦
بطلان مقالة المعطلة مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم وبيان أنها مشتملة على حق وباطل من وجوه ٥٣٦
المبحث الثالث : موقف أهل السنة من الأحاديث التي فيها تحقيق الوصف والرد على من يدعي فيها التشبيه ٥٤٣
توضيح مفهوم الأحاديث التي فيها تحقيق الوصف ٥٤٥
وجهُ اختياري لهذه الأحاديث راجعة إلى أمور ثلاثة ٥٤٥
ذكر أمثلة من الأحاديث التي فيها تحقيق الوصف وبيان موقف أهل السنة منها وممن يدعي فيها التشبيه الدال على موقفهم من مقالة التشبيه وبراءتهم من ذلك ٥٤٦
استدلال المعطلة في اعتبارهم ظواهرنصوص الصفات تشبيها بمارُوي عن الإمام مالك في نهيه عن التمثيل بالإشارة عند ذكر شيء من صفات الله الذاتية ونقده ٥٥٢
الرد على استدلالهم بذلك وبيان مقصود الإمام مالك بعدة وجوه ٥٥٣
بيانُ مقصود الإمام مالك بمنعه الإشارة عند ذكر بعض الصفات. ٥٥٤
الرد على الإمام الخطابي في اعتباره الإشارة الواردة في حديث الجبرتشبيها وبيان بطلان ماذكره في ذلك من وجوه. ٥٦٩
اضطراب المتكلمين في تأويلهم حديث الجبر خشية الوقوع في التشبيه الدال على بطلان مذهبهم في الصفات ٥٨٢
الرد على اللوازم الفاسدة التي أوردها المعطلة على حديث إنَّ قلوب العباد بين

إصبعين من أصابع الرحمن وبيان أنهم لايفهمون من نصوص الصفات إلا التشبيه ٥٨٨
الردُّ على اعتبار المعطلة بأنَّ إثبات صفة القبض والبسط والإشارة في ذلك تشبيه من وجوه ٥٩٩
فهرس موضوعات المجلد الثاني ٦١٣

○○○○